CERTIFICATE.

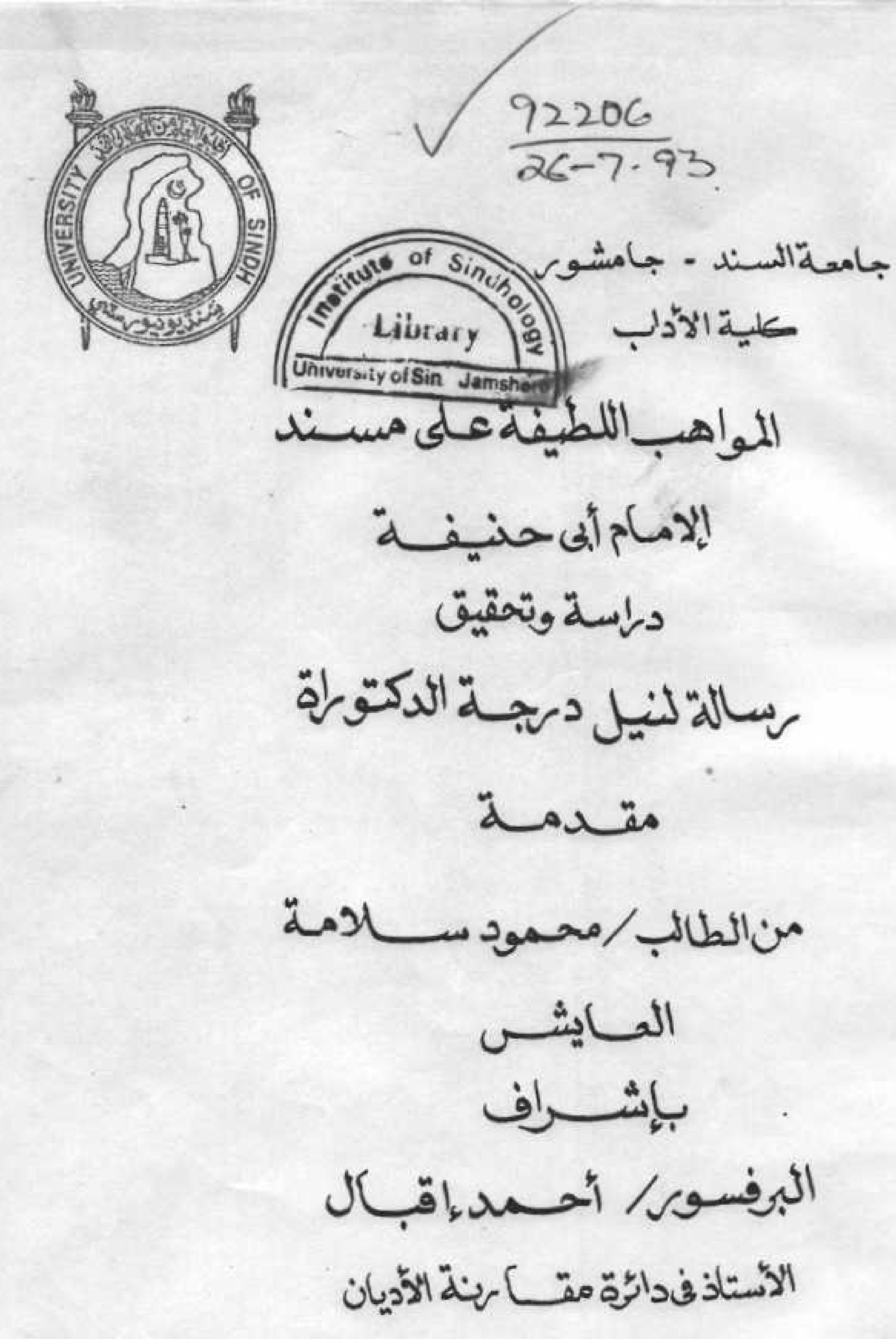
Certified that Mr.~~Miss/Mrs~~ Mahmoud

D/o/S/o Salameh Al-ayesh has carried out research on the

Topic" المواهب اللطيفه على مسند الامام أبي حنيفه رحمه الله.

under my supervision and that his/~~her~~ work is original and distinct and his/~~her~~ dissertation is worthy of presentation to the University of Sindh for award of the degree of ~~Master of Phil~~ /Doctor of Philosophy.

Signature of the Supervisor
Under whom the candidate
has worked.



جامعة السند - جامشورو
كلية الآداب

المواهب اللطيفة على مسند الإمام أبي حنيفة

دراسة وتحقيق

رسالة لنيل درجة الدكتوراة

مقدمة

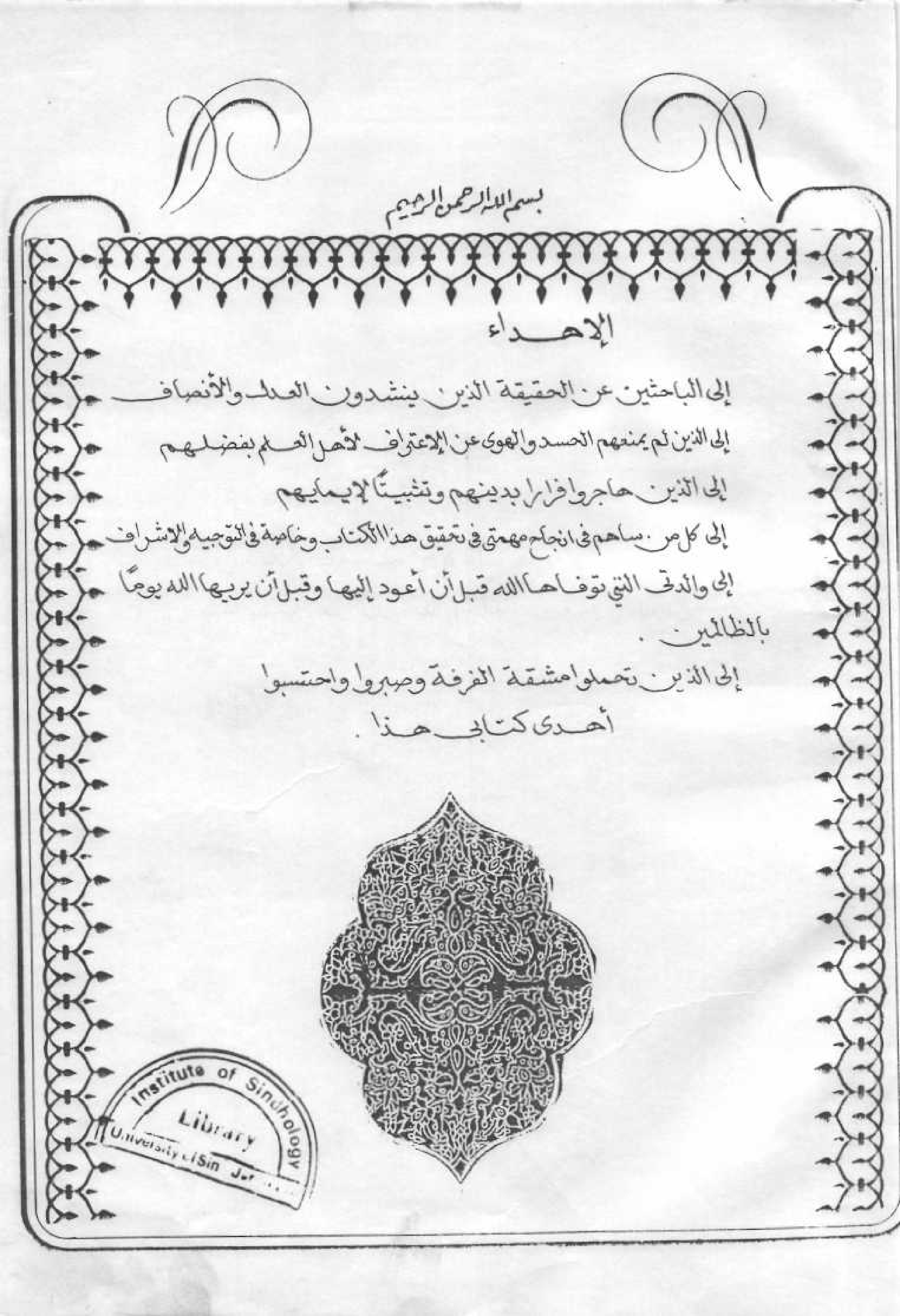
من الطالب / محمود سلامة العايش

بإشراف

البرفسور / أحمد إقبال

الأستاذ في دائرة مقارنة الأديان والثقافة الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الباحثين عن الحقيقة الذين ينشدون العدل والإنصاف

إلى الذين لم يمنعهم الحسد والهوى عن الاعتراف لأهل العلم بفضلهم

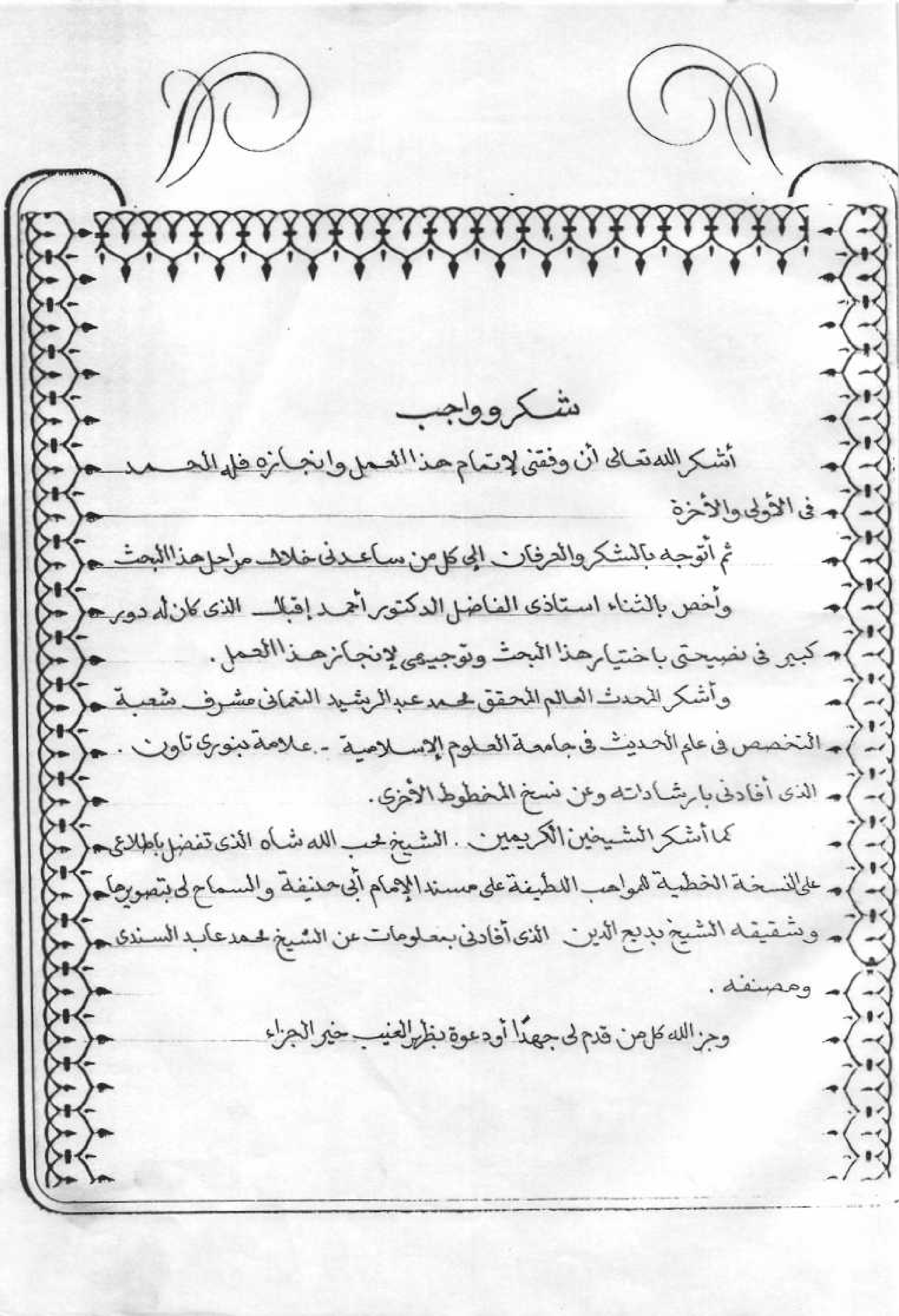
إلى الذين هاجروا فرارا بدينهم وتثبيتاً لإيمانهم

إلى كل من ساهم في انجاح مهمتي في تحقيق هذا الكتاب وخاصة في التوجيه والإشراف

إلى والدتي التي توفاها الله قبل أن أعود إليها وقبل أن يريها الله يوماً بالظالمين .

إلى الذين تحملوا مشقة الفرقة وصبروا واحتسبوا!

أهدي كتابي هذا .



شكر وواجب

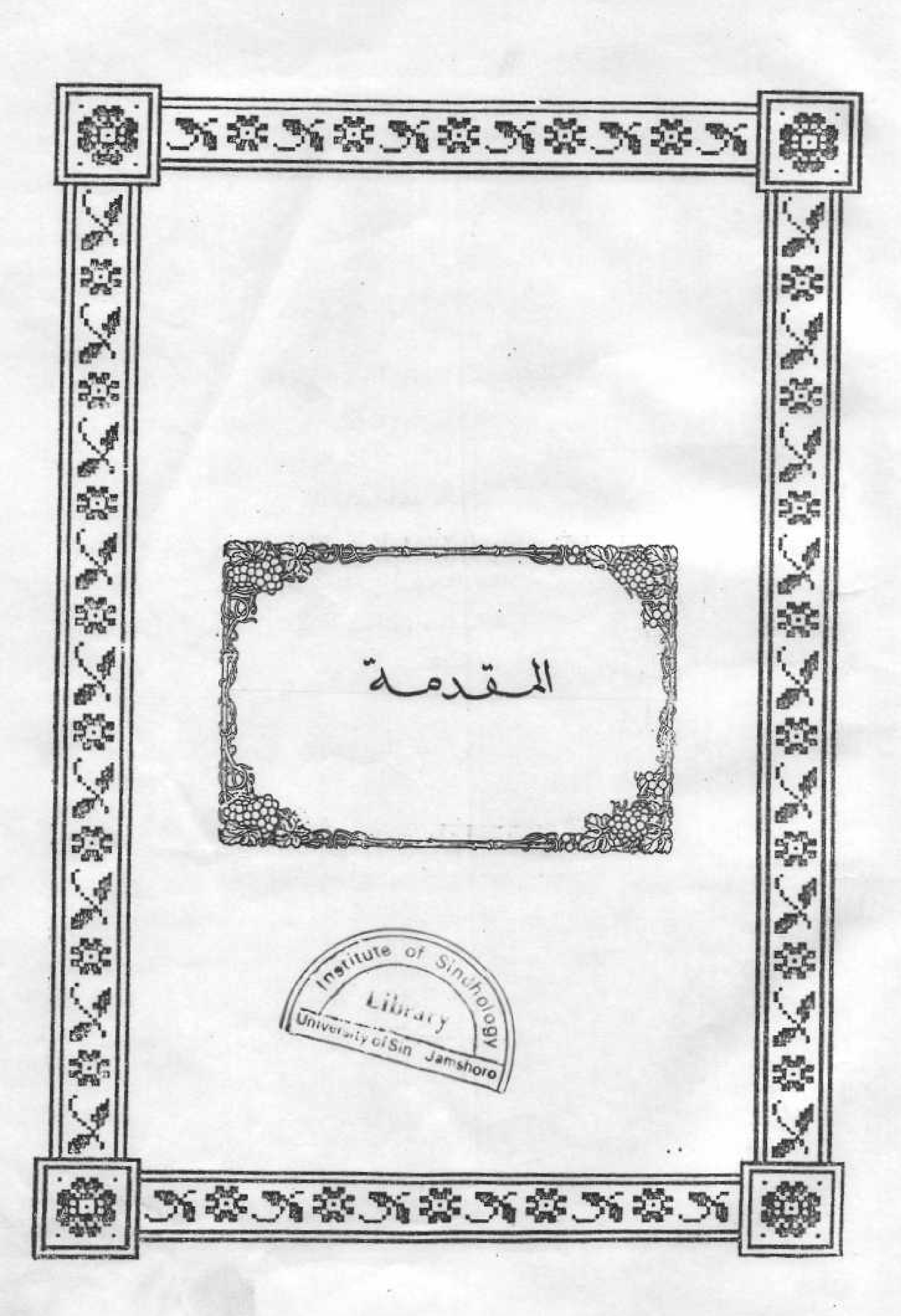
أشكر الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا العمل وإنجازه فله الحمد في الأولى والأخرة

ثم أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من ساعدني خلال مراحل هذا البحث وأخص بالثناء استاذي الفاضل الدكتور أحمد إقبال الذي كان له دور كبير في نصيحتي باختيار هذا البحث وتوجيهي لإنجاز هذا العمل.

وأشكر المحدث العالم المحقق محمد عبد الرشيد النعماني مشرف شعبة التخصص في علم الحديث في جامعة العلوم الإسلامية - علامة بنوري تاون. الذي أفادني بإرشاداته وعن نسخ المخطوط الأخرى.

كما أشكر الشيخين الكريمين. الشيخ محب الله شاه الذي تفضل باطلاعي على النسخة الخطية لمواهب اللطيفة على مسند الإمام أبي حنيفة والسماح لي بتصويرها وشقيقه الشيخ بديع الدين الذي أفادني بمعلومات عن الشيخ محمد عابد السندي ومصنفه.

وجزى الله كل من قدم لي جهدًا أو دعوة بظهر الغيب خير الجزاء



المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد وعلى آله و اصحابه و اتباعه السائرين على نهجة المنير – و جزى الله العلماء الاجلاء الذين قعّدوا للسنة المطهرة و علومها القواعد و ضبطوها بصورة فائقة و ردوا عنها كيد أعدائها فكانوا بذلك قد حفظوها و حافظوا عليها – و بذلوا فى تحقيق ذلك النفس و النفيس ·

فجزاهم الله خيرا عن الامة و أقرعيونهم برضوانه ، و رزقنا السير على مناهجهم انه نعم المولى و النصير ·

اما بعد: فقد الف العلماء كتبا كثيرة فى علوم الحديث الشريف و قواعده و قام العلماء على مختلف العصور بشرح حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و تفنّنوا فى ذلك حتى كاد الواقف عليها يقول: انهم استوفوا فيها كل شئ – فلم يتركوا زيادة لمستزيد او ثغرة لمستدرك او لمتعقب · ولكن سرعان ما يتبدد هذا عندما نقف بين حين و اخر فى هذا العصر او قبله على اثار لعالم لم تكتشف كنوزها فنجد لديهم الجديد و المفيد و النادر و الفريد و يتبدى لنا صدق كلمة الامام ابن مالك النحوى فى فاتحة كتابه "التسهيل" اذ يقول رحمه الله تعالى "و اذا كانت العلوم منحا الهية ، و مواهب اختصاصية ، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ، ما عسر على كثير من المتقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الانصاف و يصد عن جميل الاوصاف".

و انى لاجد من معانى هذه الكلمات فى كتاب المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة رحمه الله رحمة واسعة: –

اهمية هذا الكتاب و مزاياه:

كتاب المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة رحمة الله كتاب عظيم النفع و الفائدة جمع فيه من علوم الفقه و التاريخ وعلوم الحديث و اللغة فساقها عند شرحه لمسند الامام حيث الحاجة و الفائدة و أوردها حيث يتطلع القارى فى كتابه لمثلها تصحبها أدلتها و شواهدها

و المتبصر فى كتاب المواهب اللطيفة يجد ان الشيخ محمد عابد السندى قد اطلع على كتب الرجال و المصطلح و الاصول و الفقه و التخاريج و شروح الحديث و التاريخ و اما اليها مما وصلت اليه يده – اطلع عليها اطلاع العارف الناقد البصير فاستخرج ما فيها و بما يتناسب مع شرحه و تبويبه و جعلها قريبة من طالبها و من هنا كان هذا الكتاب فى جمعه

و ترتيبه نسج وحده و سيجد القارى الانسجام بين نصوصه و شواهـده رغم التبـاعـد الواسـع بينها فى مصـادرها .

اسـباب اختيـارى لهـذا الموضوع:

عندما قدر لى ان اقيم فى باكستان فترة من الزمن ، اكتشفت ان معلوماتى عن خدمة علماء المسلمين فى هذا المنطقـة لعلوم الاسلام المختلفة قليلة حيث وجدتهم قد خدموا علوم التفسـير و الحديث و الفقـه خـدمة ممتازة .

لذا احببت ان تكون دراستى حول انتاج احد علماء هذه المنطقة ، وكنت قد تعرفت على مشرفى الاستاذ الفاضل الدكتور احمد اقبال ، فعرضت عليه رغبتى ان اكتب فى منهج احد علماء التفسير فى هذه المنطقة . ولكنه نصحنى بتحقيق ما يمكن تحقيقه من مخطوط المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة تأليف الشيخ محمد عابد السندى وارشدنى الى وجود النسخة الاصلية عند الشيخ محب الله شاه فى بير جندوه ـ فتوجهت فورا الى هناك و التقيت بالشيخين محب الله شاه و شقيقـه بديع الـدين حيث وجدت نسخة الاصل و صوره عنهـا .

و بعد اطلاعى على المخطوط بصورة أولية وجدت نفسى قد ارتاحت الى هذا الامـر ـ و اخبرت الاستاذ الدكتور احمد اقبال باستعدادى لذلك و اعلمنى بان الشيخ محمد عبـد الرشيد النعمانى استاذ الحديث فى دار العلوم علامة بنورى تاون يملك معلومات اكثر عن هذا المخطوط ـ

و حيث ان هذا المخطوط كبير جدا حوالى (١١٠٠) صفحة بالحجم الذى ذكرته عنـد وصفها فى الفصل الرابع لذا اتفقت مع مشرفى ان يكون نصيبى منها الابواب التالية و المسـماة بكتب (الايمان ، العلم ، و الطهارة) بالاضافة الى مقدمه المخطوط و هى شرح حـديث الاعمـال بالنيـات .

و دعوت الله ان يوفقنى لتحقيق هذه الموضوعات من هذا المخطوط على احسن وجه لاستخراج كنوزها المخبؤة واستكشاف ذخائرها المطمورة ، والبحث عن نفائسها النادرة وابرازها للناس فى صوره يسهل الانتفاع بها والاقبال عليها .

و يسعدنى ان يكون موضوع رسالتى لنيل شهادة الدكتوراة تحقيق هذه الموضوعات من مخطوط المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة رحمه الله .

وقفه مع مسند الامام ابى حنيفة من رواية الحصكفى :

جاء فى مقدمة كتاب الاثر لابى يوسف تصحيح وتعليق ابى الوفا عند ذكره من صنف فى مسانيد ابى حنيفة رحمه الله قوله : وجاء بعد هؤلاء ابو محمد عبد الله بن محمد البخارى الحارثى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ . فصنف مسندا كبيرا حوى طرق احاديثه فاجتهد و اجاد ثم اختصره القاضى الامام صدر الدين موسى بن زكريا الحصكفى المتوفى سنة ٦٥٠ هـ بالقاهره ، ثم رتبه محمد عابد السندى المدنى على ابواب الفقه و هو الشهير اليوم بمسند ابى حنيفة و شرحه العلامة الاستاذ محمد حسن الاسرائيلى السنبلى الهندى المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ شرحا بسيطا مفيدا جدا "١" .

---

١ ـ كتاب الاثر ـ المقدمة ص ٢ .

و فى مقدمه "مسند امام اعظم باللغة الاردية ترجمه و فوائد مولانا سعد حسن صاحب للشيخ الفاضل محمد عبد الرشيد النعمانى "ما ترجمته

كتب الى الشيخ ابو الوفا الافغانى رحمه الله فى ٢٤ من ذى القعدة سنة ١٣٧٥ هـ ٠

ان مسند الامام للحصكفى هو اختصار مسند الحارثى الا انه زاد ما تركه الحارثى من احاديث حماد بن ابى حنيفة عن ابى حنيفة من مسند ابن خسرو حيث التزم استيعاب احاديث حماد عن ابيه رضى الله تعالى عنه "١"

وقد ذكر لى الشيخ محمد عبد الرشيد النعمانى ان مسند الامام ابى حنيفة الذى جمعه الحارثى موجود كمخطوط فى مكتبة فى حيدر اباد الدكن ٠ و هو غير متأكد من عنوانها ٠ و بذلت جهدا مع احد الاصدقاء هناك لمحاولة البحث عنه لعلى اقابله مع ما بين يدى و لكنى لم اوفق ٠ و ارجو الله ان ييسر لمن يقوم بتحقيق باقى كتاب المواهب اللطيفة بهذا المخطوط ليقوم بخدمة لهذا العلم ٠

و اخيرا فان خطتى لتحقيق ما ارتضيته من كتاب المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة عليه رحمة الله على النحو التالى :

تتألف خطتى من قسمين ٠ القسم الاول يتكون من مقدمة و اربعة فصول ، القسم الثانى يتكون من ثلاثة فصول و خاتمة و اثبات الرجال و المراجع و الايات الكريمة و الموضوعات ٠ و هى فى التفصيل على النحو التالى : ـ

القسم الاول : الدراسة و يتألف

---

١ ـ مسند امام أعظم "اردو" ترجمه و فوائد مولانا سعد حسن صاحب ـ طباعة كراتشى الناشر : قران محل و محمد سعيد و سنز سنة ١٣٧٥ هـ ٠ المقدمة / ١١

مقدمة . تكلمت فيها عن الفائدة من الكتاب و سبب تأليفه و أصل المسند .

الفصل الاول : ترجمة الشيخ محمد عابد السندى .

الفصل الثانى : الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية فى عهده .

الفصل الثالث : المواهب اللطيفه . سبب تأليف الكتاب ، و موضوعاته الفقهية وصلة الفقه بعلم الحديث ، و موقف الشيخ محمد عابد السندى من اللغة . و موقفه من فقهاء الحنفية و غيرهم من اصحاب المذاهب الاخرى ، و وقفه مع ابى حنيفة ، و الرجال الذين ذكرهم الشيخ محمد عابد السندى عند تصنيفه الكتاب وهم "على القارى ، و الحصكفى ، و صالح الغلانى ، الخوارزمى "

و الفصل الرابع : وصف نسخ المخطوطة و منهج الشيخ محمد عابد السندى فى كتابتها ، وعملى فى التحقيق .

القسم الثانى : التحقيق

تحقيق حديث الاعمال بالنيات

الفصل الاول : تحقيق كتاب الايمان والاسلام .

الفصل الثانى : تحقيق كتاب العلم

الفصل الثالث : تحقيق كتاب الطهارة

الخاتمة و هى وصف لما توصلت اليه من التحقيق و ما قدمه كتاب المواهب اللطيفة على مسند الامام ابى حنيفة .

و أخيرا الحقت بالكتاب ثبتا بالايات الكريمة، ثبتا بأسماء الرجال الذين ترجمت لهم - ثبتا بالمراجع ، ثبتا فى الموضوعات . وثبتا بأحاديث المسند .

مشكلات في طريق البحث :

لا شك ان كل عمل علمي تواجه العاملين فيه مشكلات متنوعة ، ومن أهم المشكلات التي واجهتني الحصول على نسخة أخرى من المخطوط على الاقل ليتسنى لي اخراج الكتاب بأقرب نص الى أصل المؤلف ، وان ذلك استدعى مني السؤال لاهل العلم في باكستان وغيرها والبحث في مظان المخطوطات ، وتجولت في باكستان وبخاصة اقليم السند ، فوصلت الى (بير جندو / سعيد آباد التابعة لحيدر آباد) مرات عديدة للحصول على النسخة الموجودة عند الشيخ محب الله شاه المحفوظة في مكتبة الاسرة الخاصة .

وسافرت الى (حيدر آباد الدكن في الهند أعادها الله الى حوزة الاسلام) مرتين وذلك بتوجيه من العالم المحقق الشيخ محمد عبد الرشيد النعماني .

وقد واجهت مشكلة في قراءة نسخ المخطوط ومقابلتها لصعوبة الخط ، وكثرة مواضع الشطب من قبل النساخ مما احتاج الى جهد آخر للتدقيق .

فضلا عن أسلوب المؤلف في الكتابة حيث لا يشير الى مصادره في مواضع عدة ، فتطلب ذلك بذل الطاقة للبحث والتنقيب .

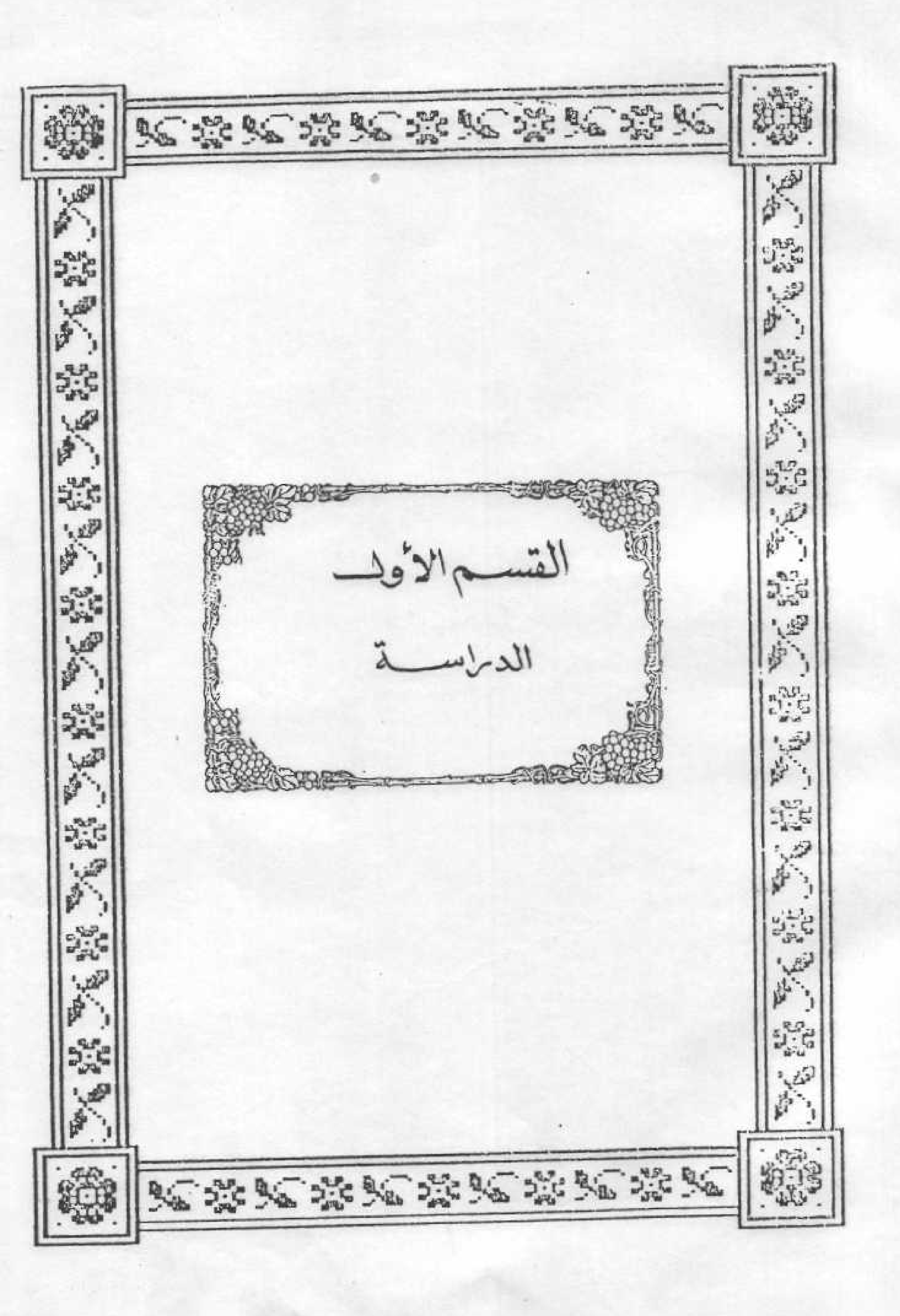
وأم المشكلات البحث عن كاتب يحسن العربية كتابة وقراءة ، وهذا أمر عزيز في باكستان مما أخذ وقتا في طول بحث وسؤال والحمد لله على التوفيق .

اضافة الى ذلك الغربة والبعد عن الاسرة وانشغال الذهن بمشكلات الاولاد في وقت هم أشد حاجة الى الرعاية فيه.

فالله أرجو أن يكتب لنا أجر طلاب العلم وفي ذلك طمع محرك لطلب ما عند الله.والله لا يضيع أجر العاملين لخدمة هذا الدين وهو حسبنا وولينا فنعم المولى ونعم النصير .

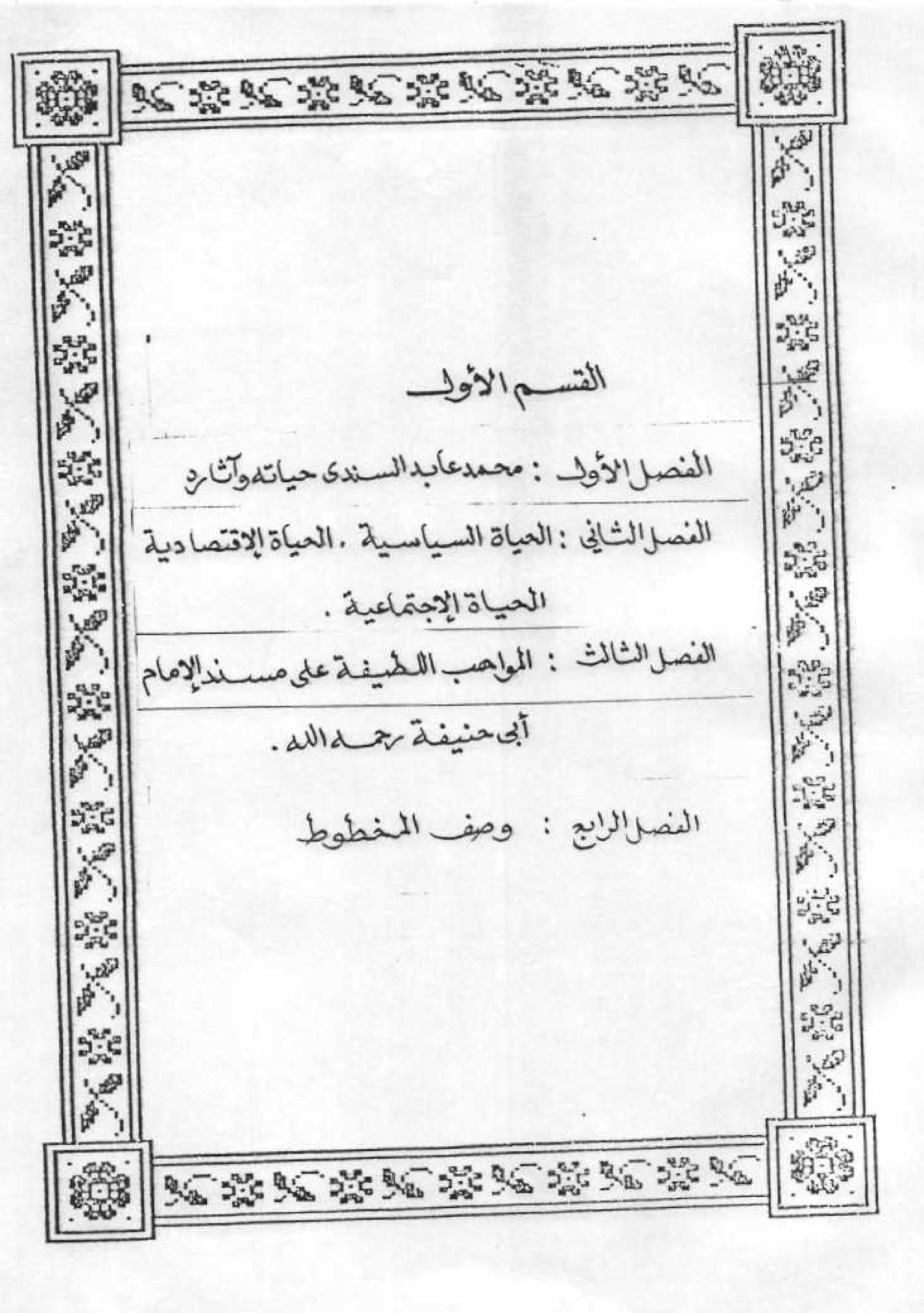
وقد يكون في عملي تحقيقا أو دراسة شيء من الخطأ الذي لا يخلو منه عمل انسان ولا سيما تحقيق أحاديث ونصوص ، فالمرجو من أهل العلم ألا يبخلوا على الباحث باستدراكاتهم وتعقباتهم التي سيكون لها أكبر الاثر في استكمال النفع وتجلية الحق وتوثيق التحقيق .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت
أستغفرك وأتوب اليك



القسم الأول

الدراسة



القسم الأول

الفصل الأول : محمد عابد السندي حياته وآثاره

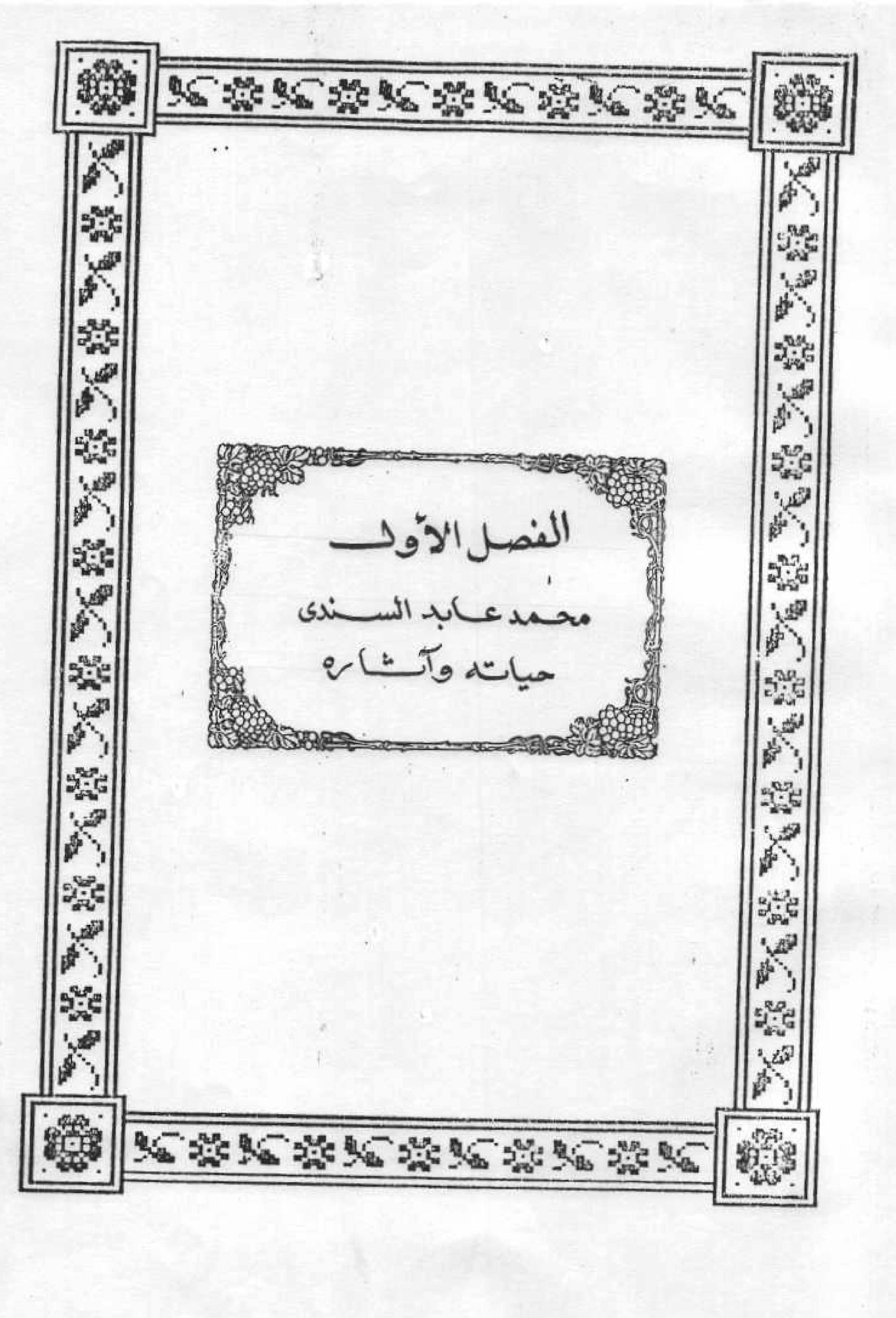
الفصل الثاني : الحياة السياسية ، الحياة الاقتصادية

الحياة الاجتماعية .

الفصل الثالث : المواهب اللطيفة على مسند الإمام

أبي حنيفة رحمه الله .

الفصل الرابع : وصف المخطوط



الفصل الأول

محمد عابد السندي

حياته وآثاره

اسمه ونسبه :

هو الامام العالم المحدث الفقيه محمد عابد ابن احمد على بن محمد مراد بن يعقوب بن محمود الانصارى الخزرجى ثم احد بنى ايوب الانصارى "١" .

لقبه :

فى اليانع الجنى "٢" هو العالم الجامع المحدث الحافظ المتقن و الفقيه المتبحر الزاهد . و فى فهرس الفهارس "٣" هو محدث الحجاز و مسنده ، محى السنة حين عفت رسومها و هجرت علومها . و فى نزهة الخواطر كان يلقب بشيخ الاسلام "٤" .

---

١ ـ العلامة الشريف عبد الحى بن فخرالدين الحسنى ـ نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر ـ مطبعة مجلس دائر المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ الطبعة الاولى ١٩٥٩م المجلد ٧/ ٤٤٦ .

٢ ـ محمد بن يحى الترهتى ـ اليانع الجنى على هامش كشف الاستار عن رجال معانى الاثار ـ مطبعة حيدر برينس بدهلى سنة ١٣٤٩ هـ / ٦٩

٣ ـ عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى ـ فهرس الفهارس و الاثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات ـ دار الغرب الاسلامى ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٩٨٦م ـ ١٤٠٤هـ ، ٢/ ٧٢٠

٤ ـ نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر ـ ٧/ ٤٤٦ .

كنيته :

جاء في اليانع الجني : ولم يخلف الشيخ رحمه الله عقبا ونعم العقب ما أعقبه من خير "١"

وجاء في الرسالة المستطرفة " وأبو عبد الله محمد عابد السندي "٢"

موطنه :

ولد الشيخ محمد عابد السندي في بلده (سيون) بكسر السين المهملة واسكان المثناة من تحت وفتح الواو وآخر الحروف نون . وهي بلده على شاطئ النهر شمالي حيدراباد السند مما يلي بلد (البوبك) بضم الموحده الاولى وفتح الثانية .

هاجر جده مع رهطه الاوليين الى ارض العرب ، توفى عمه في الحُديدة "٣" وأبوه بُجدة "٤" ويشتبه أن يكون جده قد توفى بُجده أو بمكان ليس بالبعيد منها

أقام الشيخ عابد في زبيد "٥" ، داره في اليمن معروفه . حتى عد من اهلها وجعله الساباطي في فهرسه من علمائها ودخل صنعاء اليمن فألقى بها رحله "٦"

---

١ ـ اليانع الجنى / ٧٣

٢ ـ محمد بن جعفر الكتاني ـ الرسالة المستطرفة ـ الناشر نور محمد ـ اصح المطابع ـ كارخانه تجارت ـ كتب ـ ارام باغ ـ كراجى ـ باكستان سنة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠م / ٧٢

٣ ـ الحديده : مدينة في اليمن على البحر الاحمر وميناؤها يعتبر ميناء اليمن الشمالي الرئيس .

٤ ـ جده : مدينة على البحر الاحمر من مدن المملكة العربية السعودية وميناؤها اهم ميناء في السعودية

٥ ـ زبيد : وهي مدينة في اليمن تبعد عن الحديده جنوبا ٦٠ كم تقريبا وكانت مشهورة في العلم

٦ ـ انظر اليانع الجنى / ٦٩ ـ ٧٠

رحلاته :

كان جده رحمه الله يلقب شيخ الاسلام وكان من أهل العلم والصلاح فكأن حبه للعلم هو الذى دفعه والله أعلم للهجرة الى دار العرب .

وذكرت فى موطنه انه أقام فى زبيد ثم القى رحاله فى صنعاء ولبث فيها برهة من عمره يتطبب لامام اليمن - "يقول الشوكانى فى البدر الطالع : له يد طولى فى علم الطب" وتزوج بنت وزيره .

أرسله امام صنعاء الى مصر بهدية منه الى واليها ، ويذكر صاحب البدر الطالع ان الامام المهدى أرسله الى مصر الى الباشا محمد على بهديه . قيل وكان ذلك سنة ١٢٣٢هـ ورجع وأخبرنا بانداراس العلم فى الديار المصرية وأنه لم يبق الا التقليد أو التصوف .

وكان الشيخ شديد التحنن الى ربوع "طابة" أى المدينة . ويطلب من ربه أن يحيا فيها وأن يكون مماته فيها . ويذكر صاحب اليانع الجنى أنه بلغه أن الشيخ جاء مرة ليلقى رحاله فى المدينة ويتخذ من أهلها جيرانا يجبرهم وينحلهم مما اعطاه الله ويسد الثلمة منهم بوعظه ..

فكأن الناس نقموا منه لهذه الخصلة اذ شق عليهم ان يفطموا عن أهوائهم . فقاموا عليه وارتحل الى حيث شاء الله ولم أجد الى اين ارتحل لكن يفهم من الكتب التى ترجمت له أنه عاد الى الحديده فى اليمن .

ثم عاوده الحنين الى بلاده فى السند فعاد اليها فدخل "لوارى" وفى نزهة الخواطر "نوارى" ولكن ما جاء فى اليانع الجنى لواري بضم اللام واهمال الراء وتخفيف المثناة من تحت . بلد فى أرض السند مما يلى "بندر الكراچى "بفتح الكاف واهمال الراء بعدها

الف فصاد مهملة مكسورة فمثناه تحتية مخففة ٠ بندر معروف على ساحل السند ٠ وأقام بها ليالى محدودات ثم هزه الشوق الى بلاد العرب فعطف اليها عناقه ٠ ثم رزقه الله تعالى العوده الى مدينة حبيبه صلى الله عليه وسلم "١"

ويبدو أن الشيخ السندى قد ارتحل الى مكة وسكنها لانه يقول فى مقدمة النسخة "هـ" : ولما كان ابتداء شروعى له فى مكة المشرفة" سميته بالمواهب اللطيفة فى الحرم المكى على مسند الامام أبى حنيفة من رواية الخصكفى " ولا يعقل ان يشرع بالتصنيف وهو عابر سبيل أو كرحلة حج وغيره ٠

شيوخه :

قرأ الشيخ محمد عابد اكثر ما قرأ على عمه محمد حسين بن محمد مراد ٠ ثم على علماء اليمن والحجاز أجلهم السيد العلامة عبد الرحمن بن سليمان بن يحى بن عمر الأهدل ، والشيخ يوسف بن محمد بن العلاء المزجاجى ، والشيخ محمد طاهر سنبل ، والمفتى عبد الملك القلعى ٠ والشيخ صالح بن محمد العمرى الغُلّانى ، وكان اكثر مقام الشيخ بزبيد فى اليمن "٢" ٠

وقال محمد بن على الشوكانى فى البدر الطالع فى ترجمة الشيخ العابد

---

١ ـ انظر اليانع الجنى / ٦٩ ـ ٧٣ ، ونزهة الخواطر ٧ / ٤٤٦ ـ ٤٤٩ ، والبدر الطالع ٢ / ٢٢٧ ، وفهرس الفهارس ٢ / ٧٢٠ ـ ٧٢١ .

٢ ـ نزهة الخواطر ٧ / ٤٤٦ ،

وتردد الى وقرأ عليّ فى " هداية الابهرى " وشرحها للميذى فى الحكمة الالهية فكان يفهم ذلك فهما جيدا مع كون الكتاب وشرحه فى غاية الدقة والخفاء "١" .

وجاء فى فهرس الفهارس أن مدار رواية السندى حصر الشارد على مشايخه اليمنيين ومنهم السيد عبد الرزاق البكارى ، وروى "العدة حاشية شرح العمدة " عن عبد الله بن محمد ابن اسماعيل الامير الصنعانى . ومن مشايخه غير اليمنيين بالاضافة لما ذكرت الشيخ حسين المغربى مفتى المالكية بمكة . والشيخ محمد زمان السندى . وروى كتابَ القرى لقاصد ام القرى" عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدى "٢" .

ويقول فى شرحه حديث الاعمال بالنيات " استفدت هذا من شيخنا العلامة ولى الله تعالى السيد احمد ادريس المغربى عند مجالستى له "٣"

مكانته العلمية فى عصره

ذكرت أنه من اسرة عريقة فى العلم ، وأنه كان يلقب بشيخ الاسلام ومحدث الحجاز والحافظ الفقيه المتبحر .

يقول الشوكانى فى البدر الطالع عن الشيخ السندى : أنه خرج الى بندر الحُديدة مع عمه . وله يد طولى فى علم الطب ومعرفة متقنة بالنحو والصرف وفقه الحنفية واصوله ومشاركة فى سائر العلوم . وفهم صحيح سريع .

---

١ ـ محمد بن على الشوكانى ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ـ طباعة دار المعرفة بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى : ٢/ ٢٢٧

٢ ـ فهرس الفهارس ١ / ٢٦٤

٣ ـ انظر فهرس الفهارس ٢/ ٧٢١ مجاء فيه " ورجع الى اليمن وأخذ عن العارف الكبير أبى العباس أحمد بن ادريس دفين صبيا "

طلبه خليفه العصر مولانا الامام المنصور بالله الى حضرته العلية من "الحُديدة" لاشتهاره بعلم الطب فوصل الحضرة وانتفع جماعة من الناس بأدويته . وكان وصوله الى صنعاء سنة ١٢١٣ هـ وتردد الىّ وقرأ على فى "هداية الابهرى" وشرحها للميبذى فى الحكمة الالهية فكان يفهم ذلك فهما جيدا مع كون الكتاب وشرحه فى غاية الدقة والخفاء ... بحيث كان يحضر حال القراءة جماعة من أعيان العلماء العارفين بعدة فنون فلا يفهمون غالب ذلك "١"

ويدل على مكانته العلمية عند ما أرسله الامام بهدية الى والى مصر استطاع أن يحكم على واقع العلم فى مصر وأنه لم يبق الا التقليد أو التصوّف .

ويدل كذلك على مكانته أنه عند ما رزقه الله تعالى الاستقرار فى المدينة وأقام فيها ولى رئاسة علمائها من قبل والى مصر . وهذا لا يتسنى الا لاكابر العلماء "٢"

وكان من أحسن الناس هياةو سمتا فى زمانه ، وكثر ثناء الناس عليه فى حياته وبعد مماته، وبقى مجتهدا فى العبادة واقامة السنن والصبر على الجفاء ونصح الامة حتى لقى الله عز وجل .

وكان اثناء اقامته فى المدينة مثابرا على قراءة الكتب الستة فى الحديث وكان يختمها فى ستة اشهر "٣"

---

١ ـ انظر البدر الطالع ـ الشوكانى ٢ / ٢٢٧

٢ ـ اليانع الجنى / ٦٩ ـ ٧٣

٣ ـ فهرس الفهارس ٢/ ٧٢٢

ابتلاؤه وصبره :

ذكرت كيف أن أهل المدينة قاموا عليه و كالبوه حتى ارتحل عنهم و لكن هذا التصرف لم يثنه عن اقامة السنن و الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بل بقى حنينه و شوقه الى المدينة و ساكنها عليه أفضل الصلاة و السلام فى زيادة الى أن مكنه الله تعالى من العودة اليها . وصبر على جفاء أهلها له و خفض جناحه لهم .

وكان أشد من ذلك بلاء ما لقيه فى "الحُديدة" فى اليمن وكان ذلك على يد قاضيها السيد حسين بن على الحازمى . الذى شايع الزيدية "بعد ما خالف الشريف حمّود بن محمد على أهل نجد سنة ١٢٢٤ هـ ". أن يزيد أهلها قول " حى على خير العمل " فى ندائهم لصلاة الفجر و يدعوا ما توارثوه من السلف من قولهم " الصلاة خير من النوم " و أن القاضى السيد حسين كان يراها بدعة أحدثها عمر رضى الله عنه فى امرته .

و لما رأى القاضى السيد حسين من امتناع الناس من ذلك الذى يدعوهم اليه اشتد باطله و حبس أربعين نفسا من الحنفية و قيدهم بقيود من حديد وكان الشيخ محمد عابد السندى ممن حبسهم . وزاد أن جعل فى رقبه الشيخ و فى رقاب من يلوذ به أغلالا . و مكثوا فى الحبس مدة ستة أيام ثم أخرجهم باستثناء الشيخ الذى أمر بضربه فضُرب ثم نفاه من الحُديدة "١" .

و مع هذا لم تفتر عزيمة الشيخ عن نصح الامة و الصبر على ذلك ، و استمر فى مواعظه و نشر علومه الى أن لقى الله عزّ و جل .

---

١ ـ انظر اليانع الجنى / ٧١ ، و نزهة الخواطر ٧ / ٤٤٦

مصنفاته العلمية :

لقد ترك الشيخ السندى رحمه الله مصنفات كثيرة فى الفقه والحديث وغير ذلك واليك وصف ما وقفنا عليه أو ذكر فى ترجمته .

١ ـ المواهب اللطيفة على مسند الامام أبى حنيفة اقتصر فيه على رواية الحصكفى واكثر فيه من ذكر المتابعات والشواهد لاحاديثه . ورتب أحاديثه على أبواب الفقه .

٢ ـ طوالع الانوار على الدرر المختار حافل استوفى فيه غالب فروع مذهب اصحابه واستوعب مسائل الواقعات والفتاوى وهو مسائر لاصحابه الا قليلا .

٣ ـ شرح تيسير الوصول لابن الربيع الحافظ الشيبانى بلغ منه الى كتاب الحدود من حرف الحاء وبسط القول فيه بسطا لائقا ويبدو أنه ألفه فى سن مبكر واستوهبه منه بعض سادات العنيرة فوهب المسودة لهم .

٤ ـ شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر ولكنه لم يكمله .

٥ ـ حصر الشارد من اسانيد محمد عابد مجلد ضخم أتمه فى بندر (مخا "١") فى شهر رجب سنة ١٢٤٠ هـ .

٦ ـ منال الرجال فى شروط الاستنجا .

٧ ـ رسالة فى جواز الاستغاثة والتوسل وصدور الخوارق من الاولياء المقبورين عمد فيها الى الاستشهاد بالاثار وهى فى كراسين .

---

١ ـ "مخا" هى مدينة يمنية ساحلية تكتب احيانا مخاء ، ولها دور تاريخى فى الحروب الداخلية فى اليمن وفى محاولة صد هجوم بريطانى ـ هولندى على اليمن عام ١١٤٨هـ .

٨ ـ رسالة فى كرامات الاولياء هل هى جائزة الوقوع و هل التصديق بها واجب ام جائز سواء وقعت فى حال الحياة أو غيره . و هل ورد فى الاحاديث أن الصحابة كانوا يقبلون يد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريمة أو رأسه أو قدميه الشريفتين أم لا . و هى فى كراسه . و يقول صاحب فهرس الفهارس أن هذه الرسالة و التى قبلها عنده فى مجموعة سنديه الخط .

٩ ـ رسالة " الخير العام فى أداب الحمام " ذكرها فى كتاب الطهارة من المواهب اللطيفة

١٠ ـ وجدت له كتابا حققه الكوثرى وهو " ترتيب مسند الامام الشافعى على الابواب الفقهية و هذا الكتاب مطبوع .

١١ ـ كتاب روض الناظرين فى تراجم الصالحين ورد ذكره فى كتاب الايمان من مخطوط المواهب اللطيفة حيث أحالنا عليه اكثر من مرة. ويقول صاحب فهرس الفهارس و له مجموعات و حواشى على كتب الفقه الحنفى "١"

تلامذته :

لقد استضاءت بلاد الحجاز و اليمن و الهند بعلمه ، و أقبل عليه طلاب العلم يغيدون منه و يأخذون عنه و خاصة فى الحديث و من هؤلاء من ذكر صاحب فهرس الفهارس حيث قال : أروى " حصر الشارد " من طريق ستة وعشرين رجلا من كبار تلاميذه وهم .

١ ـ الشيخ عبد الغنى الدهلوى المدنى العمرى لقيه بالمدينة عام ١٢٠٥ هـ ، و سمع عليه مسلسلات " حصر الشارد " و كتب له اجازة حافله .

---

١ ـ انظر اليانع الجنى / ٧٢ ، و فهرس الفهارس ٢ / ٧٢١ ـ ٧٢٢ ، ونزهة الخواطر ٧ / ٤٤٨

٢ ـ شيخ الاسلام بالآستانة عارف الله بن حكمة الله التركى .

٣ ـ السيد هاشم بن شيخ الحبشى الباعلوى المدنى .

٤ ـ الشيخ حسن الحلوانى المدنى من كبار تلاميذ الشيخ عابد المدنيين .

٥ ـ المحدث المسند محمد بن ناصر الحازم

٦ ـ مفتى الحنفية فى مكة الشيخ جمال ابن الشيخ عمر المكى .

٧ ـ عالم الديار التونسية البرهان ابراهيم بن عبد القادر الريا .

٨ ـ الشيخ عبد الله أمكنه الشهير بكوجك البخارى .

٩ ـ الشيخ السيد داود بن سليمان البغدادى الخالدى الشافعى .

١٠ ـ ابو المحاسن محمد بن خليل القاوقجى الطرابلسى .

١١ ـ الشيخ محمد برهان الحق بن محمد نور الحق الانصارى اللكنوى الهندى .

١٢ ـ الشيخ عليم الدين بن الشيخ العارف رفيع الدين العمرى القندهارى الحيدرابادى المتوفى سنة ١٣١٦ هـ .

١٣ ـ محمد حيدر المنلا محمد امين الانصارى الحيدرآبادى .

١٤ ـ أشرف على بن سلطان العلى الحسينى الحيدرآبادى .

١٥ ـ الشيخ سليمان بن محمد الشوبرى الجداوى الخطيب و الامام فى الحرم المدنى .

١٦ ـ العالم المحدث ابو الفضل عبد الحق العثمانى المكى المتوفى بمنى ١٢٨٦ هـ .

١٧ ـ الشيخ محمد زمان السندى العارف وهو شيخ لمحمد عابد حيث أخذ عنه الطريقة النقشبندية .

١٨ ـ محمد حسين بن محمد صالح جمل الليل المكى .

١٩ ــ القاضي ارتضا على خان على خان العمري الصفوى المدراسي الهنـدي .

٢٠ ــ مصطفـى الياس الحنفي المدني .

٢١ ــ السيد داود عبد الرحمن حجر مقبول الاهدل الزبيدي المتوفى سنة ١٣١٤ هـ .

٢٢ ــ مفتي الحنفيـة بالمدينة المنورة المعمر محمد امين بن عمر بالي زادة الحنفي المدني

٢٣ ــ الشيخ المعمر محمد امين الحسيني الشرواني النقشبندي .

٢٤ ــ الحافظ القاضي الحسن بن احمد بن عبد الله عاكش .

٢٥ ــ الشيخ الصافي الجعفـري المدني .

٢٦ ــ الشيخ عبـد الجليـل براده .

وهذا العدد من التلاميذ اظن أنه لا يحصل الا للقليل من العلماء. وقد أجاز بعضهم الشيخ السندي اجازة عامة وبعضهم اجازة خاصـة "١"

علاقته بالامراء والسلاطين :

كانت للشيخ محمد عابد السندي علاقات طيبة مع حكام اليمن ثم والي مصر . وقد ذكـر صاحب فهرس الفهارس في ترجمته للشيخ "وأقام بالزبيد وولي قضاءها مدة مديدة كما في التحفة المدينة" حتى جعله الساباطي في فهرسته من أهلها . ودخل صنعاء ومكث بهـا برهـة يتطبب لامـامهـا "٢"

---

١ ــ انظر فهرس الفهـارس ١ / ٣٦٥ ــ ٣٧٠

٢ ــ فهـرس الفـهـارس ٢ / ٧٢١

وجاء في البدر الطالع للشوكاني : طلبه خليفة العصر مولانا الامام المنصور بالله الى حضرته العلية من "الحديده" لاشتهاره بعلم الطب فوصل الحضرة وانتفع جماعة من الناس بأدويته . وكان وصوله الى صنعاء سنة ١٢١٣ هـ . ثم عاد الى الحديدة في شهر شوال من تلك السنة بعد أن احسن اليه الخليفة وقرر له معلوما نافعا وكساه ونال من فائض عطاه ثم تكرر وفوده الى صنعاء مرة بعد مرة في أيام المنصور . ثم أيام الامام المتوكل ثم ايام مولانا الامام المهدى وأرسله الى مصر الى الباشا محمد على بهديه . قيل وكان ذلك سنة ١٢٣٢ هـ ."١"

وذكر الترهتي ان الشيخ محمد عابد بعد استقراره في المدينة كان في غاية ما يكون من العز وولي رياسة علمائها من قبل والي مصر"٢" وهذا يدل على أن الشيخ كان يتمتع بعلاقات طيبة مع الامراء والسلاطين .

مذهبه العقدى والفقهى :

ان عقيدة الشيخ محمد عابد السندى هي عقيدة السلف أهل السنة والجماعة وكثيرا ما يقف طويلا بل يستطرد للرد على الرافضة والجهمية والمرجئة واثبات رأى أهل السنة والجماعة ، وقد بينت عند ذكر ابتلائه وصبره كيف تعرض للسجن والقيد عند ما تصدى للقاضي حسين بن على الحازمي في اليمن عند ما شايع الزيدية في بعض بدعهم .

...

---

١ ـ البدر الطالع ٢ / ٢٢٧

٢ ـ اليانع الجني / ٧٣

وأما مذهبه الفقهي فهو من الذين ذبّوا عن المذهب الحنفي بقوة وقد بينت ذلك في الفصل الثالث عند ذكر موقف الشيخ محمد عابد السندي من فقهاء الحنفية وغيرهم من أصحاب المذاهب الاخرى .

الا ان الذي أحب أن اقف عنده هنا هو النزعة الصوفية البارزة عند الشيخ محمد عابد السندي رحمه الله . والتي لم يسلم منها كثير من علماء القارة الهندية ومن الأدلة على ذلك ما جاء في شرحه لحديث الاعمال بالنيات وهذا القول نقله من المرقاة شرح المشكاة للشيخ علي القاري حيث قال : ثم نية العوام في طلب الاغراض مع نسيان الفضل والاعواض ، ونية الجاهل التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ، ونية أهل النفاق التزين عند الناس مع اضمار الشقاق ونية العلماء اقامة الطاعات ، ونية اهل التصوف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من العبادات ، ونية اهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية .

وانما لكل امرئ ما نوى من مطالب السعداء وهي الاخلاص عن الدرجات السفلى من الكفر والشرك والجهل والمعاصي والسمعة والرياء والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف ، والفوز بالدرجات العلى وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء "١" عن انانيته والبقاء بهويته او من مقاصد الاشقياء ، وهي اجمالا

---

١ ـ الفناء : مصدر فَنِيَ يَفْنَى فَنَاءً ، اذا اضمحلّ وتلاشى وَعُدِم ، وقد يطلق على ما تلاشت قواه واوصافه مع بقاء عينه ، قال تعالى " كل من عليها فان " أي هالك ذاهب ولكن الصوفيين اصطلحوا على وضع هذا اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية و . . . . ـ

ما يبعد عن الحق "١"

ثم يقول : وتجد به من حضيض العبودية الى ذروة العندية ويغنى فى علم اللاهوت . ويبقى بالحى الذى لا يموت ـ

ثم يضيف وجعل لقلبه روح الرضى المقيم ووجد فيها الروح المحمدى واحبابا وعرف أن له مثوى ومآبا . وجاء فى شرحه لحديث جبريل عليه السلام فى قوله الا من ارتضى من رسول " فانه يقتضى اطلاع الرسول على بعض الغيب والولى كذلك . الا انه بالهام أو منام والرسول بوحى . وفى شرح الشيخ محمد عابد لمسند الامام ادلة كثيرة على نزعته الصوفية .

... والغيبة عن شهود الكائنات ، وهو على ثلاثة معانى .

الفناء عن وجود السّوى ، والفناء عن شهود السّوى والفناء عن ارادة السّوى . والفناء منه محمود ومنه مذموم .

انظر مدارج السالكين ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق محمد حامد الفقى ١/ ١٤٧ ـ ١٥٠ الطبعة الثانية ١٩٧٥م .

١ ـ انظر مرقاة شرح مشكاة ـ الملا على القارى ١/ ٤٦ . حيث يقول قبل هذه الفقرة "وهو تفصيل حسن وتعليل مستحسن . هذا بلسان العلماء وأرباب العبارة ، أما بلسان العرفاء أصحاب الاشارة فمعناه مجملا أن أعمال ظاهر القلب متعلق بما يقع فى القلوب من أنوار الغيوب ، والنية جمع الهم فى تنفيذ العمل للمعمول له ، وأن لا يسنح فى السر ذكر غيره وللناس فيما يعشقون مذاهب ، ثم نية العوام فى طلب الاعراض مع نسيان الفضل والاعواض .

وفاته:

ذكرت أن الشيخ محمد عابد السندى قد ألقى رحله بالمدينة المنورة فى أخر عهده ، و بقى فيها يصنف الكتب القيمة و يفيد الطلبة من علمه الجم و افكاره النيرة و تعاليمه القيمة الى أن وافته المنية فى يوم الاثنين تسع عشر خلون من شهر ربيع الاول سنة سبع و خمسين و مائتين و الف . و دفن بالبقيع قبالة باب قبة عثمان بن عفان رضى الله عنه . على يمين المتوجه اليها من قبل دار عقيل رحمه الله رحمة واسعة و أجزل له الأجر "١" .

و جاء فى نزهة الخواطر أن وفاته كانت يوم سبعة عشر من ربيع الاول "٢" و أما فى فهرس الفهارس كانت وفاته يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الاول "٣" . و الله اعلم .

---

١ ـ اليانع الجنى / ٧٣

٢ ـ نزهة الخواطر ٧/ ٤٤٨

٣ ـ فهرس الفهارس ٢/ ٧٢٢



الفصل الثاني

الحياة السياسية، الحياة الاقتصادية

الحياة الاجتماعية

الحالة السياسية :

نظرا لان معظم حياة الشيخ محمد عابد السندى كانت فى اليمن و بلاد الحجاز فان الحديث سيكون عن الاوضاع السياسيه فى هذه البلاد .

و لا يخفى دور الامراء والاوضاع السياسيه على انتاج العلماء والمفكرين و تأثير هولاء العلماء والمفكرين فى الاوضاع السياسيه .

كان حكام اليمن من اسرة الامام القاسم بن محمد منذ عام ١٠٠٦ هـ . و كان الاتراك يحاولون ان يُحكم اليمن اما مباشرة او عن طريق و الى مصر . و كان اول حكم للاتراك عام ٩٢٣ هـ والفعلي فى عام ٩٤٥ هـ . ثم خرجوا و عادوا مرة ثانيه الى اليمن حوالى ١٢٣٠ هـ فى زمن الامام المهدى عبدالله و اثناء هذه الفتره كانت الصراعات هى المُشغله بال ائمه اليمن و لهذا كانت الاوضاع بشكل عام غير مستقره .

و يبدو ان الشيخ محمد عابد السندى قدم إلى اليمن فى عهد الامام المنصور على والذى كان قد بويع على اثر وفاة والده الامام المهدى عباس عام ١١٨٩ هـ . و ذكر القاضى الشوكانى ان الشيخ محمد عابد السندى كان يطبب الامام المنصور على و تزوج بنت وزيره .

و قد وصف الشوكان الامام المنصور على بانه كان من انبل الائمه و من جلائل اعماله انه قبض الجزيه من اليهود بموجب احصاء دقيق حيث كانت تقبض قبله جمله من مشايخ اهل الذمه و قبض الزكاة عينا بعد ان كانت تقبض باضعاف قيمتها . و كان من اهم اعماله احياء سنه الصلاة المفروضه

جماعة فى اوقاتها . و بعث المرشد ين فى مختلف الجهات لاحياء هذه السنه والحد من عاده جمع الصلاة او تقديمها او تاخيرها عن وقتها . وله محاسن عمرانيه ايضا . و مع هذا فانه ذُكر ان الامام المنصور على قد خلد الى الدّعه واحتجب عن الناس و وكل امور الدوله الى الوزراء و ادى ذلك الى اضطراب الامور و خروج كثير من القبائل عليه و كثُر السلب و النهب ، و حُوصرت صنعاء من قبل القبائل الخارجه عليه . و علاوة على ذلك فقد استولى الانجليز على جزيره "بريم" على مضيق باب المندب و ذلك اثر احتلال نابليون مصر .

كما استولى الشريف حمود بن احمد صاحب المخلاف السليماني على تهامة يساعده سلطان نجد عبدالعزيز بن محمد بن سعود و ذلك فى عام ١٢٢٤ هـ .

وامتد نفوذ الشريف حمود من تهامه حتى" زبيد" بما فى ذلك مينائي اللحيه والحُديده . و اذا عرفنا ان الشيخ محمد عابد السندى كان يقطن هاتين المدينتين فهو لم يؤيد الوضع الجديد بل بقى يتردد على الامام المنصور على . و قد ذكرت فى ترجمه حياته كيف ان القاضي الحازمي شايع الزيديه فى ظل الشريف حمود .

و توفى الامام المنصور علي سنه ١٢٢٤ هـ و خلفه ابنه الامام المتوكل احمد بن المنصور على . و كان حازما عاقلا قرب العلماء و اصلح ما كان قد افسده والده .

ولما توفى الامام المتوكل عام ١٢٣١ هـ خلفه ابنه الامام المهدى عبدالله

الذى توفى عام ١٢٥١ هـ ٠

و كانت علاقه و الى مصر محمد على مع الائمه طيبه و كذلك علاقه الشيخ محمد عابد السندى معهم ايضا طيبه حيث ارسله الامام المهدى بهديه الى و الى مصر عام ١٢٣٢ هـ ٠

و استطاع و الى مصر محمد على بعلاقته الطيبه مع الامام المهدى ان يمهد لدخول الاتراك اليمن و هيئاً لذلك ان نزع تهامه من ابن الشريف حمود و سلمها للامام المهدى عبدالله ٠

و بعد تمكن الاتراك من دخول اليمن منحوا محمد على باشا و الى مصر صلاحيات اوسع شملت مسئوليته على الحجاز التى كانت تحت حكم الاشراف ، و كان الانجليز يطمعون فى السيطره عليها ٠ و يبدو ان الشيخ محمد عابد السندى كان يؤيد حكم الائمه فى اليمن حيث كان يتردد عليهم و قرر له الامام المنصور معلوماً نافعاً ٠ كما كان يؤيد ولايه محمد على باشا على مصر حيث ذكر انه اسند اليه رئاسه علماء المدينه بعد استقراره فيها ٠

و على كل كانت الاحوال السياسيه فى المنطقه التى تنقل فيها الشيخ محمد عابد السندى كانت مضطربه و ظهر فيها امراء كثر و كان للقبائل دور كبير فى عدم استقرار الاوضاع ٠ و ربما كان ذلك من اسباب استقرار الشيخ محمد عابد فى المدينه و اعتزال الفتن والتفرغ للعلم والعباده والله اعلم ٠

الحالة الاقتصادية

كانت الزراعه و تربيه المواشي والتجاره و خاصه التجاره البحريه اهم

الموارد الاقتصاديه فى اليمن ولا يتعدى ذلك فى الحجاز ايضا .

وكان الائمه يقبضون الزكاه من الزراع واصحاب المواشي ومن التجار وكانت العاده قبل الامام المنصور على قبض الزكاه من الزراع نقدا بعد تقدير الخراصين . ولكن الامام المنصور ابطل ذلك وامر باخذها عينا . لان التقدير ارهق الزراع وعطل كثيرا من المزارع وكان الائمه ياخذون الجزيه من اهل الذمه . واما الموارد من التجارة فكانت غير ثابته ، فهذا عامل " المخا " يجلى الجاليتين الانجليزيه والهولنديه من " المخا " بحجة عدم خضوعها لقوانين البلاد . ولكن حكومتيهما اعادتهما بالقوه ، وبعد اجراء الصلح بينهما وبين العامل وتعهدهما بالخضوع لقوانين البلاد عزل الامام المنصور حسين عامل " المخاء " وكتب الى الجاليتين ما نصه الحمد لله الى الاقربين منا مودة الانكليز وهولنده وصل كتابكم وتحققناه والعامل رفعناه والسلام على من اتبع الهدى . وكان ذلك عام ١١٤٨ هـ . وكانت خزينه الدوله ترهق من الهدايا سواء للخلفاء الاتراك اولوالى مصر او لامراء الخارجين على الحكم .

وانظر الى فقرات من رساله سلطان عمان الى عامل المخاء " ـ ـ انه اتصل بمسامعنا العليه وبلغ سدتنا السنيه من رعايانا المترددين الى بنادر اليمن ممن يكتسب بالتجاره وهو المكسب الحسن . بانه ابدع عليهم بدعا عديده بعضها فى بندر " الحديده " وبعضها فى بندر " المخاء " المحفوف بالخير والرضاء .

وجاء في جواب عامل "المخاء" "واما ما ذكرتم من عشور الحديده فهو مستمر على ما سلف ومتبوع على اثر السلف وما ابنتم في مرقومكم من اى جهة كان الظلم بل تركتم التفصيل واجملتم واما عشور "المخاء" فيما ثمة بدعه ولا نرضى بها قط .

ونحن لذا امرناهم بذرع الطيقان فقط لان التخمين لا يخلو من مجازفه اما عليهم او على بيت المال فحصل منهم التضرر بذلك والاضطراب .

وهكذا كان الواقع الاقتصادى مضطربا والناس في ضنك ، وهذا من الاسباب الداعيه للعلماء للاقبال على وظائف القضاء وغيرها والاقبال على السلطان وقبول عطاياه .

الحالة الاجتماعية

رأينا ان الحاله السياسيه كانت مضطربه الى حد كبير في عهد الائمه الذين عاصرهم الشيخ محمد عابد السندى في اليمن ، ولهذا لا نتوقع حياة اجتماعيه مريحه بل مضطربه .

فها هى الامور تضطرب في عهد هولاء الائمه وتخرج عليهم القبائل وينتشر الفساد ويكثر السلب والنهب وتحاصر صنعاء مقر الائمه من بعض القبائل ويكاد اهل صنعاء يهلكون .

وها هو الشريف حمود بن احمد ينزع تهامه بمساعد بن سعود سلطان نجد .
والامام اسماعيل بن احمد المغلس يدعو لنفسه في ذمار . وكذلك السيد احمد

بن على السراجى يخرج على الامام المهدى عبدالله و تلتف حوله كثير من القبائل .

وهاهو والى مصر يتدخل و يمهد لدخول الاتراك الى اليمن .

واستطيع ان اقول ان اضطراب الحالة الاجتماعيه فى الحجاز و بلاد نجد واليمن اوجد الرعب والفزع فى قلوب الناس . بحيث اصبح لا يطمئن احد على نفسه وماله فالحروب تنهك البلاد و تقضى على مواردها الاقتصاديه ، فما يطمع هذا الامير يدمره الغازى على بلده .

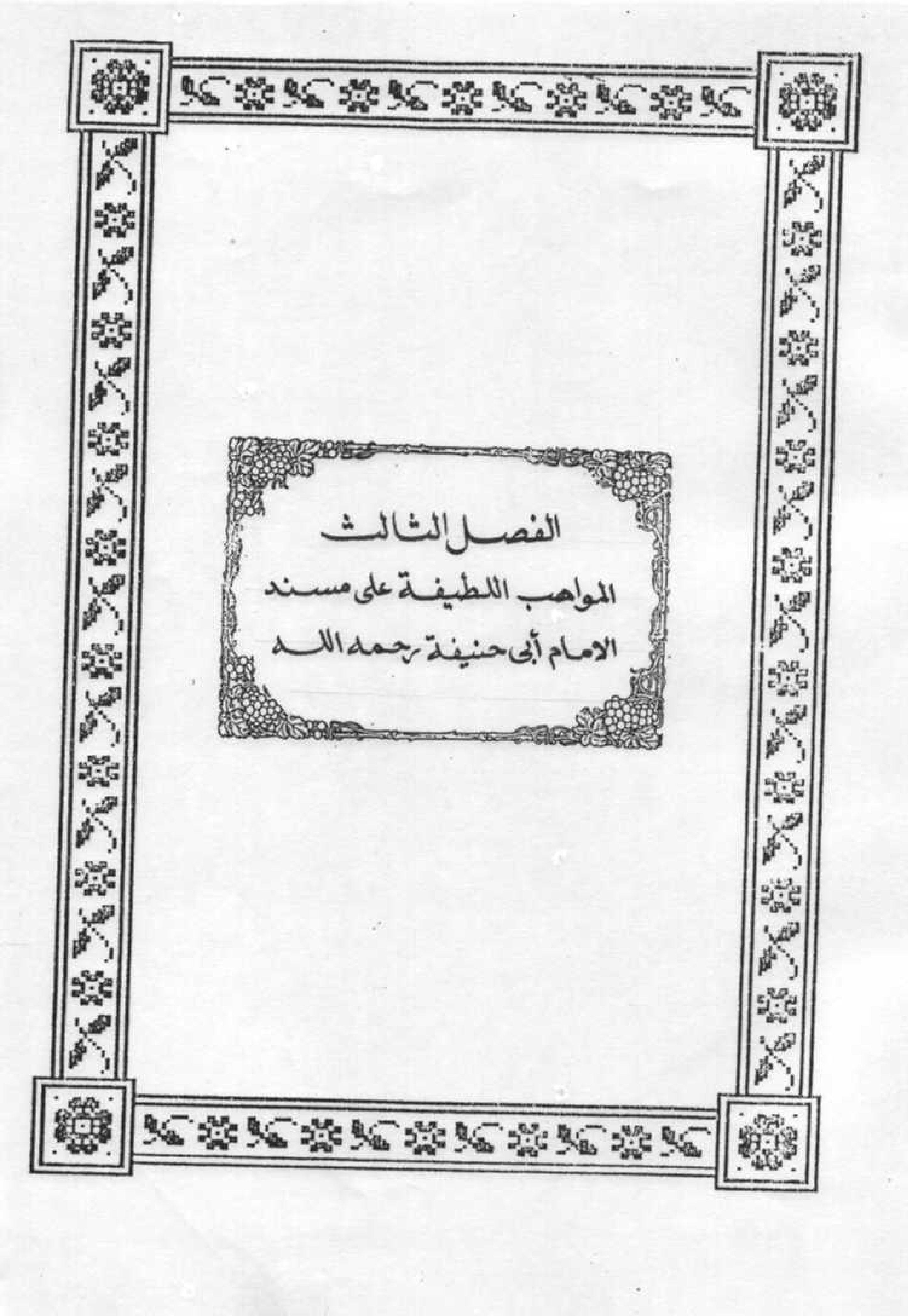
و ان كان هناك صورا حضاريه فى هذه الفتره مثل بناء قباب المساجد و مناراتها و اقامة العدل فى اخذ الجزيه والزكاه و غير ذلك .

ولا ننس ان الناس فى اليمن انقسموا ايضا حول مذاهبهم وانسابهم . فهولاء زيديه و اخرون شافعيه و هولاء ساده ، و اخرون طبقة اخرى .

المصادر التى اعتمد عليها فى اعداد هذا الفصل هى .

١) محمد يحي الحداد تاريخ اليمن السياسي ـ منشورات المدينه الطبعة الرابعه ١٩٨٦ ـ ١٤٠٧ هـ ٢ / ٢٣٠ ـ ٢٣٥

٢) البدر الطالع ـ الشوكانى ٢ / ٢٢٧ ، ٢٢٨



الفصل الثالث

المواهب اللطيفة على مسند الامام أبي حنيفة رحمه الله

سبب تأليف الشيخ محمد عابد السندى للمواهب اللطيفه :

يقول الشيخ محمد عابد : إنى لما رأيت شرح الشيخ العلامه والحبر الفهامه الشيخ على القارى على مسند مولانا الامام الاعظم والهام الاقدم ابى حنيفه النعمان من روايه الحصكفى مختصرا جدا و ربما عرضت فيه مجالات لم يقم بشرحها • و لعل السبب فى ذلك عدم صحة نسخه المتن • و كنت قد وجدت نسخة من جامع المسانيد للخوارزمي و قد كانت الأرضه "١" اكلت منه شيئاً كثيرا فلم نجد منه نسخة صحيحه • و على كل حال اردت ان اتكلم بشئ من احاديثه لعلى استفيد به والله ولى التوفيق •

موضوعاته الفقهيه :

ذكرت فى وصف المخطوط انها تتألف من جزئين الاول و يحتوى على الكتب التاليه ، كتاب الايمان ، العلم ، الطهارة ، الصلاة ، الصوم ، الزكاة والحج • و أما الجزء الثاني يحتوى على ستة و عشرين كتابا وهى •

كتاب النكاح الاستبراء والرضاع ، الطلاق ، النفقات ، التدبير ، الايمان

"١" جمع أُرضى و هى دويبة من فصيله الارضيات ، تقرض الاخشاب تعيش فى البلاد الحاره مجتمعة فى مستعمرات : القاموس المحيط

الحدود ، الجهاد والسير البيوع الرهن ، الشفعه ، المزارعه الفضائل والشمائل فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم الاطعمه ، اللباس ، الطب ، الادب ، الرقاق ، الجنايات ، الاحكام ، الفتن ، التفسير ، الوصايا والفرائض وكتاب القيامه ووصف الجنه ·

وحيث كان نصيبي منها كتب الايمان والعلم والطهاره بالاضافه الى حديث الاعمال بالنيات وهى تقع فى ١٨٢ صفحه من المخطوط والموضوعات الفقهيه التى تناولتها هذه الكتب هى ·

١) كتاب الايمان وعدد احاديثه ثلاثون حديثا واحد منها مكرر اى ان الاحاديث تسعة وعشرون فى الحقيقه وتناولت بشكل عام تعريف الايمان والاسلام ، الايمان والتصديق بالقضاء والقدر ، الشفاعه ، اهل الجنه واهل النار·

٢) كتاب العلم عدد احاديثه احد عشر حديثا ، تناولت بشكل عام ، طلب العلم فريضه والحث عليه والترغيب فى حلق العلم ، فضل العلماء ، عقوبه من كذب على رسول صلى الله عليه وسلم متعمدا ·

٣) كتاب الطهاره وعدد أحاديثه ستة وثلاثون حديثا ، تناولت بشكل عام ، كيفيه الوضوء ، الجنابه وما يجوز للجنب أن يفعله ، البول فى الماء الدائم والراكد ، والمسح على الخفين ·

ولكن الشيخ محمد عابد لا يكتفى بموضوعات هذه الاحاديث بل هو يستطرد ويأتي بقضايا فقهيه أخرى ويستشهد عليها بأحاديث ليست بالمسند ·

صلـه الفقـه بعلـم الحـد يث :

كما هو معلوم فان مهمة الفقيه استنباط الاحكام من أدلتها التفصيليه ؛ و من المعلوم أيضا أن أهم أدله الأحكام الشرعيـة الكتاب ثم السنة ٠ والكتاب حفظه الله و قد جمع و حفظ بطريقة لم تتسن للسنة و عنـد ما ظهر الكذابون و وضاعوا الحد يث احتاج المسلمون إلى مـن يضبط لهم أفعال و أقـوال و سيـره رسـول الله صلى الله عليه وسلم ٠ و لهـذا قام رجال اجتهـدوا فى وضع الضوابط والقواعد لمعرفه الحديث سنـدا ومتنا سميت فيما بعد هـذه الضوابط والقـواعد بعلم الحد يث و هـذا غايه ما يحتاجـه الفقـيه ان يجد الخبر الصادق ليطمئن و يستنبط الحكـم من الدليل الذى ثبتت صحتـه ٠

و لهـذا فالعلاقـه بين الفقه و علم الحد يث عـلا قـه متداخله ـ

مـوقف الشيخ محمـد عابد مـن علـم اللغة ـ

ذكرت فى الفصل الاول ما قاله الشوكانى فى البد ر الطالع قال وله معرفه متقنه بالنحو والصرف ـ والشيخ محمد عابد السندى فى كتابه المواهب اللطيفه تجـده احيانا يستشهد فى اللغه و يقول هـذا لا يصح لغه او يورد معانى الكلمات كما ورد ت فى القاموس ـ ولكن هـذا لا يمنع ان يكون للعلماء اخطاء نحويه و قـد لا تسعفهم الكلمات احيانا لاداء المعنى المناسب و لهـذا تجـد المعنى لا يستـوى مع التعبير الذى يساق لبيانه ؛ ـ
ممـا أثر على أسـلوبـه في سـبك الـعبارة ، وجـزالـة الـلـفـظ ، وقـوة الـمعنى ولـقـد لا حـظت ركاكـة فـي بـعـض الـتراكيب الـلـغـويـة عنـده .

وله بعض التعبيرات تحتاج الى وقفه مع النحو . وانا لم أتعقبه لغة ولا أجد في ذلك فائدة و لغته وعباراته فى كتابه المواهب اللطيفة تعتبر جيدة وخاصه إذا عرفنا أن الشيخ نشأ فى اول حياته فى بلاد ليست اللغة العربية هى اللغة السائده فيها .

موقف الشيخ محمد عابد من فقهاء الحنفيه و غيرهم من أصحاب المذاهب الاخرى .

كما ذكرت فى الفصل الاول ان مذهب الشيخ محمد عابد الفقهى هو الحنفى ، واستطيع أن اقول ان موقفه من فقهاء المذهب الحنفى و غيرهم من أصحاب المذاهب الاخرى هو موقف معتدل و منصف فهو يعرض الآراء فى المسأله من غير تجريح لمخالفيه و بأدب متحرياً الدليل ولكنه أحيانا يذكر رأي الأحناف دون ذكر الآراء الأخرى و أحيانا يخالف المذهب بل و يرجح رأيا ليس عليه أصحابه . و إذا تعرض لأصحاب المذاهب الاخرى تعرض من غير تجريح و بأدب العلماء . و أضرب هنا بعض الامثله تبين منهج الشيخ محمد عابد فى تعامله مع الآراء الفقهيه .

جاء فى شرحه للحديث الخامس من كتاب الايمان " و قد اختلف العلماء فى صحة إسلام الصبي ، فالحنفية على صحته لأن عليا رضى الله عنه أسلم و هو صبى ابن سبع " ولم يذكر الآراء الفقهية الأخرى فى هذه المسالة .

و فى شرحه للحديث السادس من كتاب الايمان قال : " فهذه تسعة أقوال فى أطفال المشركين والمذهب الاخير هو المُرجَّح من حيث الأدلة و أما الامام

الاعظم أبو حنيفه رحمة الله فقد نقل عنه التوقف فى هذه المسأله .

ولبيان شئ من منهجه فى تعامله مع الآراء الفقهية الاخرى أذكر ماجاء فى شرحه للحديث السابع والعشرين من كتاب الايمان و هو حديث الشفاعه لأهل الكبائر والعظائم : قال و قال الماوردى الكبيره ما وجبت فيه الحدود و توجه اليه الوعيد " . و قد ضبط كثير من الشافعيه الكبائر بضوابط اخرى منها فذكر هذه الضوابط " ثم قال هذا أكثر ما يوجد للأصحاب " الشافعية " و هم إلى ترجيح الاول أميل ، لكن الثانى أوفق لما ذكروه عند تفصيل الكبائر ، و هذا يشعر بأنه لا يوجد عن أحد من الشافعيه الجمع بين التعريفين و ليس كذلك .

وقفة مع الامام أبي حنيفة عليه رحمة الله :

إنَّ الطعن فى روايه الامام أبي حنيفة للحديث و مروياته و مسانيده و عمله بالحديث . قد تكلم فيها العلماء ردا و توضيحا بحيث استوفوا فيها كل شي فلم يتركوا زيادة لمستزيد أو ثغرة لمستدرك أو متعقب و أن الحديث بهذا الشأن لايأتى بجديد .

ولكنى أحببت ان أذكر بعض الشئ عن الاقوال التى قيلت بابى حنيفه لتناسب ذلك مع موقعه من بحثي .

و فى البدايه أذكر قول التاج السبكي فى طبقات الشافعية ولو أطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا أحد من الائمه إذ مامن إمام إلاّ و قد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون "١"

"١" المحدث ظفر أحمد العثماني التهانوى - قواعد فى علوم الحديث تحقيق عبدالفتاح ابوغدّة - الناشر مكتب المطبوعات الاسلاميه حلب - الطبعة الثالثه مطابع دار القلم بيروت سنه ١٣٩٢ - ١٩٧٢م - ص - ١٩٦

و قال ابن الجوزى فى " التلبيس " : و من تلبيس إبليس على أُصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلبا للتشفى ، و يخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الامة للذّب عن الشرع ، والله أعلم بالمقاصد و دليل خُبث هولاء سكوتهم عمن أخذوا عنه "١"

والحاصل ان كتب الجرح لم تعد الا نادرا من لم تغمز فيه سواء كان من الحفاظ أم من الائمة الفقهاء .

وأُورد الان قول ابن عدى فى أبى حنيفة و هو تقريبا خلاصة ما يقدح بأُبى حنيفه رحمة الله ثم أورد بعض أُقوال الذين ردّوا على ذلك بقوله - وأبو حنيفة له أحاديث صالحة و عامة مايرويه غلط و تصاحيف و زيادات فى أُسانيدها و متونها . و تصاحيف فى الرجال و عامه مايرويه كذلك و لم يصح له فى جميع ما يرويه الا بضعة عشر حديثا . و قد روى من الحديث لعله أُرجح من ثلا ثماية حديث من مشاهير و غرائب و كله على هذه الصوره لأنه ليس هو من أُهل الحديث ولا يحمل على من تكون هذه صورته فى الحديث "٢"

"١" محمد زاهد الكوثرى - فى مقدمه نصب الرايه لاحاديث الهدايه - مطبوعات المجلس العالمي الطبعة الثانيه - المكتب الاسلامى - بيروت سنه ١٣٩٢ هـ - الجزء الاول - ص - ٥٩

"٢" الامام ابواحمد عبدالله ابن عدى الجرجاني - الكامل فى ضعفاء الرجال دار الفكر للطباعه والنشر الطبعة الثانيه - سنه ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م : ص - ٢٤٧٩

و للرد على مثل هذا القول أذكر أقوال بعض العلماء .

قال الذهبي في ميزان الاعتدال " في ترجمة الحافظ أبي نعيم -

كلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع لا أحب حكايته ، ولا أقبل قول كل منهما في الآخر بل هما عندي مقبولان - إلى أن قال :- كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد وما ينجو منه إلا من عصمه الله . وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الانبياء والصديقين ولو شئت حررت من ذلك كراريس "١"

و يقول الكوثري انظر قول ابن عدي في ابراهيم بن محمد بن ابي يحي الاسلمي شيخ الشافعي " نظرت الكثير من حديثه فلم اجد له حديثا منكرا " و يقول الكوثري مع انه يعلم قول الامام احمد و ابن حبان فيه ، و قال العجلي فيه : " مدني رافضي جهمي ، قدري لا يكتب حديثه "٢"

يقول الامام ابن عبدالبر : الذين وثقوا أبا حنيفة أكثر من الذين تكلموا فيه و يقول والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ماعابوا عليه الاغراق في الراي والقياس و ليس ذلك بعيب "٣"

"١" الذهبي - ميزان الاعتدال
في ترجمه ابي نعيم احمد بن عبدالله - ج - ١ - ص - ١١١

"٢" مقدمه نصب الرايه - ج - ١ - ص - ٥٩

"٣" قواعد في علوم الحديث - للتهانوي - ص - ٣٢٢ ، ٣٢٧

و اخيرا اذكر قول ابن حجر العسقلانى والخطيب البغدادى فى أبى حنيفة :

يقول ابن حجر فى تهذيب التهذيب ، النعمان بن ثابت ابو حنيفه الكوفى مولى بن تيم الله بن ثعلبه و قيل انه من ابناء فارس ، رأى انسا وروى عن عطاء بن ابى رياح و عاصم ابن ابى النجود و علقمه بن مرثد والثورى و هشام بن عروه و غيرهم تكلم فيه كثيرون واتهموه و احسن ما قيل فى رد ذلك " الناس فيه بين حاسد و جاهل و قال ابن معين كان ثقه لا يُحدّث إلا بما يحفظ "١"

و قال الخطيب فى تاريخه :

و قال ابن وهب محمد بن مزاحم سمعت ابن المبارك ، يقول ابو حنيفه أفقه الناس و قال الشافعى الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه ، ضرب و جلد عن رفض تولى القضاء و هو الامام الكبير صاحب المذهب مات سنه ١٥٠ هـ . "٢"

ففى الختام هذا يحي بن معين هو ممن اخذ عن خاصه اصحاب ابى حنيفه و خالطهم و صاحبهم و عرفهم حق المعرفه و هو شيخ البخارى و مسلم و ابى داود و احمد بن حنبل و ابى حاتم و غيرهم .

و هو امام الجرح والتعديل بالاتفاق و هو الذى يقول عن ابى حنيفه عليه رحمة الله " لا يحدث الا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظ "

فابن معين أدرى بأبى حنيفة و اعلم به من غيره لقربه منه زمانا و مكانا ولكثرة مخالطته لأصحاب أبى حنيفه واخذه عنهم فقول ابن معين فى توثيق ابى حنيفه أولى بالاتباع من قول المتاخرين .

"١" الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى ـ تهذيب التهذيب ـ مطبعه مجلس دائره المعارف النظاميه ـ حيدرآباد الدكن ـ الهند ـ الطبعه الاولى سنه ١٣٢٧ هـ : ج ـ ١٠ ـ ص ـ ٤٤٩ ، ٤٥٠

"٢" ابوبكر احمد بن على الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ـ دار الفكر للطباعة والنشر المجلد الثالث عشر ـ تحت رقم ٧٢٩٧ ص ـ ٣٢٣

و قد ذكرت في المقدمه ما يثبت أن مسند الامام أبي حنيفة رحمة الله بروايه الحصكفي هو المسند الذي جمعه أبو محمد عبدالله بن محمد بن يعقوب الحارثي والذي يقول فيه الخطيب في تاريخه ٠ الفقيه البخاري و يعرف بعبد الله الاستاذ صاحب عجائب و غرائب حدث عن كثير من العلماء* و روى عنه ابوالعباس أحمد ابن عقده و ابو بكر بن آدم الكوفيان و غيرها و عامه اهل بخارى. ولد سنه ٢٥٨ هـ و توفي سنه ٣٤٠ هـ ٠

و يقول الخوارزمي في أبي عبدالله الاستاذ من طالع مسنده الذي جمعه للامام أبي حنيفة علم تبحره في علم الحديث و إحاطته بمعرفه الطرق والمتون"١"

و بعد هذه الوقفة البسيطة مع الامام الاعظم أبي حنيفة عليه رحمة الله لا أجد في نفسي حرجا في نسبة هذا المسند له ، والله اعلم ٠

الرجال الذين دار عليهم مصدر الشيخ محمد عابد السندي عند شرحه مسند الامام ابي حنيفه رحمة الله و هم الشيخ علي القاري ، الحصكفي ، الشيخ صالح الفلاني ، الخوارزمي ٠

الشيخ علي القاري :

نورالدين علي بن سلطان محمد القاري ٠ و هناك من قال ان اسم ابيه سلطان فقط ولكن صاحب البضاعه المزجاه لمن طالع المرقاه في شرح المشكاة انه

"١" جامع المسانيد جـ ٢ ـ ص ـ ٥٢٥

راى ان اسم ابيه هو سلطان محمد مكتوبا بخط الشيخ على القارى عند الشيخ هاشم جان المجددى " بتند و سائين دار " فى السند ٠

و كنية علي القارى " أبوالحسن " و لقبه نور الدين ، ولد الملا على القارى بهراة ٠ و تعتبر هراة الآن تابعه لأفغانستان من الولايات الجنوبيه و هى فى الاصل من مدن خراسان التى خرج منها العلماء والمؤرخون والفقهاء نشا الشيخ بهراه و حفظ القران و علم التجويد و قراء الكتب الدراسيه واخذ العلوم عن شيوخ عصره بهراه ، و بعد تغلب السلطان اسماعيل بن حيدر الصفوى الموسوى اول ملوك الصفويه الرافضه على هراة ، هاجر الملا على القارى الى مكه و طاب به المقام واستوطنها و حمد الله على اقامته فيها "١"

واشتغل بسماع الحديث فى مكة فأخذ عن شيوخها و من أهمهم الشيخ عطية السلمى و قراء عليه المشكاة و من شيوخه زكريا الحسيني ، أحمد بن حجر الهيثمى والشيخ عبدالله ٠ "٢"

"١" محمد بن عبدالحليم بن عبدالرحيم الجشتى ـ البضاعة المزجاه لمن طالع المرقاه فى شرح المشكاة ـ مكتبه ـ امداديه ملتان ـ باكستان ٠ ج ـ ١ ص ـ ١ ـ ١٥ : (الطبعة الاولى ـ ج ٢ ـ ص ـ ١٨٥ ـ ١٨٦

"٢" المحبي محمد امين بن فضل الله ـ خلاصه الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر ـ مكتبه خياط ـ شارع بلس ـ بيروت لبنان
الطبعة الاولى ـ ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٨٥ ـ ١٨٦

١٨

وكان الشيخ علي القاري معروفا ، بالقاري الحنفي " وله تصانيف كثيره منها شروحات و حواشي و من أهمها شرحه على المشكاة و هو أكبرها وله شرح مسند الامام ابي حنيفه من روايه الحصكفي و من أراد معرفه تصانيفه ففي هداية العارفين بغيته _ "١"

توفي في مكه سنه ١٠١٤ هـ. ودفن بالمعلاة _ "٢" بعد حياة حافلة بالعلم عليه رحمة الله .

الحَصْكَفي :

بفتح الحاء المهمله و سكون الصاد المهمله و فتح الكاف و في آخرها الفاء . هذه النسبه الى حصن كيفا " و هي مدينه من ديار بكر و يقال لها بالعجميه حصن كيبا . "٣"

هو الامام موسى بن زكريا بن ابراهيم بن محمد بن صاعد ابن الحصكفي القاضي الامام العلامه صدر الدين . "٤"

روى " كتاب الشمائل " للترمذي عن الامام افتخار الدين ابي هاشم عبدالمطلب بن الفضل بن عبدالمطلب الهاشمي .

"١" اسماعيل باشا البغدادي _ هديه العارفين اسماء المؤلفين و آثار المصنفين مطبعه وكاله المعارف _ استانبول سنه ١٩٥١م _ منشورات مكتبه المثنى _ بغداد _ ج _ ١ _ ص _ ٧٥١ _ ٧٥٢

"٢" الرساله المستطرفه _ ص _ ١٢٦

"٣" الامام ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني _ الانساب _ تقديم و تعليق عبدالله عمر البارودي _ دار الكتب العلميه _ بيروت _ لبنان _ الطبعه الاولى _ ١٩٨٨م _ ج _ ٢ _ ص _ ٢٢٧

٤- ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري _ كتاب الاثار _ تصحيح و تعليق ابو الوفا _ مطبعة الاستقامه الطبعه الاولى _ حيدرآباد الدكن سنه ١٣٥٥ هـ المقدمه ص ٤

ولد سنه ثمانين او احدى و ثمانين و خمسايه ، و حدث بالقاهره و حلب ، سمع منه الدمياطى الحافظ و ذكره فى معجم شيوخه . قدم حلب و تولى قضاء آمد ثم خرج الى حماه و اقام بها ثم نقل الى مصر و اقام بها فى خدمه الملك الصالح ايوب بن محمد ودرس بمدرسه " جهاركس " فى القاهره و ارسل رسولا الى حلب سنه ٦٤٤ هـ و سنه ٦٤٧ هـ ثم عاد الى مصر .

ولما مات الملك الصالح جاء بعده ابنه . قام عليه الاتراك و عزلوه مات بالقاهره سنه ٦٥٠ هـ و دفن جوار السيده نفيسه . "١"

و جاء فى ترجمته فى مسانيد الامام ابى حنيفه " الخصفكى " "٢" ولكن الشيخ المحقق محمد عبدالرشيد النعماني يوكد على ان الاسم الاول هو الصحيح .

صالح الفُلّانى :

هو الامام صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله بن عمر بن موسى العمرى الشهير بالفُلّانى . ولد فى السودان سنه ١١٦٦ هـ فى بلد آبائه العمريين " نس " من اقليم "فوتجلوا" و نشأ فيها و أخذ العلم عن علماء ذلك الاقليم . ثم إرتحل فى طلب العلم و مكث سنه عند محمد بن بونه و تنقل الى اكثر من مكان ، ثم دخل مراكش و مكث بها ستة اشهر و دخل تونس و اخذ من علمائها كالفرياني والكواحى والسوسى ، و دخل مصر و بقى فيها ثلاثة اشهر ولازم علمائها كصعيدى . ثم دخل

"١" ابو محمد عبدالقادر ابن ابى الوفاء القرشي الحنفي - الجواهر المضيه فى طبقات الحنفيه - تحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلوم - دار العلوم الرياض - مطبعه عيسى البابى الحلبى و شركاه سنه ١٩٧٩م - ج - ٣ ص - ٥١٦ - ٥١٨

"٢" الشيخ محمد امين الاوركزئى - مسانيد الامام ابى حنيفه - الناشر مجلس الدعوه والتحقيق الاسلامى المطبعه - القادر برنتك سينتر كراجي - سنه الطبع ١٩٧٨ - ١٣٩٨ هـ - ص - ١٣٨ - ١٣٩

ارض الحجاز سنه ١١٨٧ هـ واتخذ المدينه اقامة و سكنا الى ان توفاه الله فى ليلة الخميس فى الخامس من جمادى الاخره سنه ١٢١٨ هـ .

و كانت مكانته العلميه عاليه حيث وصفه الشيخ محمد عابد السندى بالامام الذى لا يجارى والفهامه الذى لا يمارى ملحق الاصاغر بالاكابر و وصفه صاحب كتاب الدين الخالص بالمجتهد . و كان الشيخ محمد عابد السندى من اشهر تلاميذه وهو الذى قال فيه عند تصنيفه المواهب اللطيفه " انى لما رويت عن مولاى العلامه و شيخى الفهامه استاذ المحققين و سند المحدثين الشيخ صالح الفُلّاني مسند الامام ابى حنيفه رحمة الله الذى كان من روايه الحصكفى اجازة كما رُوِيت عنه جامع مسانيد الامام الاعظم لمحمود والخوارزمي "

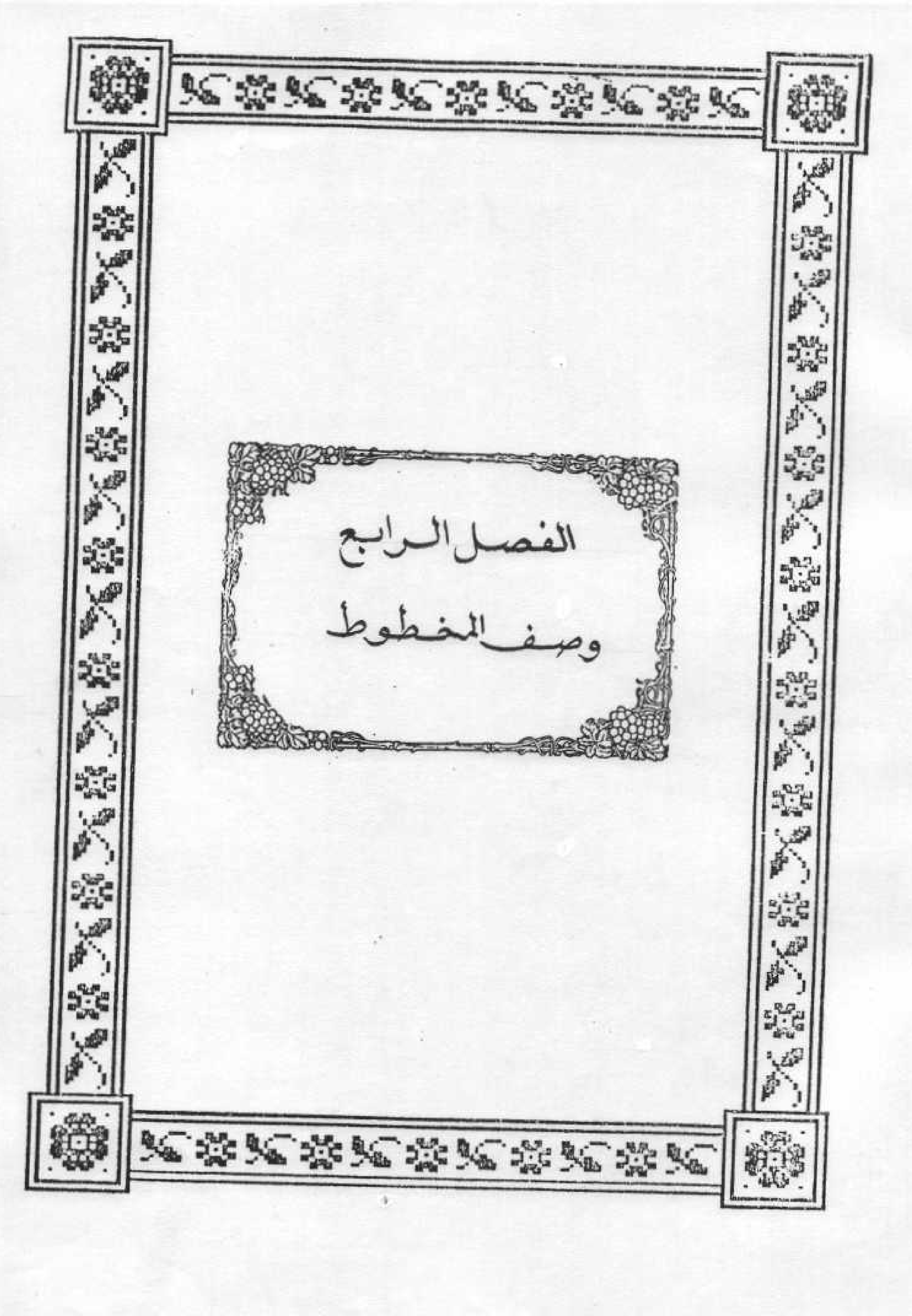
وللشيخ صالح الفُلّاني مصنفات كثيره منها إيقاظ همم اولى الابصار للاقتداء بسيد المهاجرين والانصار "١"

الخوارزمي : الامام ابو المؤيد محمد بن محمود بن محمد بن حسن الخوارزمي ولد سنه ٥٩٣ هـ . تفقه على الامام طاهر بن محمد الحفصي ، سمع بخوارزم ، و قدم بغداد و سمع بها و حدث بدمشق و ولى قضاء خوارزم و خطابتها بعد اخذ التتار لها ثم تركها و قدم بغداد حاجا ثم حج و جاور ثم رجع الى بغداد عن طريق مصر و دمشق ودرس فيها ومات سنه ٦٥٥ هـ فى بغداد "٢"

وجمع مسانيد الامام فى كتابه جامع المسانيد ولكن لم يستوعب جميع المسانيد ولا جميع آثار المسانيد "٣"

"١" صالح الفُلّاني ايقاظ همم اولى الابصار للاقتداء بسيد المهاجرين والانصار - دار المعرفه للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ترجمة المؤلف صفحه أ - د

"٢" الجواهر المضيئه رقم ١٥٣٨ "٣" كتاب الاثار المقدمه صفحه - هـ



الفصل الرابع

وصف المخطوط

وصف نسخ المخطوط :

لقد توافرت لي عند بدايه تحقيقي في الجزء الذي كلفت به من مخطوط المواهب اللطيفه نسختان خطيتان قمت بتصويرها . و كانت النسخه الاولى والتي يظن انها بخط المصنف الشيخ محمد عابد السندي في مكتبه الشيخ الفاضل محب الله شاه بن السيد احسان الله بن رشد الله في بير جندوه قريه بقرب سعيد آباد تبعد عن حيدرآباد / السند حوالي ثمانين كم - و صاحب مدرسه دار الرشاد و رمزت لها بحرف "س" .

و كانت النسخه الثانيه في المكتبه المركزيه (الآصفيه سابقا) في حيدرآباد الدكن - الهند و رمزت لها بحرف "هـ" و هاك وصفها .

اولا : النسخه "س" و هي المصوره عن النسخه المحفوظه بمكتبه الشيخ محب الله شاه في بيرجندوه و هذه النسخه الت الى الشيخ محب الله شاه بن السيد احسان الله بن رشد الله عن طريق جده منذ ما يزيد على مائه عام حيث حصل جده عليها من مكتبه المخدوم محمد هاشم السندي التتاوي في مدينه - تتا - و يقول الشيخ محب الله شاه انه أخبره من يثق به ان جده ذهب الى تتا بعده وفاه المخدوم محمد هاشم السندي ووجد مكتبته مهمله و بعض كتبها ملقى في التراب فاشترى مخطوط المواهب اللطيفه و كتب اخرى من ورثه المخدوم محمد هاشم السندي بثمن قليل .

ويميل الشيخ محب الله شاه الى ان الشيخ محمد عابد السندي قد كتب هذه

النسخه في السند . و كنت قد ذكرت ان الشيخ محمد عابد هاجر مع والده وجده الى بلاد العرب ولم يعد الى السند الا فترة بسيطه لا تتعدى الايام مكث في منطقه لوارى على ساحل السند .

ولكني أميل الى انه مكث فترة أطول في بلاد السند و انه كتب مصنفه المواهب اللطيفه في السند او أحضرها معه عند عودته الى السند من اليمن ثم تركها في السند عند عودته للمدينه و استدل بما يلي :

١) ان الشيخ عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني - صاحب فهرس الفهارس والاثبات يشير الى رسالتين من مصنفات محمد عابد السندى انها عنده في مجموعه سنديه الخط . "١"

٢) ان النسخه "هـ" كتبت بعد النسخه "س" وسماها "المواهب اللطيفه في الحرم المكى على مسند الامام ابى حنيفه لانه بدا في كتابها في مكه و كان ذلك حوالى ١٢٥٠ هـ . حيث اشار المصنف انها . تمت و كملت سنه ١٢٥١ هـ في حرم النبى عليه الصلاة والسلام و كذلك المقارن بين النسختين يجد ان النسخه "هـ" هي عباره عن اعاده شرح بالنسبه لشرح النسخه "س"

٣) يقول محمد عابد السندى في مقدمه النسخه "هـ" انى لما رُوّيت عن مولاى العلامة و شيخي الفهامه استاذ المحققين و سند المحدثين الشيخ صالح الفُلّاني مسند الامام ابى حنيفه رحمة الله الذى كان من روايه الحصكفى اجازة ، كما رويت عنه جامع مسانيد الامام الاعظم لمحمود الخوارزمي .

"١" انظر فهرس الفهارس ٢ / ٧٣٢

و يقول الشيخ محمد عابد فى مقد مه النسخه "س" (انى لما رايت شرح الشيخ العلا مه الحبر الفهامه الشيخ على القارى على مسند الامام الا عظم ابى حنيفه النعمان من روايه الحصكفى مختصرا جدا ، ثم يقول و كنت وجدت نسخه من جامع المسانيد للخوارزمي و قد كانت الأرضه اكلت منه شيئا كثيرا فلم اجد منه نسخه صحيحه .

و اذا عرفنا ان الشيخ صالح الفُلّانى قد توفى عام ١٢١٨ هـ فى المد ينه ، و هذا يعني ان السندى قد روى المسند قبل عام ١٢١٨ هـ فيكون اثناء اقامه الشيخ محمد عابد فى المد ينه المنوره المرة الاولى و اذا عرفنا ان السندى رُوّي اجازه لمسند الامام و هو أقوى واوثق لمعرفه مسند الامام ابى حنيفه بهذه الحاله من رؤيته لشرح على القارى المختصر او من جامع المسانيد الذى اكلته الا رضه .

و لهذا ارجح ان النسخه "س" اقدم و انها بخط المصنف و قد أيّد هذا الراى الشيخ محب الله شاه و شقيقه الشيخ بد يع الدين و هو عالم فى الحد يث ويسكن فى سعيد آباد و يشرف على جمعيه اهل الحد يث فى تلك المنطقه .

والنسخه "س" تتألف من جزئين عدد صفحات الجزء الاول ٥٩٠ صفحه والكتابه به على الوجهين ، و مقاس الورق ١٦/٥ × ٢٢ سم . و عدد السطور فى الصفحه يتراوح بين ٣٣ ـ ٣٨ سطرا ، و يشتمل هذا الجزء على الكتب التاليه . بعد ان إفتتحها بحديث الا عمال بالنيات" ثم بداء فى كتاب الايمان" العلم ، الطهاره الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج .

واما الجزء الثانى . عدد صفحاته ٤٩٣ صفحه والكتابه ايضا على الوجهين

و مقاس الورق نفس الذى فى الجزء الاول و عدد السطور كذلك و بداه بكتاب النكاح وختمه بكتاب القيامه و صفة الجنة و احتوى ستة و عشرين كتابا . و اما تاريخ نسخ هـذه النسخه او تاريخ الانتهاء من تصنيفها فلـم اجـد ما يشير الـيه ،و قد بينت كيف آلت هـذه النسخه الى مكتبـه الشيخ محب الله شاه . ربما سقطت الورقـه الاخيـره منها ويدل على ذلك عـدم اهتمام ورثه الشيخ المخـدوم محمـد هاشم السندى بهـذه المصنفات.

والمخطوط قد صور كما افاد ني الشيخ محب الله شاه اكثر من مـرة و يبـدو انها رقمت بعـد التجليـد لانه يظهر احيانا ان على الصفحـه رقمان و يوكد ذلك ان الجامع لها او المجلد قـد اخطأ في جمعها فوضعا الصفحه رقم ٣٤ مكان ٦٩ و اعطيت ارقاما جـديده .

و كذلك الصفحات من ١٢٩ ـ ١٣٢ جمعت خطاء فى هـذا المكان لانها تتبع احاديث حـد السرقه فى الجزء الثانى من المخطوط . والمصنف عليه رحمة الله اذا وجد نفسه قـد اخطاء فى الكتابه يضبطها بالتسطير على الاسطر التى لا يريد ها و اذا احتاج ان يضيف الى ما كتب أشار بعلامـه (⌐) ثم يكتب ما يريد على الهامش و سأرفق صورا من المخطوط تبين ذلك .

و جميع صفحات المخطوط على نسق واحد من الكتابه الا فى صفحه واحدة رقمها ٦٨ لا ادرى لما ذا ترك المصنف اكثر مـن نصفها الاسفل من غير كتابه .

و احاديث كتاب الايمان فى النسخه "س" مـرتبه بصوره تختلف عن ترتيبها فى النسخه "هـ"

والمخطوط الآن فی جلد ین ٠ الجلد الاول یحوی الجزء الاول و المجلد الثانی یحوی الجزو الثانی و ورقها قد تأثر بعوامل الجو و طریقه الحفظ ٠

ثانيا: النسخه "ه" و هی المصوره عن النسخه المحفوظه فی المکتبه المرکزیه "الآصفیه سابقا" و هذه النسخه تتألف من جزئین کل جزء یحتوی علی نفس الابواب التی فی الجزء الذی یقابله فی النسخه "س" ولکن ما لفت إنتباهی هو ان الناسخ للجزئین لیس واحد ولا تاریخ النسخ واحد ایضا ٠

علما ان المکتبه وضعت الجزء الاول تحت رقم ١٧١١٨ والجزء الثانی تحت رقم ١٧١١٩ و جمعتها فی مکان واحد ٠ و بذلت جهدا لمعرفه سبب ذلك ٠ ولکنی لم اوفق و کنت علی یقین انه یوجد نسختان خطیتان فی هذه المکتبه و قد اکد لي الشیخ محمد عبدالرشید النعمانی انه رای نسخه بغیر هذا الخط عام ١٩٣٨م فی المکتبه الآصفیه حیدرآباد الدکن ٠ ولکن لا حول ولا قوة الا بالله ٠ و فی هذا العام و قبل انتهاء عملي فی التحقیق بشهر قُدر لي ان ازور حیدرآباد - الدکن مرة ثانیه و عدت الی المکتبه المرکزیه فوجدت ان المکتبه قد جمعت جمیع المخطوطات باللغة العربية فی مکان آخر تحت هذا العنوان ٠

میر کرامت علی خان
ضابط البحث
ایه بي جی او ام ال و آر ائی
حیدرآباد - ٥٠٠٠٠١
تلفون : ٢٣٦٤٨٧
بیت الحبیب
رقم : ٢٩٩/١٨٧ - ٧ - ٨ مان نقر
حیدرآباد رقم : ٠٢٣ ٥٠٠

و انها قامت بتسجيلها من جديد . و بعد البحث عثرت على الجزء الاول من المخطوط بخط الناسخ (نور على بنجابي) للجزء الثانى من النسخه " هـ " والذى عندى صوره عنه و قد سجل هذا الجزء الذى عثرت عليه تحت رقم (٣٥٧) فطلبت من المسئول عن المكتبه تصوير هذا الجزء فاخبرني انه ليس بالوسع حيث الاسواق مغلقه ولا يوجد آله تصوير داخل المكتبه و كانت يومها الاضرابات والقلاقل مستمره فى كل الهند بين المسلمين والهندوس والاحزاب السياسيه فيما بينها بسبب قضيه مسجد بابرى ، وانتظرت اياما و لم تفرج الامور . و اخيرا و حيث ظروفى لا تسمح بالبقاء هناك قد متطلبا لتصوير هذا الجزء و اوكلت صديقا لي من مسلمى حيدراباد الدكن بمتابعه الموضوع . حيث ان هناك اجراءات معقده بالنسبه للاجنبي . و لغايه اعداد هذا الوصف لم يصلنى شيء علما اننى قارنت مقدمه النسخه التى وجدتها مع مقدمه النسخه التى سبق تصويرها من هناك فوجدتها نفس الشيء ولكن الاختلاف فى تاريخ الكتابه والناسخ وسأبين ذلك بعد قليل واليك وصفا للنسخه التى قابلت عليها . وهى النسخه .هـ .

<u>وصف الجزء الاول</u>: عدد صفحاته ١١٢٤ صفحه والكتابه على وجهى الورقه و مقاس الورق ٢٣ × ١٧ سم . و عدد السطور فى الصفحه يتراوح بين ٢٣ ـ ٢٦ سطرا و يشمل هذا الجزء نفس ما يشمل مقابله فى النسخه " س " و فى النسخه " هـ " توجد الصفحه ٣٩ فراغ و هى جزء من شرح حديث جبريل ، و خطها جميل و واضح و لهذا جاء حجم هذا الجزء ضعف حجم الجزء الاول من النسخه " س " والناسخ اذا اراد ان يشطب ما كتب اشار بالخط عليه . و اذا احتاج ان يضيف الى ما كتب اشار

بعلامه " ﻻ " ثم يكتب ما يريد فى الهامش ، و سأرفق صورا عن المخطوط تبين ذلك . و هذا الجزء من هذه النسخه مجلد فى جلدين .

و جاء فى مقدمه هذه النسخه ولما كان ابتداء شروعي له فى مكه المشرفه سميته بالمواهب اللطيفه فى الحرم المكي على مسند الامام ابى حنيفه من روايه الحصكفى ، جعله الله من الاعمال المقبوله بين يديه " و جاء فى آخره " والله تعالى اساله ان يعجل إرتحالي الى مدينه نبيه المصطفى صلى الله تعالى عليه و على آله وسلم . و يرزقنى الاقامه هنالك مع اهلى و كافه من احاطت عليه شفقتى مع الجمعيه التّامه و عدم احتياج الى احد من الخلق الا الى ذاته الشريفه و يجعلنى خادما لشريعته الغراء مقيما لمدارسته نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم محبا له و لربه تعالى و تقدس آمين وليكن هذا آخر كلامنا فى كتاب الحج.
وكمل بهذا النصف الاول من شرح المسند و سياتى فى النصف الثانى كتاب النكاح

و قد تم ذلك النسخ يوم السبت الرابع عشر من رمضان المعظم سنه ١٣٢٦ هـ بخط أفقر الورى الراجع فى سيره القهقرى اسماعيل بن محمد ، غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين آمين .

اما بالنسبه للجزء الاول الذى هو بخط نور على بنجابى والذى لم استطع الحصول على صوره له والذى يعتبر نسخه ثالثه للمخطوط فقد جاء فى آخره ما يلي :
وقد تم ذلك يوم الثلاثاء اول ذى الحجة الحرام سنة (١٢٥٠هـ) في حرم النبي عليه الصلاة والسلام بخط الفقير الى الله الغنى ، نور على بنجابى " من اول نسخه جامعه شيخ المحدثين المدرس فى الحرم النبوى عليه الصلاة والسلام مولينا محمد عابد بن احمد على السندى ، بسعايه رئيس الزاهدين ولى الله مولويما حب

مولوی عظمه الله الهندی الدهلوی غفر الله تعالی لنا ولوالدینا ولمشایخنا الکرام الساده ولکافه المسلمین انك مجیب الدعوات آمین آمین ٠

و علی کل اشارت مقدمه کل من نسختی الهند الی ان الشروع بکتابتها کان فی الحرم المکی وسمیت کل منهما ٠

" المواهب اللطیفه فی الحرم المکی علی مسند الامام ابی حنیفه " و قد ذکرت اننی قابلت مقدمه نسختی الهند مع بعضها البعض فوجدتهما متطابقتین ٠

وصف الجزء الثانی من النسخه " هـ " ٠

عدد صفحاته ٨٨٥ والکتابه علی وجهی الورقه و مقاسها ٣٣ × ١٧ سم ٠ و عدد السطور فی الصفحه الواحده ٢١ سطرا ٠ و یشمل هذا الجزء کل ما یشمل مقابله فی النسخه " س " وخطه جمیل و واضح و لهذا جاء هذا الجزء ضعف حجم مقابله تقریبا من النسخه " س " والناسخ اذا اراد ان یشطب او یضیف الی ما کتب اتبع نفس الاسلوب فی النسخه " س " ٠

و جاء فی آخر هذا الجزء ما یلی " ولیکن هذا آخر کلامنا فی شرح المسند و اسال الله تعالی ان یجعله من صالح الاعمال المقربه الی حضرة ذی الجلال الموجبه للفوز بالرضوان فی الحال والمآل والمستوجبه لجنته تفضلا من الملك المتعال بدون مناقشه ولا توبیخ ولا حساب ولا تحسر عند مشاهدة تلك الاحوال ٠ انه تعالی علی ما یشاء قدیر و بالاجابه جدیر ولا حول ولا قوة الا بالله العلی العظیم و صلی الله تعالی علی خیر خلقه سیدنا و نبینا محمد و علی آله و صحبه وسلم تسلیما ٠ تمت وکملت سنه ١٢٥١ فی حرم النبی علیه الصلاة والسلام ٠

و يقول الناسخ : قد كان الفراغ من تمام تسويد هذا الجلد الثاني فى ربيع الاول على يدى الفقير الى الله الغنى " نور على بنجابى " من اول نسخه المكتوبه بيد الجامع هذا الكتاب شيخ المحدثين المدرس فى حرم النبى ، على صاحبه الصلاة والسلام مولينا الزاهد الشيخ محمد عابد سندى بسهايه المتفرس بنور الله تعالي مولوى يصاحب مولوى عظمه الله هندى دهلوى ، سلمنا الله تعالى و عافانا فى الدنيا والدين واذا توفيتنا فتوفنا بالايمان اجمعين آمين .

تم قال : قد بلغ مقابلـه وقراءة ايضا على لسان ويدى الكاتب هـــذا الكتاب تجزيه فى حرم النبى على صاحبـه الصلاة وافضل التسليمات ، و بعضها فى زاويه محب الفقراء ملاذ الغرباء مولينا عبدالله صاحب سلمه الله تعالي وعافاه فى الدنيا والدين ولنا اجمعين ولسائر المسلمين آمين يا رب العالمين . فى عاشر ربيع الاول سنه ١٢٥١ هـ .

و هذا يوكد على ان النسخه "هـ" كتبت بعد النسخه "س" والله اعلم .

واما منهجه فى كتابة النسخه "هـ" فيختلف عن منهجه فى كتابه "س" من حيث الشكل فهو يورد الاحاديث فى النسخه "س" كامله فى مطلع الشرح اما فى النسخه "هـ" فيوردها مجزأة و يشرح بعد ذلك كل جزء و تكون ترجمته لرجال الاسانيد احيانا قبل ذكر من أخرج الحديث و احيانا بعدهم و بعد ذكر متابعاته وحق الشرح يقدم احيانا بعض الفقرات المتشابه مع فقرات من النسخه "س" او يؤخرها او يضعها فى شرح حديث آخر من احاديث الباب . و على كل المضمون واحد و مقصوده فى منهجه فى النسختين واحد واستطيع ان اقول ان النسخه "هـ" هى اعاده شرح لاحاديث مسند الامام ابى حنيفه رحمة الله . والله اعلم .

منهج الشيخ محمد عابد السندى فى كتابته :

يقول الشيخ السندى : لما كان مسند الامام الاعظم والهام الاقدم ابى حنيفه النعمان رضى الله عنه من روايه الحصكفى مرتبا على اسماء شيوخه بحسب ماروى عنهم رحمهم الله تعالى وكان استخراج الحديث منه مشكلا خصوصا لمن لا يدرى شيخ الامام فى ذلك الحديث .

أردت ان أرتبه على الابواب الفقهيه ليسهل البحث فيه .

و استطيع ان الخص منهجه فى كتابته للمواهب اللطيفه فى الابواب التى حققتها كما يلي :

- قام بترتيب الاحاديث على الابواب الفقهيه و اذا كان هناك اكثر من حديث فى نفس الموضوع . ذكرها متتاليه فى نفس الباب ولم يشذ عن هذه القاعده الا فى حديث واحد فى كتاب الايمان قد اعاده فى موقع اخر فى نفس الكتاب ولم اجد تفسيرا لذلك .
- اذا كان لنفس الحديث اكثر من روايه ذكرها ايضا متتاليه مع ذكر سندها .
- ثم يذكر من خرج الحديث من اصحاب الجوامع والسنن والمسانيد المشهوره وغيرها .
- ثم يذكر المتابعين لرواه الحديث و يكثر من ذلك .
- ثم يترجم لرجال السند بصوره مستفيضه و يذكر ما فيهم من ضعف و توثيق .
- ثم يبدا بشرح الحديث مكثرا لشواهده و اثناء الشرح يحاول ايضاح مشكله و وصل منقطعه و رفع مرسله و يتكلم بمسائل الخلاف بقدر ما يسعه الحال و اذا شرح حديثا او بين معنى فى حديث و احتاج الى الاستشهاد به فى موضع اخر احالنا اليه .

والحقيقه انك تحس انك مع رجل عالم بالفقه والحديث والتفسير واللغه و لهذا جاءت كتابته فى جميع موضوعات المخلوط على نسق واحد ٠

والطريقه التى إحتذاها المؤلف رحمة الله فى مصنفه هذا من روايه الحديث ثم توثيقه و ذكر من تابع رواته موردا شواهدا على معانيه مستدلا بها على المسائل الفقهيه فان هذه الطريقه تعتبر طريقه جيده لارشاد طلاب الحديث والفقه ٠ فهى تعلمهم كيف ينقدون الاسانيد والمتون و كيف يميزون الصحيح من غيره ٠ كما انها تعلمهم كيف يحترمون العلماء والائمه و عدم جعل المسائل الخلافيه سببا للفرقه او التعادى بين المسلمين ٠

عملى فى التحقيق :

اما عملى فقد اتخذت النسخه المصوره عن الاصل المحفوظ بمكتبه الشيخ محب الله شاه فى بيرجندوه ـ النسخه "س" اصلا للتحقيق ٠ و كان ذلك رغبه مشرفي الاستاذ الفاضل احمد اقبال و ان كانت رغبه الشيخ الفاضل محمد عبدالرشيد النعماني ان اتخذ النسخه المصوره عن الاصل المحفوظ فى مكتبه الاصفيه ـ حيدرآباد الدكن اصلا لانها احدث اى النسخه "هـ" كتابتها بعد كتابة النسخه "س" و على كل لا اظن ان هناك فارقا كبيرا بين الاختيارين طالما سيكون هناك مقابله بين النسختين ٠

و على كل قمت بما يلي :

- نسخت النسخه المصوره عن النسخه "س" على ما فيها من اغلاط يسيره لا يكاد يخلو من مثلها كتاب ٠

- مقابلتها مع النسخه المصوره عن النسخه "هـ" ما امكن المقابله و أشرت الى الاختلافات البسيطه فى الهامش اما ما تعذر مقابلته فأشرت اليه بان يوجد اختلاف كبير تصعب المقابله .
- رجعت الى المصادر المتيسره التى اخذ عنها المصنف او اشتركت فى موضوعه للتأكد من صحه النص . و سلامته من التحريف و أشرت الى ذلك بالهامش .
- رجعت الى كتب التراجم والانساب لضبط اسماء الرجال وانسابهم وهم كم كثير و عدد ضخم و لهذا لم أترجم لكل الرجال الذين جاء المصنف على ذكرهم بالمخطوط و انما ترجمت لرجال اسانيد الاحاديث التى جاءت فى مسند الامام ابى حنيفه فى الابواب التى احتوتها رسالتي (كتب الايمان والعلم والطهاره " و فى الغالب ان الشيخ محمد عابد عليه رحمة الله قد ترجم لهم ثم ترجمت لكثير من رجال الاحاديث التى خرجتها وكانت كشواهد على الحديث الاصل اومتابعه له .
- ثم ترجمت لاصحاب كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم و شراحها الذين جاء ذكرهم فى الكتب التى قمت بتحقيقها من المخطوط و افردت ترجمه خاصه للشيخ على القارى والحصكفى و صالح الفُلّاني والخوارزمي و وقفه خاصه مع الامام ابى حنيفه رحمة الله .
- ثم خرجت احاديث الابواب التى قمت بتحقيقها من مصادرها فى الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم و اعتنيت بضبط نصوصها " و هى كم هائل و ربما لم اخرج بعض الاحاديث التى جاءت كشواهد و خاصه اذا أورد أكثر من شاهد أو اذا كانت مذكوره لبيان المتابعين .

- ذكرت رقم الحديث او الصفحه التى ذكر فيها و اذا كان للمصدر اكثر من طبعه أضفت الى ما تقدم ذكر الكتاب والباب والجزء تيسيرا للقارئ الذى لا يملك الطبعه التى رجعت اليها .

- ثم اشرت اذا كان هناك اختلاف بين ما ذكره المصنف والمصدر الذى اخذ منه بطريقة هادئه و فيما يظن انه اخطأ في نقله او تصحيف.

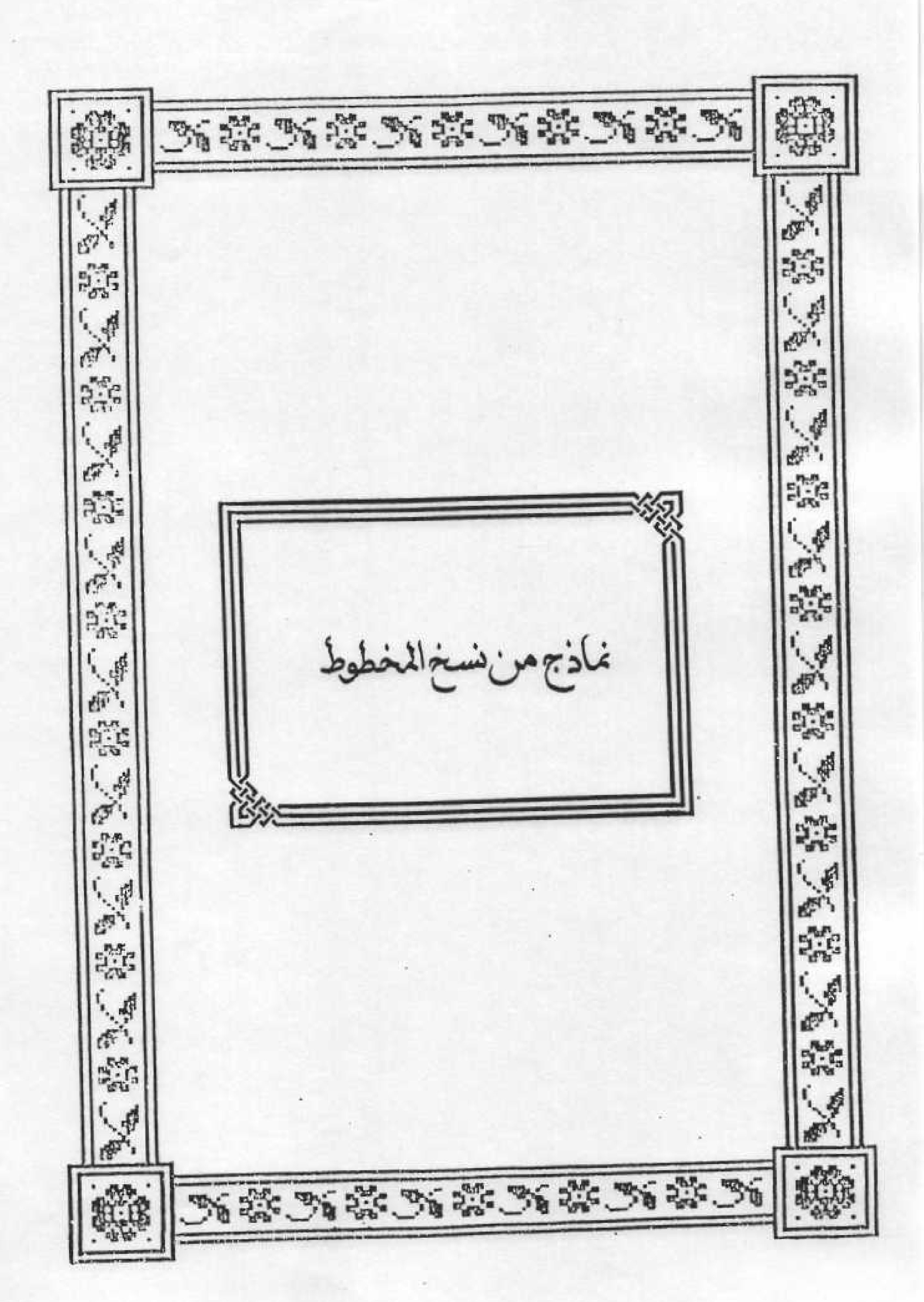
- نظرا لان حجم ما ذكرته على المتن " كثيرا حاولت عدم التعليق ما امكن لان ذلك يخرجني عن مهنتي كمحقق الى شارح .

- اعتنيت بمراجعة الآيات الكريمه التى جاء المصنف على ذكرها فى الكتب التى حققتها و قمت بترقيمها و ضبطها بالشكل الكامل .

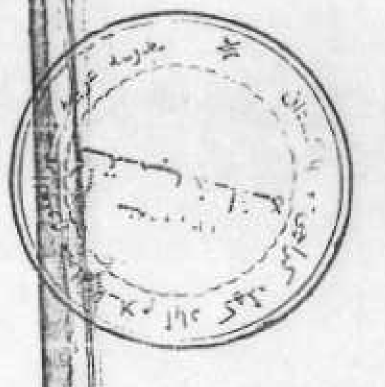
- رقمت احاديث المسند فى الكتب التى حققتها وأعطيت احاديث كل كتاب ارقاما متسلسله .

- الحقت بالتحقيق ثبتا للآيات الكريمه ، ثبتا باسماء الرجال الذين ترجمت لهم ثبتا بالمراجع والمصادر التى رجعت اليها و ثبتا بالموضوعات .

- واخير و قبل البدء بالطباعه قمت بمقابله النصوص التى كانت غير واضحه او الكلمات الغامضه فى النسخة "س" مع النسخة الاصل في بيرو جندوه " لتجهيز النص بصوره صحيحه و موثقه للطباعه .


نماذج من نسخ المخطوط

الجزء الاول
من
المواهب اللطيفة شرح
مسند الامام ابي حنيفة
للعلامة محمد عابد السندي
المتوفى
١٢٥٧هـ



قال في اليانع الجني عند عدّ تصانيف العلامة
محمد عابد ومنها كتاب المواهب اللطيفة على مسند
الامام ابي حنيفة اقتصر فيه على رواية الحصكفي
واكثر فيه من ذكر المتابعات والشواهد لاحاديثه
مع بيان من اخرجها من اصحاب الجوامع والسنن والمسانيد
المشهورة وعني في شرح ذيله بالايضاح مشكلها ووصل
منقطعها ورفع مرسلها وتكلم في [illegible]
بمقدار ما يسعه الحال وعقد [illegible] ينتفع بها المشتغل
بمذهب الفقهاء الحنفية ممن شرح احاديث الامام ... ابو حنيفة ... اهـ

(مصورة)
اخذت هذه الصورة من النسخة
الخطية التي هي بخط المؤلف نفسه
المحفوظة في مكتبة بير محب الله شاه
بير جهندا من اعمال حيدر آباد السند
وذلك بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٩٦هـ
٢٦ ابريل سنة ١٩٧٦م
لمكتبة مولانا نور محمد مدرسة مظهر العلوم
كهده كراتشي ... ...

بمحرمت [illegible]
ابو الحسن محمد اسماعيل
السندي مدير مدرسة
مظهر العلوم كهده

صفحة العنوان من نسخة ...

2

فهرست كتب الكتاب...

حديث الاعمال بالنيات	ص ١
كتاب الايمان	ص ١٥
كتاب العلم	ص ٥٥
كتاب الطهارات	ص ٧٤
كتاب الصلاة	ص ٩٢
كتاب الزكوة	ص ٢١٧
كتاب الصوم	ص ٢١٩
كتاب الحج	ص ٢٤١

القراءة [illegible]

[illegible]

3

بسم الله الرحمن الرحيم وتمم بالخير

الحمد لله الذي شرح صدورنا [illegible] والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الانبياء [illegible]

اما بعد فيقول [illegible]

[illegible]

عن يحيى عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى [illegible] ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه [illegible]

[illegible]

الورقة الاولى من نسخة

- ١ -

الورقة الثانية من نسخة - س -

بداية كتاب العلم من نسخة

١٢١

نموذج للشطب من نسخة -س-

يقتضي عدم الاحتياج الى الدباغ كما في الصورتين ثم اختلفوا في جواز اكل الجلد المدبوغ فالصحيح
عند الحنفية لا يجوز لقوله تعالى حرمت عليكم الميتة ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما حرم اكلها
وهذا جزء منها وقيل يجوز مطلقا سواء كان ماكول اللحم او لا وقيل يجوز اكل جلد ما يؤكل
اللحم لا غيره لانه طاهر [illegible] الشاة المذكاة فافهم والله اعلم [illegible]
[illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم مر بشاة ميتة لسودة فقال [illegible]
[illegible] جلدها [illegible] سقاء في البيت حتى صار شنا [illegible]
[illegible]
لسودة فقالت [illegible] صارت شنا واخرجه احمد باسناد صحيح عن ابن عباس [illegible] ماتت شاة
قد ماتت فقال [illegible] الشاة قال هلا اخذتم مسكها قالت [illegible]
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير [illegible] قالت انا نأخذ مسكها
[illegible] فسلخت مسكها فاتخذت [illegible] حتى [illegible] فقالت [illegible]
[illegible]
[illegible] فانتفعتم به [illegible] شاة ميتة فقال الا اخذتم اهابها
[illegible] رواه احمد [illegible] الا اخذوا اهابها
[illegible] فقالوا يا رسول الله انها ميتة فقال انما حرم [illegible]
صلى الله تعالى عليه وسلم الا استمتعتم باهابها فان دباغ الاديم طهوره [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]
من الروايات السابقة [illegible] اخذتم اهابها فاستمتعتم به [illegible] ماتت فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] شاة ميتة [illegible]
[illegible] هلا انتفعتم بجلدها قالوا انها ميتة [illegible] من الصدقة قال النبي صلى الله
[illegible] فانتفعتم به [illegible] ميتة [illegible]
[illegible] قالت كانت لنا شاة [illegible] واخرج الدارقطني
[illegible] قالوا ماتت قال افلا انتفعتم باهابها فقلت انها ميتة فقال النبي صلى
[illegible] ان دباغها يحل كما يحل خل الخمر [illegible]
[illegible]
[illegible] اذا اخذناها من جلده [illegible]
[illegible] وذلك لكثرة الاستعمال [illegible]
وباطنا والى ذلك ذهب ابو حنيفة والشافعي [illegible] ان الدباغ يطهر الاهاب
اعلم [illegible]
[illegible] الصلوة ابو حنيفة عن حماد [illegible] والحديث [illegible] والله
[illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] الصلوة [illegible]

ابجزر

الصفحة الأخيرة من كتاب الطهارة
من نسخة -س-

الورقة الأولى من نسخة -هـ-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدور العالمين بذكره والبسهم رداء لطفه وبره
وكساهم حلل الافضال وعمهم بمزيد النوال فسبحانه وتعالى عن الاشباه
والنظائر وتقدس من ان تدركه الخواطر او تاتي بحقيقته البصائر والصلاة
والسلام على سيدنا محمد سيد الانبياء وتاج الاصفياء الذي بعث
لنشر الشرائع الحنيفية وارسل لتوضيح المسالك السوية وعلى آله الكرام
من استمدوا ابدا الفضائل والمفاخر وصحبه الذين اقتبسوا من اشعة
مصابيح هدايته شعاع فيضه الباطن والظاهر صلى الله وسلم عليه
وعليهم ما ضحك برق وبكى غمام وتوالت الليالي والايام وبعد
فيقول افقر عباد الله تعالى الى مغفرته واحوجهم الى رحمته محمد
عابد بن احمد علي الانصاري نسبا السندي مولدا اني لما رويت
عن مولاي العلامة وشيخي الفهامة استاذ المحققين وسند المحدثين
الشيخ صالح الفلاني مسند الامام ابي حنيفة رحمه الله الذي
كان من رواية الحصكفي اجازة كما رويت عنه جامع مسانيد الامام
الاعظم لمحمود الخوارزمي ولم اجد من كل منهما الا نسخة غير
غير مرضية في الصحة بل كان الغالب عليها التحريف والتصحيف
وكنت قد عثرت على شرح لمنلا علي القاري على رواية الحصكفي
وكان ايضا كثير الغلط ولعله شرح الشيخ على نسخة غير سالمة
من الغلط الفاحش وذلك لانه شرح ذلك الكلام كما وجده
ويؤوله بالتاويلات الغير المرضية كما سياتي التنبيه عليها
في شرحي هذا ان شاء الله تعالى فلما كان كذلك افرغت وسعي
في ترتيبه على الابواب الفقهية ثم في حل ما اشتمل عليه ذلك
المسند من رواية الحصكفي من الاحاديث وتوضيح مشكلها ورفع
مرسلها ووصل منقطعها وبيان من اخرجها من الائمة المشهورين

بالضبط

بالضبط والاتقان كاصحاب الكتب الستة وغيرهم من الائمة الحفاظ
النقاد ذي التصانيف المشهورة التي يعتني باخذها المشايخ كمسند
الشافعي واحمد والدارمي وموطا مالك وسنن الدارقطني والبيهقي
والمعاجم الثلاثة للطبراني ومسند البزار وابي يعلى الموصلي وغيرها
من المسانيد المشهورة وقد بالغت في ايراد المتابع للامام في كل حديث
ظفرت به حتى لا يتوهم بان الامام رح قد تفرد برواية هذا
الحديث عن شيخه ومهما لم اظفر بالمتابع ووجدت ذلك الحديث
المروي موجودا في احد الدواوين المذكورة نبهت عليه واوردت
ما ظفرت به من الشواهد في حديث الباب وتكلمت في المسائل الخلافية
بقدر طاقتي والله تعالى ولي التوفيق ولما كان ابتداء شروعي
له في مكة المشرفة سميته بالمواهب اللطيفة في الحرم المكي على
مسند الامام ابي حنيفة من رواية الحصكفي جعله الله من الاعمال
المقبولة بين يديه انه ذو الفضل العظيم وابتدأت بحديث
انما الاعمال بالنيات حيث استحب اكثر المصنفين استفتاح
مصنفاتهم به لان الابتداء به تنبيه للطالبين والمصنفين بتخليص
نياتهم وتحسينها واشعار بان الاشتغال بعلم الحديث والتصدي
للتاليف فيه في حكم الهجرة فينبغي ان يكون لله ورسوله حتى يصير
مقبولا وسماه بعضهم طليعة كتب الحديث على ان عمر بن الخطاب
رض خطب به على المنبر فما صلح ان يخطب به في المنابر صلح ان
يجعل خطبة في الدفاتر وقال الزبير بن بكار في اخبار المدينة
وساق سنده الى محمد بن ابراهيم بن الحرث عن ابيه قال لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعك فيها اصحابه وقدم رجل فتزوج
امرأة كانت مهاجرة فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المنبر فقال يا ايها الناس انما الاعمال بالنية ثلاثا كما ذكره السيوطي
في منتهى الامال فعلى هذا ينبغي الاهتمام الكلي في الابتداء بها

عند الناس مع اضمار الشقاق ونية العلماء اقامة الطاعات ونية اهل
اهل التصوف ترك الاعتماد على ما لا يظهر منهم من العبادات ونية اهل
الحقيقة ربوبية تولت عبودية وانما لكل امرئ ما نوى من مطالب السعداء
وهي الاخلاص عن الدركات السفلى من الكفر والشرك والجهل والمعاصي
والسمعة والريا والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف والفوز بالدرجات
العلى وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحموده
وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته او من مقاصد الاشقياء
وهي اجمالا ما يبعد عن الحق فمن كانت هجرته اي خروجه من مقامه الذي
هو فيه سواء كان استعداده الذي جبل عليه او منزلا من منازل النفس
او مقاما من مقامات القلب الى الله تعالى لتحصيل مراضيه وتحسين
الاخلاق والتوجه الى توحيد الذات والى رسوله باتباع اعماله
واقتفاء اخلاقه والتوجه الى طلب الاستقامة في توحيد الصفات
فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية الالهية من ظلمات الحدوث
والفناء الى دار الشهود والبقاء وتجذبه من حضيض العبودية الى
ذروة القدم ويفنى في عالم اللاهوت ويبقى بالحي الذي لا يموت
ويرجع اليه الانس وينزل محلة القدس بدار القرار في جوار الملك الغفار
واشرقت عليه سبحات الوجه الكريم وحل بقلبه روح الرضى المقيم ووجد
فيها الروح المحمدي واحبابا وعرف انه لم ينو وما ابى ومن كانت هجرته
لدنيا اي لتحصيل شهوة الحرص على المال والجاه او تحصيل لذة شهوة
الفرج فيبقى محجوبا عن الحق في اوطان الغربة وديار الظلمة له نار
الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ولنعم ما قيل

لا تطمئن الى الدنيا وزينتها   قد حان للموت يا ذا اللب ان يأتي
وكن حريصا على الاخلاص في العمل   فانما العمل الزاكي بنيات

وقد ورد في مسند ابي يعلى الموصلي مرفوعا ان الله تعالى يقول للحفظة
يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ

ذلك

ذلك عنه ولا هو في صحيفتنا فيقول انه نواه ونقل ابو القاسم القشيري
قدس الله تعالى سره ان زبيدة رؤيت في المنام فقيل لها ما فعل الله بك
فقالت غفر لي فقيل لها بكثرة عمارتك الابار والبرك والمصانع في طريق
مكة وانفاقك فيها فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله الى اربابه
وانما نفعتنا منه النيات فغفر لي بها فنسألك اللهم موجبات رحمتك
وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز
بالجنة والنجاة من النار فسبحانك اللهم وبحمدك نشهد ان لا اله
الا انت نستغفرك ونتوب اليك امين

كتاب الايمان والاسلام

الكتاب مصدر يقال كتب يكتب كتابة وكتابا ومادة كتب دالة على
الجمع والضم ومنها الكتيبة فالمعنى هذا مجموع من الاحاديث الواردة
في الايمان وهو فيما قيل مشتق من الامن وفيه نظر لان الايمان لغة
التصديق ولتباين مدلول الامن ومدلول التصديق الا اذا لوحظ
فيه معنى مجازي فيقال امنه اذا صدقه اي امنه التكذيب والايمان
شرعا تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن ربه وهذا القدر
متفق عليه ثم وقع الاختلاف هل يشترط مع ذلك مزيد امر من جهة
ابداء هذا التصديق باللسان المعبر عما في القلب اذ التصديق من
افعال القلوب او من جهة العمل بما صدق به من ذلك كفعل المأمورات
وترك المنهيات فالذي عليه الاكثرون واختاره المحققون وذهب
اليه الاشعري انه مجرد تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه
به بالضرورة تفصيلا في الامور التفصيلية واجمالا في الاجمالية
تصديقا جازما ولو لغير دليل حتى يدخل ايمان المقلد فهو صحيح
على الاصح لانه صلى الله عليه وسلم قبل الايمان من غير تفحص عن الادلة
العقلية وذهب غيرهم الى انه عمل القلب واللسان معا فقيل الاقرار
شرط لاجراء الاحكام لا لصحة الايمان فيما بين العبد وربه قال النسفي
وهذا هو المروي عن ابي حنيفة واليه ذهب ابو منصور الماتريدي

بداية كتاب الايمان من نسخة - هـ -

وهذا فيه اشعار بان ابواب النار مغلقة لامرين الاول ان لا يخرج من لهبها ولا ينجو ومن حرها الذي لا يستحقها والثاني انه يشتد الضرام مع غلق الباب فيشتد به العذاب على من كان فيها اعاذنا الله تعالى منها ومن جميع الحالات تفضلا منه امين وفيه اشارة الى ان مالكا مقره انما يكون من داخل الباب اما لاشتغاله اي فيها او ان ذلك من شان الحجاب وتؤيده ما جاء من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت الحديث وهكذا في حديث المعراج ان جبريل قال لخازن السموات افتح قال من هذا قال جبريل الحديث فلو كان الحاجب من خارج لما كانت هناك حاجة الى السؤال والله اعلم فيخرج اليه مالك فيقول جبريل عليه السلام ان الله تبارك وتعالى يقول اخرج العبد الذي ينادي بالحنان المنان فيدخل مالك في النار فيطلبه اي يتصفح في طبقات النار وينظره في مظانها فلا يوجد وان مالكا جملة حالية معناه ان مالكا مع كمال تطلبه له وكمال معرفته حيث هو اعرف باهل النار من الام باولادها يعني ان الام ربما تعجز معرفتها الاولاد بالنسبة الى مالك فانه اعرف منها باهل النار مع كمال معرفته بمقر كل منهم لا يمكنه تحصيل ذلك ولا الاطلاع عليه بسبب ما سياتي من اعتذاره من شدة ضرام النار فيرجع مالك فيقول لجبريل ان جهنم زفرت زفرة بالزاي والفاء اي غلت غليانا شديدا لا اعرف الحجارة من الحديد ولا الحديد من الرجال بناء على ان الاصنام المتخذة من الحديد على صورة الرجال تعذب معهم في النار كما حرق الرجال وكذلك الحجارة المنحوتة التي قد اتخذت اصناما فقد صارت محرقة فلا يقدر على تمييز الجمادات من الحيوانات لتشابه صورها فيرجع جبريل عليه السلام فيه اشارة الى ان الرسول اذا رجع من المرسل اليه من غير ان يكثر عليه في تحصيل ما بعث له حتى يصبح جبريل بين يدي عرش الرحمن ساجدا فيقول الله تبارك وتعالى ارفع راسك يا جبريل لم تجيء بعبدي اي اسالك ان من شانك ان ترجع صفر اليد بل مع كمال شفاعتك فيه وشدة شفقتك عليه فيقول يارب ان مالكا يقول ان جهنم قد زفرت زفرة لا اعرف الحجارة من الحديد ولا الحديد من الرجال فيقول الله عز وجل قل لمالك ان عبدي

ما يعذره به فيما جاء له حيث كان الرجوع الى المرسل واخباره له بما عذره المرسل اليه صح

في قعر كذا وكذا فيه اشارة الى ان فيها قعورا متعددة وقد جاء في بعض قعورها ما اخرجه البزار والطبراني عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان حجرا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفا قبل ان يبلغ قعرها فيفهم من حديث الباب ان سطوح ارضها متفاوتة بعضها اسفل من بعض في سكر كذا وكذا المراد منه المواضع الخفية التي لا تدرى بانها مواضع وكثيرا ما يتخذها بعض من اعتنى في بناء داره مثل ذلك وفي رواية كذا وكذا من زوايا جهنم فيدخل جبريل اي يرجع جبريل الى مالك حتى يدخل في فناء جهنم ويدق الباب فيخرج اليه مالك فيخبره جبريل بذلك اي بما قال الله تبارك وتعالى من الحدود وانه فيدخل مالك الى تلك المواضع التي اخبر بوجوده فيها فيجده كانه لا يبالي به بشيء منكوسا اي مجعولا راسه الى اسفل ورجلاه الى فوق مشدودا اي بالسلاسل والاغلال ناصيته اي مقدم راسه الى قدميه ومشدودة يداه الى عنقه واجتمعت عليه الحيات والعقارب وقد جاء في صفة حيات جهنم وعقاربها ما اخرجه احمد والطبراني عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في النار حيات كامثال اعناق البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وان في النار عقارب كامثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها اربعين سنة فيجذبه اي يجذب مالك ذلك الرجل جذبة تنشر يده حتى تسقط عنه الحيات والعقارب المتعلقة به ثم يجذبه جذبة اخرى حتى تنقطع منه السلاسل والاغلال فيه اشارة الى عظم قوة مالك بان السلاسل والاغلال تنقطع بمجرد جذبة ثم يخرجه مالك من النار فيصيره من التصيير بالتخبيه بعد الصاد المهملة اي يلقيه مالك في ماء الحياة ليزول عليه اثر ما كان فيه وفيه اشارة الى ان مالكا يتولى هذا الامر وهذا بخلاف ما كان يفهم من الاحاديث السابقة فان فيها ان النهر الذي يلقى فيه من يخرج من النار ليزول عنهم السواد بسببها انما هو نهر بافواه الجنة او بباب الجنة وفيه اشارة ايضا

نموذج زيادات في نسخة -هـ-

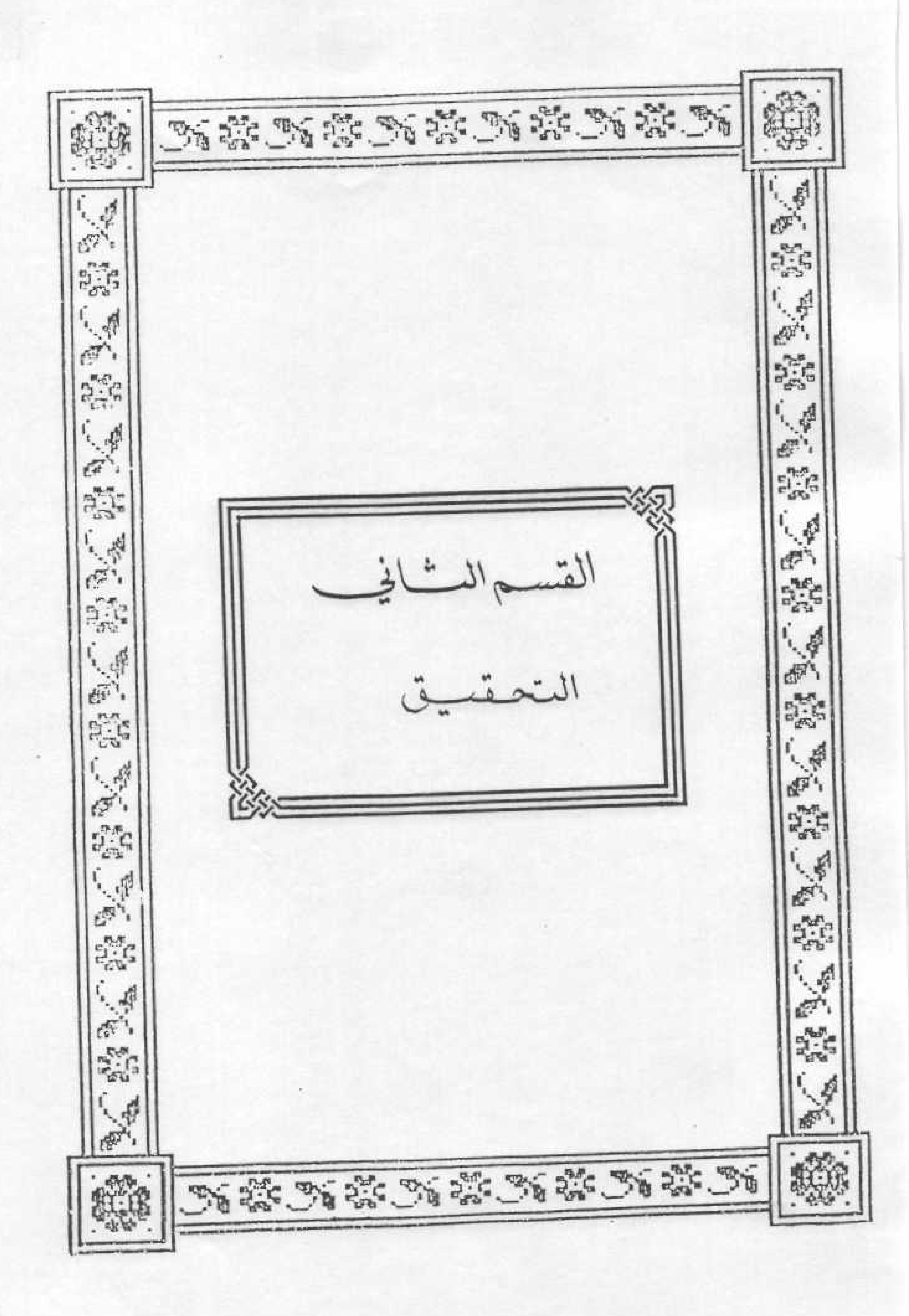
كقوله تعالى لا ينظر اليهم ورابعها نظر الرؤية كقوله تعالى ينظرون اليك نظر المغشي عليه
من الموت والثلاثة الاولى غير مرادة اما الاول فلان الاخرة ليست دار الاستدلال
واما الثاني فلان الانتظار انما هو مشوش ومكدر والاية خرجت مخرج الامتنان والبشارة
واهل الجنة لا ينتظرون شيئا لانهم مهما خطر لهم شيء اتوا به واما الثالث فلا يجوز لان
المخلوق لا ينعطف على خالقه تبارك وتعالى فلم يبق الا نظر الرؤية واتضح الى ذلك ان النظر
اذا ذكر مع الوجه انصرف الى نظر العينين اللتين في الوجه ولانه هو الذي يتعدى بالى كقوله
تعالى ينظرون اليك واخرج ابو العباس السراج في تاريخه عن الحسن بن عبد العزيز الجروي
وهو من شيوخ البخاري سمعت عمرو بن ابي سلمة يقول سمعت مالك بن انس وقيل له
يا ابا عبد الله قوله تعالى الى ربها ناظرة يقول قوم الى ثوابه فقال كذبوا فاين هم عن
قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فاندفع ما فسروا به النظر والاصل عدم
التقدير وايد منطوق الاية في حق المومنين بمفهوم الاية الاخرى في حق الكافرين
واما تمسكهم بحديث جبريل فهو صحيح فان النفي فيه انما وقع على رؤيته تعالى في الدنيا لان
العبادة خاصة بها فلو قال قائل ان فيه اشارة الى جواز الرؤية في الاخرة لما بعد
واما قولهم ان من شرط المرئي ان يكون في جهة الخ فغير مسلم لانهم ينزلون الله تعالى
منزلة المبصرات الواقعة في الدنيا وهو تعالى وتقدس ليس كمثله شيء وصفات الخالق
لا تقاس على صفات المخلوقين فيجب الايمان باصل الرؤية وتفويض الامر في كيفيتها
الى الله تعالى فلا تظهر لنا الا ذلك اليوم ان شاء الله وهذا هو الجواب عن قولهم ان
كون المرئي محدثا وحالا في محل ذلك انما هو قياسات عقلية والقياس في مثل
هذا لا يجدي لانه شتان بين المقيس والمقيس عليه فافهم واما قوله تعالى لا
تدركه الابصار فانما المراد منها الابصار الدنيوية ولا كلام في الابصار الاخروية
ويمكن ان يقال ان نفي الادراك لا يستلزم نفي الرؤية لامكان رؤيته تعالى من
غير احاطة بحقيقته والاحسن من ذلك ان يقال ان يقال ان الاية انما افادة
سلب العموم اي لا تدركه كل الابصار وانما تدركه بعضها وهذا عين ما نعتقده
ونقول به ان شاء الله تعالى فان الكفار لا يرونه اصلا وهذا بخلاف ما يستفاد
من قوله وهو يدرك الابصار اي كلها فانها لاثبات العموم واما تمسكهم بقوله
تعالى لن تراني فكذلك يحمل على الدنيا كما جاء فيما اخرجه الطبراني عن ابي امامة
مرفوعا انكم لن تروا ربكم عز وجل حتى تموتوا فانه صفة اشكال لانهم وتقرر
ان

ان الايمان بالرؤية واجب لما نصت عليه الاية والاحاديث الكثيرة التي لا تقصر عن درجة
التواتر والمعنى انه يحصل النظر بان ينكشف انكشافا تاما بالبصر منزها عن المقابلة
والجهة والهيئة فهي امر زائد على صفة العلم الاترى ان الله تعالى يرانا بالاتفاق مع
تنزه عن جهة منه ولا في مكان ولا مسافة بيننا وبينه فالحاصل ان رؤيتنا له تعالى
ان شاء الله تكون على وجه خارق للعادة من غير اعتبار المقابلة لهذه الحالة البصرية
وليكن هذا اخر كلامنا في هذه المسألة والله الهادي الى سواء الصراط

كتاب العلم

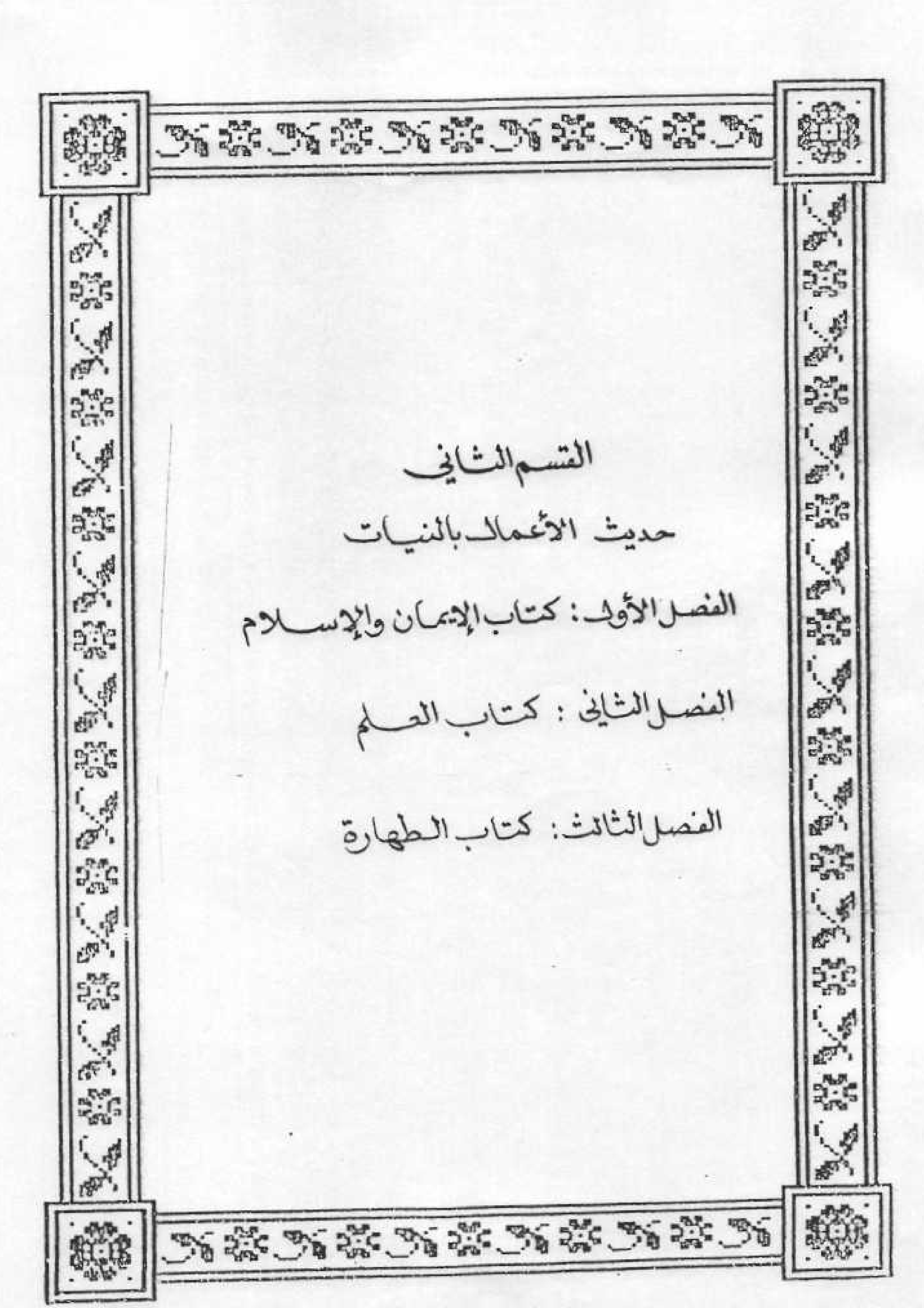
مذهب الكثير من المحققين ان العلم لا يحد لوضوحه وفيما احد عشر حديثا الحديث
الاول ابو حنيفة تابعه في رواية هذا الحديث عن حماد ابن ابي سليمان عثمن بن
عبد الرحمن القرشي وعثمن هذا قال البخاري مجهول ولا يقبل من حديث حماد الا ما روى
عنه القدماء كشعبة وسفيان الثوري قال الهيثمي ومن عدا هولاء رووا عنه
بعد الاختلاط انتهى قلت وقد روى عنه هذا الحديث الامام ابو حنيفة ولا
شك انه اقدم من شعبة وغيره عن ابي وائل واسمه شقيق ابن سلمة الاسدي
مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام وادرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره ولم
يسمع منه قال كنت قبل ان يبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عشر حجج ارعى
غنما لاهلي بالبادية روى عن الخلفاء الاربعة وسعد ابن ابي وقاص ومعاذ وابي
موسى الاشعري والبراء بن عازب وابي هريرة واسامة وعائشة وام سلمة وجرير
ابن عبد الله وابي مسعود الانصاري وكعب بن عجرة وحذيفة وابن مسعود
وكان خصيصا به ومن اكابر اصحابه وهو كثير الحديث ثقة ثبت حجة
مات في زمن الحجاج وقيل في ايام عمر بن عبد العزيز وقيل سنة سبع وتسعين وكان
له خص من قصب وكان يكون فيه هو وفرسه فاذا غزا نقضه وتصدق به واذا
رجع انشا بناه وكان يقول ان بيتا يضعون على مائدتهم خبزا من حلال لاهل
بيت غربا قال سعيد بن صالح كان ابو وائل يوم جنازته وهو ابن مائة وخمسين
سنة عن عبد الله ابن مسعود وسياتي ذكره في كتاب المناقب ان شاء الله تعالى
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم
العلوم لا تخلو اما يكون تحصيلها فرض عين او فرض كفاية ثم اختلفوا فيما هو

بداية كتاب العلم في نسخة هـ-



القسم الثاني

التحقيق



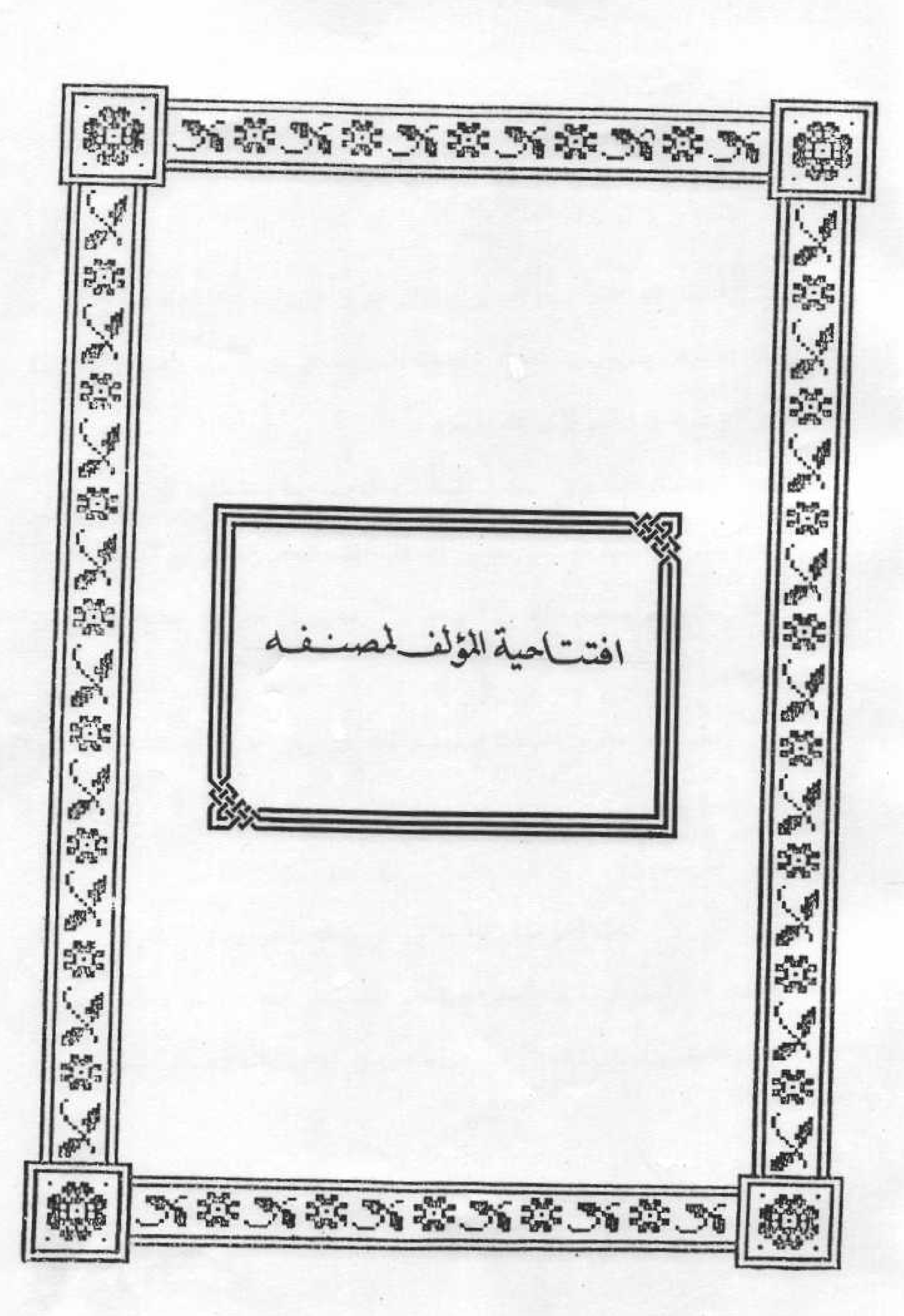
القسم الثاني

حديث الأعمال بالنيات

الفصل الأول: كتاب الإيمان والإسلام

الفصل الثاني: كتاب العلم

الفصل الثالث: كتاب الطهارة


افتتاحية المؤلف لمصنفه

الافتتاحية

الحمد لله الذى شرح صدور العارفين بذكره وألبسهم رداء لطفه وبره وكساهم حلل الافضال وعمهم بمزيد النوال فسبحانه الذى تعالى عن الاشباه والنظائر وتقدس من أن تدركه الخواطر أو تلحظه البصائر .

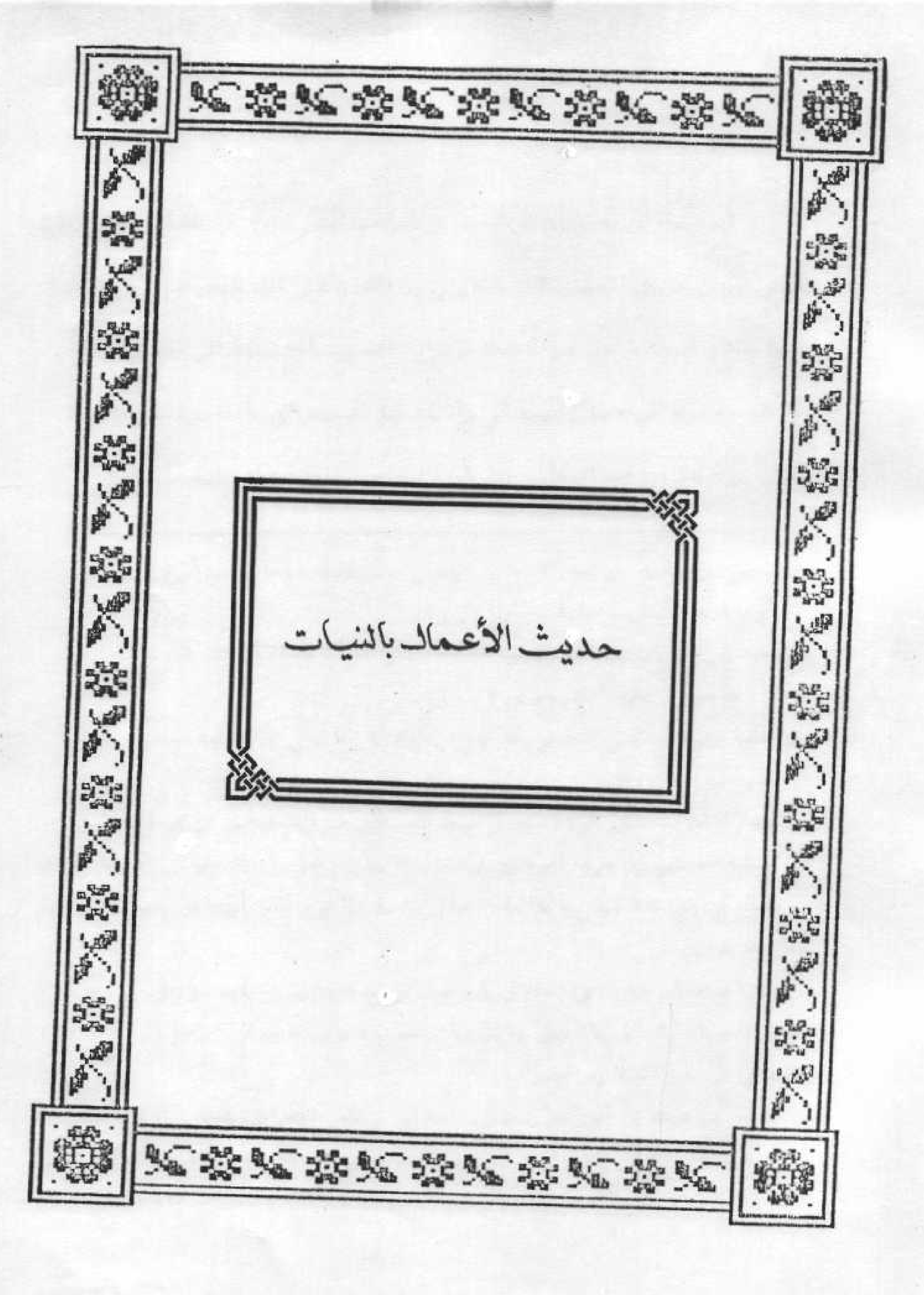
والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الانبياء وتاج الاصفياء أفخر من بعث لنشر الشرائع الحنيفية وأرسل لتوضيح المسالك السوية وعلى آله أكرم من استفاد به الفضل والمفاخر ، وصحبه الذين اقتبسوا من أشعة مصباح هدايته شعاع فيضه الباطن والظاهر .

صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم ماضحك برق وبكى غمام وتوالت الليالي والايام آميـــن .

أما بعد :

فيقول أفقر عباد الله تعالى الى رحمته وأحوجهم الى مغفرته انـي لما رأيت شرح الشيخ العلامة والبحر الفهامة ، الشيخ علي القارى° على مسند مولانـا الامام الاعظم والهمام الاقدم (أبي حنيفة النعمان) من رواية الحصكفي مختصرا جدا

وربما عرضت فيه مجالات لم يقم بشرحها ولعل السبب في ذلك عدم صحة نسخة المتن وكنت وجدت نسخة من جامع المسانيد للخوارزمي وقد كانت الارضة أكلت منه شيئا كثيرا فلم أجد منه نسخة صحيحة وعلى كل حال أردت أن أتكلم على شيء من أحاديثه لعلي أن أستفيد به والله تعالى ولي التوفيق .



حديث الأعمال بالنيات

حديث : الأعمال بالنيات

أبو حنيفة عن يحيى (١) عن محمد بن ابراهيم التيمي (٢) عن علقمة بن وقاص

الليثي (٣) عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الاعمال

بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله

ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه (٤) تابعه

سفيان بن عيينة (٥) عند البخارى (٦) وأبي داود (٧) ومالك (٨) عند البخـــارى

١- يحيى بن سعيد بن قيس الانصارى المدني ، من الخامسة مات سنة أربع وأربعين أو بعدها . تقريب التهذيب : ٢ / ٢٤٨ .

٢- محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي . أبو عبدالله ، ثقة مات سنة (٢٠) على الصحيح . تقريب التهذيب : ٢ / ١٤٠ .

٣- علقمة بن وقاص الليثي المدني ثقة ثبت من الثانية ، مات في خلافة عبدالملك . تقريب التهذيب : ٢ / ٣١ .

٤- هذا الحديث متفق على صحته ، أخرجه الشيخان في الصحيحين عن عبدالله بن مسلمة القعنبي ، أخرجه البخارى في كتاب الايمان والنذور باب النية في الايمان ومسلم في كتاب الامارة ، باب انما الاعمال بالنية ، وأخرجاه من أوجه عن يحيى بن سعيد الانصارى .

كما أخرجه أبو داود في الطلاق باب فيما عني به الطلاق والنيات ، والترمذى في فضائل الجهاد باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا ، وابن ماجه في الزهد باب النية . والنسائي في باب النية في الوضوء .

٥- سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي . ثقة حافظ امام حجة . الا أنه تغير حفظه بآخره . وكان ربما دلس . لكن عن الثقات . مات سنة ٩٨ هـ تقريب التهذيب : ١ / ٣١٢ .

ومسلم (١) والنسائي (٢) وحماد بن زيد (٣) عند البخارى ومسلم وعبد الوهاب الثقفي (٤)

=====

٦- هو أبو عبد الله البخارى ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي ، جبل الحفظ . وامام الدنيا ، ثقة الحديث ، مات سنة ٦ ٥ من الحادية عشرة .
تقريب التهذيب : ٢/١٤٢ .

٧- أبو داود . هو سليمان بن الاشعث الازدى نسبه الى قبيلة يمنية . السجستاني نسبة الى مدينة سجستان بخراسان . المتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ وأول من صنف السنة . الرسالة المستطرفة : ١١ .

٨- مالك بن أنس بن مالك الاصبحي . المدني . الفقيه . امام دار الهجرة . رأس المتقين وكبير المثبتين . من السابعة مات سنة ٧٩ . تقريب التهذيب : ٢/٢٢٣ .

١- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، ثقة حافظ امام ، مصنف ، عالم الفقه ، مات سنة ٩١ ، وله سبع وخمسون سنة . تقريب التهذيب : ٢/٢٤٥ .

٢- النسائي . هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن دينار . نسبة الى نسا مدينة بخراسان ، المتوفى بالرملة من أرض فلسطين سنة ٣٠٣ هـ وله ٨٨ سنة صاحب السنن . الرسالة المستطرفة : ١١ .

٣- حماد بن زيد بن درهم الازدى الجهضمي ، ثقة ثبت فقيه ، قيل انه كان ضريرا ولعله طرأ عليه ، من كبار الثامنة .
مات سنة تسع وسبعين . وله احدى وثمانون سنة . تقريب التهذيب : ١/١٩٧ .

٤- عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي . أبو محمد البصرى ، ثقة تغير قبل موته بثلاث سنين . من الثامنة مات سنة ١٩٤ هـ . تقريب التهذيب : ١/٥٢٨ .

عند البخاري ومسلم والترمذى (١) وسليمان بن حيان (٢) عند مسلم وكذلك حفص بن غياث (٣) ويزيد بن هارون (٤) وتابعه الليث (٥) عند ابن ماجه (٦) وابن المبارك (٧)

١- الترمذى : هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي نسبة الى بني سليم . الترمذى نسبة الى ترمذ في بلخ . المتوفي سنة تسع وقيل خمس وسبعين ومائتين . صاحب الجامع الكبير ويسمى السنن أيضا . الرسالة المستطرفة : ١١ .

٢- سليمان بن حيان الازدى ، أبو خالد الاحمر . الكوفي . صدوق . يخطئ ، من الثامنة ، مات سنة تسعين ، أو قبلها وله بضع وسبعون . تقريب التهذيب : ٣٢٢/١

٣- حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي ، أبو عمر الكوفي . ثقة فقيه ، تغير حفظه قليلا في الآخر . من الثامنة مات سنة أربع أو خمس وتسعين ، وقد قارب الثمانين . تقريب التهذيب : ١٨٩/١ .

٤- يزيد بن هارون بن زاذان ، السلمي مولاهم ، أبو خالد الواسطي . ثقة متقن . عابد من التاسعة ، مات سنة ست ومائتين . وقد قارب التسعين . تقريب التهذيب : ٣٧٢/٢ .

٥- الليث : هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، أبو الحارث ، المصرى ، ثقة ثبت فقيه امام مشهور من السابعة ، مات سنة ١٧٥ هـ . تقريب التهذيب : ١٢٨/٢ .

٦- ابن ماجه ، هو أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه وهو لقب أبيه المتوفي سنة ٢٧٣ أو ٢٧٥ . هـ صاحب السنن التي كملت الكتب الستة أو السنن الاربعة . الرسالة المستطرفة : ١١ .

٧- ابن المبارك . هو عبد الله بن المبارك المروزى مولى بني حنظلة . ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد .
جمعت فيه خصال الخير من الثامنة ، مات سنة ١٨١ . هـ . تقريب التهذيب : ٤٤٥/١ .

عند مسلم والنسائي . كلهم عن يحيى بن سعيد . رووا هذا الحديث خلائق لا يحصون كثرة منهم سفيان الثورى (١) وحماد بن سلمة (٢) ويحيى بن سعيد القطان (٣) وأبو خالد الاحمر (٤) قال أبو سعيد محمد بن علي الخشاب (٥) الحافظ روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد بن قيس الانصارى نحو مائتين وخمسين رجلا (٦) وقال الحافظ ابو

١- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد امام حجة ، من رؤوس الطبقة السابعة . وكان ربما دلس ، مات سنة ١٦١هـ .
تقريب التهذيب : ٣١١/١.

٢- حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، أبو سلمة ، ثقة عابد أثبت الناس وتغير حفظه بآخرة . من كبار التاسعة ، مات سنة سبع وستين .
تقريب التهذيب : ١٩٧/١.

٣- هو يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي أبو سعيد القطان البصرى ، ثقة متقن حافظ امام قدوة من كبار التاسعة . مات سنة ١٩٨هـ .
تقريب التهذيب : ٣٤٨/٢.

٤- أبو خالد الاحمر : هو سليمان بن حيان الذى سبق الترجمة له .

٥- أبو سعيد محمد بن علي بن محمد الخشاب ، أصبهاني ، من أهل نيسابور المتوفى سنة نيف وأربعمائة وخمسين هجرية .
الانساب للسمعاني : ٢٦٦/١.

هذا وقد ذكر ابن حجر في فتح البارى فحكى محمد بن علي بن سعيد النقاش الحافظ أنه رواه عن يحيى مائتان وخمسون نفسا وسرد أسماءهم أبو القاسم ابن منده .
فتح البارى ، لابن حجر: ٨/١.

٦- انظر : فتح البارى ، لابن حجر : ٨/١.

موسى الاصبهاني (١) سمعت الحافظ أبا مسعود عبد الجليل بن أحمد (٢) يقول في المذاكرة قال الامام أبو عبد الله الانصاري (٣) كتب هذا الحديث عن سبعمائة نفر من أصحاب يحيى بن سعيد ، قال الحافظ بن حجر في الفتح وأنا أستبعد صحة هذا فقد تتبعت طرقه من الروايات المشهورة والاجزاء المنشورة منذ طلبت الحديث الى وقتي هذا فما قدرت على تكميل المائة وقد تتبعت طرق غيره فزادت على ما نقل عن من تقدم انتهى (٤) .

فهذا الحديث مشهور باعتبار وفرد غريب باعتبار آخر . فان مداره على يحيى بن سعيد الانصاري . الذى روى عنه الامام الاعظم (رحمه الله) فليس بمتواتر كما تظنه

١- الحافظ أبو موسى : هو محمد بن عمر بن أحمد بن عمر الاصبهاني . المدني صاحب التصانيف المفيدة منها سداسيات التابعين ، توفي بأصبهان ٥٨١ هـ الرسالة المستطرفة : ١٠٤ .

٢- أبو مسعود عبد الجليل بن أحمد . هو كوتاه أبو مسعود عبد الجليل بن محمد بن عبد الواحد الاصبهاني الملقب بكوتاه . ربما تصحيف من المصنف في النقل فأورد أحمد بدل محمد يقول الحافظ ابو موسى المديني عنه . حدثنا لفظا وحفظا على منبر وعظه سنة سبع عشرة . المتوفى سنة ٥٥٣ هـ بأصبهان . تذكرة الحفاظ، للذهبي : ٤/ ١٠٨٩

٣- هو أبو اسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن مت الانصاري الهروى المعروف بشيخ الاسلام. المتوفى ٤٨١ هـ وصاحب كتاب منازل السائرين وليس أبو عبد الله كما ذكر المصنف . انظر كذلك عمدة القارئ للعيني : ١/ ٢٠ ، والرسالة المستطرفة : ٤٠ .

٤- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ١/ ٨ .

العامـــة ،قال الحافظ(١) : لا يصح هذا الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) الا من جهة علقمة ولا عن علقمة الا من جهة محمد بن ابراهيم ولا عن محمد الا من جهة يحيى بن سعيد . وعنه انتشر فرواه عنه أئمة معروفون . قال : وانما ذكرت هذا لانــه قد يخفى على بعض من لا يعاني الحديث فيتوهم أنه متواتر لشدة شهرته ، وعدم معرفته لفقد شرط التواتر في أوله (٢) .

قال ابن الملقن (٣)وقد توبع علقمة فانه روى عمر ابنه عبد الله (٤)وجابر(٥) وأبو جحيفة (٦) . وعبد الله بن عامر بن ربيعة (٧) .

١-الحافظابن حجر العسقلاني ، صاحب الفتح .

٢-انظر فتح الباري : ١/٨.

٣-ابن الملقن : هو سراج الدين أبو حفص ،عمر بن نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الله الانصارى الاندلسي . المصرى الشافعي . المعروف بابن الملقن الحافظ المشهور المتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٤ هـ صاحب كتاب تحفة الاشراف علـــى الاطراف . (الرسالة المستطرفة : ١٢٨ .

٤-عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى . ولد بعد البعثة بقليل ،وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة . وأشد الناس اتباعاللأثر مات في آخر ٧٣ هـ أو التـي تليها . تقريب التهذيب : ١/٤٢٥.

٥-جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى السلمي ،صحابي . مات بعد السبعين تقريب التهذيب : ١/١٢٢.

٦-أبو جحيفة هو وهب بن عبد الله السّوائي . يقال اسم أبيه وهب الخير صحابي معروف وصحب عليا . مات سنة ٧٤ هـ . تقريب التهذيب: ٢/٣٣٨.

٧- هو عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزى ،أبو محمد المدني ،ولد على عهد النبـي (صلى الله عليه وسلم) ،ولابيه صحبة مشهورة ، ووثقه العجلي . مات سنة بضع وثمانين . تقريب التهذيب : ١/٤٢٥.

وذو الكلاع (١) وعطاء بن يسار (٢) ناشره ابن سي (٣) وواصل بن عمرو الجذامي (٤)

ومحمد بن المنكدر (٥) وتابع التيمي سعيد بن المسيب (٦) ونافع مولى بن عمر (٧)

وتابع يحي بن سعيد على روايته عن التيمي محمد بن محمد بن علقمه أبو الحسن

الليثي (٨) .

١- ذو الكلاع : هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سليمان بن حسان الحميدى الكلاعي نسبة الى قبيلة ذى الكلاع الحميرية . الحافظ محدث الاندلس . توفي شهيدا ٦٣٤ هـ ، صاحب السيرة . الرسالة المستطرفة : ١٦١ .

٢- هو عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني . ثقة فاضل صاحب مواعظ . وعبادة من صغار الثالثة مات سنة ١٠٣ هـ وقيل بعد ذلك . تقريب التهذيب : ٢ / ٢٣ .

٣- ناشره بن سي اليزني ، المصرى ، عن معاذ وعمر وعنه علي بن رباح وعبد الرحمن بن عائذ ، ثقة . من الثانية . تقريب التهذيب : ٢ / ٢٩٤ ، والكاشف للذهبي : ٣ / رقم ٥٨٧١ .

٤- واصل بن عمرو الحذامي . لم أعثر على ترجمته .

٥- هو محمد بن المنكدر بن عبد الله الهدير التيمي . المدني ، ثقة فاضل ، مات سنة ١٣٠ هـ أو بعدها . تقريب : ٢ / ٢١٠ .

٦- هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن مخزوم القرشي . أحد العلماء الاثبات . الفقهاء الكبار . من الثانية . اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل ، مات بعد التسعين . تقريب التهذيب : ١ / ٣٠٥ .

٧- هو نافع مولى بن عمر ، أبو عبد الله المدني . ثقة ثبت فقيه ، مشهور . من الثانية مات سنة ١١٧ هـ أو بعد ذلك . تقريب التهذيب : ٢ / ٢٩٦ .

٨- أبو الحسن . شيخ لشعبة . قال أبو حاتم مجهول . من السادسة . وقال النسائي يحتمل أن يكون محمد بن عمرو بن علقمة أو مهاجر . ورجح الثاني الباغندى فيما حكاه ابن عدى . تقريب التهذيب : ٢ / ٤١٢ .

وداود بن أبي الفرات (١) ومحمد بن اسحاق بن يسار (٢) وحجاج بن أرطأة (٣) وغيرهم .

قال ابن مندة (٤) الحافظ في جمعه لطرق هذا الحديث رواه عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) غير عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص (٥) وعلي بن أبي طالب ، وأبو سعيد الخدري (٦) وعبد الله بن مسعود (٧) . وعبد الله بن عمر وأنس (٨) .

١- هو داود بن أبي الفرات . الكندي ، المروزي . ثقة من الثامنة . تقريب التهذيب : ٢٣٤/١ .

٢- هو محمد بن اسحاق بن يسار . أبو بكر المطلبي مولاهم . المدني نزيل العراق صدوق رمي بالتشيع والقدر . من صغار الخامسة . مات سنة ١٥٠ هـ وقيل بعدها تقريب التهذيب : ١٤٤/٢ .

٣- حجاج بن أرطأة . بن ثور بن هبيرة . النخعي . أبو أرطأة الكوفي القاضي . أحد الفقهاء صدوق كثير الخطأ والتدليس . من السابعة مات ١٤٥ هـ . تقريب التهذيب : ١٥٢/١ .

٤- هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق بن محمد بن مندة . العبدي مولاهم الاصفهاني . المتوفي . سنة ٤٧٠ هـ صاحب المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الناس للمعرفة . وكثيرا ما ينقل ابن حجر من مستخرجه ويقول ذكر ابن مندة في مستخرجه وتارة يقول في تذكرته . الرسالة المستطرفة : ٢٨ .

٥- سعد بن أبي وقاص . أحد المبشرين بالجنة . ومناقبه كثيرة . مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور . وهو آخر العشرة وفاة . تقريب التقريب : ٢٩٠/١ .

....

وابن عباس (١) ، ومعاوية (٢) وأبو هريرة (٣) وعبادة بن الصامت (٤) وعتبة بن عبد

السلمي (٥) وهلال بن سويد (٦) وعقبة بن عامر (٧) وجـــابر بن عبـــد اللـه

........٦- أبو سعيد الخدري . سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الانصاري له ولأبيه الصحبة ، روى الكثير ومات بالمدينة . سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيـل ٧٤ .هـ تقريب التهذيب : ١/ ٢٨٩ .

٧- هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي . أبو عبدالرحمن . صحابي من كبار العلماء . مناقبه جمة . أمره عمر على الكوفة . مات سنة ٣٢ .هـ أو التي بعدها . تقريب التهذيب : ١/ ٤٥٠ .

٨- هو أنس بن مالك الانصاري الخزرجي . خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مشهور مات سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين . تقريب التهذيب : ١/ ٨٤ .

١- هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . يسمى بالبحر والحبر لسعة علمه . مات سنة ٦٨ .هـ بالطائف أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . تقريب التهذيب : ١/ ٤٢٥ .

٢- هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية الاموي . صحابي مات سنة ٦٠ .هـ . تقريب التهذيب : ٢/ ٢٥٩ .

٣- أبو هريرة : اختلف في اسمه قيل عبدالرحمن وقيل ابن غنم وابن عامر وقيل عبدالله بن عائذ وقيل مات ٥٩ .هـ وهو صحابي . دوسي . تقريب التهذيب : ٢/ ٤٨٤

٤- عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي . أحد النقباء . بدري مشهور مات بالرملة سنة ٣٤ .هـ . وقيل عاش الى خلافة معاوية . تقريب التهذيب : ١/ ٣٩٥

٥- عتبة بن عبدالسلمي . أبو الوليد . صحابي مشهور . مات سنة ٨٧ .هـ . ويقال بعد التسعين . تقريب التهذيب : ٢/ ٥ .

٦- هلال بن أبي هلال ويقال ابن أبي مالك واسم أبيه ميمون ويقال سويد ويقال زيد أبو ظلال القسي البصري الاعمى . قال ابن معين : ضعيف وقال البخاري : مقارب الحديث . تهذيب التهذيب : ١/ رقم ١٤٢ .

٧- عقبة بن عامر الجهني . صحابي مشهور . كان فقيها فاضلا مات في قرب الستين تقريب التهذيب : ٢/ ٢٧ .

وأبو ذر (١) وعتبة بن المنذر (٢) وعقبة بن مسلم (٣) رضي الله تعالى عنهم (٤) .

أما ما خرّجه البزار (٥) حيث قال : لا نعلم يروى هذا الكلام إلا عن عمر بن الخطاب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهذا الاسناد . وكذا ابن السكن (٦) في كتابه المسمى بالسنن الصحاح . وكذا الترمذى والنسائي وحمزة بن محمد الكناني (٧) فانما هو من قبيل أن طرق هذه الروايات غير صحيحة والغالب

١- أبو ذر الغفارى الصحابي المشهور . اسمه جندب بن جنادة على الاصح وقيل بريد تأخرت هجرته . مناقبه كثيره . مات سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان . تقريب التهذيب : ٢/ ٤٢٠ .

٢- عتبة بن المنذر السلمي . صحابي شهد فتح مصر . وسكن دمشق مات سنة ٨٤ هـ تقريب التهذيب : ٢/ ٥ .

٣- عقبة بن مسلم التّجيبي . أبو محمد البصرى . امام جامع ثقة . من الرابعة مات قريبا من سنة ١٢٠ هـ . تقريب التهذيب : ٢/ ٢٨ .

٤- انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعيني : ١/ ٢٠ .

٥- البزار : هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصرى . الحافظ الشهير المتوفى بالرملة سنة ٢٩٢ هـ وله مسندان . الكبير المعلل المسمى بالبحر الزاخر والصغير . الرسالة المستطرفة : ٥٨ .

٦- ابن السكن : هو الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن . البغدادى البصرى . نزيل مصر . المتوفى بها سنة ٣٥٢ هـ صاحب الصحيح المنتقى ويسمى بالسنن الصحاح المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لكنه محذوف الاسانيد . الرسالة المستطرفة : ٢٢ . وانظر : كذلك : عمدة القارى للعيني : ١/ ٢٠ .

٧- هو أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني المصرى الحافظ المتوفى سنة ٣٥٧ هـ له في الحديث جزء البطاقة . رواه عنه أبو الحسن علي بن عمر الحراني . الرسالة المستطرفة : ٧٦ .

عليها اما ضعف في روايتها أو الانقطاع في اسنادها .

وقد ورد في معناه عدة أحاديث صحت في مطلق النية كحديث عائشة (١) وأم سلمة (٢) عند مسلم . يبعثون على نياتهم (٣) . وحديث ابن عباس " ولكن جهاد ونية " (٤) وحديث أبي موسى (٥) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٦) متفق عليها .

وحديث ابن مسعود ، (رب قتيل بين الصفين والله تعالى أعلم بنيته (٧) أخرجه أحمد (٨) .

١- عائشة بنت أبي بكر الصديق . أم المؤمنين . أفقه النساء مطلقا . ماتت سنة ٥٧ هـ . على الصحيح . تقريب التهذيب : ٢/٦٠٦ .

٢- هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن المغيرة . المخزومية أم سلمة أم المؤمنين مات سنة ٦٢ هـ وقيل ٦١ وقيل قبل ذلك والاول أصح . تقريب التهذيب: ٢/ ٦١٧ .

٣- جزء من حديث متفق عليه ، (يغزو جيش الكعبة . . . ثم يبعثون على نياتهم) رواه البخارى في كتاب الحج ، ومسلم في كتاب الفتن .

٤- جزء من حديث متفق عليه (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا) البخارى في كتاب الجهاد والسير ، الباب الاول ج٢ . ومسلم في كتاب الامارة ١٣/٨ .

٥- أبو موسى . هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضّار . الاشعرى . صحابي مشهور أمره عثمان . مات سنة خمسين وقيل بعدها . تقريب التهذيب : ١/ ٤٤١ .

٦- جزء من حديث متفق عليه أورده البخارى في كتاب الجهاد والسير . ومسلم في الامارة .

٧- أخرجه الامام أحمد : ١/ ٣٩٧ ، وهو جزء من حديث (ان أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته) .

٨- هو الامام أبو عبدالله بن حنبل الشيباني المروزى ثم البغدادى المتوفى ببغداد سنة ٢٤١ هـ . وصاحب المسند . الرسالة المستطرفة : ١٧ .

وحديث عبادة (من غزا وهو لا ينوى الا عقالا فله ما نوى (١) الى غير ذلك مما يتعسر حصره .

ثم ان هذا الحديث متفق على صحته أخرجه الائمة المشهورون الا الموطأ . ووهم من زعم أنه في الموطأ بتخريج الشيخين له والنسائي من طريق مالك كما أسلفناه.

(٢) .ويحيى بن سعيد الذى روى عنه الامام رحمه الله . اسم جده قيس بن عمرو وهو صحابي ويحيى من صغار التابعين . قال مالك ما خرج منا أحد الى العراق الا تغير غير يحيى بن سعيد . وقال أحمد: هو أثبت الناس . وقال النووى (٣) :كان أجل عند أهل المدينة من الزهرى (٤) وقال جرير بن عبد الحميد (٥) : لم أر عند المحدثين

١ـ أخرجه النسائي في كتاب الجهاد ـ باب من غزا في سبيل الله ولم ينو من غزاته الا عقالا) الحديث الاول .

٢ـ انظر فتح البارى : ١/ ٧ .

٣ـ النووى : هو يحيى بن شرف بن مرى بن حسن . أبو زكريا النووى الدمشقي وجده الاعلى حزام . له مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث . المتوفى ٦٧٦هـ . رياض الصالحين : ١٣ .

٤ـ الزهرى : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي . المدني صاحب كتاب السيرة . مات سنة خمس أو أربع أو ثلاث وعشرين ومائة . الرسالة المستطرفة : ٨٩ .

٥ـ جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي . نزيل الرّى وقاضيها . ثقة صحيح الكتاب قيل كان في آخر عمره يهم من حفظه . مات سنة ٨٨ هـ تقريب التهذيب : ١/ ١٢٧ .

أنبل منه عندى . ولي قضاء المدينة ثم أقدمه المنصور العراق وولاه القضاء بالهاشمية وبها مات ، وقيل أنه ولي القضاء ببغداد .

قال الخطيب (١) : فليس بثابت مات سنة ١٤٢ هـ وشيخه محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي من أهل الصدق ومن أوساط التابعين . قال ابن سعد (٢) : كان محمد فقيها محدثا وثقة بن معين (٣) وجماعة .

وقال أحمد في حديثه شيء . يروى احاديث مناكير أو قال : منكرة . توفي سنة عشرين ومائة ، وقيل احدى وعشرين ، وقيل تسعة عشر .

وعلقمة بن وقاص الليثي من كبارهم ففي الاسناد أربعة من التابعين مع الاسلام الاعظم على ما قيل أنه أدرك الصحابة في نسق واحد .

وفي المعرفة لابن منده ما ظاهره أن علقمة صحابي . فلو ثبت لكان فيه تابعيان وصحابيان (٤) .

١- الخطيب البغدادى : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت . الحافظ الشهير . صاحب التصانيف المنتشرة . المتوفى ببغداد سنة ٤٦٣ هـ . الرسالة المستطرفة : ٤٥ .

٢- ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم . البصرى . الحافظ صاحب الطبقات الكبرى . المتوفى في بغداد سنة ثلاثين أو خمس وثلاثين ومائتين . الرسالة المستطرفة : ١١٤ .

٣- ابن معين : هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم . أبو زكريا البغدادى . ثقة حافظ مشهور . امام الجرح والتعديل . من العاشرة . مات سنة ثلاث وثلاثين بالمدينة النبوية . وله بضع وسبعون سنة . تقريب التهذيب : ٣٥٨/٢ .

٤- انظر : فتح البارى : ٦/١ .

ثم هذا الحديث استحب العلماء أن يستفتح به المصنفات ،لأنّ الابتداء به تنبيه للطالبين والمصنفين تخليص نياتهم وتحسينها واشعار بأن الاشتغال بعلم الحديث والتصدى للتأليف فيه حكم الهجرة .

فينبغي أن يكون لله ولرسوله حتى يصير مقبولا . وسماه بعضهم طليعة كتب الحديث على أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خطب به على المنبر . فما صلح أن يخطب به في المنابر صلح أن يجعل خطبة في الدفاتر(١) .

وقال الزبير بن بكار(٢) في أخبار المدينة وساق بسنده الى محمد بن ابراهيم بن الحارث عن أبيه قال : لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة وعك فيها أصحابه . وقدم رجل فتزوج امرأة كانت مهاجرة . فجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المنبر فقال : يا أيها الناس (انما الاعمال بالنية) كما ذكره السيوطي (٣) في منتهى الآمال . فعلى هذا ينبغي الاهتمام الكلي في الابتداء بما بدأ به

١- انظر : فتح البارى : ٦/١ .

٢- هو أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت القرشي الاسدى . المدني القاضي . صاحب كتاب أخبار المدينة . توفي سنة ٢٥٦ هـ. الرسالة المستطرفة : ٥٠ .

٣- السيوطي : جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (السيوطي) الشافعي . المتوفى سنة ٩١١ هـ. صاحب المسلسلات الكبرى . والجياد المسلسلات الرسالة المستطرفة : ٧١ .

الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخطب .

ومن ابتدأ به امام الحديث بلا مدافعة أبو عبد الله البخارى في صحيحه ونقل عن جماعات من السلف أنهم كانوا يستحبون افتتاح الكتب بهذا الحديث تنبيها للطالب على تصحيح النية .

وقال الامام أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى (١) من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث وقال : لو صنفت كتابا لبدأت في كل باب منه بهذا الحديث .

وقال الخطابي (٢) : كان المتقدمون من شيوخنا تقديم (يستحبون) هذا الحديث أمام كل شيء ينشأ ويبدأ من الدين لعموم الحاجة اليه في جميع أنواعها .

وقال أبو عبيد(٣) ليس في أخبار النبي (صلى الله عليه وسلم) شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث .

١- عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى مولاهم . أبو سعيد البصرى . ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث . من التاسعة . مات سنة ٩٨ .هـ وهو ابن ثلاث وسبعين . تقريب التهذيب : ٤٩٩/١ .

٢- الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي الخطابي . وسماه بعضهم أحمد وهو غلط . الفقيه الحافظ المشهور . المتوفى سنة ٣٨٨ هـ. وصاحب معالم السنن . الرسالة المستطرفة : ٢٩ .

٣- أبو عبيد : الصحيح أبو عبد الله لان هذا النص والذى قبله منقولة من فتح البارى ٧/١ .

واتفق عبدالرحمن بن مهدى والشافعي فيما نقله البويطي (١) عنه . وأحمد بن حنبل ،وعلي بن المديني (٢) وأبو داود والدارقطني (٣) وحمزة الكناني على أنه ثلث الاسلام .

ومنهم من قال ربعه . واختلفوا في تعيين الباقي . وقال ابن مهدى : يدخل في ثلاثين بابا من العلم .

وقال الشافعي : يدخل في سبعين بابا من العلم . ويحتمل أن يريد بهذا العدد المبالغة .

ووجهه البيهقي (٤) كونه ثلث العلم بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها لانها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها يحتاج اليها . (٥)

ويؤيده ما أخرجه الطبراني (٦) في الكبير عن سهل بن سعد (٧) قال وقال

١- البويطي : يوسف بن يحيى القرشي مولاهم . أبو يعقوب البويطي . ينسب الى بويط في صعيد مصر الشافعي ،ثقة فقيه من أهل السنة . مات في المحنة ببغداد . سنة احدى أو اثنتين وثلاثين . تقريب التهذيب : ٢/٣٨٢ .

٢- علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح . أبو الحسن . ابن المديني . البصرى . ثقة ثبت امام . أعلم أهل عصره بالحديث . من العاشرة مات سنة ٢٣٤ هـ على الصحيح تقريب التهذيب : ٢/٣٩ .

٣- الدارقطني : أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدى . الدارقطني . الشافعي صاحب السنن والعلل أمير المؤمنين بالحديث . المتوفى ٣٨٥ هـ الرسالة المستطرفة : ٢١ .

٤- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى (البيهقي) نسبة الى بيهق قرى مجتمعة بنواحي نيسابور . الشافعي . المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . . .

رسول اللـه (صلى الله عليه وسلم) :(نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من من نيته وكل يعمل على نيته فاذا عمل المؤمن عملا نار/في قلبه نور) (١) .

وكلام الامام أحمد يدل على أنه أراد بكونه ثلث العلم أنه أحد القواعد الثلاث التي ترد اليها جميع الاحكام . وهي : هذا (ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) (٢) .و(الحلال بين والحرام بين) الحديث (٣) .

قال الحافظ حمزة بن محمد الكناني يقول :سمعت أهل العلم يقولون :هذه الاحاديث هي الاسلام . كل حديث منها ثلث الاسلام وقيل ربعه . قال أبو داود والدارقطني وغيرهما بزيادة حديث (ازهد في الدنيا يحبك الله تعالى) (٤) .

... صاحب السنن الصغرى ،والكبرى على ترتيب المزني . المتوفى سنة ٤٥٨هـ. الرسالة المستطرفة : ٢٩.

٥-انظر فتح الباري : ١/٧.

٦-الطبراني -أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي الشافعي، الطبراني منسوب الى طبرية الشام . مسند الدنيا -الحافظ المكثر . صاحب التصانيف الكثيرة المتوفى سنة ٣٦٠هـ. الرسالة المستطرفة : ٣٤.

٧- سهل بن سعد بن مالك بن خالد الانصارى . الخزرجي الساعدى . له ولابيه صحبة مشهور مات سنة ثمان وثمانين . وقيل بعدها وقد جاوز المائة . تقريب التهذيب: ١/٣٣٦.

١-الطبراني ،المعجم الكبير : حديث رقم : ٥٩٤٢.

٢-رواية مسلم ورواية البخارى (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) وفي أخرى (ديننا) اللؤلؤ والمرجان : ١٢٠.

٣-جزء من حديث متفق عليه عند البخارى الباب الاول حديث :١١٦، والباب الرابع الحديث ٢٤٨و ٢٤٩ ،ومسلم حديث : ١٥٩٩.

٤- جزء من حديث تكملته : (وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) حديث حسن رواه بن ماجه (٤١٠٢) وأخرجه الحاكم : ٣١٣/٤. قال الحافظ في التقريب في سنده خالد بن عمرو القرشي . رماه ابن معين بالكذب ونسبه صالح جزره الى الوضع . لكن للحديث طرق أخرى يتقوى بها فيحسن .

وقيل اثنان وقيل واحد . وروى عن الشافعي أنه قال : مدار الاسلام على أربعمائة حديث .

وكان ابن المديني وعبدالرحمن بن مهدى يقولان مداره على أربعة أحاديث . الاعمال بالنيات . ولا يحل دم أمرئ مسلم الا باحدى ثلاث(١) وبني الاسلام على خمس (٢) والبينة على المدعي واليمين على من أنكر) (٣) .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي(٤) امهات الحديث أربع . هذا الحديث أحدها . ويروى عن الشافعي قال : عمدة الدين عندنا كلمات أربع . قالهن خير البرية اتق الشبهات وازهد ودع ماليس يعنك واعمل بنية (٥) .

وقال بعضهم :انه نصف العلم . ووجه أن الاعمال قسمان أعمال القلب وأعمال الجوارح . والنية أجل اعمال القلب وأفضلها . فالعلم المتعلق بها يكون نصف بل

١- جزء من حديث متفق عليه . اللؤلؤ والمرجان :رقم ١٠٩١ .
٢- جزء من حديث متفق عليه . البخارى : كتاب الايمان باب (٢) ومسلم كتاب الايمان حديث ١٩-٢٢ .
٣- ورد عند البخارى في كتاب الرهن الباب السادس الحديث الاول (اذا اختلف الراهن والمرتهن فالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه) وعند الترمذى في كتاب الاقضية الباب الثاني عشر الحديث الثامن .
٤- أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني . الدارمي . الامام الحافظ الحجة . صاحب المسند . المتوفى ٢٨٠هـ . الرسالة المستطرفة : ٥٥ .
٥- انظر فتح البارى لابن حجر : ١/شرح حديث انما الاعمال بالنيات . حيث هذه الاقوال مبسوطة في الشرح في مواقع مختلفة . وكذلك عمدة القارى للعيني : ١٦/١ وما بعدها شرح الحديث .

أعظم النصفين . بل هي أصل جميع الاعمال القلبية والقالبية . وعليها مدار الطاعات صحة وثوابا . والمعاملات والمباحات ثوابا .

فلو قيل ان هذا الحديث هو العلم لساغ ذلك . اذا علمت هذا فاعلم أن قوله (صلى الله عليه وسلم) (الاعمال بالنيات) هكذا وقع في رواية الامام رحمه الله تعالى بحذف انما . وجمع الاعمال والنيات . ووافقه أبو حاتم ابن حبان (١) في صحيحه عن علي بن محمد القباني (٢) ثنا عبدالله بن هاشم الطوسي (٣) نا يحيى . وكذلك الحاكم (٤) أبو عبدالله في كتابه الاربعين في شعار الحديث عن أبي بكر بن خزيمة (٥) نا أبو

١- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي الدارمي البستي . الشافعي أحد الحفاظ الكبار صاحب التصانيف العديدة . المسمى بالتقاسيم والانواع . المتوفى ٣٥٤هـ . الرسالة المستطرفة : ١٩ .

٢- في الرسالة المستطرفة صفحة : ٥٩ . أبو علي الحسين بن محمد بن زياد العبدى النيسابورى القباني المتوفى سنة ٢٨٩هـ .

٣- عبدالله بن هاشم بن حيّان . العبدى . أبو عبدالرحمن الطوسي . ثقة . صاحب حديث . من صغار العاشرة . مات سنة بضع وخمسين . ١/ ٤٥٧ . تقريب التهذيب

٤- الحاكم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه الحاكم الضبي الطهماني النيسابورى صاحب التصانيف ومنها المستدرك على كتاب الصحيحين . المتوفى ٤٠٥هـ . الرسالة المستطرفة : ١٩ .

٥- أبو بكر : محمد بن اسحاق (ابن خزيمة) بن المغيرة السلمي . النيسابورى . الشافعي شيخ بن حبان . يعرف بامام الائمة . المتوفى ٣١١هـ . الرسالة المستطرفة : ١٨ .

مسلم نا القعنبي (١) نا مالك عن يحيى بن سعيد بلفظ (الاعمال بالنيات) .

وكذلك وقع في كتاب الشهاب للقضاعي (٢) . ووصله في مسنده . كذلك ووقع في رواية مالك عن يحيى عند البخارى في الايمان بلفظ الاعمال بالنية . وكذلك في العتق من رواية الثورى (٣) والهجرة من رواية حماد بن زيد .

ووقع عنده في النكاح بلفظ (العمل بالنية) بافراد كل منهما . وأشهر الروايات وأظهرها (انما الاعمال بالنيات) . وعلى هذه الرواية والرواية التي سردها الامام رحمه الله يكون من مقابلة الجمع بالجمع أى كل عمل بنية .

وقال الجوني (٤) كأنه أشار بذلك الى أن النية تتنوع كما تتنوع الاعمال . كمن قصد بعمله وجه الله تعالى أو تحصيل موعوده أو اتقاء وعيده . وحيث وقعت الرواية

١- هو عبدالله بن مسلمة بن قعنب . الحارثي . أبو عبدالرحمن البصرى . أصله من المدينة . ثقة عابد من صغار التاسعة . توفي سنة ٢٢١ هـ تقريب التهذيب : ١/ ٤٥١ . ويلاحظ أنه لم يرد اسم أبو مسلم في رواية الحاكم حيث ورد عن أبي بكر بن خزيمة ثنا القعنبي ثنا مالك عن يحيى بن سعيد . انظر: عمدة القارى للعيني : ١/ ٢٢ .

٢- القضاعي : شهاب الدين أبو عبدالله محمد بن سلامه بن جعفر بن علي القضاعي قاضي مصر الشافعي . الفقيه المحدث . صاحب المسند " كتاب الشهاب في المواعظ والآداب . محذوف الاسانيد . المتوفى ٤٥٤ هـ . الرسالة المستطرفة : ٦٤ .

٣- سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى . أبو عبدالله الكوفي . ثقة حافظ فقيه . عابد امام حجة من رؤوس الطبقة السابعة . وكان ربما دلس . مات سنة احدى وستين وله أربع وستون . تقريب التهذيب : ١/ ٣١١ .

٤- الجوني : وردت في النسختين (س، هـ) الجوني . والصحيح هو كما ورد في فتح البارى الذى نقل عنه النص وهو (الخويي) . شهاب الدين القاضي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى الخويي نسبة الى خوى بلد مشهور من أعمال أذربيجان . الشافعي . الدمشقي . المتوفى ٦٩٣ . الرسالة المستطرفة : ١٤ .

بافراد النيه فوجهه أن محل النيه القلب وهو متحد فناسب افرادها . بخلاف الأعمال فانها متعلقة بالظواهر وهى متعدده فناسب جمعها . ولأن النية ترجع الى الاخلاص وهو واحد للواحد الذى لا شريك له . (١) .

ثم قوله الاعمال بالنيات بحذف انما أو اثباتها مفيد للحصر . لأن الاعمال جمع محلى بالألف واللام مفيد للاستغراق . وهو مستلزم للقصر لأن مفاد كل عمل بنيه فلا عمل الا بنيه . ولأن انما للحصر .

قال الحافظ ابن حجر وهل افادتها له بالمنطوق أو بالمفهوم أو تفيد الحصر بالوضع أو العرف أو تفيده بالحقيقه أو المجاز . ومقتضى كلام الامام وأتباعه أنها تفيد بالمنطوق وضعا حقيقيا . بل نقله شيخنا شيخ الاسلام عن جميع أهل الاصول من المذاهب الاربعه الا اليسير كالآمدى . (٢) .

وعلى العكس من ذلك أهل العربيه واحتج بعضهم بأنها لو كانت للحصر لما حسن انما قام زيد في جواب هل قام عمرو . وأجيب بأنه يصح أن يقع في مثل هذا الجواب ما قام الا زيد . وهى للحصر اتفاقا . وقيل لو كانت للحصر لاستوى انما قام زيد مع ما قام الا زيد . ولا تردد أن الثاني أقوى من الأول . وأجيب بأنه لا يلزم من هذه القوه نفى الحصر فقد يكون أحد اللفظين أقوى من الآخر مع اشتراكهما في أصل

١- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ /٨٠.

٢- الامدى : ابو الحسن علي بن علي محمد بن سالم التغلبي الآمدى . ولد بامد عام ٥٥١ . هـ له مصنفات منها الاحكام في اصول الاحكام . توفي سنه ٦٣١ . هـ الأحكام في اصول الاحكام الطبعه الاولى - تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي .

الوضع كسوف والسين .

وقد وقع استعمال انما موقع استعمال النفي والاثبات والاستثناء كقوله تعالى :

(انما تجزون ما كنتم تعملون) (١) وقوله (وما على الرسول الا البلاغ) (٢) .

ومن شواهده قول الاعشى :

ولست بالاكثر منهم حصاه وانما العزه للكاثر

يعني ما تثبت العزه الا لمن كان اكثر حصى . واختلفوا هل هي بسيطه أو مركبه فرجحوا الأول . وقد يرجح الثاني . ويجاب عما أورد عليه من قولهم أن أن للاثبات وما للنفي فيستلزم اجتماع المتضادين على صدر واحد بأن يقال مثلا أصلهما كان للاثبات والنفي . لكنهما بعد التركيب لم يبقيا على أصلهما بل أفادا شيئا آخر .

أشار الى ذلك الكرماني (٣) قال : وأما قول من قال افاده هذا السياق للحصر من جهة أن فيه تأكيد بعد تأكيد وهو المستفاد من انما ومن الجمع فمتعقب بأنه من باب ايهام العكس لانْ قائله لما رأى أن الحصر فيه تأكيد على تأكيد ظن أن كل ما وقع كذلك يفيد الحصر انتهى (٤) .

١- الطور ، الاية : ١٦ .   ٢- المائدة ، الاية : ٩٩ .

٣- الكرماني : شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني . المتوفى ٧٨٦ هـ . صاحب كتاب (شرح الكواكب الدراري) قال الحافظ بن حجر . شرح مفيد على أوهام فيه في النقل . لانه لم يأخذ الا من الصحف . تحفة الاحوذي : المقدمة : ١٢٦ .

٤- انظر : فتح الباري ، لابن حجر : ٨/١ .

قلت : ولعله أشار الى ما ذكره التوربشتي (١) حيث قال : أشار (صلى اللـــه تعالى عليه وسلم) بكلمة (انما) الى أن قوام الاعمال بالنيات وأن لا عبرة بها اذا خلت عن النيات لانها العاملة بركنيها ايجابا ونفيا .

فبحرف التحقيق يثبت الشيء ، وبحرف النفي ينفى ما عداه ، وهذا كما يقال انما الاجساد بالارواح أى قيامها وحيويتها بالارواح انتهى .

وقال ابن عطية (٢):انما لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع . ويصلح مـــع ذلك للحصر ان دخل في قصة ساعدت عليه فجعل وروده للحصر مجازا يحتاج الـــى قرينة .

قال الحافظ بن حجر : وكلام غيره يدل على العكس من ذلك وأن أصل ورود هـــا للحصر(٣). والدليل على ذلك حديث : (انما المـــاء من الماء) (٤) .

قال الصحابة الذين ذهبوا اليه لم يعارضهم الجمهور في فهم الحصر منه ، وانما عارضهم في الحكم من أدلة أخرى كحديث (اذا التقى الختانان وجب الغسل) (٥)

١- التوربشتي : شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي . الحنفي . صاحب الشرح الميسر على المصابيح . المتوفى سنة ٦٠٠ هـ انظر: تحفة الاحوذى : ١٢٩ .

٢- ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن عطية . صاحب التفسير (الجامع المحرر الوجيز) في عشرة مجلدات . امتدحه ابن خلدون . وكان عالما بارزا وقاضيا شهيرا ووزيرا لغرناطة . توفي سنة ٥٤١ هـ . ابن خلكان : ٤ .

٣- انظر: فتح البارى : ١/ ٩ .

٤- الطبراني المعجم الكبير : حديث ٥٦٩٦ .

٥- أخرجه أحمد ، كتاب الطهارة : حديث رقم ٢٣ ٤ ونصه (اذا التقى الختانان وتوارت الحشفة فقد وجب الغسل) .

وحديث (انما الربا في النسيئة) (١) عام استدل به ابن عباس في انحصار الربا في النسيئة ،لم يخالفه أحد في فهم الحصر منه ،وانما عارضه جماعة من الصحابة في عكس الحكم .

فدل الحديثان على أن الحصر مستفاد من انما بالاتفاق ،قال ابن دقيق العيد (٢) : اذا ثبت أنها للحصر ، فتارة تقتضي الحصر المطلق ،وتارة تقتضي حصرا مخصوصا .

ويفهم ذلك بالقرائن والسياق كقوله تعالى : (انما أنت منذر) وظاهر ذلك الحصر للرسول في النذارة ، والرسول لا ينحصر في ذلك بل له أوصاف جميلة كالبشارة وغيرها ،ولكن مفهوم يقتضي حصره في النذارة لمن لا يؤمن ونفى كونه قادرا على انزال ما شاء الكفار من الآيات .

وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) : (انما أنا بشر وانكم تختصمون الي) (٣) معناه حصره في البشرية بالنسبة الى علوم الاطلاع على بواطن الخصوم لا بالنسبة الى كل شيء ، فان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوصافا أخر كثيرة ، وكذلك

١- أخرجه مسلم -كتاب المساقاة -حديث (عن أسامة ابن زيد) : رقم : ١٠٢ .

٢- ابن دقيق العيد : الحافظ المجتهد شيخ الاسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع . المالكي الشافعي . صاحب الامام والالمام في أحاديث الاحكام . المتوفى ٧٠٢هـ . الرسالة المستطرفة : ١٤٧ .

٣- الترمذي في كتاب الاقضية باب : ١٢ -الحديث الاول (انكم تختصمون اليّ وانما أنا بشر ..) ومسلم في كتاب الاقضية الباب الاول الحديث الاول .

كقوله تعالى : (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) (١) يقتضي والله أعلم الحصر باعتبار من أثرها .

وأما بالنسبة الى ما في نفس الامر فقد يكون سبيلا الى الخيرات أو يكون ذلك من باب التغليب للاكثر في الحكم على الاقل . فاذا أوردت لفظة (انما) فاعتبرها .

فان دل السياق والمقصود من الكلام على الحصر في شيء مخصوص فقل بـــــه . وان لم يدل شيء على الحصر في شيء مخصوص فاحمل الحصر على الاطلاق ، ومن هذا قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (انما الاعمال بالنيات) والله أعلم بالمراد انتهى (٢)

قال الحافظ بن حجر : الاعمال تقتضي عاملين والتقدير الاعمال الصادرة مــــن المكلفين ، وعلى هذا هل تخرج أعمال الكفار والظاهر الاخراج لأنّ المراد من الاعمال أعمال العباد .

وهي لا تصح من الكافر وان كان مخاطبا بها معاقبا على تركها ؟ ولا يرد العتق والصدقة فانهما بدليل آخر انتهى (٣) .

قال المناوى (٤) : والتقييد بالمكلفين غير سديد ، فانها لا تصح صلاة الصبـــي المميز الا بنية اتفاقا . انتهى .

١- سورة محمد ، الاية : ١٦ .
٢ ، ٣- انظر فتح البارى لابن حجر : ٩/١ .
٤- المناوى : قاضي القضاة صدر الدين أبو المعالي . محمد بن ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن عبد الرحمن السلمي المناوى . القاهرى . الشافعي . المتوفى سنة ٨٠٢ هـ الرسالة المستطرفة : ١٥٢ .

اذا علمت هذا فاعلم أن لفظ العمل يتناول فعل الجوارح حتى اللسان ، فيدخل الاقوال .

قال ابن دقيق العيد : ولا تردد عندي في أن الحديث يتناول الاقوال أيضـا (١) وأما ما ورد من عدم وقوع الحنث على من حلف أن لا يعمل عملا فتكلم فغير متجه لأنْ مبنى الايمان على العرف .

قال الحافظ بن حجر : والتحقيق أن القول لا يدخل في العمل حقيقة . ويدخل مجازا ، وكذا الفعل لقوله تعالى : (ولو شاء ربك ما فعلوه) بعد قوله (زخرف القول انتهى (٢) .

وكذلك يشمل أعمال القلوب أيضا . قال الخطابي : مقتضى العموم فيها (٣) أن لا يصح من الاعمال البدنية أقوالها ، وأفعالها ، فرضها ، نفلها ، قليلها ، وكثيرهـــا الا بنية .

ودخل فيه التوحيد الذى هو رأس الاعمال الدينية . فلا يصح بغير اخـــلاص فيه انتهى .

قال الشيخ عبد الحق الدهلوى (٤) : هذا الذى ذكر الخطابي من دخول أفعال

---

١ و٢ ـ انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١٠/١ .
٣ـ ورد في نسخة (هـ) (أن لا) .
٤ـ الشيخ عبد الحق الدهلوى : ولد سنة ٩٥٨ هـ بمدينة دهلي . وأخذ عـــن علمائها وسافر الى مكة المكرمة سنة ٩٩٦ هـ . ثم عاد الى دهلي وقضى حياته في نشر العلم والتأليف مات سنة ١٠٥٢ هـ . كتاب جهود مخلصة في خدمـــة السنة : ٥٩ .

القلوب صحيح بلا شبهة (١) فان معنى النية هو قصد التقرب الى الله تعالى وذلك جائز وجودا وعدما في الافعال القلبية كحب أحد أو بغضه بقصد التقرب .

ولذا ورد الحب لله والبغض لله ،لكن في دخول التوحيد والتصديق الذى هو من أعمال القلب شيء من الخفاء والظاهر دخوله أيضا ، لان التصديق القلبي الذى هو عبارة عن الايمان يجب أن يكون على قصد التقرب والاخلاص وتحصيل اليقين الذى يتنور به جوهر القلب حتى يصير سببا للقرب من الله تعالى ومعرفته ،وحصوله رضاه ويصير سببا للفوز بنعيم الجنة والنجاة من العذاب الاليم ، لا على أن يصفه الناس بالايمان ويعدوه في زمرة المؤمنين .

ويظهر آثاره عندهم فيترتب على ذلك ما يترتب للمسلمين ، وهذا حال المنافقين (٢) . فلا يتجه .

قال الكرماني : ليس دخول التوحيد فيها مسلما ،لأنّ التوحيد من الاعتقاديات لا من العمليات انتهى .

قلت : والدليل على أن التوحيد في جملة الاعمال قوله تعالى : (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) (٣) ، وقوله تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) (٤) ،وقوله تعالى : (لمثل هذا فليعمل العاملون) (٥) .الى غير

١- ورد في نسخة (هـ) . واستصوب الشيخ عبد الحق الدهلوى ماقاله الخطابي وقال فيه فان معنى ......

٢- في نسخة (هـ) المنافق .

٣- الاعراف الاية : ٤٣ .

٤- الحجر ،الاية : ٩٣ .

٥- الصافات ،الآية : ٦١ .

ذلك من الآيات .

فلا عمل يوجب ذلك الفوز ويسأل عنه يوم القيامة الا بعد تحقيق التوحيد، فالتوحيد ملاك كل عمل وأصله . ولا شك في دخوله .

قال الحافظ بن حجر : (وأما عمل القلب كالنية فلا يتناولها الحديث لئلا يلزم التسلسل وفي تناول الاعمال المعرفية (١) نظر ، قال بعضهم : محال لأنّ النية قصد المنوى وانما يقصد المرء ما يعرف ، فيلزم أن يكون عارفا قبل المعرفة .

وتعقبه البلقيني بما حاصله أن كان المراد بالمعرفة مطلق الشعور فسلم وان كان المراد النظر في الدليل فلا، لأنّ كل ذى عقل يشعر مثلا بأن له من يدبره .

فاذا أخذ في النظر في الدليل عليه ليتحققه لم تكن النية حينئذ محالا (٢) .

والتروك لم يحتج الى نية .

وأما ما قاله الكرماني بأن الترك فعل وهو كفّ النفس ، وبأن التروك اذا أريد بها تحصيل الثواب بامتثال أمر الشارع فلا بد فيها من فصل التروك .

فتعقب بأن قوله الترك فعل مختلف ، ومن حق المستدل على المانع أن يأتي بأمر متفق عليه ، وبأن استدلاله الثاني لا يطابق المورد لأنّ المبحوث فيه هل تلزم

١- ورد في نسخة (هـ) المعرفة .
٢- انظر : فتح البارى ، لابن حجر : ١/١٠، ١١.

النيه في التروك حتى لا يكون الترك معتداً بدونها ويترتب العقاب على تركها . لا فى أنه يحصل الثواب بدونها والتفاوت بين المقامين ظاهر والتحقيق أن الترك المجرد لا ثواب فيه . انما يحصل الثواب بالكف الذى هو فعل النفس. (١) .

فمن لم تخطر المعصيه بباله أصلا ليس كمن خطرت فكف نفسه عنها خوفا من الله تعالى فرجع الحال الى أن الذى يحتاج الى النيه هو العمل بجميع وجوهه الا الترك المجرد أو النيه نفسها للزوم التسلسل كما حققه الحافظ في الفتح .

وقوله بالنيات الباء فيه يحتمل أن تكون للمصاحبه فيفيد وجوب استصحاب النيه للعمل لكنهم فصلوا موضع النيه . فمنها ما يجب مقارنتها للعمل كنيه الصلاه . ومنها ما يجوز تقديمها عليه كالصوم . وربما وقع الابهام في بعض الأحوال فيحصل التعيين بعد .

كمن عليه كفارتان فأعتق عبدا ونوى بعده لأحدهما فينبغى أن يكون الاستصحاب الذى هو مدلول الباء ما هو أعم من المقارنه . وان أريدت المقارنه فالاستصحاب اما حقيقه أو كل يشمل التقدم والتأخر . ويحتمل أن تكون الباء للاستعانه لتفسر استصحاب النيه من أول العمل الى آخره . وربما يجاب عنه بأن المراد من الاستصحاب الاستصحاب حكما . ويحتمل أن تكون الباء للسببيه بمعنى أنها مقومه للعمل فكأنها سبب في ايجاده

قال الحافظ بن حجر : وقد إختلف الفقهاء هل هى ركن أو شرط . والمرجح أن اتحادها ذكراً في أول العمل ركن واستصحابها حكماً بأن لا يأتى بمناف شرط .

١- انظر فتح البارى لابن حجر : ١/ ١٠، ١١ .

قال النووى : النيه القصد وهى عزيمه القلب. وتعقبه الكرمانى بأن عزيمه القلب قدر زائد على أصل القصد . (١) .

وقال البيضاوى : (٢)النيه عباره عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضرر حالا أو مآلا والشرع خصصه بالارادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضى الله تعالى وامتثال حكمه والنيه في الحديث محموله على المعنى اللغوى ليس تطبيقه على ما بعده . (٣) .

وتقسيم أحوال المهاجر فانه تفصيل لما أُجمل اذا علمت هذا . فاعلم أن الجار والمجرور لابد له من محذوف يتعلق به اذ لا يصح بدون تقدير لكثره وجود الاعمال بدونها حسّا .

واختلف الفقهاء في تقديره فقيل يعتبر وقيل تكمل وقيل تصح وقيل تستقر .

وقال الطيبي : (٤)كلام الشارع(صلى الله عليه وسلم) محمول على بيان الشرع لأن المخاطبين من أهل اللسان فكأنهم خوطبوا بما ليس لهم به علم الا من قبل الشارع. فيتعين الحمل على ما يفيد الحكم الشرعى . (٥) . انتهى .

١- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ / ٩ .
٢- البيضاوى : ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى . المتوفى سنه ٦٨٥ هـ صاحب منهاج الوصول الى علم الاصول مرتب على مقدمه وسبعه كتب : تحفة الاحوزى - المقدمه : ١٤١ .
٣- انظر فتح البارى لابن حجر : ١/ ٩ .
٤- الطيبي : هو حسن بن محمد بن الطيبي المتوفي سنه ٧٤٣ هـ . صاحب الشرح على المصابيح والكاشف عن حقائق السنن . مقدمه تحفه الاحوذى : ١٢٩ .
٥- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ / ٩ .

قال ابن نُجيم في الاشباه والنظائر قدروا هساهنا مضافا أى حكم الاعمال . وهو نوعان : أخروى وهو الثواب واستحقاق العقاب . ودنيوى : وهو الصحة والفســـاد .

وقد أريد الاخروى للاجماع على أنه لا ثواب ولا عقاب الا بالنية . فانتفى الاخروى يكون مرادا امــا لانـــه مشترك ولا عموم له أو لاندفاع الضرورة به من صحة الكلام بـــه فلا حاجة الى الآخر بمعنى أن الضرورة اذا اندفعت بأحد فردية لم يكن الآخر مرادا .

وهذا أوجه لانّ الاول وهو أنه لا عموم للمشترك لا يسلم الخصم فحينئذ لا يدل على اشتراطها في الوسائل للصحة ولا على المقاصد أيضا (١)انتهى .

وقال ابن دقيق العيد : الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال ، والذيــن لم يشترطوا قدروا كمال الاعمال ورجح الاول بأن الصحة أكثر لزوما للحقيقة من الكمال .

فالحمل عليها أولى لانّ ما كان ألزم للشيء كان أقرب الى خطوره بالبال عند اطلاق اللفظ فكان الحمل عليه أولى (٢)انتهى .

قال الحافظ بن حجر : وفي هذا الكلام ايهام أن بعض العلماء لا يرى باشتراط النية وليس الخلاف بينهم في ذلك الا في الوسائل انتهى (٣) .

قلت : لا يخفى على من حقق في عبارة الاشباه (٤)أن الاحناف رحمهم الله تعالى لم يأخذوا ،اشتراط النية في الوسائل والمقاصد من حديث (انما الاعمال بالنيات) .

١- انظر فتح البارى ،لابن حجر : ١/ ١٠ .
٢،٣- انظر : فتح البارى ،لابن حجر : ١/ ١٠ .
٤- ورد في النسخة (هـ) قلت وعبارة الاشباة التي قدمناه صريحة بأن . . . .

بل انما يستفيدون ذلك من قوله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (١) ،أو من الاجماع قال في الاشباه : وهو الاوجه لأنّ العبادة في الآية بمعنى التوحيد بقرينة عطف الصلاة والزكاة فليس الا الاجماع .

فلا تشترط للصحة في الوضوء والغسل ومسح الخفين وازالة النجاسة الحقيقية عن الثوب والبدن والمكان والاواني .

وأما اشتراطها للتيمم فدلالة لفظية عليها لأنّ التيمم لغة هو القصد ، وأما غسل الميت فقالوا لا يشترط لصحة الصلاة عليه وتحصيل طهارته . وانما هي شرط لاسقاط الفرض عن ذمة المكلفين .

وليتفرع عليه أن الغريق يغسل ثلاثا في رواية أبي يوسف ، وفي رواية عن محمد أنه ان نوى عند الاخراج من الماء يغسل مرتين والا فثلاثا . أنتهى .

فظهر حينئذ أن حديث : (انما الاعمال بالنيات) غير معمول به عند الحنفية الا في الحكم الأخروي وهو الثواب والعقاب مطلقا سواء كان في الوسائل أو في المقاصد فتبين حينئذ صحة ايهام الشيخ ابن دقيق العيد .

وقال ابن دقيق العيد أيضا : وكذلك قد يقدر في الحديث انما اعتبار الاعمال بالنيات وقد قرّب ذلك بعضهم بنظائر من المثل ،كقولهم انما الملك بالرجال ،أي قوامه ووجوده ، وانما الرجال بالمال وانما المال بالرعية ، وانما الرعية كل ذلك يراد به أن

١- سورة البينة ،الآية : ٥ .

أن قوام هذه الاشياء بهذه الامور . انتهى .

والالف واللام في النيات بدل عن الاضافة . والتقدير : الاعمال بنياتها ، فدل على اعتبار نية العمل بخصوصه من كونه صلاة أو غيرها ، وكونه فرضا أو نفلا وكونه ظهرا أو عصرا ، وهل يحتاج في مثل هذا الى تعيين العدد فيه نظر .

* والراجح :

الاكتفاء بتعيين العبادة التي لا تنفك عن العدد المعين الا أنهم جوزوا النفل بنية مطلقة وتمامه في الفقه (١) .

واعلم أن النية المعتبرة انما هي بالقلب لانها فعل القلب دون اللسان ، فلو تلفظها بالالفاظ الدالة على النية مع غفلة القلب عنها لم يعتبر .

ولو حصلت بالقلب من غير تلفظ فهي معتبرة بلا خلاف ، بل لو خالف اللسان القلب لم يضر في حصول النية ووجودها . وأما التلفظ بالنية فهو خلاف السنة اذ لم ينقل ذلك عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) والصحابة ومن تبعهم ، وقد ثبت في الصحيح أنه (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان اذا قام للصلاة قال الله أكبر ولو كان يقول شيئا قبل التكبير لروى ذلك .

وقد صح أيضا أنه (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال للمسيء صلاته اذا قمت للصلاة فكبر والفاء تدل على تعقيب التكبير بالقيام من غير تراخي ، من غير أن يتخلل

١- انظر: فتح الباري ، لابن حجر : ١/١٠ .

بينهما شيء آخر .

قال أبو داود سألت محمد بن اسماعيل : انك تقول قبل التكبير شيئا ؟ قال :لا .
والاتباع كما يكون في الفعل يكون في الترك فمن واظب على ما لم يفعل الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) فهو مبتدع لشموله قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) .

ولا يقال أنها بدعة مستحسنة أسسها المشايخ للاستعانة على استحضار النية لمن احتاج اليها .

وهو (صلى الله تعالى عليه وسلم) وأصحابه لما كانوا في مقام الجمع والحضور لم يكونوا محتاجين الى الاستحضار المذكور ،لانا نقول اثبات هذه المقدمات دليل على أن هذا الامر أمر مستحسن .

وكلما كان مستحسنا كان أفضل . ومعلوم أنه (صلى الله عليه وسلم) لا يأتي الا بالافضل لقوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (ان أخشاكم وأعلمكم بالله أنا) فاندفع حينئذ ماقيل ان التلفظ بها عبادة للسان . كما أنها عبودية للقلب .

والافعال المنوية عبادة للجوارح ،لانه لو كانت في هذا المحل لما عدل الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) عنها ، وأخذ استحباب التلفظ بها من قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (لبيك حجة وعمرة) وقياسهم عليه أخذ بعيد غير متوجه .

لانه انما قال ذلك في ابتداء احرامه تعليما للصحابه ما يهلون به ويقصدونه من النسك. ولقد صلى صلى الله تعالى عليه وسلم من أكثر من ثلاثين الف صلاه فلم ينقل عنه أنه قال نويت أصلي صلاة كذا وكذا . وتركه صلى الله تعالى عليه وسلم سنه . كما أن فعله سنه. والفرق بين الحج والصلاة أظهر من يقاس أحدها على الآخر .

وقوله ولكل امرئ ما نوى بحذف انما وهذه الروايه أخرجها البخارى في الايمان وغيره أيضا .

والامرئ وفيه لغتان امرئ وزن زبرج ومرء على وزن فلس . ولا جمع لهذه الكلمة من لفظه وعينه تابع للامه في الحركات الثلاثه الرفع والنصب والجر وهو من الغرائب .

وفي موئنثه أيضا لغتان امرأة ومرأه. وقد استعمل في الحديث على اللغه الاولى مذكرا وموئنثا .

وجنح القرطبي : (١) الى أن هذه الجملة موكده للاولى وفيها تحقيق لاشتراط النيه والاخلاص وتقرير له .

وقال غيره بل تفيد غير ما أفادته الاولى لان الاولى نبهت على أن العمل يتبع النيه ويصاحبها فيترتب الحكم على ذلك. والثانية أفادت على أن العامل لا يحصل له الا ما نواة. أو أن الاولى تفيد أن صحه العمل وثوابها (٢) منوط بحسب النيه. والثانيه تفيد أن تعيين المنوى على وجه يتميز عن غيره شرط .

١- القرطبي : ابو العباس احمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي . المتوفي ٦٦٥هـ صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم : مقدمه تحفه الاحوذى : ١٢٨ .

٢- ورد في نسخه (هـ) ثوابه وهو أصح لغة .

قلت وهذا اذا كان المحل قابلا للاشتراك كما اذا صام يوما فهذا قابل لأنْ يقع قضاء صوم فاته في رمضان . ويقع عن كفاره يمين أو عن أى كفاره من الكفارات . أو من التطوع ففي هذا اذا عين صومه مثلا لكفاره اليمين فلا يكون ذلك قاضيا له عن الصوم الذي فاته في رمضان . وأما اذا لم يكن المحل قابلا مثلا . قام الامام وأقيمت صلاه الظهر في وقته فليس الوقت ثمه قابلا لنيه العصر حتى نقول بصحه ما صلاه . وأن لا عصر عليه ذلك اليوم.

ولاجل ذلك قال النووى : أفادة الجملة الثانية اشتراط تعيين المنوى كمن عليه صلاه فائته لا يكفيه أن ينوى الفائته فقط حتى يعينها ظهرا مثلا أو عصر .

قال الحافظ بن حجر : ولا يخفى أن محله ما اذا (١) لم تنحصر الفائته انتهى .

وكأن هذا القائل استنبط هذا المعنى من ما الموصوله لأنها من المعارف المفيده للتعيين .

قال ابن دقيق العيد : الجمله الثانيه تقتضي أن من نوى شيئا يحصل له يعني (٢) . اذا عمله بشرائطه أو حال دون (٣) عمله ما يعذر شرعا بعدم عمله .(٤) . وكلما لم ينوه لم يحصل ومراده بقوله : مالم ينوه أى لا خصوصا ولا عموما . أما اذا لم ينوى شيئا مخصوصا لكن كانت هناك نيه عامه تشمله فهذا مما إختلف فيه أنظار العلماء ويتخرج عليه من المسائل مالا يحصى. وقد يحصل غير المنوى لمدرك آخر .

١- لم ترد كلمه اذا ولا يعنى في نسخه (هـ) .
٢- لم ترد كلمه يعنى في نسخه (هـ) .
٣- ورد في نسخه (هـ) حرف عن بدلا من (دون) .
٤- ورد في نسخه (هـ) عباره (يعذره الشرع) .

كن دخل المسجد فصلى الفرض أو الراتبة قبل أن يقعد فانه يحصل له تحية المسجد (١) نواها أم لم ينوها ، لانّ القصد بالتحية شغل البقعة وقد حصل (٢) .

وهذا بخلاف غسل الجمعة فانه لا يدرك اذا (٣) اغتسل للجنابة مالم ينوه على الراجح لانّ غسل الجمعة ينظر فيه الى التعبد لا الى محض التنظيف ، فلا بد فيه من القصد اليه (٤) ، هكذا حققه الحافظ بن حجر (٥) .

وقال ابن السمعاني (٦) في أماليه : أفادت الجملة الثانية أن الاعمال الخارجة عن العبادة لا تفيد الثواب الا اذا نوى بها فاعلها القربة كالاكل اذا نوى به القوة على الطاعة .

وقال غيره أفادت الثانية أن النيابة لا تدخل في النية فان ذلك هو الاصل ، فلا يرد مثل نية الولي عن الصبي ونظائره ، فانه على خلاف الاصل وقال ابن عبد السلام (٧) الجملة الاولى لبيان ما يتعبر من الاعمال ، والثانية لبيان ما يترتب عليها .

١- وردت كلمة شواب تحيته في نسخة (هـ) . ٢- وردت كلمة عبادة بعد البقعة في نسخة (هـ) .

٣- وردت كلمة ثوابه بعد لا يدرك نسخة (هـ) .

٤- وردت العبارة التالية في نسخة (هـ) : لا الى مجرد التنظيف فلا بد فيه من قصده .

٥- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ١/١٠ .

٦- ابن السمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي (السمعاني) نسبة الى سمعان بطن من تميم ، صاحب الامالي وهي ألف حديث عن مائة شيخ ، المتوفى ٤٨٩ هـ الرسالة المستطرفة : ٨٨ .

٧- ابن عبد السلام : أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني ، الفاسي ، المتوفى ١١٦٣ هـ . الرسالة المستطرفة : ١٦١ .

وأفاد أن النية انما تشترط في العبادة التي لا تتميز بنفسها ، وأما ما يتميز بنفسه فان ينصرف بصورته الى ما وضع له كالاذكار والادعية والتلاوة. لانها لا تتردد بين العبادة والعادة (١) .

قال الحافظ بن حجر : ولا يخفى أن ذلك انما هو بالنظر الى أصل الوضع أما ما حدث فيه كالتسبيح للتعجب فلا ، ومع ذلك فلو قصد بالذكر القربة الى الله تعالى لكان أكثر ثوابا ، ومن ثم قال الغزالي (٢) رحمه الله تعالى : حركة اللسان بالذكر مع الغفلة عنه تحصل الثواب لأنّ خير من حركة اللسان بالغيبة ، بل خير من السكوت مطلقا أى المجرد عن التفكر .

قال : وانما هو ناقص بالنسبة الى عمل القلب ويؤيده قوله (صلى الله عليه وسلم) (في بضع أحدكم صدقة ثم لما قيل أيأتي أحدنا شهوته ويؤجر فقال : أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر) (٣) .

وأورد على اطلاق الغزالي أنه يلزم منه أن المرء يثاب على فعل مباح لانه خير من فعل الحرام ، وليس ذلك مراده قال : وخص من عموم الحديث ما يقصد حصوله في الجملة ، فانه لا يحتاج الى نية تخصه كتحية المسجد كما تقدم انتهى . (٤) .

١- انظر : فتح الباري ، لابن حجر : ١/١٠ .
٢-الغزالي : حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، المتوفى ٥٠٥هـ صاحب الوجيز في الفروع - مقدمة تحفة الاحوذي : ١٤٠ .
٣- جزء من حديث رواه مسلم رقم : ١٠٠٦ .
٤- انظر: فتح الباري ، لابن حجر : ١/١١ .

وأحسن ما يقرر به تأسيس الجمله الثانيه ما أفاده الشيخ عبد الحق الدهلوى أن الثانيه أفادت أن العمل اذا كان مشتملاً على جهات متعدده من الخير يحصل للعامل ثواب مانوى من تلك الجهات دون مالم ينوه منها كما اذا تصدق على ذى رحمه ، ونوى الصدقه أو الصله أو هما معاً فله ما نوى . وثمره ذلك أنه اذا نوى الصله فقط لم تسقط الصدقه الواجبه على ذمته فافهم .

وكما اذا نوى حين دخوله فى المسجد أنه داخل (١) في بيت تعالى ويقدس (٢) والداخل فيه يكون في حكم الزائر له تعالى فينوى زياره مولاه الكريم ونوى انتظار صلاة (٣) الجماعة حتى تستغفر في حقه الملائكه ، وقصد حفظ السمع والبصر وسائر الأعضاء من المحظورات والمنهيات وقصد اطمئنان القلب والحضور ، ونوى الاعتكاف فانه جائز على قول من يقول ان أقله ساعه ولا يشترط فيه الصوم ويصلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) عند دخوله اغتناما للأجر الموعود على ذلك ، وقصد التجرد لذكر الله تعالى واستماع الذكر من غيره وقصد التعلم والتعليم أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقصد زياره اخوته في الله تعالى والتبرك والانتفاع بصحبته (٤) . وقصد السلام أورده على من دخل من المسلمين في المسجد (٥) فان هذه المقاصد كلها جهات من أنواع .

فان نواها كلها فله ما نوى ، وان نوى شيئا معينا منها فله ما نوى والله تعـــالى أعلم .

---

١ ،٢ ،٣- لم ترد الكلمات (داخل) و(يقدس) و (صلاة) في نسخة (هـ) .
٤- وردت بصحبتهم في نسخة (هـ) . ٥- وردت في نسخة (هـ) من دخل المسجد من المسلمين .

ولما كانت هاتان الجملتان مشتملتان على أنواع من المسائل قال ابن دقيق العيد :

كل مسألة خلافية لم يحصل فيها نية فلك أن تستدل به على عدم حصول ما وقع فيه النزاع

فان جاء دليل خارج يقتضي أن المنوى لا يحصل أو أن غير المنوى يحصل ،وكان

راجحا عمل به وخصص هذا العموم انتهى . وهذا قاعدة ينبغي التحفظ لها فافهم.

وقوله فمن كانت هجرته ... الخ .

تفصيل ما أجمله واستنباط المقصود وما أصّله وتقريره أن قوله (صلى الله عليه وسلم)

(وانما لامرىء ما نوى) دل على أن الاعمال تحسب بحسب النية ان كانت خالصة لله

فهي لله تعالى .

وان كانت للدنيا فهي لها ، فالتقدير أنه اذا تقرر أن لكل انسان منوية فمن

كانت هجرته .

فتأمل ارتباط هذه الجمل الثلاثة وتقرير كل جملة منها التي بعدها وايقاعها

كالشرح لها تجده بديعا وتعلم وجه اختصاص المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بجوامع

الكلم .

والهجرة لغة : الترك . والهجرة الى الشيء الانتقال اليه من غيره .

وفي الشرع : ترك ما نهى الله تعالى عنه .

وقد وقعت في الاسلام على وجهين :

الاول : الانتقال من دار الخوف الى دار الامن كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة .

والثاني : الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان ، وذلك بعدما استقر (صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمدينة ،وهاجر اليه من أمكنه ذلك من المسلمين .

وكانت الهجرة اذ ذاك تختص بالانتقال الى المدينة الى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيا (١) .

فشمل لفظ الهجرة الاقسام الخمسة التي وقعت من الصحابة ، الاول هجرتهم الى الحبشة . والثاني : هجرتهم من مكة الى المدينة وهي التي يستند اليها المؤرخون فيقولون سنة كيت وكيت . الثالث: هجرة القبائل الى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لتعلم الشرائع ثم يرجعون الى المواطن ويعلمون قومهم .

الرابع : هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم يرجع الى مكة . الخامس: هجرة ما نهى الله تعالى عنه .

قال ابن دقيق العيد : ومعنى الحديث وحكمه يتناول الجميع ، غير أن السبب يقتضي أن المراد بالحديث الهجرة من مكة الى المدينة . انتهى (٢) .

١- انظر فتح الباري ،لابن حجر : ١/ ١٢.

٢- انظر : كتاب احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام ،لابن دقيق العيد : ١/ ١١.
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .

والاتحاد بين الشرط والجزاء في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (فهجرته الى الله ورسوله) ليس هو من قبيل من أطاع أطاع ، فان التغاير يقع تارة باللفظ وهو الاكثر وتارة بالمعنى .

ويفهم ذلك من السياق ومن أمثلته قوله تعالى : (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) (١) .

وهو مؤول على ارادة المعهود المستقر في النفس كقولهم أنت ،أنت ،أى : الصديق الخالص . وقولهم هم ،هم ،أى : الذين لا يقدر قدرهم(٢) .

وهاهنا يراد بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (فمن كانت هجرته الى الله ورسوله يعني قصد أو نية ،فهجرته الى الله ورسوله ثوابا وأجرا ،أو هو مؤول على اقامة السبب مقام المسبب لاشتهار السبب .

وقال ابن مالك : قد يقصد بالخبر المفرد بيان الشهرة وعدم التغيير فيتحد بالمبتدأ لفظا كقول الشاعر :

خليلي خليلي دون ريب وربما ... ألآن امرؤ قولا فظن خليلا

يعني خليلي خليل عظيم لا أشك في خلته ،قد بلغ الكمال في خلتي وصداقتي .

وقد يفعل مثل هذا بجواب الشرط كقولك من قصدني فقد قصدني ،أى فقد قصد من عرف بانجاح القاصد (٣) .

١- سورة الفرقان ،الآية : ٧١ .   ٢- انظر : فتح البارى ،لابن حجر : ١/١٢ .
٣- انظر : فتح البارى ،لابن حجر : ١/١٢-١٣ .

قال الطيبي : وفي تكرير لفظة الى الله ورسوله في الشرط والجزاء تعظيم لمعنى تلك الهجرة وتفخيم لشأنها أى الهجرة الكاملة التي تستحق أن تسمى هجرة ،وأن ما سواها ليس بهجرة ،ولم تكن كذلك الا أن تكون خالصة لوجه الله تعالى ،كقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته) (١) .

يعني ارتكبت أمرا عظيما وخطبا جسيما ، ولهذا السر غير العبارة في متعلـــق الجزاء الثاني بلفظه (٢)ما،حطا من منزلتها ،أى ليست هجرته من الله في شيء .

فانه ما طلب بها وجه الله بل طلب الدنيا فله ما طلب كما هو حال الرجل الذى قصد نكاح تلك المرأة . انتهى .

وقد أخرج سعيد بن منصور (٣) قال نا أبو معاوية (٤)عن الاعمش (٥) عن شقيق (٦) عن عبدالله هو ابن مسعود قال : من هاجر يبتغي شيئا فانما له ذلك ، هاجر رجـــل ليتزوج امرأة فكان يقال له مهاجر أم قيس . ورواه الطبراني من طريق آخرى عن الاعمش بلفظ (كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس). وهذا اسناد صحيح على شرط الشيخين كما أفاده الحافظ ابن حجر (٧) .

١- سورة المائدة ،الآية : ٦٧ .

٢- ورد في نسخة (هـ) عبارة : ولهذا السر غير العبارة في الجزاء الثاني بقولـــه فهجرته الى ما هاجر اليه حطا عن منزلتها .

٣- أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة المروزى . ويقال الطالقاني ثم البلخي ثـم الخراساني ،المتوفى بمكة سنة ٢٢٧ .هـ. وبها صنف السنن ،وهي مظان المعضل والمنقطع والمرسل :الرسالة المستطرفة : ٣١ .

٤- أبو معاوية : عمرو بن عبدالله بن وهب النخعي ،الكوفي . ثقة من السادسة . تقريب التهذيب : ٢/ ٧٤ .

ونقل ابن دحية (١) أن اسمها قيلة بقاف مفتوحة ثم تحتية ساكنة .

وحكى ابن بطال (٢) عن ابن سراج أن السبب في تخصيص المرأة بالذكر أن العرب كانوا لا يزوجون المولى العربية ويراعون الكفاءة في النسب ، فلما جاء الاسلام سوى بين المسلمين في مناكحتهم ، فهاجر كثير من الناس الى المدينة ليتزوج بها من كان لا يصل اليها قبل ذلك انتهى . (٣) .

قال الحافظ ابن حجر : ويحتاج الى نقل ثابت أن هذا المهاجر كان مولى وكانت المرأة عربية وليس ما نفاه عن العرب على اطلاقه ، بل قد زوج خلق كثير منهم جماعة من مواليهم وحلفائهم قبل الاسلام . واطلاقه أن الاسلام أبطل الكفاءة في مقام المنع انتهى (٤) .

٥- الاعمش: سليمان بن مهران الاسدى الكاهلي ، أبو محمد الكوفي ثقة حافظ عالم بالقراءة ورع لكنه يدلس من الخامسة مات سنة سبع وأربعين أو ثمان تقريب التهذيب : ١/ ٣٣١ .

٦- شقيق بن سلمة الاسدى ، أبو وائل الكوفي ، ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة . تقريب التهذيب : ١/ ٣٥٤ .

٧- انظر : فتح البارى : ١/ ٧ .

١- ابن دحية : الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحية الكلبي الاندلسي ، المتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٣هـ . الرسالة المستطرفة : ١٦٤ .

٢- ابن بطال : أبو الحسن علي بن خلف الشهير بابن بطال . المغربي المالكي . كانت وفاته ٤٣٩ أو ٤٤٤هـ . أصله من قرطبة وأخرجته الفتنة الى بلنسية . له كتاب الاعتصام بالحديث . مقدمة تحفة الاحوذى : ١٢٦ .

٣،٤- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/ ١٣ .

وقوله : (الى دنيا) بضم الدال وحكى ابن قتيبة (١) كسرها وهي فعلى من الدنو أى القرب ولذلك سميت دنيا لدنوها الى الزوال ،وقيل انما سميت كذلك لسبقها للاخرى .

ولفظها مقصور غير منون وحكي تنوينها ، وقال التيمي في شرحه : هي تأنيث الادنى ليس بمصروف لاجتماع الوصفية ،ولزوم حرف التأنيث وتعقب بأن لزوم التأنيث للالف المقصورة كان في عدم الصرف ».

قال ابن مالك : استعمال دنيا منكرا ،فيه اشكال لانها أفعل التفضيل فكان من حقها أن تستعمل باللام كالكبرى والحسنى ،قال الا أنها خلصت عنها الوصفية وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط ، ومثله قول الشاعر :

وان دعيت الى جلا ومكرمة يوما سراة كرام الناس فادعينا (٢) .

فان جلى موئنث الاجل فخلصت عنه الوصفية وجعلت اسما للحادثة العظيمة .

واختلف في حقيقة الدنيا : فقيل ما على الارض من الهواء والجو ،وقيل : كل المخلوقات من الجواهر والاعراض .

١- ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة القتبي الدينورى النحوى ،موئلف كتاب المعارف وكتاب عيون الاخبار وغيرها ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ. الرسالة المستطرفة : ١٢٧ .

٢- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/١٣ .

قال الحافظ ابن حجر : والاول أولى لكن يزاد فيه ما قبل الساعة ، ويطلق على كـــل جزء منها مجازا (١) .

وقوله : (يصيبها) أى يحصلها ويصل اليها ، أما صفة الدنيا أو استيناف ، قالوا شبه تحصيلها عند امتداد الاطماع اليها باصابة السهم الغرض ، بجامع سرعة الوصول وحصول المقصود ، ووجه تخصيص الشارع ذكر الدنيا لأن الانصار قاسمت المهاجريـــن في أموالهم ، فربما تقع هجرة من لم تخلص نيته للمقاسمة واستفادة النخيل ، وهذا شيء لم ينصه أحد من الشراح ، وانما ذكروا وجه تخصيص المرأة لاغير .

وقد استفدت هذا من شيخنا العلامة ولي الله تعالى السيد أحمد ادريـــس المغربي (٢) عند مجالستي له فافهـــــم .

وقوله أو امراة التنصيص عليها من الخاص بعد العام للاهتمام به وتعقبه النووى بأن لفظ دنيا نكره وهي لا تعم في الاثبات فلايلزم دخول المرأة فيها . وتعقب بكونها فى سياق الشرط فتعم ونكتة الاهتمام الزيادة في التحذير لأنّ الافتتان بها أشد (٣) .

وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه انما ذكره بالضمير ليتناول ما ذكره من المرأة وغيرها بخلاف الجمله الاولى فانما أبرز الضمير لقصد الالتذاذ بذكر الله تعالى ورسوله وعظم

١- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ / ١٣ .
٢- جاء في فهرس الفهارس ج ٢/ ٧٢١ " وأخذت عن العارف الكبير أبي العباس أحمد بن إدريس وأنا صبيا " .
٣- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ / ١٣ .

شأنهما . بخلاف الدنيا والمرأة فان السياق يشعر بالتحقير عنهما .

وقال الكرماني : يحتمل أن يكون قوله الى ما هاجر اليه ، متعلقا بالهجرة فيكون الخبر محذوفا ، والتقدير قبيحه أو غير صحيحه مثلاً ، ويحتمل أن يكون خبره (فهجرته) والجمله خبر المبتدأ الذى هو (من كانت) انتهى (١) .

قال الحافظ ابن حجر : هذا الثاني هو الراجح لأنّ الأوّل يقتضي أن تكون تلك الهجره مذمومه مطلقا وليس كذلك .

فان من نوى بهجرته مفارقه دار الكفر وتزوج المرأة معا أو نوى بهجرته التزوج لقصد الاعفاف فليست هجرة هؤلاء مذمومه .

وهذا مثل ما وقع عند النسائي عن أنس قال تزوج ابو طلحه (٢) ام سليم (٣) فكان صداق ما بينهما الاسلام ، أسلمت ام سليم قبل أبى طلحه فخطبها فقالت : انى قد أسلمت فان أسلمت تزوجتك فأسلم فتزوجته ، وهو محمول على أنه رغب فى الاسلام ودخله من وجهه وضم الى ذلك ارادة التزويج المباح فصار كمن نوى بصومه العباده والحميه . أو بطوافه العباده وملازمه الغريم . ففى كل هذا لا يخلو عن الأجر فضلا عن

١- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ / ١٣ .

٢- ابو طلحه : هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الانصارى البخارى - ابو طلحه مشهور بكنيه من كبار الصحابه شهد بدرا وما بعدها . مات سنه ٣٤ التقريب ١ / ٢٧٥ .

٣- ام سليم بنت ملحان بن خالد الانصاريه . والده أنس بن مالك . مختلف في اسمها . اشتهرت بكنيتها وكانت من الصحابيات الفاضلات . ماتت في خلافه عثمان . تقريب : ٢ / ٦٢٢ .

أن يكون عملا (١) مذموما وانما لا يثاب ثواب المخلص (٢) .

واختار الغزالى فيما يتعلق بالثواب بأنه ان كان القصد الدنيوى هو الأغلب لم يكن فيه أجرا والدينى أجر بقدره . وان تساويا فتردد القصد بين الشيئين فلا أجر وأما اذا نوى العباده وخالطها شئ مما يغير الاخلاص فقد نقل ابو جعفر بن جرير الطبرى (٣) عن جمهور السلف أن الاعتبار بالابتداء . فان كان ابتداؤه لله تعالى خالصا لم يضره مهما عرض له بعد ذلك من اعجاب وغيره والله تعالى أعلم (٤) .

واستدل بهذا الحديث على أنه لا يجوز الاقدام على العمل قبل معرفه الحكم لأنّ فيه أن العمل يكون منتفيا اذا خلى عن النيه ولا تصح نيه فعل الشئ الا بعد معرفه حكمه . وعلى أن الغافل لا تكليف عليه لأنّ القصد يستلزم العلم بالمقصود . والغافل غير قاصد . وقد ذكر بن المنير (٥) ضابطا لما يشترط فيه النيه مما لا يشترط فيه فقال : كل عمل لا تظهر له فائده عاجله بل المقصود به طلب الثواب فالنيه مشترطه فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزه وتقاضته الطبيعه قبل الشريعه لملائمه بينهما فلا

١- ورد في نسخه (هـ) عمله .
٢- انظر فتح البارى لابن حجر : ١/١٣ ، ١٤ .
٣- ابو جعفر بن جرير الطبرى . هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى) صاحب تهذيب الآثار . مات قبل تمامه في بغداد على الصحيح ٣١٠ هـ : الرساله المستطرفه : ٣٨ .
٤- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ / ١٤ .
٥- هو ناصر الدين على بن محمد بن المنير الاسكندرانى . صاحب الشرح المتوارى على تراجم البخارى لم تذكر تحفه الاحوذى تاريخ وفاته . مقدمه تحفه الاحوذى ١٢٦ .

تشترط النيه فيه الا لمن قصد بفعله معنى آخر يترتب عليه الثواب .

وقال انما اختلف العلماء في بعض الصور من جهه تحقيق مناط التفرقه قال : وأما ما كان من المعاني المحضه كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النيه فيه لأنه لا يمكن أن يقع الا منويا . ومتى فرضت النيه مفقوده فيه استحالت حقيقه .فالنيه فيه شرط عقلي ومقابله أنه لا يشترط النيه للنيه فرارا من التسلسل (١) . وأما الأقوال فتحتاج الى النيه في ثلاثه مواطن أحدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الرياء .

والثاني التمييز بين الالفاظ المحتمله لغير المقصود . الثالث قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان . واذا (٢) انتهى الكلام الى هذا المقام أحببت أن أذكر شيئا مما يشرح الصدر وينشط الفكر ويوجب الذكر . وذلك ما ذكره الشيخ علي القاري في شرح المشكاه حيث قال: ثم نيه العوام في طلب الاغراض مع نسيان الفضل والاعواض . ونيه الجاهل التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ونيه أهل النفاق التزين عند الناس مع اضمار الشقاق .

ونيه العلماء اقامه الطاعات. ونيه أهل التصوف ترك الاعتماد على ما لا يظهر[٣] منهم من العبادات .

ونيه أهل الحقيقه ربوبية تولت عبوديه . وانما لكل أمرئ مانوى من مطالب السعداء وهي الاخلاص عن الدركات السفلي من الكفر والشرك والجهل والمعاصي والسمعه والرياء

١- لم ترد العباره من (فالنيه فيه .... فرارا من التسلسل) . في نسخه (هـ) .
٢ - ورد حرف (لما) بدل (اذا) في نسخه (هـ) .

٣- في المرقاه شرح المشكاه : على ما يظهر

والا خلاق الذميمة ، وحجب الاوصاف والفوز بالدرجات العلى وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والا خلاق المحمودة ،وجذبات الحق والفناء عن انابتسه والبقا بهويته أو من مقاصد الاشقياء وهي ما يبعد عن الحق فمن كانت هجرته أي خروجه من مقامه الذى هو فيه سواء كان استعداده الذى جبل عليه أو منزلا من منازل النفس ،أومقاما من مقامات القلب الى اللــه تعالى لتحصيل مراميه وتحسين الا خلاق والتوجه الــى توحيد الذات والى رسوله باتباع أعماله ، واقتفاء أخلاقه والتوجه الى طلب الاستقامــة في توحيد الصفات فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العنايةالا لهية من ظلمات الحدوث والفناءالى دار الشهود والبقاء .

وتجذبه من حضيض العبودية الى ذروة العندية ويفنى في عالم اللاهوت ، ويبقى بالحي الذى لا يموت .

ورجع اليه الانس ونزل محله القدس بدار القرار في جنات الملك الغفار وأشرقــت عليه سبحات الوجه الكريم .

وجعل لقلبه روح الرضى المقيم ،ووجد فيها الروح المحمدى وأحبابا وعرف أن له مثوى ومآبا .

(ومن كانت هجرته لدنيا)أي لتحصيل شهوة الحرص على المال والجاه ،وتحصيل لذة شهوة الفرج فيبقى مهجورا عن الحق في أوطان الغربة وديار الظلمة ، له نار

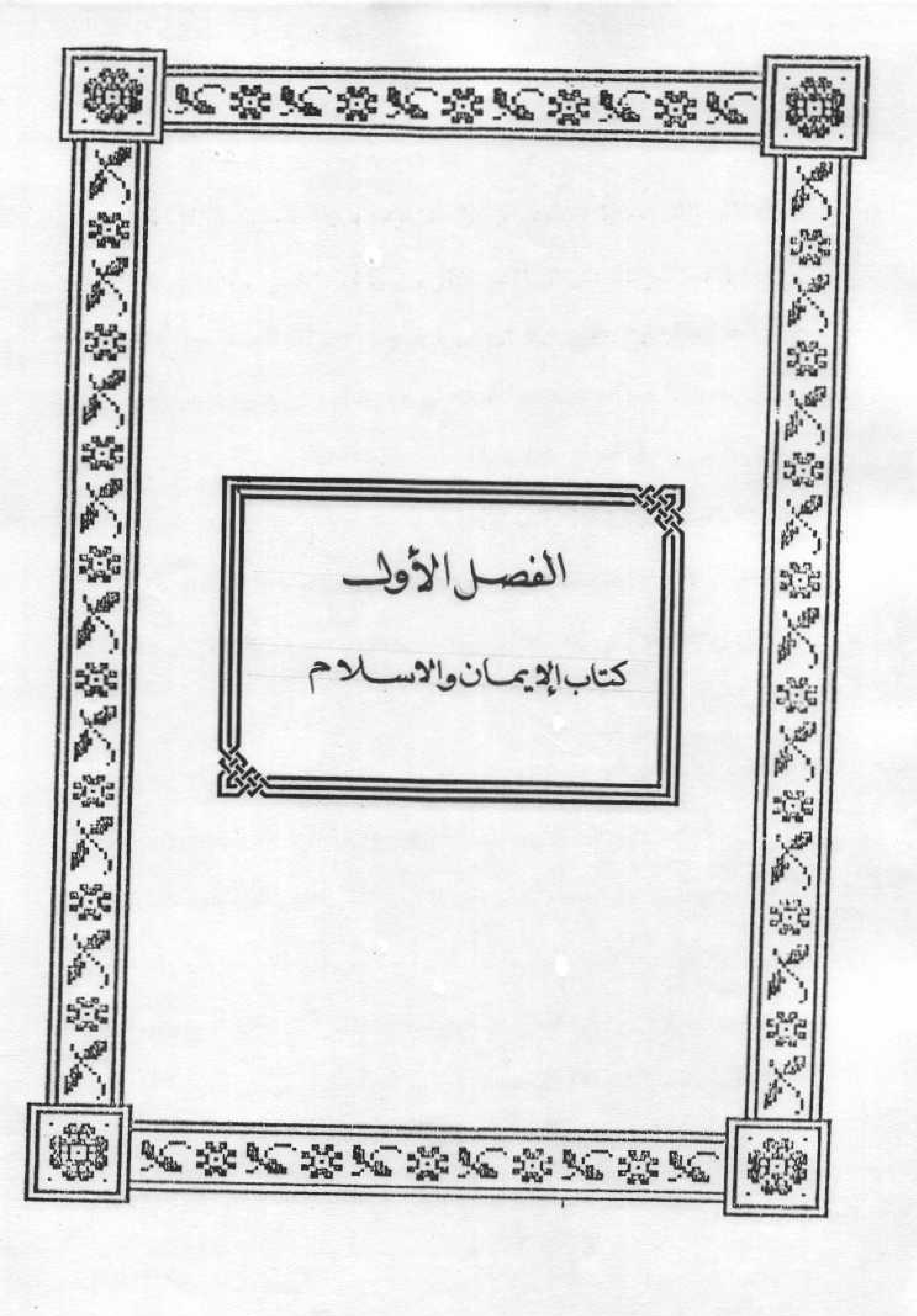
الفرقة والقطيعة ، نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة (١) وأنشد بعض المخلصين لبعض المخلطين :

يا غافل القلب عن ذكر المنيات　　عما قليل ستسوى بين أموات
ان الحمام له وقت الى أجل　　فاذكر مصائب أيام وساعات
لا تطمئن الى الدنيا وزينتها　　قد حان للموت يا ذا اللب أن يأتي
وكن حريصا على الاخلاص في العمل　　فانما العمل الزاكي بنيات

وقد ورد في مسند أبي يعلى الموصلي (٢) مرفوعا :أن الله تعالى يقول للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر ، فيقولون ربنا لم نحفظ هذا عنه ،ولا هو في صحيفتنا فيقول : انه نواه (٣) ونقل أبو القاسم القشيرى (٤) قدس الله تعالى سره أن زبيدة (٥) رئيت في المنام ،فقيل لها : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقالت غفر لي . فقيل لها بكثرة عمارتك الآبار والبرك والمصانع في طريق مكة ؟ وانفاقك فيها ؟ فقالت: هيهات ،هيهات ذهب ذلك كله الى أربابه ، وانما نفعنا منه النيات فغفر لي بها (٦).

١- سورة الهمزة ،الآية : ٦ ، ٧.
٢- أبو يعلى الموصلي : أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ، الحافظ المشهور الثقة ،المتوفى بالموصل سنة ٣٠٧هـ وله مسندان . صغير وكبير . الرسالة المستطرفة : ٦١.
٣- انظر عمدة القارئ للعيني : ١/٣٥.
٤- أبو القاسم القشيرى . عبد الكريم بن هوازن القشيرى ،الاستاذ الشافعي المتوفى سنة ٤٦٥هـ صاحب الرسالة القشيرية . الرسالة المستطرفة : ١٣٦.
٥- زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد العباسي ، اشتهرت بحفر الابار والبرك على الطرق لسقي المسافرين .
٦- انظر: مرقاة شرح مشكاة ،لعلي القارئ : ١/٤٦ ، ٤٧.

نسألك اللهم موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل اثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار ، فسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا اله الا أنت نستغفرك ونتوب اليك آمين .



الفصل الأول

كتاب الإيمان والاسلام

الحديث : الأول

أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد (١) عن يحيى بن يعمر (٢) قال : بينما أنا مع صاحب (٣)لي بمدينة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ بصرنا بعبدالله بن عمر فقلت لصاحبي : هل لك أن نأتيه فنسأله عن القدر ؟ قال : نعم ، قلت : دعني حتى أكون أنا الذى أسأله فانه أعرف بي منك .

قال : فانتهينا الى عبدالله بن عمر ، فسلمنا عليه وقعدنا اليه ، فقلت : له : يا أبا عبدالرحمن انا نتقلب في هذه الارض فربما قدمنا البلدة فيها قوم يقولون : لا قدر فبما نرد عليهم ؟

فقال : أبلغهم أني لست منهم ولو أني وجدت أعوانا لجاهدتهم ثم أنشأ يحدثنا قال : بينما نحن مع رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ومعه رهط من أصحابه ، اذ أقبل شاب جميل أبيض حسن اللمة طيب الريح عليه ثياب بيض ، فقال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليكم قال فرد عليه رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ورددنا معه ، فقال ادنو يارسول الله ، قال أدن دنوة أو دنوتين ثم قال ادنو يارسول الله ، فقال أدنه فدنا حتى ألصق ركبتيه بركبتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : أخبرني عن الايمان ؟ فقال : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته

١- علقمة بن مرثد الحضرمي أبو الحارث الكوفي ، ثقة من السادسة . تقريب التهذيب : ٢ / ٣١ .

٢- يحيى بن يعمر البصرى نزيل مرو وقاضيها ، ثقة فصيح وكان يرسل من الثالثة ، مات قبل المائة وقيل بعدها ، تقريب التهذيب : ٢ / ٢٦١ .

٣- هو حميد بن عبدالرحمن الحميرى البصرى ثقة فقيه من الثالثة ، تقريب التهذيب : ١ / ٢٠٣ .

وكتبه ورسله ولقائه ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله ، فقال : صدقت فتعجبنا من تصديقه لرسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ، وقوله صدقت كأنه يعلم ثم قال : فأخبرني عن شرائع الاسلام ما هي ؟ قال : اقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت ، وصوم رمضان ، والاغتسال من الجنابة ، قال : صدقت ، فتعجبنا من قوله صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان ؟ قال : أن تعمل لله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال : فان افعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال : نعم . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الساعة متى هي ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن لها أشراط فهي من الخمسة التي استأثر الله بها .

فقال :(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير) (١)

قال : صدقت ثم انصرف ونحن نراه اذ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليّ بالرجل فقمنا أثره فما ندرى الى أين توجه ، ولا رأينا له شيئا فذكرنا ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) .

فقال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم والله ما أتاني في صورة الا وأنا أعرفه فيها الا هذه الصورة (٢) .

١- سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .
٢- الحديث أخرجه مسلم - كتاب الايمان حديث رقم : ٢٠١ من طريق أبي خثيمة زهير ثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر ، ومن طريق عبيد الله بن معاذ العنبرى ثنا أبي ثنا كهمس به وأخرجه أبو داود في كتاب السنة باب القدر ، .

هذا الحديث أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن (١) عن عبد الله بن بريدة (٢) عن يحيى بن يعمر وأخرجه مسلم أيضا من طريق مطر الوراق (٣) عن ابن بريدة وأيضا من طريق عثمان بن غياث (٤) عن ابن بريدة وأيضا من طريق المعتمر (٥) عن أبيه عن يحيى بن يعمر ، وأخرجه أبو داود[٦] أيضا قال : حدثنا محمود بن خالد (٧) ثنا الفريابي (٨) عن سفيان ثنا علقمة

...... حديث ٤٦٩٥ من طريق عبيد الله بن معاذ نا أبي ثنا كهمس به ، والترمذي في كتاب الايمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبي (صلى الله عليه وسلم) الايمان والاسلام حديث ٢٧٣٨ ، تحفة الاحوذي من طريق أبي عمار الحسين بن حريث الخزاعي جـ٣ أخبرنا وكيع عن كهمس به .

والنسائي - كتاب الايمان - باب نعت الاسلام حديث ١٨٨ من طريق اسحاق بن ابراهيم ثنا النضر بن شميل أنبا كهمس به .

١- كهمس بن الحسن التميمي . أبو الحسن البصري . ثقة مات سنة ١٤٩ هـ تقريب التهذيب : ١٣٧/٢ .

٢- عبد الله بن بريدة بن الحصيب الاسلمي ، أبو سهل المروزي قاضي مرو ثقة من الثالثة مات سنة ١٠٥ أو ١١٥ هـ تقريب التهذيب : ٤٠٣/١ .

٣- مطر بن طهمان الوراق : أبو رجاء السلمي مولاهم ، الخراساني ، صدوق كثير الخطأ وحديثه عن عطاء ضعيف من السادسة ، مات سنة ٢٥ ويقال سنة تسع تقريب التهذيب : ٢٥٢/٢ .

٤- عثمان بن غياث الراسبي أو الزهراني ، البصري ، ثقة ، رمي بالارجاء ، من السادسة تقريب التهذيب : ١٣/٢ .

٥- المعتمر بن سليمان بن بريدة بن الحصين .

٦- اختلاف نسخة (هـ) ..

٧- محمود بن خالد السلمي ، أبو علي الدمشقي ، ثقة ، من صغار العاشرة مات سنة سبع وأربعين وله ثلاث وسبعون . تقريب التهذيب : ٢٣٢/١ .

٨- الفريابي : محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان ، الضبي مولاهم ، الفريابي نزيل قيسارية من ساحل الشام ثقة فاضل ، يقال أخطأ في شيء من حديث سفيان ، من التاسعة ، مات سنة اثنتي عشرة . تقريب التهذيب : ٢٢١/٢ .

ابن مرثد عن سليمان بن بريدة (١) عن يحيى بن يعمر ، وكذلك أخرجه من طريق عثمان بن عفان (٢) عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر فعلى هذا كان سفيان متابعا للامام رحمه الله تعالى الا أنه سقط في سنده سليمان بن بريدة ولعله سقط من الناسخ لأنّ غالب روايات الامام (رحمه الله تعالى) في مسنده عن علقمة عن سليمان .

وكذلك أخرجه أحمد عن أبي نعيم (٣) عن سفيان عن علقمة عن سليمان عن أبي يعمر ،وأيضا أخرج عن أبي أحمد عن سفيان عن علقمة عن سليمان .

ويحيى بن يعمر بفتح الميم ويقال بضمها ، وهو غير مصروف لوزن الفعل والعلمية وكنيته أبو سليمان ويقال أبو سعيد ويقال أبو عدى البصرى ، ثم المروزى قاضيها من بني عوف بن بكر بن أسيد .

قال الحاكم أبو عبدالله في تاريخ نيسابور : يحيى بن يعمر فقيه ،أديب ،نحوى نفاه الحجاج الى خراسان فقتله (٤) قتيبة بن مسلم.

١- سليمان بن بريدة بن الحصيب ،الاسلمي ، المروزى ، قاضيها من الثالثة مات سنة ١٠٥ ، تقريب التهذيب : ١/٣٢١.

٢- الصحيح : عثمان بن غياث عن ابن بريدة ، وقد ورد خطأ في النسختين انظر كتاب الايمان لابن مندة : ١/١٢٢.

٣- أبو نعيم : أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصفهاني الصوفي الشافعي ، صاحب التصانيف ، المتوفى بأصبهان سنة ٤٣٠ هـ الرسالة المستطرفة : ٢٦.

٤- وردت في النسختين فقتله ، وورد في شرح صحيح مسلم للنووى : ١/١٥٣ كلمة نفاه الحجاج الى خراسان (فقبله) قتيبة بن مسلم وولاه قضاء خراسان .

قوله(بينما) قال صاحب النهاية : (أصله بيّـن فأشبعت الفتحة فصار ألفا ، يقال بينا ، وبينما وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة ، ويضاف الى جملة من فعل وفاعل ، ومبتدأ وخبر ، ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى كما يستدعي اذا .

والا فصح في جوابه ألا يكون فيه اذ واذا ، وقد جاء في الجواب كثيرا قال الاصمعي : لا يستفتح الا طرحهما في بينا بينما وأنشد وبينا نحن نرقبه أتانا) لانّ الظاهر أن الفاعل في بينا هو الجواب ، كما في اذا الزمانية على الصحيح ، ويلزمه تقدم ما في صلة المضاف اليه على المضاف .

قال شارحه بينا وبينما ظرفان متضامنان لمعنى الشرط ، فلذلك اقتضتا جوابا . والقياس ألا يكون اذ في جوابه فعلى هذا يكون أتانا عاملا في بينا مع أنه مضاف اليه لاذ ، ومعمول المضاف اليه لا يتقدم على المضاف وفيه نظر انتهى .

قال الطيبي : فيقال لا ريب أن عمر وأبا هريرة (رضي الله عنهما) كانا أفصح من الشاعر وقد أتيا(باذ) في الحديث يعني في قوله (بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اذ طلع) ألخ فافهم .

يكون العامل معنى المفاجأة في(اذ) كما قرره صاحب الكشاف في قوله تعالى : (واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجوا وقت الاستبشار بمعنى الحديث وقت حضورنا في مجلس

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فاجأنا وقت طلوع ذلك الرجل ، بينما طـرف

لهذا المقدر واذا مفعول به ، بمعنى فلا يلزم اذا تقدم معمول المضاف اليه على المضاف

وقد ساعد هذا القول صاحب اللباب ، ويدل على تضمنها معنى الشرط تصريح الفاء

في الجواب في قوله (بينا يضحكهم فطعنه النبي (صلى الله عليه وسلم) .

الحديث رواه أبو داود عن أسيد بن حضير .

وقوله مع صاحب لي هو حميد بن عبد الرحمن الحميرى عند مسلم (١) وأبو داود

والترمذى (٢) وسليمان بن بريدة عند سعيد بن منصور .

هكذا نقله السيد المرتضى الحسيني (٣) في الجواهر المنيفه ، وانما رواية أبي داود

صريحة في أن علقمة روى عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر بهذه القصة ، وليست

القصة الا أنه وحميد ابن عبد الرحمن أقبلا حاجين أو معتمرين الخ فتدبر .

أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ولم يسم السائل بل قال أتى ابن عمر رجل

فساقه (٤) .

وقوله : بمدينه رسول (صلى الله عليه وسلم) صريح بأن اجتماعهما بعبد الله بن عمر

١- مسلم بشرح النووى : ١ / ١٥١ : فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين .

٢- الترمذى تحفه الاحوذى : ٣ / ٣٥٢ : خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حتى أتينا المدينه فقلنا لو لقينا رجلا .

٣- مرتضى الحسيني : ابو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزق ، الشهير بمرتضى الحسيني . الواسطي الزبيدى . ثم المصرى الحنفى . المتوفى بمصر ١٢٠٥ هـ - الرساله المستطرفه : ٧١ .

٤- الطبراني - الكبير حديث رقم ١٣٥٨١ - تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى : ١٢ .

بالمدينه لا بمكه . ويؤيدة لفظ الترمذى أيضا فان فيه . خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى . حتى أتينا المدينه فقلنا لو لقينا الخ .ولم تصرح روايه مسلم وأبي داود شيئا من ذلك فافهم .

وقوله اذ بصرنا (قد ذكرنا فيما سبق أن اذ للمفاجاء وهى واقعه في جواب بينما وقوله فقلت لصاحبى الخ . روايه مسلم وأبي داود والترمذى صريحه في أن الاشتياق الى السوءال ومواطاتهما على ذلك كانت سابقه على روءيه عبد الله بن عمر فلعل قوله (فقلت لصاحبى) انما كان من قبيل الاذن بعد الاذن . أو أن مواطاتهم ابتداء انما كانت في مجرد السوءال عن من لقيوه من الصحابه . ثم هذا السوءال انما هو عن مخصوص شيهوالله أعلم .

وفيه أن العالم ينبغى أن يوءتى اليه اذا كان محتاجا اليه . وفيه كمال أدبهما . وفي روايه فاكتنفته أنا وصاحبى . أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله . وقوله فانه أعرف بى منك (وهذا هو الموضح لما وقع عند مسلم) فظننت أن صاحبى سيكل الكلام الي لأنّ من كانت معرفته به اكثر كان الانبساط اليه أوفر) .

وقد جاء عنه في روايه (لأنى كنت أبسط لسانا) انا نتقلب في هذه الأرض الخ . وقد وقع في روايه مسلم وغيره يا أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القران ويتقعرون العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف) (١) .

١- عند مسلم (فوفق) لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله . فظننت أن صاحبي سيكل الكلام . . . انظر: صحيح مسلم بشرح النووى : ١٥٦/١ .

وفي أول الحديث عند مسلم وغيره كان أول من قال في القدر في البصرة معبد الجهني (١) فتبين بهذه الروايات موجب السؤال وموضع الارض التي يقال فيها بهذه المقالة فافهم .

وقوله : (يقولون لا قدر) أى لم يسبق بهذه الاشياء قدر ولا علم من الله تعالى وانما يعلمه بعد وقوعه .

واعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه أن الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى .

وانكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها وأنها مستأنفة العلم ،. أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها ، فكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم علوا كبيرا (٢) .

وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر ، وقال بعض العلماء من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول ، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه. وصارت

١- معبد بن خالد الجهني القدرى ، ويقال انه ابن عبدالله بن عكيم ، ويقال معبد بن عبدالله بن عويمر ، صدوق مبتدع ، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة من الثالثة ، وكان يجالس الحسن البصرى ، فسلك أهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله . قتله الحجاج بن يوسف صبرا سنة ثمانين : تقريب التهذيب: ٢٦١/٢ ، شرح النووى لصحيح مسلم : ١٥٣/١ .

٢- انظر شرح صحيح مسلم للنووى : ١٥٤/١ .

القدريه في الأزمان المتأخره تعتقد اثبات القدر ولكن الخير من الله تعالى . والشر من غير الله تعالى من قولهم . (١) .

هذه العباره ستكتب ان شاء الله تعالى في حديث القدريه مجوس هذه الامه .

وقد حكى ابو محمد بن قتيبه في كتابه غريب الحديث وأبو المعالى امام الحرمين في كتاب الارشاد في اصول الدين أن بعض القدريه قال لسنا بقدريه ، بل أنتم القدريه لاثباتكم القدر . (٢) .

قال ابن قتيبه (٣) والامام (٤) وهذا تمويه من هؤلاء الجهله فان أهل الحق يفوضون أمور أمورهم الى الله تعالى ويضيفون الافعال والقدر الى الله تعالى ، وهؤلاء الجهله يضيفونه الى أنفسهم . ومدعي الشئ لنفسه ومضيفه أولى بأن ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه .

قال الامام : وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القدريه مجوس هذه الامه (٥) يشبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة وسيأتي تقرير التشبيه ان شاء الله تعالى (٦) .

١- انظر شرح صحيح مسلم للنووى : ١ / ١٥٤ .
٢- انظر شرح صحيح مسلم للنووى : ١ / ١٥٤ .
٣- ابن قتيبه سبق الترجمه له .
٤- الامام - المقصود ابو المعالى امام الحرمين صاحب كتاب الارشاد في اصول الدين وهو عبد الملك الجويني ، المتوفى ٤٧٨هـ - كشف الظنون - حاجى خليفه : ١ / ٦٨ .
٥- أخرجه ابو داود والحاكم في المستدرك . أخرج داود في كتاب السنه باب ١٦ : لكل امه مجوس ومجوس هذه الامه الذين يقولون لا قدر .....) .
٦- انظر شرح النووى - صحيح مسلم : ١ / ١٥٤ .

قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على قضاء وقدره ، وليس الامر كما يتوهمونه ، وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد، وصدورها عن تقدير منه، وخلق خيرها و شرها .

قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ، يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتشغيل بمعنى واحد انتهى "١" .

قال النووى وقد تظاهرت الاخبار والادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد اكثر العلماء من التصنيف فيه ومن احسن المصنفات فيه واكثرها فوائد كتاب الحافظ الفقيه ابى بكر البيهقى . وقد قررائمتنا من المتكلمين ذلك احسن تقرير بادلة قطعية سمعية وعقليه "٢" .

وقوله (ابلغهم انى منهم برئ هذا ظاهر فى تكفير القدرية . قال القاضى عياض "٣" هذا فى القدرية الاولى الذين نفوا تقديم علم الله تعالى بالكائنات ـ قال والقائل لهذا كافر بلا خلاف ، وهؤلاء الذين ينكرون القدرهم الفلاسفة فى الحقيقة .

---

١ ـ انظر شرح النووى على صحيح مسلم ١/ ١٥٤ .

٢ ـ نفس المصدر السابق ١/ ١٥٥ .

٣ ـ القاضى عياض بن موسى اليحصبى المالكى المتوفى ٥٤٤ هـ ، صاحب الاكمال فى شرح مسلم : مقدمة تحفة الاحوذى : ١٢٧ .

قال غيره : ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير من قبيل كفران النعم الا أن قوله : (ولو أني وجدت أعوانا لجاهدتهم) وكذلك قوله : (لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر) ظاهر في التكفير لأنّ الجهاد انما يتصور مع الكافر ، وكذلك احباط الاعمال ، انما يكون بالكفر الا أنه يجوز أن يقال في المسلم لا يقبل عمله لمعصيته وان كان صحيحا كصلاة الآبق ، وصلاة من أتى عرافا فهي صحيحة غير محوجة الى القضاء عند جماهير العلماء وباجماع السلف غير مقبوله (١).

ثم أنشأ يحدثنا قال : (بينما نحن . . . . . الخ) ظاهره أن هذا الحديث من مسند بن عمر (رضي الله عنه) ، وكذلك أخرجه أحمد أيضا ، وكذا رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عطاء الخرساني (٢) عن يحيى بن يعمر .

وكذا روى من طريق عطاء بن أبي رباح (٣) عن عبدالله بن عمر أخرجه الطبراني (٤) وفي رواية مسلم والنسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه (٥) أنه روى ذلك عن أبيه عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) .

قال الترمذي : وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والصحيح هو عن ابن عمر عن عمر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) انتهى (٦)

١- انظر : صحيح مسلم بشرح النووي : ١٥٦/١ .

٢- عطاء الخرساني : هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان الخرساني واسم أبيه ميسرة وقيل عبدالله ، صدوق يهم كثيرا ، ويرسل ويدلس من الخامسة ، مات سنة خمس وثلاثين ، لم يصح أن البخاري أخرج له . تقريب التهذيب : ٢٣/٢ .

٣- هو عطاء بن أبي رباح ، أسلم القرشي ، مولاهم المكي ، ثقة فقيه ، فاضل ، لكنه كثير الارسال من الثالثة ، مات سنة أربع عشرة على المشهور ، وقيل انه تغير بآخرة ولم يكن ذلك منه . تقريب التهذيب : ٢٢/٢ .

. . . .

قوله(ومعه رهط من أصحابه) اعلم أن هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب ، وأبو هريرة عند من ذكرتهم في ابتداء الحديث ، ومنهم أبو هريرة عند البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، ومنهم أبو ذر عند النسائي وأبو داود ، ومنهم ابن عباس عند أحمد والبزار(١) .

ومنهم أبو عامر الاشعري (٢) عند أحمد ومنهم أنس عند البزار والبخاري في خلق أفعال العباد ، ومنهم جرير البجلي (٣) عند أبي عوانة (٤) في صحيحه ، ومنهم عبدالله بن مسعود أخرج عنه الامام في مسنده هذا .

فغالبهم يخبر عن نفسه صراحة أو اشارة بأنه كان في مجلسه (صلى الله عليه وسلم) الا ابن عباس فلعله لم يحضر في ذلك المجلس اما لصغر سنه أو لعارض آخر .

...... ٥- ورد في نسخة (هـ) وفي رواية مسلم وأصحاب السنن أن ابن عمر انما روى ذلك عن أبيه قال الترمذي .

٦- انظر : تحفة الاحوذي : ٣/ ٢٥٥ ، كما أنه سبق الاشارة الى ذلك .

٤- الطبراني ، المعجم الكبير : حديث رقم ١٢٥٨١ .

١- البخاري كتاب (٢) باب (٣٧) حديث (١) ، ومسلم كتاب (١) حديث (٥) أبو داود كتاب (٣٩) والترمذي كتاب (٣٨) باب (٤) النسائي كتاب (٥١) باب (٤٨) ، وابن ماجه المقدمة باب (٩) ، أحمد : ١/كتاب الايمان حديث ٧٠٦ ، انظر فتح الباري لابن حجر : ١/ ٩٥ .

٢- أبو عامر الاشعري ، صحابي ، اسمه عبدالله ، وقيل عبيد بن هانئ أو ابن وهب عاش الى خلافة عبدالملك . تقريب التهذيب : ٢/ ٤٤٢ .

٣- جرير البجلي ، جرير بن يزيد بن عبدالله البجلي ، ضعيف من السابعة . تقريب التهذيب : ١/ ١٢٧ .

٤- أبو عوانة : الحافظ أبو عوانة هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم بن يزيد الاسفرائيني نيسابوري الاصل ثم الشافعي ، أحد الحفاظ والمحدثين المكثرين المتوفى باسفرائين سنة ٣١٦هـ الرسالة المستطرفة : ٢٥ .

وقوله : (اذ أقبل شاب) أى ملك في صورة شاب وفي رواية للبخارى (فأتاه رجل) وفي أخرى له : (اذ أتاه رجل يمشي) (١) ، وفي رواية أبي ذر وأبي هريرة (وانـــا لجلوس عنده اذ أقبل رجل أحسن الناس وجها وأطيب الناس ريحا كأن ثيابه لم يمسسها دنس) ، وفي مسلم عن عمر : (اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) وفي رواية : (شديد سواد اللحية) لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منـــا أحد) (٢) .

واللّمة : بكسر اللام وشدة الميم هي الشعر المتجاوز عن شحمة الاذن وجمعهـــا لمم .

وأفاد مسلم في رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث ، فعنده في أوله قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (سلوني فهابوا أن يسألوه ،فجاء رجل ، ووقع في رواية ابن مندة من طريق يزيد بن زريع عن كهمس بينا رسول الله (صلى اللـــه عليه وسلم يخطب اذ جاء رجل (٣) فكأن أمره لهم بسؤاله وقع في خطبته ،وظاهره أن مجيء الرجل كان في حال الخطبة فأما أن يكون وافق انقضائها أو كأنه ذكر القـــدر جالسا ، وعبر عنه الرواى بالخطبة والاول أوجه لما تؤيده رواية النسائي فان فيهـــا

١- في نسخة (هـ) اذ أتاه رجل يمشي ومجيء جبريل في صورة شاب يقتضي بأن العلم انما يطلب في حالة الشباب لا في حالة الكهولة . فضلا عن الشيخوخة ،جميـــل أى حسن الصورة وفي حديث أبي ذر وأبي هريرة فانا لجلوس. . . . . . .

٢- انظر : فتح البارى : ١/ ٦٥، ومسلم: كتاب الايمان الحديث الاول .

٣- انظر كتاب الايمان لابن مندة : ١/ ١٣٢.

(كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فـــلا

يدري أيّهم (١) .

فطلبنا اليه أن يكون له مجلسا يعرفه الغريب اذا أتاه فبنينا له دكانا من طين

كان يجلس عليه .

(انا لجلوس . . . الخ) واستنبط منه القرطبي استحباب جلوس العالم بمكان

يخصص به ويكون مرتفعا اذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه (٢) .

وفي مجيء جبريل على تلك الحالة اشارة الى أن زمان طلب العلم أوان الشباب

لقوته على تحمل أعبائه وقدرته على تعلم آدابه ، واشارة الى معنى قول من قال حسن

الادب في الظاهر عنوان حسن الادب في الباطن .

ولذلك أدب الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (وثيابك فطهر والرجز

فاهجر) (٣) ، ومن ثم كان الامام مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه

وسرح لحيته وتطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال :

أحب أن أعظم حديث رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) .

١- النسائي : كتاب الايمان وشرائعه بحديث الاول في باب صفة الايمان والاسلام .
٢- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ١/٩٥ .
٣- سورة المدثر ، الآية : ٤-٥ .

وقوله : (السلام عليك يارسول الله ، السلام عليكم) يذهب باشكال من قال كيف بدأ بالسؤال ، ووقع عند القرطبي أنه قال : السلام عليكم يا محمد ، فاستنبط منه أنه يستحب للداخل أن يعمم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه انتهى (١) .

وفي رواية أبي ذر حتى سلّم من طرف البساط ، فقال : السلام عليك يا محمد فرد عليه السلام ، قال : ادنو يا محمد ، قال أدن فما زال يقول ادنو مرارا ويقول له أدن ونحوه في رواية عطاء عن ابن عمر لكن قال السلام عليك يارسول الله . (٢) .

قال الحافظ بن حجر : والذى وقفت عليه من الروايات انما فيه الافراد وهو قوله السلام عليك يا محمد ، واختلفت الرواية هل قال له : يا محمد أو يارسول الله ، فيجمع بين الروايات بأنه ناداه (صلى الله عليه وسلم) باسمه الشريف (صلى الله عليه وسلم) ارادة للتعمية ، فصنع صنيع الاعراب ثم خاطبه بقوله : يارسول الله (٣) فعلى هذا ان صحت رواية الامام فيؤخذ منه استحباب السلام ثلاثا : (وكان صلى الله عليه وسلم اذا سلّم سلّم ثلاثا) (٤) كما أخرجه البخارى عن أنس ، فالاول من سلام جعل للتعمية والآخر تأدبا والثالث تعميا للحاضرين .

١- انظر: فتح البارى ، لابن حجر : ١/٩٦ .
٢- يقول الحافظ ابن حجر في فتح البارى : ١/٩٦ : فقد ثبت في رواية أبي فروة حتى سلم من طرف البساط ......
٣- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/٩٦ .
٤- البخارى : ١١/٢٢ ، والترمذى : حديث ٢٧٢٤ ، مع اختلاف في اللفظ .

ويؤيد ما قلته ما في رواية الامام : (فرد عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورد دنا معه .

وقوله : (فقال ادنويارسول الله) استئذان منه (صلى الله تعالى عليه وسلم) في القرب وتعليم للصحابة آداب مجالستهم له (صلى الله عليه وسلم) وايذانا بأن من يطلب علما ينبغي له القرب المفرط من الشيخ ليستفيد كما ينبغي ،فانه لم يقنع بالدنو الاول الواقع في قول الراوى من قوله : (فدنا دنوة أو دنوتين) وفسر الدنوة الشيخ على القارى بالخطوة ولم أرى في كتب اللغة التصريح بذلك ،والمرة مستفادة من الهاء والتي في الدنوة قال في القاموس دنا دنوا ودناوة قرب (١) انتهى .

وقوله فقال : (أدنه) أمره بالدنو والهاء للسكت . وقوله : (حتى ألصق ركبتيه بركبتي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) في رواية ابن عمر عند الطبرى حتى اصطكتا ركبتاه بركبتي النبي (صلى الله عليه وسلم) (٢) .

ولسليمان التيمي : (ليس عليه سحنا سفر وليس من البلد فتخطى حتى برك بين يدى النبي (صلى الله عليه وسلم) كما يجلس أحدنا في الصلاة ،ثم وضع يده على ركبتي النبي (صلى الله عليه وسلم) ،وكذا في حديث ابن عباس وأبي عامر الاشعرى : (ثم وضع يده على ركبتي النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فهذا صنيع منبه

١- انظر: القاموس المحيط : كلمة دنو دنا ،دنوا أى قرب كأدنى ، ودنّاه تدنية وأدناه قرّبه .

٢- الطبراني ،المعجم الكبير حديث (٣٥٨)، تحقيق أحمد السلفي .

للاصغاء اليه وفيه اشارة لما ينبغي للمسؤل من التواضع عما يبدو من جفاء السائل والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن أنه من جفاة العرب .

ولهذا استغربت الصحابة صنيعه ولأنه ليس من أهل البلد ولذلك قال عمر (رضي الله عنه) : (ولا يعرفه منا أحد) وقد جاء في رواية عثمان بن غياث : (فنظر القوم بعضهم الى بعض فقالوا ما نعرف هذا) (١) .

وقوله : (فقال أخبرني عن الايمان) انما قدم السؤال عن الايمان لانه الاصل وثنى بالاسلام لانه يظهر مصداق الدعوى ، وثلث بالاحسان لانه متعلق بهما الا أنه وقع في رواية الاسلام قبل الايمان (٢) فقيل في توجيهه لانه أمر بالامر الظاهر ثم الايمان لانه أمر بالباطن ، ورجحه الطيبي لما فيه من الترقي (٣) .

قال الحافظ بن حجر : لا شك أن القصة واحدة اختلفت الروايات في تأديتها وليس في السياق ترتيب ، ويدل عليه رواية مطر الوراق فانه بدأ بالاسلام وثنى بالاحسان وثلث بالايمان ، فالحق أن الواقع أمر واحد والتقديم والتأخير وقع من الرواة والله أعلم (٤) انتهى .

١- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ٩٦/١ .
٢- في رواية عند مسلم : (حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : سلوني فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال يارسول الله ما الاسلام . . .
مسلم ـ كتاب الايمان ، الباب الاول حديث رقم (٦) .
٣- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ٩٦/١ .
٤- نفس المصدر السابق : ٩٦/١ .

وقوله : (أن تؤمن بالله . . . . الخ) دل الجواب على أنه انما سأله عن متعلقاته لا عن معنى لفظه والا لكان الجواب : الايمان التصديق مع أن قوله (أن تؤمن) متضمن معنى أن تعترف به .

ولهذا عداه بالباء أي تصدق معترفا بكذا مع أن التصديق أيضا يعدى بالباء فلا تحتاج ح (أي الاحناف رحمهم الله) الى دعوى التضمين وربما كان المراد من المحدود الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوى .

وأحسن ما يقال فيه : انما أعاد لفظ الايمان للاعتناء بشأنه تفخيما لامره - ومنه قوله تعالى : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) (١) ، في جواب من يحيى العظام وهي رميم ، وذلك لان ان اذا دخلت على الفعل المضارع نقلته الى معنى المصدر فكأنه قال : الايمان الشرعي تصديق مخصوص) (٢) وهو مشتق من الامن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف .

والتصديق وهو الغرض المبتغى منه عند الاطلاق لأن ما اعتقده الانسان وصوره في نفسه يدخل فيه الشك واليقين ، وما سمعه يحتمل الصدق والكذب ولأن الامر والنهي كل منهما بالنسبة الى المخاطب به قول يتردد بين الرد والقبول فمن عرف حقا فأيقن به حتى يجد في نفسه استحالة أن يكون باطلا ، فكأنما آمن نفسه أن يعتريه شك فيه أو

١- سورة يس ، الآية : ٧٩ .
٢- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ٩٦/١ .

تصده عنه شبهة ،ومن سمع خبرا واعتقد أنه صدق حتى لا يستشعر عن نفسه جواز أن أن يكون كذبا فكأنما أمن نفسه باعتقاد ما اعتقده فيما القي اليه من أن يكون مكذوبا أو ملبسا عليه ومن بلغه أمر أو نهى فاعتقد فيه الطاعة حتى لا يرى لنفسه في الترك والا تيان مسلكا ، فكأنما أمن نفسه باعتقاد ما اعتقده فيما أبلغ اليه من أن يكون مظلوما أو مغبونا محمولا على ما لا يجب عليه قبوله .

فقول المؤمن :آمنت بما رأيته بقلبي وأدركته بعقلي وبدا لي صدق ما سمعتــه بأذني فآمنت نفسي عن الخطأ فيه والا رتياب وآمنت الداعي الى سبيل الرشاد عــن التكذيب والشقاق بما أضمرت وأظهرت له من التصديق والوفاق .

ثم التصديق اذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله وهو تقليدى وتحقيقي والتحقيقي اما استدلالي أو ذوقي ، والذوقي اما كشفي واقف على حد العلم أو الغيب ،أو غيبي غير واقف عليه ، والغيبي اما مشاهدة أو مشهود .

والاول : هو الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال .

والثاني : الاعتقاد الجازم الثابت بالبرهان .

والثالث : الممتنع الزوال الثابت بالوجدان .

والثلاثة مراتب الايمان بالغيب والاخيران علم اليقين .

والرابع : هو المشاهدة الروحانية مع بقاء الاثنين ويسمى عين اليقين .

تفيضون فيه) (١) .

وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله تعالى وآياته حتى يحصل له الفناء عن الخلق والبقاء مع الحق تعالى رزقنا الله تعالى ذلك (٢) .

اذا عرفت هذا فاعلم أن الايمان بالله تعالى هو التصديق بوجود البارئ سبحانه وتعالى واثبات وحدانيته وقدمه وعلوّه عن سمات الحدوث وتفرده بالابداع والاختراع واثبات أن وجود كل ما سواه كان بعد ايجاده له ، وأنه مدبر ما أبدع ومصرفه على مايشاء .

والايمان بالملائكة : هو الاعتقاد بوجودهم تفصيلا فيما علم اسمه منهم واجمالا في غيرهم وأنهم عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأن منهم كراما كاتبين ، وحملة العرش المقربين ، وأن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وأنهم منزهون عن وصف الانوثة والذكورة ، وأما كون الرسل أفضل أو هم فلا يجب اعتقادها فان المسألة ظنية .

والايمان بالكتب : هو الاعتقاد بأنها موجودة منزلة على رسله تفصيلا فيما علم يقينا كالقرآن والتوراة والزبور والانجيل ، واجمالا فيما عداه ، وأنها منسوخة بالقرآن وأنه

١- سورة يونس ، الآية : ٦١ .
٢- انظر مرقاة شرح مشكاة على القارى : ١/٥٦ .

لا يجوز عليه النسخ و لاتحريف الى قيام الساعة و نعتقد بان كلها كلام الله تعالى ليس فـــي ذلك ارتياب لأحـــد .

و الايمان بالرسل بانهم صادقون فيما اخبروا به عن الله تعالى . و انهم معصومون و أن يؤمن بوجودهم ممن علم بنص او تواتر تفصيلا ، و انهم بلغوا ما انزل الله اليهم شكر اللهتعالى سعيهم و جزاهم خيرا .

الحديث يدل على اتحاد الرسول و النبي لكن اخرج احمد عن ابى امامة "١" قال: قا ل ابو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الانبياء ؟ قال مائة الف و اربع وعشرون الفا الرسل من ذلك ثلاثمائة و خمسة عشر جما غفيرا "٢" انتهى .

فلهذا ذهب الى التغاير و قالوا بأن النبى انسان بعثه الله و لم يأمره بالتبليغ و الرسو ل من امره به فكل رسول نبى و لا عكس .

فلعل وجه التخصيص ان الرسول هو المقصود بالذات فى الايمان من حيث أنه مبلغ و ان الايمان بالانبياء انما يعرف من جهة تبليغ الرسل فانه لا تبليغ للانبياء هكذا حققه الشيخ على القارئ "٣"

و لكن وقع فى حديث انس و ابن عباس (والملائكة و الكتاب و النبيين) "٤" و كل من السياقين فى القـــرآن فى البقـــرة .

---

١ ـ ابو امامة صدى بن عجلان ابو امامة الباهلى صحابى مشهور ، سكن الشام و مات بها سنه ست و ثمانين تقريب التهذيب ١/ ٣٦٦ .

٢ ـ اخرجه احمد فى الجزء الخامس رقم ١٧٨ ، و فى مسند الطيالسى حديث ٤٧٨ .

٣ ـ مرقاة شرح المشكاة على القارى ١/ ٥٧ .

٤ ـ سورة البقـــرة الآيـــة ١٧٧ .

والتعبير بالنبيين يشمل الرسل من غير عكس فلعل وجه تخصيص التلفظ بالرسل انما هو ملاحظة تطابق الآية وهي قوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسلة) (١) .

وعلى هذا الترتيب وقعت ألفاظ الشارع (صلى الله عليه وسلم) أيضا مرتبة على هذه الرواية مع أن الترتيب في الخارج أيضا ملحوظ ، فان الله تعالى أرسل الملائكة بالكتب الى الرسل .

ويحكى أن يقال لم يكن في الخارج ترتيب بل المراد أن الخير والرحمة من الله تعالى ، ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه الى عباده ، والمتلقي لذلك منهم الانبياء والواسطة بين الله تعالى وبينهم الملائكة (٢) فالمقصود أولا وبالذات انزال الكتب ليلازموا معنى العبودية بامتثال الاوامر واجتناب النواهي ، فيقال حتى الواو لا تفيد الترتيب والله تعالى أعلم .

وقوله : (ولقائه) المراد به الانتقال من دار الدنيا ، ويدل عليه رواية مطر الوراق فان فيها : (وبالموت والبعث بعد الموت) (٣) .

١- سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ .
٢- انظر : فتح البارى ، لابن حجر : ١/ ٩٧ .
٣- نفس المصدر السابق : ١/ ٩٧ .

وحديث أنس فان فيها : (وبالموت وبالبعث والحساب وبالجنة والنار وبالقدر كله)[١].

وحديث أبي عامر فان فيها : (والموت والحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر(٢) .... الخ .

ولذلك قيل ان رواية (ولقائه) عند ذكر الايمان بالبعث متكررة ، لانها داخلة في الايمان بالبعث (٣) .

قال الحافظ بن حجر : والحق أنها غير مكررة فقيل المراد بالبعث القيام من القبور ، والمراد من اللقاء ما بعد ذلك ، وقيل : اللقاء : يحصل بالانتقال من دار الدنيا كما بيناه .

والبعث بعد ذلك ، وقيل : المراد باللقاء رؤية الله تعالى ، ذكره الخطابي وتعقبه النووي بأن أحدا لا يقطع لنفسه برؤية الله تعالى فانها مختصة بمن مات مؤمنا والمرء لا يدرى بما يختم له فكيف يكون ذلك من شروط الايمان ؟

وأجيب : بأن المراد الايمان بأن ذلك حق في نفس الامر وهذا من الادلة

١- انظر: فتح البارى ، لابن حجر : ١/٩٧ .
٢- نفس المصدر السابق : ١/٩٧ .
٣- نفس المصدر السابق : ١/٩٧ ، وأخرجه أحمد عن ابن عباس .

القويه لأهل السنه في اثبات رؤيه الله تعالى في الآخره اذا جعلت من قواعد الايمان (١) .

وقوله (واليوم الآخر) هو يوم القيامه لأنه آخر أيام الدنيا وآخر الأزمنه المحدوده والمراد بالايمان به الايمان بما فيه من البعث والحساب والميزان ودخول أهل الجنه الجنه ، وأهل النار النار كما مرت الروايات التي أشرنا اليها في ذلك .

وقوله (والقدر خيره وشره من الله) أراد به أنه لابد للانسان اذا آمن بما سبق أن يؤمن بالقدر خيره وشره ، ولذلك وقع في أكثر الروايات (وتؤمن بالقدر) فكأنه اشارة منه (صلى الله تعالى عليه وسلم) الى ما يقع فيه من الاختلاف فحصل الاهتمام بشأنه باعادة (تؤمن) تشريفا لقدره وتعظيما لأمره ثم قرره بالابدال بقوله : (خيره وشره) ووقع في بعض روايات حديث ابن عمر : (وحلوه ومره من الله تعالى) (٢) .

ثم زاده تأكيدا بقوله(من الله تعالى) والمعنى أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل الخلق وجميع الكائنات بقضائه وقدره وارادته فما قدره الله تعالى فلا بد من وقوعه وما لم يقدره يستحيل وقوعه .

والايمان بالقدر على قسمين :

١- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ٩٧/١ ، وكذلك صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦٢/١ .
٢- انظر : فتح الباري ، لابن حجر : ٩٧/١ .

أحدهما الايمان بأنه تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير وشر ، وأنه كتب ذلك عنده وأخفاه ، وأن العباد تجرى على ما سبق في علمه وكتابه .

وثانيهما أنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وكفر وايمان وهذا القسم ينكره القدريه كلهم .

والأول لا ينكره الا غلاتهم هكذا أشار اليه الشيخ بن حجر الهيثمي (١) .

وقال القاضي القضاء الاراده الأزليه والعنايه الالهيه المقتضيه لنظام الموجودات على ترتيب خاص ، والقدر تعلق تلك الاراده بالأشياء في أوقاتها ، والقدريه قالوا القضاء علمه تعالى بنظام الموجودات وأنكروا تأثير قدره الله تعالى في أعمالنا ، وتعلق ارادته بافعالنا وزعموا أنها واقعه بقدرنا ودواعينا فأثبتوا لنا قدره مستقله بالايجاد والتأثير في أفعالنا انتهى (٢) .

قال الحافظ ابن حجر ولقد حكى المصنفون في المقالات عن طوائف من القدريه انكار كون الباري عالم بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم ـ انما يعلمها بعد كونها (٣) .

قال القرطبي وغيره وقد إنقرض هذا المذهب ولا أعرف أحدا ينتسب اليه من المتأخرين

١- الشيخ بن حجر الهيثمي : مفتي الحجاز أبو الفضل احمد بن محمد بن محمد شمس الدين ابن حجر السعدي الهيثمي . المكي الشافعي المتوفي سنه ثلاث أو أربع أو خمس وسبعين وتسعمايه. الرساله المستطرفه : ١٥٨ .

٢- انظر مرقاه شرح مشكاه : ١ / ٥٨ .

٣- انظر فتح الباري لابن حجر : ١ / ٩٧ .

قال والقدريه اليوم مطبقون على أن الله تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدره لهم وواقعه منهم على جهه الاستقلال . وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول . وأما المتأخرون منهم فأنكروا تعلق الاراده بأفعال العباد فرارا من تعلق القديم بالمحدث وهم مخصومون بما قال الشافعي ان سلم القدرى خصم . يعني يقال له أيجوز أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منع وافق أهل السنه وأن أجاز لزمه نسبة الجهل الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا انتهى (١) .

وروى أنه كتب الحسن البصرى (٢) الى الحسن بن علي (٣) رضى الله تعالى عنهما يسأله عن القضاء والقدر فكتب اليه الحسن بن على من لم يؤمن بقضاء الله تعالى وقدره وخيره وشره فقد كفر ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر .

وأن الله تعالى لا يطاع استكراها ولا يعصى بغلبة ، لأنه تعالى مالك لما ملكهم وقادر على ما أقدرهم فان عملوا بالطاعه لم يحل بينهم وبين ما عملوا وان عملوا بالمعصيه فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا فليس هو الذى جبرهم على ذلك ، ولو جبر الله تعالى

١- انظر فتح البارى لابن حجر : ١/ ٩٧ ، ٩٨ .

٢- الحسن بن أبي الحسن البصرى واسم أبيه يسار . ثقه فقيه فاضل مشهور . وكان يرسل كثيرا ويدلس مات ١١٠هـ - تقريب ١/ ١٦٥ .

٣- الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي . صحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحفظ عنه مات ٤٩ أو ٥٠ هـ - تقريب ١/ ١٦٨ .

الخلق على الطاعة لا سقط عنهم الثواب .

ولو جبرهم على المعصيه لأ سقط عنهم العقاب ولو أهملهم كان ذ لك عجزا في القد ره

ولكن له فيهم المشيئه التي غيبها عنهم .

فان عملوا بالطاعه فله المنه عليهم وان عملوا بالمعصيه فله الحجه عليهم والسلام (١) .

فأرشد (رضي الله عنه) الى نفي مذ هب القد رية ومذ هب الجبرية القائلين بأن العباد

مجبورون على أفعالهم ، اذ يلزمهم أن لا تكليف ومن اعترف منهم بهذا اللازم فهوكافر.

وقد أشار في ذ لك الى مسلازمات لا يمكن التغاضي عنهـــا الا باتباع ما كان عليه

السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة المهديين .

وقال الشيخ علي القارى وأن الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق لان

اتيان المقد ورات واحكامها على ما هو حقها في أزمنة وأمكنة مخصوصة تدل على توحـــد

الحكم بتقديرها المقتضي لتوحيد المقدر ، والعلم بصفاته كسعة علمه ورحمته على العالمين

وآثار قدرته وحكمته للمخلوقين ونفوذ قضائه فيهم والعلم بكمال صنعه وأفعاله ، وأن

الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية ، فيعلم أن الحذر لا يقطع القدر ولا ينـازع

أحد في طلب شيء من اللذات ولا يفرح بما يأتي ولا يحزن بما فات ليكون مستسلما

١- مرقاة شرح مشكاة : ١/٥٩ - شرح علي القارى .

للحق فيما أراده من القضاء المطلق وحسن الخلق مع سائر الخلق (١) انتهى .

وقوله : (فتعجبنا من تصديقه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .. الخ

وقع في رواية أبي فروة عن أبي هريرة : (فلما سمعنا قول الرجل : صدقت أنكرنـــــاه)

وفي رواية كهمس : (فعجبنا يسأله ويصدقه) وفي رواية مطر : (انظروا اليه كيف يسأله

وانظروا كيف يصدقه) وفي حديث أنس : (انظروا هو يسأله ويصدقه كأنه أعلم منه)

وفي حديث ابن مسعود فيما أخرجه الامام : (فعجبنا لقوله صدقت كأنه يدرى) وفي

رواية سليمان بن بريدة : (قال قال القوم : ما رأينا رجلا مثل هذا كأنه يعلم رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله صدقت صدقت .

قال القرطبي انما عجبوا من ذلك لأنّ ما جاء به النبي (صلى الله تعالى عليه

وسلم) لا يعرف الا من جهته ، وليس هذا السائل ممن عرف بلقاء النبي (صلى الله

تعالى عليه وسلم) ولا بالسماع منه ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل لأنه يخبره بأنه

صادق فيه فتعجبوا من ذلك ، تعجب المستبعد لذلك (٢) لأنّ مقتضى السؤال عدم

العلم ، ومقتضى التصديق العلم .

فان قيل قد يصدق الطالب الشيخ ايمانا به وتسليما له ، فلا يكون دليل العلم .

١- انظر مرقاة شرح مشكاة ، لعلي القارى : ١/٥٩ .

٢- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/٩٩ .

قلنا تصديقه كان على وجه التصويب والتقرير بدلالة المقام فافهم .

وقوله (فأخبرنى عن شرائع الاسلام ما هى) وقع في اكثر الروايات بلفظ (أخبرني عن الاسلام وفي بعضها قال يا رسول الله ما الاسلام) وفى روايه للنسائى يا محمد أخبرني ما الاسلام) فهذه الروايات كلها يقدر فيها حذف المضاف وهو لفظ الشرائع ويؤيده حديث ابن مسعود الآتى (١) ان شاء الله تعالى فيما أخرجه الامام .

والا فالاسلام لغة :(الانقياد والطاعة عن التطوع والرغبة من غير اعتراض) يقال سلم وأسلم واستسلم اذا خضع وأذعن ، ويندفع بهذه الرواية التي رواها الامام رحمه الله تعالى ما استشكله كثير من العلماء رحمهم الله تعالى من لزوم الفرق بين الايمان والاسلام من الحديث المذكور .

فان جبريل عليه السلام لما سأل رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن الايمان وبينه له احتاج أن يسأل عن شرائعه التي يلتبس بها المؤمن بين ظهرانى المؤمنين .

فكأنه قال : أخبرني عن شرائع الاسلام الذى هو الايمان ؟ وهذا من التفنن فى العبادة والارشاد الى أنه لا فرق بينهما ، وهذا من قبيل قوله تعالى : (ولله على

١ـ الحديث الثاني فى كتاب الايمان والاسلام .

الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) (١) .

فوضع قوله : (ومن كفر) موضع من لم يحج اشعارا بأن ترك الحج مناف للايمان وموافق بل مقارب للكفر .

وشرائع الاسلام المراد بها الامور التي يظهر بها انقياد الباطن حتى لا يكون للمسلمين سبيل على تعرضه ، ويؤيد ما قلناه من أنه انما غاير بين اللفظين تفننا وتنبيها .

قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) للصحابة : (أتاكم يعلمكم دينكم) وقد سمى الله تعالى الاسلام دينا في قوله : (إن الدين عند الله الاسلام) (٢) .

فلو كان الايمان غير الاسلام لما كان دينا مع أن الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) أطلق عليه لفظ الدين والصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) قد علموا ذلك وفهموا ما هنالك لأنّ الآية لا شك أنها قبل سؤال جبريل (عليه السلام) بمدة مديدة وذلك لما رواه ابن منده في كتاب الايمان باسناده الذى على شرط مسلم من طريق سليمان التيمي في حديث عمر أوله أن رجلا في آخر عمر النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) جاء الى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فذكره بطوله (٣) .

١- سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ .

٢- سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

٣- كتاب الايمان لابن منده : ١/١٤٥ .

وآخر عمره يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع ،فانها آخر سفراته ،ثم بعد قدومه بقليل دون ثلاثة أشهر مات وكأنه انما جاء بعد انزال جميع الاحكام لتقرير أمور الدين التي بلغها متفرقه في مجلس واحد لتضبط (١) . فان قلت فما تقول في قول الله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) (٢) .

وحديث سعد بن أبي وقاص اذ قال للنبى (صلى الله عليه وسلم) (مالك يا رسول الله عن فلان فانى لأراه مؤمنا فقال أو مسلما) (٣) وغير ذلك من الآيات والاحاديث الداله على أن الايمان والاسلام متغايران .

قلت لا كلام لنا في نفى الفرق مطلقا بحيث لا يدل دليل عليه وانما كلامنا في أن حديث جبريل عليه السلام لا يستلزم منه الفرق لما أوضحنا .

فاذا علمت هذا فاعلم أن للاسلام حقيقتان ، حقيقه شرعيه وحقيقه لغويه فبالحقيقه الشرعيه لا يباين الايمان ، ويخالفه بالحقيقه اللغويه .

ولذلك قال البخارى في صحيحه اذا لم يكن الاسلام على الحقيقه وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فاذا كان على الحقيقه . فهو على قوله جل ذكره ان الدين عند الله الاسلام انتهى .

١- انظر فتح البارى لابن حجر : ١ / ٩٨ .
٢- سوره الحجرات ،الآيه : ١٤ .
٣- البخارى - كتاب الايمان باب اذا لم يكن على الحقيقه وكان على الاسلام أو الخوف من القتل : الحديث الأول .

والحقيقه في عباره البخارى اريد بها الحقيقه الشرعيه فالاسلام في عرف الشرع يطلق تاره على الانقياد مع التصديق . فكأن الشارع(صلى الله عليه وسلم ، أجمل في الجواب أولا حيث قال (الايمان أن تؤمن بالله ......الخ) فان الايمان بهم والتصديق بما جاء من عند الله تعالى من حديثهم باعث لانقياد الظاهر ضروره .

فلما علم جبريل ذلك قال : حتى يحصل له التفصيل فمفهوم سؤاله حينئذ كيف يفهم ذلك التصديق القلبي وماذا يترتب عليه فأرشده (صلى الله تعالى عليه وسلم) الى ذلك بقوله (الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله .....الخ) وانما اقتضى الحديث التفصيل والاجمال لأن المقام مقام تعليم للامه وتفهيم لهم .

فيجب حمل الايمان والاسلام على ما تعورف بينهم وألفوه . وكما تواردت النصوص مثل قوله تعالى (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) (١) ولك أن تقول أن تفصيل السؤال عن الايمان والاسلام انما هو تفصيل مجمل الذى هو الدين . فان الدين اسم جامع للايمان والاسلام - لكن يستلزم حينئذ مباينه الايمان للاسلام لأن قسيم الشيء غير الشيء . ولا يرد ذلك على التقرير الأول فافهم .

وقوله (قال اقام الصلاة) هكذا وقع في رواية سليمان بن بريده عند أبي داود . والا فقد وقع في روايته عند احمد . قال شهاده أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفي روايه

١- سورة الذاريات،الآيه : ٣٦ .

البخاری ان تعبد الله لا تشرك به شيئا) و فی روايه مسلم و غيره (الاسلام ان تشهد لا اله الاالله و ان محمدا رسول الله) و فی رواية (فقال يا رسول الله ما الاسلام قال لا تشرك بالله شيئا) و فی حديث ابن عباس (الاسلام ان تسلم وجهك لله عز وجل و ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و ان محمدا عبده ورسوله قال فاذا فعلت ذلك فقد اسلمت) و فی حديث ابی عامر ان تسلم وجهك لله عز و جل و تشهد ان لا اله الاالله و ان محمدا عبده و رسوله و تقيم الصلاة و تؤتی الزكاة قال فاذا فعلت ذلك فقد اسلمت ؟ قال نعم) ٠

و فی حديث انس (قال شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و ان محمدا عبده و رسوله) ٠

ففهم من هذه الروايات ان الاقرار بالشهادة سقط من رواية الامام ٠ و الا فأصله ثابت كما قررناه ٠ ولان الاسلام اعمال قولية و بدنية ، فالاقرار بهما من الاعمال القوليه "١" ٠

و المراد من اقامة الصلاة اصلاحها حين ادائها حتى لا يختل من اركانها شئ ٠

---

١ ـ انظر فتح الباری لابن حجر ١/ ٩٨ ٠

و لا ينقر كنقرة الدجاجة فى السجود ٠ و لا يبرك فيه بركة البعير الى غير ذلك من الامور التى اكد الشارع (صلى الله عليه وسلم) بمراعاتها ٠ اذا الخالية عنها لا تسمى مقامه ٠ فانها شبيهـــة بالمعوجة فافهم ٠

و اراد هنا بالصلاة المكتوبة فقد صرحت بها رواية مسلم ٠ و كذلك المراد من الزكـــا ة المفروضـــة٠ و كذلك صرحت بها رواية مسلم و قوله (و حج البيت) وقع فى روايه مسلم و تحج البيت وتعتمر و تغتسل من الجنابة و تتم الوضوء ٠

و قوله . (فاخبرنى عن الاحسان) يمكن ان اللام فيه للعهد الذهنى ٠ فاراد ان يســأ ل عن معنى الاحسان الواقع فى قوله تعالى (و احسنوا ان الله يحب المحسنين) "١" ٠
و قوله للذين احسنوا الحسنى و زيادة) "٢" و قوله (هل جزاء الاحسان الا الاحســـان "٣"
و غير ذلك من الايات و الاحاديث من قبيل قوله (صلى الله عليه وسلم) اذا احســـن

---

١ ــ سورة البقرة الاية : ١٩٥ ٠

٢ ــ سورة يونس الاية ٢٦ ٠

٣ ــ سورة الرحمن الاية ٦٠ ٠

أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها (١) الحديث .

فان الاحسان الوارد فيها وان كان يشمل الايمان والاسلام وغيرهما من الاعمال والاخلاق والاحوال لكن لما كانت أعمال البر كلها متفرعة من الايمان والاسلام اذا لا عبرة لها بدونهما كان حصره فيهما ضرورة والله أعلم .

والاحسان مصدر تقول أحسن يحسن احسانا ، ويتعدى بنفسه وبغيره ، تقول أحسنت كذا اذا أتقنته وأحسنت الى فلان اذا أوصلت اليه النفع ، والاول هو المراد لأن المقصود اتقان العبادة ، وقد يلاحظ الثاني بأن المخلص مثلا يحسن باخلاصه الى نفسه وينعم به عليها ، واحسانها الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس فيها ومراقبة المعبود (٢) .

وقوله : (أن تعمل لله) هكذا وقع أيضا في حديث ابن مسعود فيما أخرجه الامام وحديث ابن عباس عند أحمد والبزار ووقع في رواية عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة عند مسلم وفى حديث أنس عند البزار : (أن تخشى الله كأنك تراه) وأما عامة الروايات فانما هي بلفظ : (أن تعبد الله كأنك تراه) .

فأشار (صلى الله تعالى عليه وسلم) في الجواب الى حالتين أرفعهما أن يغلب

١- الحديث : جزء من حديث عن أبي هريرة ، متفق عليه . اللولوء والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان رقم (٨٠) .
٢- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/ ٩٨ .

عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يره بعينه وهو المراد بقوله : (كأنك تراه) أي وهو يراك(١) فهذا مقام المشاهدة ويلزمه غاية الصدق والتعظيم والاجلال والخضوع والخشوع والحياء والمحبة ، والانجذاب ، والذوق ، والشوق ، والاجتماع ظاهره وباطنه .

ألا ترى الى من يعمل لشخص وقد استأجره وهو حاضر عنده مطلع على عمله لا يفارقه لحظة والاجير عالم باطلاعه شاهد لاطلاعه لا يسعه الا أن يبلغ وسعه في ما استأجره فيه ليريه ما يرضيه فيجمع همته ، ويمنع حواسه عن التشتيت ، ويصرف جهده الى العمل مرة واحدة حتى لا يرى الاجير المستأجر الا وهو قد أعجبه عمله ، وظهرت في وجهه مخايل المسرة ، فعند ظهورها في وجه المستأجر ظهرت عليه علامات البشر والفرح لكونه عمل عملا في حضرة المستأجر وأرضاه بعمله .

ولو كان قلبه مشغولا بغير العمل وحواسه مجتمعة فيه لم يضره شيء لأنَّ المستأجر لا اطلاع له على قلبه ، فلما كان ذلك في عبادة الباريء سبحانه وتعالى عن الاشباه والنظائر وكان الحق سبحانه مطلعا على سريرته وعلانيته لا تخفى عليه خافية لم يسعه الا نفي الخواطر بأجمعها والترقب لمشاهدة الحق تعالى وبذل جهده فيما يرضيه .

وقد ورد في الحديث أن المصلي يناجي ربه (٢) فلا تكون المناجاة الا لمشهود ومعاين .

١- انظر : فتح الباري ، لابن حجر : ١ /٩٨ .
٢- جزء من حديث متفق عليه : (ان أحدكم اذا قام في صلاته فانه يناجي ربه . . . . البخاري : ١ /٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ومسلم : ١ /٥٥ .

وكذلك قوله تعالى : (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن .... الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) (١) .

فينبغي للمؤمن أن يعرف قدر من يناجيه ويشاهده ، ولا يقصر في عبادته شيئا فكلما يفعل شيئا في عبادته فانما هو نتيجة محبته لله تعالى والتقرب الى حضرته والاستيناس به ، والانقطاع اليه ، فان لم تعامله معاملة من يراه فينبغي لك أن تعامله معاملة من يراك ، واستحضر أن الحق تعالى مطلع عليك يرى كلما تعمل فلا تغفل عن ذلك .

فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ، وهذه هي الحالة التي أشار اليها (صلى الله تعالى عليه وسلم) بقوله : (فان لم تكن تراه فانه يراك) . وهي المراقبة عند الصوفيه فانها ملاحظة العبد نظر الله سبحانه وتعالى اليه واطلاعه على أحواله الظاهرة والباطنة فكلما فعل شيئا وأظهر الخشوع فيه فانما هو نتيجة الخوف والخشية فى أن لا يراه مقصرا فيما أمره به فيلزمه أيضا الاجتماع في الحركات والسكنات وضبط الافعال ورعاية الادب في جميع الحالات ، وعدم الالتفات يمينا وشمالا حتى لا يراه الحق تعالى مشغولا بغيره كمن قام في خدمة سلطان قهار يراقب أحواله ويشاهد أعماله وينتظر الغرض منه فيضيق عليه مجال الغفلة وسوء الادب .

١- سورة يونس ، الآية : ٦١ ، والنص هنا ناقص في الوسط : (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم .....) .

ومع هذا فالمقام الاول أرفع لأن المحبة أصله وهي توجب بنفسها الترقي في الخشوع للتلذذ بالواردات الربانية التي ترد على العبد بسببها آنا فآنا وساعة بعد ساعة .

وأصل المقام الثاني انما هي الخشية وهي غاية ما تثمر السلامة عن النقصان فيما أمر ، وليس لها في الزيادة نصيب ، ومن هنا ينبغي أن يقال مكان العارف مستحيل الا تلذذا والله تعالى أعلم .

وقال النووي : معناه أنك انما تراعي الاداب المذكورة اذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه .

فهو دائما يراك فأحسن عبادته وان لم تره فتقدير الحديث فان لم تراه فاستمر على احسان العبادة فانه يراك (١)انتهى .

لكن اذا تأملت مفهوم كلامه وجدت الحالتين مدرجه في حالة واحدة المراقبة التي هي ثمرة الخشية وعلى ما قررناه سابقا لكل مقال مقام ولكل مقام رجال ، رزقنا الله تعالى هاتيك الدولة الابدية والسعادة السرمدية ، ويرزقنا الهيمان في حبه والانقطاع اليه والاستيناس به انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

١- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ٩٨/١ .

وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين ، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ، ودأب الصالحين وهو من جوامع الكلم التي أوتيها (صلى الله تعالى عليه وسلم) (١) .

اذا علمت هذا فاعلم أن بعض الصوفية قد وقف على (تراه) التالية بمعنى أنك اذا فنيت عن نفسك فلم تكن شيئا ، ولم تر نفسك شاهدت ربك لانها الحجاب بينك وبين شهود الرب تعالى .

وتعقب ذلك بأنه لو كان المراد مازعم لكان قوله : (تراه) محذوف الالف لان اثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس ، فلا يصار اليه اذ لا ضرورة هنا توجب ذلك .

وأيضا لو كان ما انتهى اليه صحيحا لصار قوله : (فانه يراك) ضايعا ، لانه لا ارتباط له بما قبله ، وقد جاء في رواية كهمس وسليمان التيمي : (فانك ان لا تراه فانه يراك) فسلط النفي على الرؤية ، لا على الكون منفي الذى أريد به الفناء .

وفي رواية أبي فروة وحديث أنس وابن عباس (فان لم تره فانه يراك) وكل هذا يبطل التأويل المتقدم (٢) .

وأجيب بأن اثبات الالف في المضارع المجزوم لغة شائعة ، واردة في كلامهم ، وعلى ذلك وردت قراءة في قوله تعالى : (أرسله معنا غدا يرتعي ويلعب) باثبات الياء في

١- انظر : فتح البارى ، لابن حجر : ١/ ٩٩ .

٢- نفس المصدر السابق : ١/ ٩٩ .

يرتعي ، وفي قوله : (ومن يتقي ويصبر) .

على أن الجزم في الجزاء فيما كان الشرط ما ضيا غير واجب (١) والماضي أعم من أن يكون لفظا ومعنى ، وجاء حذف الفاء من الجملة الاسمية الواقعة موقع الجزاء .

وقوله : (فانه يراك) متعلق بالكلام السابق وان كان له تعلق ما أيضا (٢) باللاحق ويجوز أن تكون الروايات الباقية (٣) بناء على فهم الراوى من معنى الحديث ونقل معنى الحديث على أن فهم الصوفية ذلك ليس تأويلا للحديث وبيانا لمعناه المراد عند علماء العربية ، وانما ذلك شيء يلوح على بواطنهم بغلبة ما فيهم من المحو والفناء وليس ذلك الا من هذا اللفظ الوارد في هذه الرواية وفهمهم تلك من قبيل تحسرهم حين سمعوا الخيار عشرة بدانق فقالوا اذا كان حال الخيار فما حال الاشرار أعاذنا الله تعالى منهم .

هكذا حققه الشيخ عبدالحق الدهلوى وشدد الشيخ على القارى في تقرير معناهم وأطال الكلام في توجيه ألفاظهم وقال : انما أطنبت في المقام لتخطيه (٤) بعض الشراح في ذلك الكلام انتهى .

ولعله والله أعلم أراد من الشراح التوربشتي في شرح المصابيح فانه قال : ولقد

١- ورد في نسخة (هـ) : الجزم في الجزاء ليس بواجب فيما كان شرطه ماضيا . والماضي أعم من يكون لفظيا أو معنويا ولم اذا دخلت على الفعل المضارع المجحود .
٢- غير موجودة كلمة "ايضا" في نسخة (هـ) .
٣- في نسخة (هـ) : وأما الروايات النافية فيجوز أن تكون بناء على ....
٤- ورد في نسخة (هـ) لتخطئة وكذلك انظر مرقاة شرح مشكاة لعلي القارى : ١/٦١ .

وجدت في المتأخرين زمانا ومنزلة ممن أفضى به جهله بأصول الدين وعلوم الشريعة الى القول باثبات رؤية الله سبحانه وتعالى للأولياء وخواص المؤمنين في هذه الدار الفانية (١) من يظن أن له متمسكا في قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث (فان لم تكن تراه فانه يراك) وهذا قول زائغ ومذهب باطل لعدم التوفيق في جوازه ودلالة النص على خلافه وذلك قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذى يرويه (٢) أبو أمامة : (فانه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت) (٣) وقوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذى روته عائشة (رضي الله عنها) : (والموت قبل لقاء الله) .

وكلا الحديثين صحيح أخرجه مسلم في جامعه وهذا المتوهم الذى دحض في قوله أتته المحن من قبل جهله بوجوه كلام العرب فظن أن في قوله : (فان لم تكن تراه) دليلا على جواز أنه يراه ، فلم يفهم المراد منه .

والنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) أراد بهذا القول ارشاد العباد الى رعاية حق التعظيم في عبادته واستشعار الخوف منه ، والتوجه اليه على حال اليقين حتى

١- ورد في نسخة (هـ) بدل (هذه الدار الفانية) كلمة (الدنيا) .
٢- ورد في نسخة (هـ) بدل عبارة (في الحديث الذى يرويه (فيما يرويه) .
٣- أخرجه مسلم في كتاب الفتن : قال ابن شهاب وأخبرني عمر بن ثابت الانصاري أنه لن يرى أحد منكم ربه عزوجل حتى يموت) رقم الحديث : (٢٠٤٤) .

كأنهم ينظرون اليه ،والى هذا المعنى أشار أبي بن كعب (١) (رضي اللهعنه) في قوله : (ففضت عرقا وكأني أنظر الى الله تعالى فرقا).

وأراد بقوله : (فان لم تكن تراه) ان العبرة في تعظيم من عظمته وتأدبت بين يديه برؤيته اياك واطلاعه عليك لا برؤيتك اياه فاعبده على يقين من هذه الحالة فان لم تكن تراه فانه يراك ،وهذا مثل قول القائل : (فان لم تكن تعلم الغيب فان الله تعالى يعلمه) ،فهل يلزم من هذا القول اثبات علم الغيب لاحد سوى الله تعالى .

وتمسكت هذه الجماعة بأنه لم يرد في أكثر الروايات قول جبريل : (صدقت) بعد سماعه حقيقة الاحسان كما قال في كل من المرتين وذلك مدفوع لما قد ثبت ذلك في حديث عمر وأبي هريرة ،وابن مسعود ،وأنس ، وابن عمر انتهى . باختصار من آخره .

وقوله : (فاذا فعلت ذلك فأنـــا محسن) وقع في رواية ابن عمر عند أحمد وفي حديث أنس أيضا بعد كل سؤال ،فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم، وقال بعد سؤال الايمان فاذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ، وبعد سؤال الاحسان كذلك .

وفي حديث أبي عامر وقع بصيغة الماضي (فقد أسلمت فقد آمنت ، فقد أحسنت) ولم يكن لشيء منها تعرض في الروايات الباقية على قدر تتبعي والله أعلم .

١- أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الانصارى ،الخزرجي ،سيد القراء من فضلاء الصحابة قيل مات سنة تسعة وعشرين وقيل اثنتين وثلاثين . تقريب التهذيب : ١/ ٤٨ .

ولعل تلفظه بهذه الكلمات انما تقرير للأمر وتأكيد ليتوجه السامعون الى فهم ذلك ويفرغون أسماعهم الى تلقي ذلك من مصدر النبوة (صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم(١) .

وقوله : (فأخبرني عن الساعة متى هي) وقع عند البخارى (قال يارسول متى الساعة) وهكذا عند مسلم وفي رواية الترمذى وحديث أبي عامر (فمتى الساعة) وفي رواية (قال يا محمد فأخبرني متى الساعة) وفي حديث عمر (فأخبرني عن الساعة) وفي رواية عمارة بن القعقاع (قال يا رسول متى تكون الساعة) وفي حديث ابن عباس (فحدثني متى الساعة) وفي حديث أنس (قال يامحمد ما الساعة) ولعل ما في حديثه للمدة (٢) .

وفي حديث ابن مسعود (فمتى قيام الساعة) واللام للعهد ، والمراد يوم القيامة ،قال صاحب الكشاف : (وانما سميت ساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لانها عند الله تعالى على طولها كساعة من الساعات عند الخلق) انتهى (٣) .

قال الطيبي عني بالعكس انها سميت بها بناء على عكس ما هي عليه من الطول تلميحا كما تسمى المهلكة مفازة والاسود كافورا انتهى .

١- ورد في نسخة (هـ) زيادة العبارة التالية : (قال صدقت وقد وقع التصديق بعد سؤال الاحسان في حديث عمر وأبي هريرة وأنس وسيأتي في حديث ابن مسعود أيضا .

٢- وقع في نسخة (هـ) بعد هذه الكلمة اختلاف فجرى تقديم بعض عبارات هذه الصفحة أو تأخير أو صياغة أخرى يصعب مقابلتها وان كان المعنى واحدا .

٣- انظر : مرقاة شرح مشكاة : ٦١/١ .

والمراد بسؤاله عن الساعة فانما هي الكبرى فان الساعة الوسطى التي تطلق على موت أهل القرن الواحد كما في قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين سألوه عن الساعة ، فأشار الى أصغرهم ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم (١)

فأراد به انقضاء عصرهم وكذلك الساعة الصغرى التي تطلق على الموت كما في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (من مات فقد قامت قيامته) (٢) رواه الديلمي عن أنس مرفوعا .

فكل هذين القسمين لا يقصده جبريل عليه السلام عند سؤاله عن الساعة كما لا يخفى وانما سأل عن يوم القيامة ولذلك ذكرنا أن اللام فيه للعهد فافهم.

فجبريل (عليه السلام) وان كان قد علم أن علم الساعة مما استأثر الله سبحانه وتعالى به وانما سأل عنه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ليسمع الامة ، بما يجيب عنه فيعلموا أن العلوم المكنونة مع معرفة أماراتها بمعزل عن درك العقول فضلا عن رجم الظنون فيقفوا على حد الادب وينتهوا الى معالم العبودية ولا يتطلعوا الى البحث عنه والخوض فيه .

وقد كان الناس يسألون رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن الساعة فأنزل الله سبحانه : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) (٣) .

١- أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب قرب الساعة : ٨ / ٩١ قتادة عن أنس قال مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أقراني فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) ان يؤخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة .

٢- حديث ضعيف . انظر : سلسلة الاحاديث الضعيفة ، محمد ناصر الالباني رقم (١٦٧٤) .

٣- سورة النازعات ، الآية : ٤٢ .

وأنزل (يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند ربي) (١) فلم يسأل عنها بعد ورود التنزيل الا متكلف أو متعنت أو جاهل أو جاحد ، وربما كان من الصحابه من خامر ضمائرهم طمع اليه .

فتحدثهم نفوسهم أن علم الساعه وان كان مكنونا عن الخلق فليس بمستنكر من فضل الله تعالى على نبيه (صلى الله تعالى عليه وسلم) أن يكرمه بافشاء ذلك اليه ثم ينتهي من النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) الينا .

فتبقى البواطن نازعه اليه منازعه كليه خصوصا عند نزول قوله تعالى (٢) (اقتربت الساعه وانشق القمر) (٣) وقوله تعالى (اقترب للناس حسابهم) (٤) .

وكان يشاهدون فزع النبي (صلى اله عليه وسلم) عند الحوادث من الريح الكثير أو الكسوف . ففي حديث أبي موسى (فقام فزعا يخشى أن تكون الساعه) (٥) .

والطباع البشريه مجبوله على التطلع الى معرفه ما غيب عنها . وكل ما خفي على الانسان علم ثقل عليه جهله ، والى هذا المعنى يلتفت قوله سبحانه وتعالى (ثقلت في السموات

١- سورة الأعراف ، الآيه : ٨٧ (يسألونك عن الساعه أيان مرساها قل انما علمها عند ربي ....)

٢- طمع في الله ربما يكرم نبيه (صلى الله عليه وسلم) بمعرفة وقتها مهما وان كان مكنونا عن الخلق خصوصا عند نزول ... في نسخه (هـ) .

٣- سوره القمر ، الآيه : ١ .

٤- سوره الانبياء ، الآية : ١ ..

٥- انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٦ / ٢١٥ . كتاب الكسوف - ذكر النداء الصلاة جامعه حديث: رقم ٥ .

والأرض) (١)

فوقع السؤال والجواب عن هذه المسأله موضح الحاجه حسما لماده النزاع وتحقيقا للايمان بالغيب فافهم . (٢) .

(وقوله ما المسئول عنها . . . . الخ) زاد في روايه أبي فروه (فنكس رأسه فلم يجبه ثم أعاد فلم يجبه ثلاثا ثم رفع رأسه فقال ما المسئول . . . . . . الخ) وما نافيه يعني لست أنا أعلم منك يا جبريل بعلم القيامه .، وانما عدل عن الخطاب لأن الأجوبه الثلاثه على خطاب جبريل عليه السلام انما كانت تعريضا للسامعين على طريق خطاب العامه . (٣)

نحو قوله لئن أشركت ليحبطن عملك . ولو أجرى على ذلك الاسلوب لقيل لست باعلم منك ولم يفد فائده العموم ، لأن المعنى كل مسئول عنه وسائل أيا ما كان فهو داخل في هذا العموم . فكأن السائل والمسئول عنه متساويان في العلم .

بأن الله تعالى استاثر بعلمها ، ويشير الى ذلك حديث ابن عباس (فقال سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله تعالى ثم تلى الآيه) (٤) .

١- سورة الاعراف ، الآية : ١٨٧ .
٢- ورد في نسخه (هـ) بدل كلمه فافهم وما بعدها (والله أعلم فقال أي النبي (صلى الله عليه وسلم) ووقع في روايه أبي فروه .
٣- في نسخه (هـ) بعد كلمه الثلاثه وان كانت في الظاهر خطابا لجبريل لقوله أن تؤمن وأن تشهد وأن تعمل . لكنها في الحقيقه خطاب للعامه على سبيل التعريض - نحو قوله لئن أشركت ليحبطن عملك . وأما هنا فلو قال لست باعلم منك ولم يفد .
٤- الفتح الرباني - كتاب الايمان ، ١ حديث : ٧ .

قال الحميدى (١) في نوادره ثنا سفيان ثنا مالك بن مغول (٢) عن اسماعيل بن رجاء (٣) عن الشعبي (٤) قال : سأل عيسى ابن مريم جبريل عن الساعه قال فانتفض بأجنحته . وقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل) (٥) .

قال النووى يستنبط منه أن العالم اذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلم ولا يكون ذلك نقص من مرتبته . بل يكون ذلك دليلا على مزيد ورعه . (٦) .

وقوله (٧) (ولكن لها أشراط) أى علامات وهى بفتح الهمزه جمع شرط بفتحتين كقلم وأقلام .

وعند البخارى في روايه وسأخبرك عن أشراطها . وفي أخرى له (وسأحدثك عن أشراطها) وفي روايه أبي فروه (ولكن لها علامات يعرفها بها)وفي روايه كهمس(قال فاخبرنى عن أماراتها فأخبره بها) .

قال الحافظ ابن حجر فترددنا ومحصل الترد هل ابتداء بذكر العلامات أو السائل

١- الحميدى أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدى الحميدى الأندلسى القرطبي الظاهرى مذهبا - من كبار تلاميذ بن حزم المتوفى ببغداد ٤٨٨ هـ - الرساله المستطرفه ، ١٤١ .
٢- مالك بن مغول الكوفي - ابو عبد الله - ثقه ثبت من كبار السابعه . مات سنه تسع وخمسين على الصحيح - تقريب ، ٢ / ٢٢٧ .
٣- اسماعيل بن رجاء بن ربيعه الزبيدى . ابو اسحق الكوفي ثقه تكلم فيه الأزدى بلا حجه من الخامسه . تقريب - ١ / ٦٩ .
٤- الشعبى هو عامر بن شراحيل الشعبي . ابو عمرو - ثقه مشهور فقيه فاضل من الثالثه قال مكحول ما رايت أفقه منه . مات بعد المائه وله نحو من ثمانين - تقريب ، ١ / ٢٨٧ .
٥- الحديث - انظر فتح البارى ، ١ / ٩٩ ، ١٠٠ .
٦- صحيح مسلم بشرح النووى : ١ / ١٥٨ .
٧- اختلاف في نسخة (هـ) الى فقوله بمعالم جمع معلمه ....

ساله عنها ، ويجمع بينهما بأنه ابتدأه بقوله : (وسأخبرك) فقال له السائل فأخبرني (١) . ويدل على ذلك رواية سليمان التيمي ولفظها : (ولكن ان شئت نبأتك عن أشراطها قال : أجل) ، وفي حديث ابن عباس : (ولكن ان شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك قال : أجل يارسول الله فحدثني) (٢).

فقوله بمعالم جمع معلمة وهي العلامة والامارة وعلامات الساعة على قسمين :

- ما يكون من نوع المعتاد أو غيره . والمذكور هنا كما جاء في أكثر الطرق هو الاول وأما الغير (٣) مثل طلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنة لها أو مضايقة (٤) ، فالمراد هنا العلامات السابقة على ذلك ويشير الى ما قلناه لفظ حديث ابن عباس (بمعالم لها دون ذلك) والله أعلم .

ولم يتعرض لبيان العلامات في رواية الامام (رحمه الله تعالى) ولا في رواية سفيان عن علقمة بن مرثد عنهم .

وأما باقي الروايات فقد صرحت بها ، منها رواية البخارى اذا ولدت الامة ربها واذا تطاول رعاة الابل البهم في البنيان وغير ذلك من الروايات.

١- انظر : فتح البارى ، لابن حجر : ١/١٠٠ ، وورد عنده (فترددنا فحصل التردد . .
٢- الفتح الرباني : ١/كتاب الايمان حديث (٧) .
٣- ورد في نسخة (هـ) الغير المعتاد .
٤- الصحيح (مطابقة) حيث وردت في فتح البارى : ١/١٠٠ . وقد وردت في نسخة (هـ) مضايقة .

ولما لم يتعرض لشيء من الامارات لم نتعرض لشرحها روما للاختصار والله تعالى الموفق .

وقوله : (ان الله عنده علم الساعة) الآية ، استدل به النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) على أن الله تعالى استأثر بعلم هذه الاشياء الخمسة . ولم يطلع عليها أحد غيره ، وأما غيره فخص بعلمها قوما وبجهلها قوما (١) .

وجاء عن ابن مسعود قال : (أوتي نبيكم (صلى الله تعالى عليه وسلم) كل شيء سوى الخمسة .

وعن ابن عمر مرفوعا نحوه ،أخرجها أحمد (٢) وأخرج حميد بن زنجوية (٣) عن بعض الصحابة أنه ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره ، فانكر عليه فقال : (انما الغيب خمس وتلا هذه الآية ، وأخرج الطيالسي (٤) في مسنده عن ابراهيم بن سعد (٥) عن الزهري بلفظ (أوتي نبيكم مفاتيح الغيب الا الخمس) وهذا اللفظ أخرجه ابن مردويه (٦) من طريق عبدالله بن سلمة (٧) عن ابن مسعود ونحوه .

١- لقد ورد اختلاف في هذه الفقرة والتي قبلها في نسخة (هـ) .
٢- المعجم الكبير للطبراني حديث (١٣٣٤٤) عن ابن عمر مرفوعا (أوتيت مفاتيح كل شيء الا الخمس) .
٣- حميد بن زنجويه : أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبدالله النسائي الازدى (المعروف بابن زنجويه) لقب أبيه المتوفى سنة ٢٤٨ أو ٢٥١ . الرسالة المستطرفة : ٥٢ .
٤- الطيالسي . أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسي . القرشي البصرى الحافظ الثقة . المتوفى بالبصرة سنة ٢٠٢ أو ٢٠٤ هـ . الرسالة المستطرفة : ٥٢ .
٥- ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى . ثقة حجة تكلم فيه بلا قادح من الثامنة مات ١٨٥ هـ . تقريب التهذيب : ٢٥/١ .
٦- ابن مردويه الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه . الاصبهاني صاحب التاريخ والتفسير المسند أيضا المتوفى سنة ٤١٦ هـ . الرسالة المستطرفة : ٢٤ .
٧- عبدالله بن سلمة الكوفي صدوق تغير حفظه من الثانية . تقريب: ٤٢٠/١ .

قال الطيبي : فان قيل ليس في الآية أداة حصر كما في الحديث .

قلت : الفعل اذا كان عظيم الخطر وما يبنى عليه الفعل رفيع الشأن فهم منه الحصر على سبيل الكناية ولا سيما اذا لوحظ ما ذكر في أسباب النزول من أن العرب كانوا يدعون علم نزول الغيب ، فيشعر على أن المراد من الآية نفي علمهم واختصاصه بالله تعالى (١) .

قال الحافظ بن حجر : ويمكن أن يستفاد الحصر من قوله : (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله (٢) فالمراد بالغيب المنفي فيها هو المذكور في هذه الآية في لقمان .

وأما قوله : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) (٣) . الآية فيمكن أن يفسر بما في حديث الطيالسي .

وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى (عليه السلام) كان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون وغير ذلك مما ظهر للانبياء ، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله : (الا من ارتضى من رسول) فانه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب ، والولي

١- انظر : فتح الباري ، لابن حجر : ١/١٠٢ .
٢- سورة النمل ، الآية : ٦٥ .
٣- سورة الجن ، الآية : ٢٥ ، ٢٦ .

كذلك الا أنه بالهام أو منام ، والرسول بوحي .

وأنكر الرازي (١) الحصر فانه قال : لكن المقصود ليس ذلك لأن الله تعالى يعلم الجوهر الفرد الذى كان قلب رجل في زمان طوفان ونقله الريح من الشرق الى الغرب كم مرة ويعلم أنه أين هو ولا يعلمه غيره ، ولانه يعلم أنه يوجد بعد هذا بنين درة لا يسكنها أحد ولا يعلم غيره ، فلا وجه لاختصاص هذه الاشياء بالذكر الا أنهم لما أنكروا البعث وقرره الله تعالى بتقريرات حسنة ، وذكر لهم قدرته البالغة في آيات منها : (ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون) .

وفي سورة لقمان أمرهم بقوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده) الآية ، وكانوا كثيرين السؤال عن وقت هذا اليوم ، أمرهم الله تعالى بالكف عن هذا السؤال فكأنه قال : أيها السائل عن الساعة أيان مرساها لك أشياء أهم منهـــا لا تعلمها ، فانك لا تعلم معاشك ومعادك ، فلا تعلم ماذا تكسب غدا مع أنه فعلـــك وزمانك ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة متى يكون ؟

فاذا انتفى ذلك عن كل نفس مع كونه من مختصاتها ولم يقع (٢) منه على علم ، كان عدم اطلاعها علم غير ذلك من باب الاولى انتهى . باختصار منه .

١- الرازي : أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذري الرازي الحنظلي ، الحافظ المشهور من أقران البخاري ومسلم المتوفى بالري سنة خمس أو سبع وسبعين ومائتين . الرسالة المستطرفة : ١١٥ .

٢- ورد في نسخة (هـ) ولم يقف منها على علم كان عدم الاطلاع على غير ذلك من العلوم من باب أولى انتهى باختصار .

وذكر الخازن (١) أن هذه الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن خصفة من أهل البادية - أتى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا أجدبت ، فمتى ينزل الغيث ، وتركت امرأتي حبلى فما تلد ، وقد علمت أين ولدت فبأى أرض أموت ، فأنزل الله تعالى : (ان الله عنده علم الساعة) (٢) .

ولا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة ، في أى سنة أو أى شهر أو يوم ، ليلا أم نهارا .

وقوله : (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا ، وقوله : (ويعلم ما في الارحام) يعني أذكر هو أم أنثى أبيض أم أسود ، تام الخلق أم ناقصه .

وقوله : (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) يعني من خير أو شر ، وقوله : (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) يعني لا يعلم أحد مضجعه من الارض في بر أو بحر في سهل أو جبل ، فضلا عن أن يعين ذلك في موضع معروف ، أسأل الله تعالى أن يرزقني شهادة في سبيله ويجعل موتي ببلد رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) .

وروى أن ملك الموت مرّ على سليمان (عليه السلام) فجعل ينظر الى رجل من جلسائه ، فقال الرجل من هذا ؟ قال : ملك الموت فقال : كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني ببلاد الهند ، ففعل ثم قال : الملك لسليمان كان دوام (٣) نظرى

١- الخازن : علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل الشيحي البغدادى الشافعي الصوفي المعروف بالخازن ، اشتهر بذلك لانه كان خازن كتب خانقاه السماطية بدمشق ، ولد عام ٦٧٨ هـ وتوفي ٧٤١ هـ بمدينة حلب - شذرات الذهب : ٦ / ١٢١ .

٢- انظر: تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) : ٣ / ٤٤٣ . توزيع دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .

٣- جاء في نسخة (هـ) ترديد بصري فيه .

عليه تعجبا منه حيث كنت أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك .

وقوله ان الله عليم يعني مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر .

وقوله خبير يعني يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها . والنكته في العدول عن الاثبات الذى في قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) الى النفى الواقع في قوله تعالى وما تدرى الآيه .

وكذلك التعبير بالدرايه دون العلم انما هي المبالغه والتفهيم وايذانا بأنه ان أعمل (١) حيله وبذل في التصرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته . فكيف بغيره ما لم ينصب له دليل عليه . وقد ذكرنا ذلك أيضا فيما سبق من كلام الرازى .

قال ابن عباس (رضى الله عنه هذه الخمسه لا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مصطفى فمن ادعى أنه يعلم شيئا من ذلك فقد كفر بالقران لأنه خالفه (٢) .

قال القرطبى وأما ظن الغيب فقد يجوز من المنجم وغيره اذا كان عن أمر عادى وليس ذلك بعلم وقد نقل ابن عبد البر (٣) الاجماع على تحريم أخذ الاجرة والجعل واعطائها في ذلك (٤) .

وقوله : (ثم انصرف ونحن نراه) وقع في حديث أبي عامر (فلما لم نر طريقه) وفي

١- في نسخة (هـ) عمل . ٢- انظر: تفسير الخازن : ٣/٤٤٤ .

٣- ابن عبد البر : الامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى الاندلسي ، المولود ٣٦٨ . هـ المتوفى ٤٦٣ . هـ صاحب كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد من كتاب التمهيد : ١/١٣ ، الناشر المكتبة القدوسية - لاهور .

٤- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/١٠١ .

سائر الروايات (ثم أدبر) وفي رواية عمارة بن القعقاع (ثم قام الرجل) ويستفاد منه أن الملك يجوز أن يتمثل لغير النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيراه ويتكلم بحضرته وهو يسمع (١).

وقد ثبت(٢) عن أم سلمة أنها حضرت النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وجبريل يحادثه في غرفته حتى أخبر عنه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ، وكان عمران بن حصين تصافحه الملائكة (٣) .

وقوله (٤) علّي بالرجل هكذا وقع أيضا بحديث(٥) أحمد ، وفي حديث أبي هريرة (ردوا علّي الرجل) ، وقوله (٦) فقمنا في أثره بكسر الهمزة وسكون الثاء وبفتحها أى قمنا بعده .

وقوله : (ولا رأينا له شيئا) يعني ما يدالهم على طريق ذهابه من آثار المشي على الارض .

وقوله (٧) (فقال هذا جبريل) يفهم منه أنه اخباره (صلى الله تعالى عليه وسلم) لهم كان بمجرد اخبارهم له من عدم وجدانهم له وليس الامر كذلك . فقد وقع في رواية الترمذى قال عمر فلقيني النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك بثلاث فقال : يا عمر هل تدرى ؟ . . . . الخ .

١- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/١٠٢ .
٢- وقد ثبت عند البخارى عن أم سلمة في نسخة (هـ) . ٣- فتح البارى لابن حجر : ١/١٠٢
٤- قال النبي بدل (وقوله) في نسخة (هـ) ٥- في نسخة (هـ) عند أحمد بدل بحديث أحمد .
٦- لا توجد كلمة (وقوله) في نسخة (هـ) ٧- فما ندرى أين توجه ولا رأينا شيئا يعني مما يدلهم على طريق ذهابه من آثار المشي في الارض هكذا وردت في النسخة (هـ) .

وفي رواية النسائي (فلبث ثلاثا) وفي رواية أبي عوانه (فلبثنا ليالي فلقيني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد ثلاث) ، وابن حبان (بعد ثالثة) ، ولابن مندة (بعد ثلاثة أيام) ، وعند مسلم (فلبثت مليا) وليس هو تصحيف كما زعموه لما سبق من الروايات فافهم(١) .

ولم أجد رواية تصرح بأن اخباره (صلى الله عليه وسلم) لهم كان في مجلسه ذلك الا ما يفهم من فاء التعقيب والله أعلم .

وقوله(٢) (يعلمكم معالم دينكم) وقع عند أحمد (مناسك دينكم) وأراد بها الشرائع وفي رواية عمارة (أراد أن تعلموا اذا لم تسألوا) .

وقوله (٣) (الا هذه الصورة) وقع في حديث أبي عامر (الا أن تكون هذه المرة) وفي رواية سليمان التيمي (ثم نهض فولى ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليّ بالرجل فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه ، فقال : هل تدرون من هذا ؟ . هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم ، خذوا عنه ، فوالذي نفسي بيده ما شبه عليّ منذ أتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى) فدلت هذه الروايات أن جبريل (عليه السلام) ماعرف(٤) الا في آخر الحال ، وأن جبريل أتاه في صورة رجل حسن الهيئة لكنه غير معروف عندهم .

١- انظر: فتح الباري ، لابن حجر : ١/١٠٢ .
٢- في نسخة (هـ) أتاكم بدل قوله . ٣- في نسخة (هـ) والله ما أتاني الا وأنا أعرفه فيها الا هذه الصورة .
٤- في نسخة (هـ) ما عرفه النبي (صلى الله عليه وسلم) الا في آخر الحال .

وأما ما وقع عند النسائي من رواية أبي فروة وأنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي فهو وهم لان دحية معروف عندهم ، وقد قال عمر لا يعرفه منا أحد وقد أخرجه محمد بن نصر المروزى (١) في كتاب الايمان له من الوجه الذى أخرجه منه النسائي فقال في آخره (فانه جبريل جاء ليعلمكم دينكم حسب) (٢) وهذه الرواية هي المحفوظة لموافقتها باقي الروايات ، وما ورد في رواية سليمان التيمي (خذوا عنه) اشارة الى أن السؤال الحسن على تلك الهيئة مما لا ينبغي التساهل فيها .

فان جبريل لم يصدر منه الا السؤال ومع ذلك فقد سماه معلما ، وقد اشتهر قولهم حسن السؤال نصف العلم) (٣) .

ويمكن أن يؤخذ ذلك من هذا الحديث لان الفائدة فيه أثبتت (٤) على السؤال والجواب معا ، وأضاف الدين اليهم لأنهم المختصون بالدين القيم دون سائر الناس.

وفيه اشارة الى أن الايمان والاسلام والاحسان يسمى دينا ، وقد اشتمل الحديث على وظائف العبادات الظاهرة والباطنة ، من عقود الايمان ابتداء وحالا ومآلا .

ومن أعمال الجوارح ومن اخلاص السرائر فيها وللتحفظ من آفات الاعمال ، حتى علوم الشريعة كلها راجعة اليه ومتشعبة منه (٥) .

١- محمد بن نصر المروزى ، الفقيه ، أبو عبدالله ثقة حافظ امام جبل من كبار الثانية عشر مات سنة احدى وتسعين : تقريب التهذيب : ٢/ ٢١٣ .
٢- كتاب الايمان لابن مندة : ١/ ١٢٨ .
٣- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ١/ ١٠٢، ١٠٣ ، وانظر كذلك صحيح مسلم بشرح النووى : ١/ ١٦٠ .
٤- ورد في نسخة (هـ) لأن الفائدة فيه أثبت على السؤال . والصحيح هو ما ورد في فتح البارى (لأن الفائدة فيه أنبثت على السؤال : ١/ ١٠٣ .
٥- انظر فتح البارى : ١/ ١٠٢، ١٠٣ ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١/ ١٦٠ .

وقال القرطبي : هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة لما تضمنه من جمل علم السنة (١) .

وقال علي القاري : وهذا الحديث جليل يسمى حديث جبريل وأم الاحاديث وأم الجوامع لأنه متضمن للشريعة والطريقة والحقيقة بيانا اجماليا على الوجه الاتم الذى علم تفاصيلها من السنن النبوية والشرائع المصطفوية على صاحبها ألوف الصلاة والتحية .

كما أن فاتحة الكتاب تسمى أم القرآن وأم الكتاب لاشتمالها على المعاني القرآنية والحكم الفرقانية بالدلالات الاجمالية ، فحديث انما الاعمال بالنيات بمنزلة البسملة .

وهذا الحديث بمنزلة الفاتحة المصدرة بالحمد ، وهذا وجه وجيه وتنبيه نبيه لاختيار البغوى والتبريزى صاحب المشكاة في صدر كتابيهما ، وكذلك في صدر شرح السنة (٢) .

شرح الله تعالى صدورنا بمشكاة مصابيح السنة النبوية وأنار غياهب جهالتنا بالانوار القرآنية انه تعالى على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

١- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ١/١٠٢ ، ١٠٣ وانظر : صحيح مسلم بشرح النووي : ١/١٦٠ .

٢- انظر: مرقاة شرح مشكاة ، لعلي القاري : ١/٦٥ .

الحديث : الثاني

أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم[1] عن علقمة عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : جاء جبريل الى النبي (صلى الله عليه وسلم) في صورة شاب عليه ثياب بياض فقال : السلام عليك يارسول الله . فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وعليك السلام ، ثم قال يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره ، قال : صدقت فتعجبنا لقوله : صدقت كأنه يدرى .

ثم قال : يارسول الله ما شرايع الاسلام ؟ قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : اقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، وغسل الجنابة . قال : صدقت . فتعجبنا لقوله : صدقت كأنه يدرى .

ثم قال : فما الاحسان ؟ قال : أن تعمل لله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال : صدقت . قال: فمتى قيام الساعة ؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما المسؤل عنها بأعلم من السائل فقفا . فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) علي بالرجل فطلبناه فلم نر أثره ، فأخبرنا النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال : ذلك جبريل جاءكم يعلمكم معالم دينكم (٢) .

١- ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة الا أنه يرسل كثيرا من الخامسة مات سنة ست وتسعين وهو ابن خمسين . تقريب التهذيب ١/ ٤٦ .

٢- أخرجه أبو محمد البخارى عن أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني عن عبدالواحد بن حماد بن الحارث أبي سهل الخجندى عن أبيه عن نوح بن مريم في كتاب الايمان عن أبي حنيفة (رضي الله عنه) انظر جامع المسانيد للخوارزمي : ١/ ١٢٨ .

حديث ابن مسعود هذا قد تعقبته فيما عندى من الكتب فلم أجد من أخرجه منها ، ولا أشار أحد من الشراح اليه ، والسند وان كان معنعنا سالم من العلة ، وعنعنة المعاصر مقبولة .

ولم يكن ثمة تصريح بلقاء الراوى من روى عنه الا ما كان عند البخارى ، وعلي بن المديني فان عندهما عنعنة المعاصر محمولة على السماع اذا عرف اللقاء ، والى مذهبهما جنح المتأخرون .

وفي هذا السند اسم سلسلة الذهب ، فهذا الحديث من فوائد الامام الاعظم رحمه الله تعالى ورضي عنه .

وقوله (جاء جبريل) . . . الخ اعتبارا بما آل اليه الامر من ذكر النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) لهم أنه جبريل والا فقد قال عمر (رضي الله عنه) : (لا يعرفه منا أحد) .

وقوله : (مه مه) كلمة زجر ، ويقال : به به وأصله ما هذا ؟ ويقال مه غير مكرر وفي القاموس قال : مه مه أى : اكفف وعن السغر منعه ، فكأن الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) منعه عن السؤال عن الساعة .

وقوله : (فقفى) بقاف بعد فاء التعقيب ثم فاء مشددة أى ولى وأدبر ، وقد وقع

كل ذلك في روايات هذا الحديث (١) .

وقد أشبعنا الكلام عن ألفاظ الحديث فيما سبق فلا حاجه الى التكرار والله تعالى الموفق .

١- لم يورد نص الحديث في نسخه (هـ) وانما ذكر : هو طريق من طرق الحديث الأول وقد تتبعته فلم أجد فيما لدي من حضر دواوين السنه من أخرجه من هذا الطريق . ولا أشار أحد من الشراح اليه . وسنده وان كان معنعنا كما هى قاعدته في جميع المسند . لكن عنعنة المعاصر مقبوله ولو لم يكن ثمه تصريح بملاقاة الرواى لمن روى عنه كما ذهب اليه مسلم الا ما كان عند البخارى وعلى ابن المديني فان عندهما عنعنة المعاصر محموله على السماع اذا عرف اللقا والى مذهبهما جنح المتأخرون . وفي هذا السند كل من الرواه قد ثبت لقاءه بشيخه مرارا متعدده . وربما أطلق بعضهم على الاسناد اسم سلسله الذهب فهذا الحديث من فوائد الامام الأعظم رحمه الله .

الحديث : الثالث

ابو حنيفه عن عبد الله بن أبي حبيبه (١) قال : سمعت أبا الدرداء (٢) صاحب رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال بينا أنا رديف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا أبا الدرداء من شهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله وجبت له الجنه، قال قلت وان زنا وان سرق، قال فسكت علي ثم سار ساعه فقال من شهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله وجبت له الجنه، قال قلت له وان زنا وان سرق فسكت على . ثم سار فقال من شهد أ لا اله الا الله وأني رسول الله وجبت له الجنه، قال قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق وان رغم أنف أبي الدرداء . (٣) .

قال وكأنى أنظر الى اصبع أبي الدرداء السبابه يومى بها الى أرنبته .

هذا الحديث أخرجه احمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط . وابن حبان

١- عبد الله بن أبي حبيبه . روى الامام له هذا الحديث فهو اما عبد الله بن حبيب ابن أبي ثابت الاسدى أو ابن ربيعه ابو عبد الرحمن السلمي الكوفي . وكلاهما ثقه فأى كان فهو من شيوخ مالك وحديثه معا ضد بالاحاديث الصحاح . تنسيق النظام : ٦٣ .

٢- ابو الدرداء . هو عويمر بن زيد بن قيس الانصاري ابو الدرداء . مختلف في اسم أبيه مشهور بلنيه وقيل اسمه عامر صحابي جليل . كان عابدا . مات في آخر خلافه عثمان : تقريب، ٢ / ٩١ .

٣- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :(١) كتاب الايمان باب فيمن شهد أن لا اله الا الله .

واسناد احمد أصح . وان كان فيه ابن لهيعه (١) . وقد احتج به غير واحد ، واخرجه مسلم أيضا من طرق رجالها ثقات . وكذا ابو يعلى ، ولم أر بشيء من طرق هذا الحديث ذكر الارداف ولا السكوت والله أعلم . بل في بعضها زياده .

قال فخرجت لانادى بها في الناس فلقيني عمر فقال ارجع فأن الناس ان علموا بهذه اتكلوا عليها .

قال فرجعت فأخبرته (صلى الله عليه وسلم) فقال صدق عمر .

ولفظ الطبراني في الكبير من طرق زيد بن وهب الجهني (٢) عن أبي الدرداء رفعه من قال لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله مخلصا دخل الجنه . قلت يا رسول الله وان زنى وان سرق . قال وان زنا وان سرق .

ومن طريق حفص بن غياث عن الاعمش عن أبي صالح (٣) عن أبي الدرداء رفعه من قال لا اله الا الله دخل الجنه وان زنى وان سرق .

وقد اشار البخارى في صحيحه الى هذا الطريق حيث قال حديث أبي صالح عن أبي

١- ابن لهيعه . هو عبد الله بن لهيعه ابن عقبه الحضرمى ابو عبد الرحمن المصرى القاضي صدوق من السابعه خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما وله في مسلم بعض شيء مقرون مات سنه أربع وسبعين . وقد ناف عن الثمانين : تقريب ، ١ / ٤٤٤ .

٢- زيد بن وهب الجهني . ابو سليمان الكوفي ، مخضرم ثقه جليل ، لم يصب من قال في حديثه خلل مات بعد الثمانين وقيل سنه ست وتسعين : تقريب ، ١ / ٢٧٧ وانظر مجمع الزوائد : ١ / ١٨ .

٣ - أبو صالح السمان ذكوان ، المدني مولى جويرية الغطفانية ذكره أحمد فقال : ثقة من أجل الناس قال : سمعت من أبي صالح ألف حديث . توفي سنة احدى ومائة (رحمه الله تعالى) . تذكرة الحفاظ للذهبي : ١/٧٨ .

الدرداء مرسل لا يصح ، وانما أردنا للمعرفة والصحيح حديث أبي ذر ، فقيل له حديث عطاء بن يسار عن أبي الدرداء قال : مرسل أيضا لا يصح والصحيح حديث أبي ذر قال اضربوا على حديث أبي الدرداء انتهى .

ورواية عطاء بن يسار التي اشار اليها أخرجها النسائي من رواية محمد بن أبي حرملة (١) .عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء أنه سمع النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو على المنبر يقول : (ولمن خاف مقام ربه جنتان (٢) فقلت :وان زنا وان سرق يارسول الله فقال : وان زنا وان سرق ، فأعدت فأعاد فقال :في الثالثة نعم وان رغم أنف أبي الدرداء .

وقد وقع التصريح سماع عطاء بن يسار له عن أبي الدرداء في رواية ابن أبي حاتم(٣) في التفسير ، والطبراني في المعجم ، والبيهقي في الشعب .

قال البيهقي : حديث أبي الدرداء هذا غير حديث أبي ذر وان كان فيه بعض معناه وهو سؤال الصحابي بقوله : وان زنا وان سرق ، واشتركا أيضا في قوله : (وان رغم) ولحديث أبي الدرداء طرق أخرى منها للنسائي من رواية محمد بن سعد بن أبي وقاص (٤) عن أبي الدرداء نحو رواية عطاء بن يسار ، ومنها للطبراني من طريق

١- محمد بن أبي حرملة القرشي المدني ،مولى بن حويطب ، وقد ينسب اليه ، ثقة من السادسة مات سنة بضع وثلاثين . تقريب التهذيب : ٢/١٥٢ .
٢- سورة الرحمن والآية : ٤٦ .   ٣- المقصود الرازى وقد سبقت الترجمة له .
٤- محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهرى ، أبو القاسم ، المدني ،نزيل الكوفة ،كان يلقب ظل الشيطان لقصره ، ثقة من الثالثة . قتله الحجاج بعد الثمانين . تقريب التهذيب : ٢/١٦٢ .

رجاء بن حيوة (١) عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رفعه من قال لا اله الا الله دخل الجنة ، فقال أبو الدرداء : وان زنى وان سرق فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (وان زنا وان سرق على رغم أنف أبي الدرداء ومن طريق أبي مريم (٢) عن أبي الدرداء أظنه مرفوعا : (من مات لا يشرك بالله شيئا أو قال : يشهد أن لا الله الا الله دخل الجنة ، قيل وان زنا وان سرق ، قال : وان زنا وان سرق على رغم أنف أبي الدرداء (٣) .

ومن طريق كعب (٤) قال : سمعت أبا الدرداء رفعه : (أتاني آت من ربي فقال : من يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ، فقلت : يا رسول وان زنا وان سرق ؟ قال : نعم ثم ثلاثا فقال : على رغم أنف عويمر فردها قال : فأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنفه بإصبعه.

ومنها لأحمد من طريق واهب بن عبد الله المغافرى (٥) عن أبي الدرداء رفعه : (من قال لا الله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير دخل الجنة (٦) قلت : وان زنا وان سرق ، قال : وان زنا وان سرق على رغم أنف

١- رجاء بن حيوة ، الكندى ، أبو المقدام ، ويقال أبو النصر ، الفلسطيني ثقة فقيه من الثالثة ، مات سنة اثنتي عشرة . تقريب التهذيب : ١/٢٤٨ .

٢- ابو مريم . هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي بالولاء ، ابو محمد المصرى ، ثقة ، ثبت فقيه من كبار العاشره ، مات سنه أربع وعشرين وله ثمانون سنه . تقريب التهذيب : ١ / ٢٩٣ .

٣- المعجم الأوسط حديث ، ٢٩٥٣ .

٤- كعب بن مالك بن أبي كعب الانصارى السلمي المدني صحابي مشهور وهو أحد الذين خلفوا ، مات في خلافة علي . تقريب التهذيب : ٢/١٢٥ .

٥- وهب بن عبد الله المغافرى الكعبي أبو عبد الله المصرى ذكره ابن حبان في الثقات قال ابن يونس : مات ببرقة سنة سبع وثلاثين ومائة . تهذيب التهذيب : ١١/رقم ١٨٨ .

٦- الحديث أخرجه أحمد ٦/٤٤٢ ، المكتب الاسلامي ، بفهرسة الالباني .

أبي الدرداء . قالت : فخرجت لأنادى بها في الناس فلقيني عمر فقال : ارجع ..... الخ . (١)

ولحديث أبي الدرداء شواهد كثيرة منها ما رواه الطبراني من حديث القعنبي عن سلمة بن وردان (٢) عن أنس أنه سمعه يقول أتى معاذ بن جبل (٣) فقلت : من أين جئت يا معاذ ؟ قال : جئت من عند نبي الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قلت : فما قال لك ؟ قال : من شهد أن لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة . قلت : فاذهب فاسأل النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : أذهب فأتيت النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقلت: يا نبي الله حدثني معاذ بن جبل أنك قلت كذا وكذا قال : صدق معاذ صدق معاذ ، صدق معاذ (٤) .

ومنها ما أخرجه الشيخان عن معاذ بن جبل أنه كان رديف النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) على الرحل . فقال : يا معاذ قال : لبيك رسول الله وسعديك ثلاثا . قال : ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار . قال : يارسول أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا قال : اذا يتكلوا (٥) .

١- الحديث :أخرجه أحمد :٤٤٢/٦-المكتب الاسلامي - بفهرسة الالباني .
٢- سلمة بن وردان ،الليثي أبو يعلى المدني ،ضعيف من الخامسة مات سنة بضع وخمسين . تقريب التهذيب : ٢١٩/١ .
٣- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصارى ، الخزرجي ، أبو عبدالرحمن من أعيان الصحابة شهد بدرا وما بعدها وكان اليه المنتهى في أحكام القرآن مات بالشام سنة ثمانية عشر . تقريب التهذيب: ٢٥٥/٢ .
٤- الحديث أخرجه الطبراني ، المعجم الكبير : حديث رقم (٨٠) .
٥- الحديث . صحيح مسلم بشرح النووى : ٢٤٢،٢٤١،٢٤٠/١ .

ومنها ما أخرجه مسلم عن عبادة بن الصامت قال : (من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله تعالى عليه النار) (١) .

ومنها حديث عتبان بن مالك (٢) عند البخارى في الاطعمة أنه (صلى الله عليه وسلم) قال : (ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى) (٣) .

ومنها ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة أنه (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال له : اذهب بنعلي هاتين فمن لقيك من وراء هذا الحائط يشهد أن لا الله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر . فقال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ قلت: هاتان نعلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة . فضرب عمر بين ثدى فخررت لاستي . فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت الى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فأجهشت بالبكاء . وركبني عمر فاذا هو على اثرى فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) مالك يا أبا هريرة ؟ فقلت : لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتني به فضرب بين ثدى ضربة خررت لاستي . فقال ارجع . قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ياعمر

١- انظر الحديث :مسلم بشرح النووى : ١/٢٢٩- كتاب الايمان - باب من مات على التوحيد دخل الجنة .

٢- عتبان بن مالك بن عمرو العجلاني ،الانصارى ،السلمي ،صحابي مشهور ،مات في خلافة معاوية . تقريب التهذيب : ٢/٣ .

٣- انظر الحديث في : فتح البارى ،لابن حجر : ١/كتاب الاطعمة باب الخزيرة الحديث الاول .

ما حملك على ما فعلت ؟ قال : يارسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة . قال : نعم. قال :فلا يفعل فاني أخشى أن يتكل الناس عليها . فخلهم يعملون . فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فخلهم) (١) .

قلت : فهذه القصة نظيرة لقصة أبي الدرداء ، حيث رده عمر مخافة الاتكال .

ومنها ما أخرجه أحمد والطبراني في الاوسط . وأبو يعلى والبزار عن أبي بكر الصديق قال : قلت: يارسول الله ما نجاة هذا الامر ؟ فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : من قبل مني الكلمة التي عرضت علي عمي فردها عليّ فهي له نجاة) (٢) .

ومنها ما أخرجه أحمد والطبراني في الكبير عن أبي موسى قال : أتيت النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ومعي نفر من قومي ، فقال :أبشروا وبشروا من وراءكم انه من يشهد أن لا اله الا الله صادقا بها دخل الجنة ، فخرجنا من عند النبي (صلى الله عليه وسلم) نبشر الناس . فاستقبلنا عمر (رضي الله عنه) فرجع بنا الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال عمر يا رسول الله اذا يتكل الناس ، فسكت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (٣) .

١- الحديث : أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب من مات على التوحيد دخل الجنة انظر شرح النووي : ١/٢٣٧-٢٣٩ .

٢- الحديث : مسند أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) تأليف جلال الدين السيوطي تحقيق الحافظ عزيز بك الحديث رقم (٣) عن عثمان (رضي الله عنه) .

٣- الحديث : صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) محمد ناصر الدين الالباني - المكتب الاسلامي : ١/حديث رقم ٣٥ .

وهذا الحديث قال فيه الهيثمي : ورجاله ثقات) . فهذه القصة كذلك نظيرة قصة أبي الدرداء (رضي الله عنه) .

ومنها ما أخرجه الطبراني في الكبير بسند جيد عن زيد بن خالد الجهني (١) قال: أرسلني رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أبشر الناس من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فله الجنة) (٢) .

ومنها ما أخرجه احمد عن عثمان بن عفان بسند جيد . قال سمعت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول اني لأعلم كلمه لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرم على النار قال عمر بن الخطاب الا أحدثك ما هى هى كلمه الاخلاص التى ألزمها الله تبارك وتعالى محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) وأصحابه . وهى كلمه التقوى التى الآص(٣) عليها نبى الله (صلى الله عليه وسلم) عمه أبا طالب عند الموت شهاده أن لا اله الا الله (٤) ومعنى قول عليها أى أداره عليه وراوده فيها .

١- زيد بن خالد الجهني المدني ، صحابي مشهور ، مات بالكوفه سنه ٦٨ أو ٧٠ وله خمس وثمانون . تقريب التهذيب ، ١ / ١٧٧ .
٢- الطبراني حديث رقم ٥٢٦٢ - تحقيق احمد عبد المجيد السلفي - الطبعه الثانيه
٣- الآصَ : يقال ألصته على الشىء أليصه . مثل راودته على الشىء وداورته أى راوده عليها أى كلمه الاخلاص وطلبها منه - الفتح الربانى - كتاب التوحيد : ٢ ٥٢ .
٤- أخرجه احمد في كتاب التوحيد حديث ٣٢ - الفتح الربانى .

ومنها أحاديث أخر من أراد احصائها فليطالع جامع الاصول ومجمع الزوائد فانه سيجدها مجموعة فيهما ، وانما لم أذكر حديث أبي ذر في الشواهد مع أن فيه تكرار أبي ذر على النبي (صلى اللـه عليه وسلم)(وان زنى وان سرق) .

وقول النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) له : (رغم أنف أبي ذر) لانه قد اشتمل على لفظ (ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك) (١) . الحديث ففيه تقييد أن الشهادة تقارن الموت وليس ذلك في الاحاديث السابقة .

ولذلك قال البخاري بعدما نقلنا عنه هذا : (اذا مات قال لا اله الا الله عند الموت) (٢) .

ولعله (رضي الله عنه) غفل عن حديث عتبان وحديث معاذ ، فانهما في صحيحه فلما رأيت ذلك أطلت الكلام في هذا المقام تقريرا للمراد وتنبيها على أن فضل اللـه تعالى شامل للخاص والعام ممن اتصفوا بصفة التوحيد المقرر في أمور الدين وأحكام الاسلام .

اذا علمت ذلك فلنرجع الى شرح ألفاظ الحديث المشكلة والتنبيه على خفايا زواياه من الفوائد والنكات والله تعالى المعين والهادى الى سواء السبيل .

١- أخرجه أحمد في كتاب التوحيد حديث : (٣٣) - الفتح الرباني .

٢- وعن أبي ذر عند أحمد (ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات) كتاب التوحيد حديث (٣٣) .

فقوله : (بينا أنا رديف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ،أى راكبا خلفه على دابته ، وقد عد ذلك من تواضع المصطفى (صلى الله تعالى عليه وسلم) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم) كان يردف على الحمار أيضا .

وقد تكلف جماعة بعدّ من أرد فهم النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فاذا هم خمسون نفرا .

وقوله : (يا أبا الدرداء انما ناداه (صلى الله عليه وسلم) مع أنه خلفه ليصغي اليه ويتوجه لسماع ما يلقى اليه .

وقوله : (من شهد أن لا الله الا الله) أى : اعتقد وحدانيته ،وأنه لا شريك في ذاته ولا في صفاته ،ليس كمثله شيء ، وترك عبادة جميع ما يعبد من دون الله تعالى .

وقوله : (واني رسول الله) يعني واعترف بأنه نبي أرسله الله تعالى) رحمة للامة حيث قال : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١) .

وقوله وجبت له الجنه أى ثبتت له واستحق دخولها مطلقا ، والمراد من ذلك أنه اذا عذبه الله تعالى وأدخله في النار لا يخلد فيها .

ولذلك قد ورد في بعض الاحاديث : (الا حرمه الله على النار) (٢) فليس التحريم .

١- سورة الانبياء ،الآية : ١٠٧ .

٢- جزء من حديث أخرجه أحمد في كتاب التوحيد : (انه من شهد أن لا الـه الا الله حرمه الله على النار) حديث : (٢٦) الفتح الرباني .

بأن لا يدخلها أبدا . فان قوله الله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا (١) . صريح في أنه لا بد من الورود علي النار ثم الخلوص منها على أنواع ، منهم من يرد ويرجع ، ومنهم من يرد ويطوفها ويخرج ، ومنهم من يعذب فيها حينا ثم يخرجه الله تعالى بفضله وكرمه .

وقوله وان زنا وان سرق قال ابن مالك حرف الاستفهام في أول الكلام مقدر ولا بد من تقريره .

وقال غيره التقدير أو ان زنا وان سرق دخل الجنه .

وقال الطيبي ادخل الجنه وان زنا وان سرق ، والشرط قال ولا يذكر الجواب مبالغه وتتميما لمعنى الانكار في الكلام السابق .

واما تكرر أبي الدرداء فلا ستعظام شأن وجوب الجنه له مع مباشره الكبائر وتعجبه منه ، وقوله فسكت حتي قد علمنا من عادته (صلى الله تعالى عليه وسلم) أنه كان اذا أخبر عن الله تعالى بأمر يوحى اليه على سبيل الاطلاق بلغه الى الامه أيضا من دون تقييد فلو اتفق سؤال أحد له عن التقييد ما كان (صلى الله تعالى عليه وسلم) يواجهه الا بالسكوت والاعراض حتى يتنبه أن الأمر الملقى اليهم محمول على الاطلاق تفضلا من الملك الخلاق اذ في تقييده بقيد تحصيل حرج عليهم وغلق باب لطف الله تعالى عنهم فان ألحّ السائل

١- السوره مريم ، الآيه : ٧١ .

عليه سكت وأعرض عنه أيضا حتى يكون في المرة الثالثة فيخبره بعدم الفائدة لـه في السؤال .

ومن هذا القبيل سؤال الاقرع بن حابس(١) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أفي كل عام يارسول الله) بعد ما قال : (يا أيها الناس ان الله تعالى قد كتب عليكم الحج فحجوا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فلما كان في الثالثة قـال (صلى الله تعالى عليه وسلم)(ذروني ما تركتكم ولو قلت : نعم لوجبت (٢) . . . الحديث

فهاهنا لما استعظم أبو الدرداء سأل عن ذلك ما وسع النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) الا السكوت ليتنبه أن فضل الله تعالى عظيم وأنه ليس بمتوقف على عمل ولا تعجزه معصية وأنه ينبغي له التسليم والاستبشار لما قد وهب الله تعالى لخلقه من المنة العظيمة والنعمة الجسيمة .

واقتصر أبو الدرداء على هاتين الكبيرتين اشارة الى أن المعاصي لا تخلو إما أن تكون في حق الله تعالى أو حق العباد ، فكأن مفهوم سؤاله وان قصر في حق اللـه تعالى وحق عباده .

وقوله : (وان رغم أنف أبي الدرداء) قال الحافظ بن حجر: يجوز في الغـين

١- الاقرع بن حابس التميمي المجاشعي - وفد على النبي (صلى الله عليه وسلم) وشهد فتح مكة وحنين والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وحسن اسلامه وقيل أنه قتل في معركة اليرموك مع عشرة من بنيه . الاصابة في تمييز الصحابة : ١/ ٢٣١ .
٢- الحديث : عن أبي هريرة(رضي الله عنه) عند مسلم رقم الحديث : ١٣٣٧ .

المعجمة الفتح والكسر أى ذ ل كأنه ألصق بالرغام وهو التراب انتهى (١) .

قال الملا علي القارى* : ويستعمل مجازا بمعنى كره أو ذ ل اطلاق لاسم السبب على المسبب انتهى (٢) .

ويستفاد منه أن الطالب اذا ألح في المراجعة يزجر بما يليق به .

وقوله : (قال : وكأني أنظر .... الخ) القائل عبدالله بن أبي حبيبة الذى روى عنه الامام (رحمه الله تعالى) وقد مرّ من طريق كعب أيضا ذلك فيما ذكرته .

وانما كان أبو الدرداء يفعل ذلك للتشرف والافتخار والاستبشار بما منّ به الملك القدير سبحانه وتعالى لا اله الا هو لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

اذا علمت هذا فاعلم أن الحديث قد دل على أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار وان الكبائر لا تسلب اسم الايمان وان غير الموحدين لا يدخلون الجنة .

ففيه رد على المبتدعة والمعتزلة والخوارج الذين يدعون وجوب خلود أهل التوحيد من تلبس منهم الكبائر من غير توبة في النار ، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنه وكرمه .

ثم أهل السنة والجماعة أولوا حديث أبي الدرداء وما في معناه فقالوا : قد يتخذ

١- انظر : فتح البارى لابن حجر : ٢٣٢/١٠ .

٢- انظر : مرقاة شرح مشكاة ، لعلي القارى* : ١٠٠/١ .

أمثال هذه الاحاديث البطلة والمباحية ذريعة الى طرح التكاليف ورفع الاحكام وابطال الاعمال معتقدين بأن الشهادة وعدم الاشراك كاف .

وربما تمسكت بها المرجئة ، ويستلزم طي بساط الشريعة وابطال الحدود والزواجر السمعية وترك الناس سدى مهملين يمرج بعضهم في بعض وذلك يفضي الى خراب الدنيا .

فلما كان كذلك احتجنا الى التأويل ثم اختلفوا في ذلك التأويل ، فقال سعيد بن المسيب والزهرى : ان ذلك كان أول الاسلام قبل نزول الفرائض .

قلت : وقد روى معنى الحديث أبو هريرة وأبو موسى ، ولا شك أنهما أسلما بعد نزول الفرائض فلا يستقيم هذا التأويل ، وحمله الحسن البصرى على من قال الكلمة وأدى حقها بأداء ما وجب واجتناب ما نهى (١) .

وقال بعضهم : اذا قال الكلمة ومات عليها (٢) لقوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (لا يلقى الله تعالى بها عبد غير شاك فيهما الا دخل الجنة وان زنا وان سرق (٣) .

وحديث أبي ذر في معناه ، يشهد لذلك من قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك دخل الجنة ، وهذا رأى البخارى (٤) وقواه الحافظ.

---

١ و٢ - انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١/٢١٩ .
٣- نفس المصدر السابق : ١/٢٢٤ .
٤- نفس المصدر السابق : ١/٢١٩ .

وقال : لان الاحاديث اذا ثبتت وجب ضم بعضها الى بعض فانها في حكم حديث واحد فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها خصوصا حيث وقد ورد في بعض روايات حديث أبي الدرداء أن ذلك في حق من عمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله ، وسنده جيدة عند الطبراني انتهى .

قلت : وان كان ذلك الحديث أيضا من رواية أبي الدرداء لكنه يحتمل أن تكون قصة أخرى لمباينة الالفاظ والله اعلم .

وقال أبو عيسى الترمذى وجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة وان عذبوا في النار بذنوبهم فانهم لا يخلدون في النار.

وقد روى عن عبدالله بن مسعود وأبي ذر وعمران بن حصين (١) وجابر بن عبدالله وابن عباس وأبي سعيد الخدرى وأنس بن مالك عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) أنه قال:(سيخرج قوم من النار من أهل التوحيد ويدخلون الجنة) (٢) وهكذا روى عن سعيد بن جبير (٣) وابراهيم النخعي وغير واحد من التابعين ، وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) في تفسيره هذه الآية : (ربما

١- عمران بن حصين بن عبيد الله بن خلف الخزاعي أبو نجيد ، أسلم عام خيبر وصحب وكان فاضلا ، وقضى بالكوفة ، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة . تقريب التهذيب : ٢/٨٢ .

٢- أخرجه الترمذى في الجامع الصحيح كتاب الايمان باب : ١٧ حديث (٢٦٣٨)

٣- سعيد بن جبير الاسدى مولاهم الكوفي . ثقة ثبت فقيه ، من الثالثة ، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة . قتل بين يدى الحجاج سنة خمس وتسعين . تقريب التهذيب: ١/٢٩٢ .

يوّد الذين كفروا لو كانوا مسلمين) (١) قالوا اذا خرج أهل التوحيد وأدخلوا الجنه ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين انتهى .

قلت فالمراد بدخول الجنه أعم من ان يكون ابتداءً أو بعد المجازاه على المعصيه لكن يشكل عليه مارواه معاذ من قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) الا حرمه الله تعالى على النار .فانه وان كان (صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقل فيه وان زنى وان سرق حيث لم يسأل عن ذلك ،لكنه قد اشتمل على أداة الحصر ومن الاستغراقيه في قوله ما من عبد .

ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد حرم الله تعالى خلوده على النار أو حرم الله تعالى تعذيبه على النار .

فقد أخرج الديلمى (٢) في مسند الفردوس عن أبي هريره رفعه (اذا أدخل الله تعالى الموحدين النار أماتهم فيها فاذا أراد أن يخرجهم منها أمسهم ألم العذاب تلك الساعه) (٣)

قال ابن حجر فيه الحسن بن على بن راشد (٤) صدوق رمي بشيء من التدليس .

١- السوره الحجر: الآيه ٢ ،
٢- الديلمى : ابو منصور شهردار بن شيرويه (الديلمى) الهمداني . له مسند كتاب الفردوس، المتوفي سنه ٥٥٨هـ . الرساله المستطرفه : ٦٤ .
٣- الحديث - مسند الفردوس : ١ رقم الحديث ٩٧٦ - طبعه دار الكتب العلميه بيروت .
٤- الحسن بن على بن راشد الواسطى ، نزيل البصره ، صدوق ،رمى بشيء من التدليس، من العاشره مات سنه سبع وثلاثين . تقريب التهذيب : ١ / ١٦٨ .

وأورده الذهبي (١) في الضعفاء .

فعلى صحة هذا الحديث يتبين أن النار لا تؤثر في الموحدين عند دخولهم فيها ، فصاروا على هذه الحقيقة محرمين على النار وأحسن ما يظهر لي أن يحكم بين هذه الاحاديث والاحاديث التي ورد فيهما الزجر والتوبيخ الاكيد ، بما رواه عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال وحوله عصابة من أصحابه بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك) (٢) .

وقوله : (حرمه الله على النار) أى ان شاء أو أدخله الجنة ان شاء أو وجبت له الجنة ان شاء فالمشيئة معتبرة في كل الامور .

فان قلت فعلى ما ذكرت مآل حديث أبي الدرداء وما في معناه من الاحاديث

١- الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي . شمس الدين أبو عبدالله . له مصنفات كثيرة ومن أشهرها تذكرة الحفاظ . توفي سنة ٧٤٨هـ . في دمشق - الكاشف - دار الكتب العلمية ببيروت .

٢- الحديث : رواه مسلم في كتاب الحدود باب كفارات لاهلها . الحديث الاول ، والبخارى في كتاب الايمان باب (١١) الحديث الاول .

ومآل حديث أبي ذر وسافي معناه واحد .

وقد ذكرت فيما سبق أن الكلامين مختلفان وأن ذلك من فضل الله تعالى ورأفته

قلت : انما قررنا ما ذكره العلماء (رحمهم الله تعالى) في هذا المجال من التأويلات وأورد وهفي المصنفات مع زيادة فوائد ألهمني الله بها .

وأما ما ينشرح له الصدر ويقر به الناظر ويطمئن به الخاطر فالحمل على ظاهره أولى حيث وقد وردت في معناه أحاديث كثيرة مما تدل على أن الله تعالى يرحم العباد الذين أخلصوا أنفسهم من الشرك وأقروا برسالة نبيه (صلى الله تعالى عليه وسلم) ، وان تلبسوا بأنواع المعاصي فمنها ما أخرجه الترمذي وحسنه . وابن حبان في صحيحه وأحمد والحاكم في مستدركه عن ابن عمرو بن العاص(١) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (ان الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر . ثم يقول أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظين ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر؟ فقال : لا يارب ، فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : أحضر وزنك

١- ابن عمرو بن العاص : هو عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد أو محمد وقيل أبو عبدالرحمن أحد السابقين المكثرين من الصحابة . أحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الاصح بالطائف على الراجح . تقريب التهذيب : ١/٤٣٦ .

فيقول : يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : انك لا تظلم ،قال :فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله تعالى شي) (١) .

فمن تأمل هذا مع ما جاء في قوله الله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .(٢)

وقوله تعالى (يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (٣) تيقن ان فضل الله تعالى وكرمه على من اراد من عصاة عبادة لا يحجر لشيء ابدا .

والتقييد الوارد في حديث ابي ذر وما في معناه من قوله (ثم مات على ذلك انما هو احتزاز من الارتداد فانه يحبط كل عمل سبقه . . . لقول تعالى (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لمن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون) (٤) وانما كل ما ذكرناه مقيد بالمشيئة من شاء غفر له وادخله الجنة ومن شاء عذبه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وفي كل ذلك لا يخلو من العدل فافهم والله أعلم .

١- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين : ١/ ٦ .
٢- سورة النساء ، الآية : ١١٦ .
٣- سورة الزمر ،الآية : ٥٣ .
٤- سورة آل عمران ، الآية ٩٠ .

الحديث : الرابع

أبو حنيفة عن عطاء أن رجالا من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) حدثوه أن عبد اللـه بن رواحة (١) كانت له راعية تتعاهد غنمه وأنه أمرها تتعاهد شاة فتعاهدتها حتى سمنت الشاة واشتغلت الراعية ببعض الغنم ، فجاء الذئب فاختلس الشاة وقتلهـا فجاء عبد الله وفقد الشاة فأخبرته الراعية بأمرها فلطمها ، ثم ندم على ذلك فذكر ذلك لرسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فعظم النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ذلك ، وقال ضربت وجه مؤمنة ؟ فقال : انها سوداء لا علم لها ،

فأرسل اليها النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فسألها : أين الله ؟ فقالت: في السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت : رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : انها مؤمنة فأعتقها . فأعتقها (٢) .

هذا الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي بهذا اللفظ ولم يكن هذا لفظ غيره وانما أخرجه من حديث هلال بن أبي ميمونه (٣) عن عطاء بن يسار عن معاويه بن الحكم السلمي (٤) قال أتيت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقلت يا رسول الله ان جارية

١- عبد الله بن رواحه بن ثعلبه بن امرئ القيس ، الخزرجي الانصاري ، الشاعر أحد السابقين شهد بدرا استشهد بمؤتة ، في جمادى الاولى سنه ٥٨ه تقريب التهذيب ١ / ٤١٥ .

٢- أخرجه مسلم بلفظ مختلف من حديث هلال بن أبي ميمونه في كتاب المساجد بـاب تحريم الكلام في الصلاه : الحديث رقم ١ .

٣- هلال بن على اسامه العامري ، المدني ينسب الى جده ، ثقه ، من الخامسه ، مات سنه بضع عشره : تقريب التهذيب ، ٢ / ٣٢٤ .

٤- معاويه بن الحكم السلمي ، صحابي نزل المدينه : تقريب التهذيب ٢ ، / ٢٥٨ .

كانت لى ترعى غنما لى فجئتها وقد فقدت الشاة من الغنم فسألتها عنها فقالت أكلهـــا الذئب فأسفت عليها وكنت من بنى ادم فلطمت وجهها وعلى رقبة أفاعتقها فقال لها رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أين الله؟ فقالت : في السماء ، فقال : من أنا ؟ فقالت: أنت رسول الله ، فقال: رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أعتقها . (١) .

وأخرجه مالك (٢) أيضا من طريق هلال بن أسامه عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : ابن عبد البر هكذا رواه جماعة عن مالك وقالوا اكلهم عن عمر بن الحكم وهو غلط ووهم ليس في الصحابة رجل يقال له عمر بن الحكم وانما هو معاويه بن الحكم السلـمي ولم يرو هذا الحديث الا من طريق هلال بن أبي ميمونة وأبو ميمونة اسمه اسامة فربمـا قيل له هلال بن اسامة وربما قيل له هلال بن أبي ميمونة ينسبونه في ذلك كله الى جده وربما قالوا هلال بن على بن أبي ميمونة وهو مولى عامر بن لؤى .

واما معاويه بن الحكم فمعروف في الصحابه ويمكن أن يكون الغلط من هلال لا من مالك وذلك لأن مالكا أخرجه في غير الموطاء عن معاويه بن الحكم ولم يقل عمر انتهى .

وقد وقع هذا الحديث في مسند الامام من روايه عطاء بن أبي رباح واسم والده أسلم القرشي مولاهم أبو محمد المكي يروى عن العباد له الأربعة وجابروزيد ابن أرقم (٣) وكثير

١- أخرجه مالك كتاب ٣٨- العتق والولاء باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبه حديث (٨) (٩) .

٢ - نفس المصدر السابق .

٣- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصارى ، صحابى مشهور ، مات سنه ست أو ثمان وستين ، تقريب التهذيب: ١/ ٢٧٢ .

من الصحابة وروى عنه أبو الزبير (١) والأوزاعى (٢) وناس كثيرون قال : أبن المدينى هو مولى حبيبه بنت ميسره بن أبي خيثم (٣) .وقال : ابن نصر كان من مولدى الجند ونشاء بمكه وهو مولى لبنى فهر وانتهت اليه فتوى أهل مكه والى مجاهد في زمانهما واكثر ذلك عطاء قال : بعض العلماء كان عطاء أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمى بعد ذلك وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث.

وقال الآخرى عن أبي داود كان أبو عطاء نوبيا وكان يعمل المكاتل وذكر ما تقدم فيه من العيوب ، وزاد وقطعت يده مع أبن الزبير واسم أم عطاء بركة .

وقال ابن معين وكان معلم كتاب الله (وعن ابن عباس أنه كان يقول تجتمعون الى يا أهل مكة وعندكم عطاء) .

وكذا روى عن ابن عمر وقال : ابو جعفر لما اجتمعوا عليه لعطاء هو والله خير منى وكان يقول ما بقى أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء .

وقال : أبو حازم ما رايت أحدا أعلم بالمناسك منه ، وكان يوم مات ابن مائه سنة وكان يطيل الصمت فاذا تكلم يخيل الينا أنه يعيد .

وقال : عبد الحميد الحمانى (٤) عن ابي حنيفه ما رأيت فيمن لقيته أفضل من عطاء ولا

١- محمد بن مسلم بن تدرس الاسدى ، مولاهم ابو الزبير المكي ، صدوق الا أنه يدلس من الرابعه مات ست وعشرين ، تقريب التهذيب : ٢/ ٢٠٧ .

٢- عبد الرحمن بن أبي عمرو الأوزاعي ، أبو عمرو ، الفقيه ، ثقه جليل من السابعه مات سنه ٥٧ ، تقريب التهذيب : ١ / ٤٩٣ .

٣- حبيبه بنت ميسره الفهريه ، مقبوله من الرابعه ، تقريب التهذيب : ٢/ ٥٩٤ .

٤- عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى ، ابو يحيى الكوفي ، لقبه بشمين ، صدوق يخطىء ورمى بالارجاء ، من التاسعه مات سنه ٢٠٢ ، تقريب التهذيب : ١/ ٤٦٩ .

لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي (١) .

وقال : الأوزاعي مات عطاء وهو أرضى اهل الأرض عند الناس .

وقال : سلمه بن كهيل (٢) ما رأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله الا ثلاث عطاء وطاوس (٣) ومجاهد (٤) وعن ابن جريج (٥) كان المسجد فراش عطاء عشرين سنه وكان من أحسن الناس صلاة .

وذكر احمد بن يونس (٦) انه ولد سنه سبع وعشرين ومات سنه أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل سبع عشرة .

وقوله أن رجالا من اصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) حدثوه سمع عطاء وروى من الصحابة عن معاوية واسامة بن زيد (٧) وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وابن الزبير وأبن عمرو وعبد الله بن السائب المخزومي (٨) وعقيل بن أبي طالب (٩) وعمر بن أبي سلمه (١٠)

١- جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي ابو عبد الله الكوفي ، ضعيف، رافضي ، كان يؤخذ عنه ثم ترك، من الخامسة ، مات سنه سبع وعشرين ومائه وقيل ٣٢ ، تقريب التهذيب ١٢٣/١ .

٢- سلمه بن كهيل ، الحضرمي ، ابو يحيى الكوفي ، ثقه من الرابعه ، تقريب التهذيب ، ٢١٨/١

٣- طاوس بن كيسان اليماني ويقال اسمه عبد الرحمن وطاوس لقب ، ثقه فقيه فاضل من الثالثه مات ١٠٦ : ٢٧٧/١ تقريب التهذيب

٤- مجاهد بن جبر ابو الحجاج المخزومي ، ثقه امام في التفسير والعلم من الثالثه مات سنه ١ أو ٢ أو ٣ أو ٤ روايه تقريب التهذيب : ٢٢٩/٢ .

٥- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي ، ثقه فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل ، من السادسه مات ٥٠ أو بعدها ، تقريب التهذيب : ٥٢٠/١ .

٦- احمد بن عبد الله بن يونس ، ثقه حافظ من كبار العاشره مات سنه ٢٧ ، تقريب التهذيب ١٩/١ .

٧- اسامه بن زيد بن حارثه ، صحابي مشهور مات سنه ٥٤ ، تقريب التهذيب : ٥٣/١ .

٨- عبد الله بن السائب المخزومي ، له ولابيه صحبه ، قارئ أهل مكه ، مات سنه بضع وستين تقريب التهذيب : ٤١٧/١ .

٩- عقيل بن أبي طالب ، صحابي ، مات سنه ٦٠ هـ ، وقيل بعدها ، تقريب التهذيب : ٢٩/٢ .

. . . .

(١٠) ورافع بن خديج (١) وابي الدرداء وأبي سعيد الخدرى وأبي هريرة وعائشة وام سلمة وام هاني (٢) وام كريز الكعبية (٣) وأرسل عن عثمان بن عفان وعتاب بن أسيد (٤) وأوس بن الصامت (٥) والفضل بن عباس (٦) وغيرهم .

قال أحمد بن حنبل لم يسمع عطا من ابن عمر وقال : على بن المدينى رأى عبد الله بن عمر ولم يسمع منه ، ورای أبا سعيد الخدرى يطوف بالبيت ولم يسمع منه ولم يسمع من زيد بن خالد ولا من أم سلمه ولا أم هاني ولا من أم كريز شيئا .

وقال : أبو زرعه (٧) لم يسمع عطا من رافع بن خديج .، وقال أبو حاتم لم يسمع من اسامه وقيل لاحمد هل سمع عطا من جبير بن مطعم قال : لا يشبه ، وقال : ابن حبان لم يصح سماع عن أبي الدرداء ولا من الفضل بن عباس وروايته عن عائشة لم يحتج بها الا أن يقول :

٠٠٠٠٠٠ / ١٠/- عمر بن أبي سلمة بن عبد الاسدى المخزومي / صحابي صغير مات سنة ٨٣هـ . تقريب التهذيب : ٥٦/٢ .

١- رافع بن خديج بن عدى الحارثي ، صحابي جليل ، مات سنة ٣ أو أربع وسبعين تقريب التهذيب : ١/ ٢٤١ .
٢- أم هانيء بنت أبي طالب الهاشمية ، اسمها فاختة وقيل هند ، لها صحبة وأحاديث ماتت في خلافة معاوية . تقريب التهذيب : ٢/ ٦٢٥ .
٣- أم كرز ، الكعبية ، المكية ، صحابية لها أحاديث . تقريب التهذيب: ٢/ ٦٢٣ .
٤- عتاب بن أسيد ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، مات سنة ٢١ يوم وفاة أبي بكر الصديق تقريب التهذيب : ٢/ ٣ .
٥- أوس بن الصامت الانصارى ، صحابي بدرى ، مات أيام عثمان وله خمس وثمانون سنة تقريب التهذيب : ١/ ٨٥١ .
٦- الفضل بن عباس بن عبد المطلب ، صحابي ، استشهد في خلافة عمر . تقريب التهذيب : ٢/ ١١٠ .
٧- عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله ، أبو زرعة الدمشقي ، ثقة حافظ مصنف من الحادية عشر مات سنة ٨١هـ . تقريب التهذيب : ١/ ٤٩٣ .

سمعت فلعل أحدا من المذكورين من الصحابة أو جماعة منهم حدثوه بهذا الحديث والله أعلم .

وقوله : (أن عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن كعب الخزرجي بن الحارث بن الخزرج الانصارى الخزرجي الشاعر المشهور يكنى أبا محمد ، ويقال : كنيته أبو رواحة ويقال : أبو عمرو ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو خزرجية أيضا .

وليس له عقب وكان من السابقين الاولين من الانصار وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها الى أن استشهد بموءته بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب وقبله زيد بن حارثة .

وهو الذى جاء ببشارة وقعة بدر الى المدينة وبعثه رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) في ثلاثين راكبا الى أشير بن زرام اليهودى بخيبر فقتله ، وبعثه بعد فتح خيبر فخرص عليهم وكان يكتب للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) .

وفي فوائد أبي طاهر الذهلي (١) عن أبي هريرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : نعم الرجل عبدالله بن رواحة)، وفي الزهد لاحمد عن أنس :كان ابن رواحة اذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعالى نوءمن بربنا ساعة) وفيه أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : رحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهابها الملائكة) (٢) .

١- أبو طاهر الذهلي . محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابورى ، ثقة حافظ جليل من الحادية عشر ، مات سنة ٥٢ ، تقريب التهذيب : ٢/ ٢١٧ .

٢- أخرجه أحمد : ٢/ حديث (٢٦٥) .

وخد البيهقي بسند صحيح الى ابن أبي ليلى (١) أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال لابن رواحة : (زادك الله حرصا على طواعيه الله وطواعيه رسوله (٢) وفي الزهد لعبدالله بن المبارك بسند صحيح الى ابن أبي ليلى أيضا أنه سأل زوجة ابن رواحة عن صنيعه فقالت : كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، واذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك .

قالوا وكان عبدالله أول خارج الى الغزو وآخر قافل (٣) ، ولما نزل قوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال قد علم الله أني منهم فأنزل : (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٤) الآية .

وكان عظيم القدر في الجاهلية والاسلام ومن أحسن ما مدح به النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قوله :

لو لم يكن فيه آيات مبينـــــة　　　كانت بديهتـــــه تأتيك بالخبر

ودخل النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو يقول : خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضربا . يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله .

١- ابن أبي ليلى : عبدالرحمن بن أبي ليلى الانصارى ، المدني ، الكوفي ، ثقة من الثانية اختلف في سماعه من عمر ، مات سنة ست وثمانين وقيل غرق . تقريب التهذيب : (١/٤٩٦ .

٢- انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة : ٣/١٥٧ ، والاصابة : ٢/٣٠٦ .

٣- انظر كتاب الزهد ، لابن المبارك : ٤٥٤ ، الحديث رقم (١٢٨٣) .

٤- سورة الشعراء ، الآيات : ٢٢٤-٢٢٧ .

فقال عمر : يا ابن رواحة حرم الله (١) وبين يدى رسول الله تقول هذا الشعر

فقال : خل عنه يا عمر فوالذى نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

وقوله (كانت له) أى لا بن رواحة ، وقد وقع عند مسلم كما قدمناه لمعاوية بن الحكم

السلمي ، وانما ذلك من طريق عطاء بن يسار ، وهذ من طريق عطاء بن أبي رباح .

ووقع عند الطبراني في الكبير والاوسط عن كعب بن مالك قال : (كانت جارية

ترعى غنما لي فضربت وجه الجارية فندمت فأتيت النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقلت:

يارسول الله لو أعلم أنها مؤمنة لأعتقتها . فقال الرسول (صلى الله تعالى عليه وسلم)

للجارية : من أنا ؟ فقالت: رسول الله . قال : فمن الله؟ قالت : الذى في السماء .

فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : أعتقها فانها مؤمنة) (٢) .

وفي اسناده عبدالله بن أبي شبيب (٣) وهو ضعيف.

وأخرج عبدالرزاق (٤) في جامعه عن طاووس قال : ضرب حمزة بن عبدالمطلب وجه

جاريته فجاء بها الى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال النبي (صلى الله

١- وقع في نسخة (هـ) (في حرم الله) .
٢- انظر : معجم الطبراني الكبير : ١٩/٩٨ حديث رقم (١٩٣) .
٣- عبدالله بن شبيب بن خالد ضعيف ، انظر الجرح والتعديل : ٥/٨٣.
٤- عبدالرزاق بن همام بن نافع ، أبو بكر الصنعاني ، ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغير وكان يتحتج ، من التاسعة مات سنة احدى عشرة . تقريب التهذيب : ١/٥٠٥.

تعالى عليه وسلم) : (سبحان الله ما حملك على هذا ؟ قال : يارسول الله لو أعلم أنها مؤمنة لأعتقتها فسألها النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : أعتقها فانها مؤمنة) (١) . هذه الرواية مع اختصارها منقطعة ، فان طاووس لم يدرك حمزة فيحتمل أن تكون هذه القصة وقعت لأشخاص متعددين من الصحابة والله أعلم.

وقوله : (راعية) كانت هذه الراعية من اماء عبدالله بن رواحة والا فلا وجه لعتقها ، وكانت تلي أمر غنمه في تحصيل الرعي بالكسر وهو الكلاء لها وفيه دليل على جواز استخدام الرجل جاريته (٢) في المرعى وان كانت تنفرد في المرعى وانما حرم الشرع مسافرة المرأة (٣) وحدها لان السفر مظنة الطمع بها ، وانقطاع ناصرها ، والذب عنها بخلاف الراعية ومع هذا فان خيف مفسدة من رعيها لريبة فيها أو فساد من يكون في الناحية التي ترعى فيها أو نحو ذلك لا يسترعيها ولا تمكن الحرة ولا الامة حينئذ من الرعي لانه يرجع الى معنى السفر الذى حرمه الشرع على المرأة الا اذا كان معها محرم (٤) ،

وهذا كله على المرعى قريب من البلد ، وأما اذا كان مسيرة يوم وليلة فلا يجوز لعموم

١- انظر معجم الطبراني الكبير: ٩٨/١٩ حديث رقم ١٩٣ .
٢- في نسخه (هـ) استخدام الرجل مملوكته في المرعى .
٣- في نسخه (هـ) وانما حرم الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) سفرها وحدها .
٤- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢٤/٥ .

قوله (صلى اللهتعالى عليه وسلم) (لا يحل لا مراة تؤ من بالله واليوم الآ خرة) (١) فتشمل الحرة والأ مة والله أعلم.

وقوله تتعاهد غنمه أى تقوم بمصالح غنمه من تحصيل الرعي لها وورود ه على السماء وحلبه وخد مته بما يليق وحفظه كما شأن الرعاة.

وقوله تتعاهد شاة فعل مضارع من التفاعل بمعنى أنه عهد اليها أو صاها بتلك الشاة بالحفاظ ورعايتها على الوجه الاكمل من سائر الغنم كانه (رضى الله تعالى عنه). كان ظنيها بها والله أعلم.

وقوله فتعاهدتها صيغة مفردة لمؤنث الغائب من الفعل الماضى أى حفظتها وصانتها . (٢)

وبالغت فى خدمتها ورعيها حتى سمنت الشاة التى وقع التحريض الكثير من أجلها وقوله ببعض الغنم أى اشتغلت بقيام مصالح بعضها فأوجب ذلك الغفله عن الشاة المعهوده

وقوله فجاء الذئب بكسر الذال المعجمة وسكون الهمزة وقد تترك همزته فيقال ذيب التحتية وهو كلب البر وهو من الحيوانات المفترسه يكنى بأبي الجعده (٣) وهو الرخل بكسر الخاء المعجمه أى الانثى من الضأن فأبوها بمعنى أنه شديد التمكن منها وهو

١- أخرجه مسلم في : ١/باب سفر المراه مع محرم الى حج وغيره الحديث ٤١٤.
٢- يوجد اختلاف فى نسخه (هـ).
٣- ورد فى نسخه (هـ) يكنى بابى جعده والجعده اسم للرخل .

كثير الغدر متى رأى فرصة وغفلة من الراعي شد على الغنم فيأخذ منها مالا تهرب منه وهي كثيره المخافة منه .

وقوله فاختلس أى اختطف تلك الشاة المعهود ، وقوله فقد الشاة أى تطلبها فلم يجدها .

وقوله فلطمها أى ضرب بيده في وجهها بسبب غضبه على عدم مراعاتها للشاة بعد كثرة التحريض منه لها فيها (١)

وقوله ثم ندم على ذلك اى على لطمه لجاريته والندم بفتحتين هو الأسف، وقوله فذكر ذلك أى ما ندم بسببه ، وقوله فعظم النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ذلك أى لطمه فانه قد فعل أمرين كل واحد منهما قد حصل التحذير عنه أحدهما ضربه لجاريته المملوكة والآخر الضرب في الوجة .

أما الأول فيما أخرجه مسلم عن ابن عمر قال : النبى(صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : (من ضرب غلام له حدالم يأته أو لطمه فان كفارته أن يعتقه) (٢) .

وفي لفظ لابي داود من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه) ولما أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى عن أبن مسعود قال : (كنت أضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب، قال : فلما دنا منى اذا هو رسول

١- ورد اختلاف بين فى نسخه (هـ) .
٢- الادب المفرد حديث رقم ١٧٧ ، ومسلم في كتاب الأيمان حديث رقم ٣٠ ، وابو داود حديث رقم ٥١٦٨ .

الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فاذا هو يقول : اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود فألقيت السوط من يدى فقال : اعلم أبا مسعود أن الله تعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام) قال : فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا) .

وفي أخرى قلت : يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى أما لو لم تفعل للفحتك النار) (١) .

وأخرجه الطبراني باسناد رجاله ثقات عن عمار بن ياسر قال:قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (من ضرب مملوكا ظلما أقيد منه يوم القيامة) (٢) .

وأما الثاني فلما أخرجه مسلم والترمذى وهذا لفظه وأبو داود عن سويد بن مقرن قال : لقد رأيتنا سبعة اخوة ما لنا خادم الا واحدة فلطمها أحدنا فأمرنا النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) أن نعتقها وفي رواية أن سويدا رأى رجلا لطم غلامه فقال : أما علمت أن الصور محرمة (٣) .

ولما أخرجه البخارى عن أبي هريرة مرفوعا اذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه (٤) .

قال : النووى قال العلماء انما نهى عن ضرب الوجه لأنه لطيف بجميع المحاسن وأكثر ما يقع الادراك بأعضائه فيخشى من ضربه أن يبطل أو يتشوه كلها أو بعضها والشين فيها

١- الادب المفرد حديث رقم ١٧١ ، ومسلم في كتاب الأيمان حديث رقم ٣٤ ، ٣٥ .
٢- انظر مجمع الزوائد للهيثمى ٤ باب فيمن ضرب مملوكه أو مثل به الحديث رقم ٢٣٨ .
٣- الادب المفرد حديث رقم ١٧٦ ، ١٧٩ ، ومسلم في كتاب الأيمان الاحاديث من ٣٠- ٣٣ .
٤- الادب المفرد حديث رقم ١٧٤ ، ومسلم في كتاب البر والصله والاداب حديث رقم ١١٢- ١١٦ .

فاحش لبروزها وظهورها بل لايسلم غالبا اذا ضرب من شيئ انتهى (١) .

والتعليل المذكور حسن لكن ثبت عند مسلم تعليل آخر فانه أخرج حديث أبي هريرة وزاد : (فان الله خلق آدم على صورته) (٢) واختلف في الضمير على من يعود فالاكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الامر باكرام وجهه ، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباطا بما قبلها .

وقال القرطبي : أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكا بما ورد في بعض طرقه أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن قال وكأن من رواه أورده بالمعنى متمسكا بما توهمه فغلط في ذلك وقال : الماوردى غلط ابن قتيبة فأجرى الحديث على ظاهره وقال صوره لا كالصور انتهى (٣)

وقد أنكر الماوردى ومن تبعه صحه هذه الزيادة وقال :على تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالبارى سبحانه وتعالى .

قال الحافظ: الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم فى السنه (٤) والطبراني من حديث ابن عمر باسناد رجاله ثقات وأخرجها ابن أبي عاصم أيضا من طريق ابن أبي أويس عن

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الأيمان والنذور باب صحبه المماليك : ١١ / ١٢٠ .
٢- الادب المفرد حديث رقم ١٧٢ ، ومسلم في كتاب الايمان والنذور بطرق مختلفه
٣- انظر تفسير القرطبي : ١٠/ ١١٤ ذكره مختصرا .
٤- انظر السنه لأبي عاصم : ١/ ٢٢٨ عن ابن عمر ورجاله ثقات .

أبي هريرة بلفظ يرد التأويل الأول قال :(من قاتل فليتجنب الوجه فان صورة وجه الانسان على صورة وجه الرحمن (١) فتعين احراما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنه من امراره كما جاء من غير اعتقاد نسبته أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله .

وقال : حرب الكرماني في كتاب السنة سمعت اسحق بن راهويه (٢) يقول صح أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن قال: اسحق الكوسجي (٣) سمعت أحمد يقول هو حديث صحيح وقال : الطبراني في كتاب السنة حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال قال رجل لابي أن رجلا قال : خلق آدم على صورته أى صورة الرجل فقال : كذب هذا قول الجهمية انتهى (٤) .

وقد أخرج البخارى في الادب المفرد وأحمد عن طريق بن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة مرفوعا لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله تعالى خلق آدم على صورته (٥) وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك وكذلك أخرجه ابن أبي

١- انظر كتاب السنه لابن أبي عاصم : ١/ ٢٣٠ رقم حديث ٥٢١ قال الالبانى اسناده ضعيف.

٢- اسحق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى ، ابو محمد بن راهويه المروزى ، ثقه حافظ مجتهد ، قرين احمد بن حنبل ،ذكر ابو داود أنه تغير قبل موته بقليل ، مات سنه ٣٨ وله اثنان وسبعون ، تقريب التهذيب: ١/ ٥٤ .

٣- اسحق الكوسجي ، هو اسحق بن منصور بن بهرام الكوسج النسيابورى ،الحافظ ، المتوفي سنه احدى وخمسين ومائتين ،انظر الرساله المستطرفه : ٥٨ .

٤- كتاب السنه لابن عاصم: ١/ ٢٢٨ ، حديث رقم ٥١٦ باب رقم ١٠٩ ،واحمد ٢/ ٢٥١ ، ٤٣٤ .

٥- الادب المفرد حديث رقم ١٧٣ ،ومسلم في كتاب الأيمان والنذور باب صحبه المماليك بطرق مختلفة .

عاصم أيضا من طريق أبي رافع عن أبي هريرة بلفظ اذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه وقيل أن لهذا الحديث سببا حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذى ضرب عبده فنهاه النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن ذلك (١) وقال : ان الله تعالى خلق آدم على صورته وقيل يعود الضمير الى آدم أى خلقه على الصورة التى استمر عليها الى أن هبط والى أن مات دفعا لتوهم من الظن أنه لما كان في الجنة كان على صفه أخرى أو ابتداء خلقه كما وجد لم ينتقل فى النشاة كما ينتقل ولده من حال الى حال وقيل انما قالها النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) للرد على الدهريه انه لم يكن انسان الا من نطفة ولا يكون نطفة انسان الا من انسان ولا أول لذلك فبين انه خلق من أول الأمر على هذه الصورة وقيل الرد على الطاعنين الزاعمين ان الانسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره وقيل يكون للرد على القدريه الزاعمين أن الانسان يخلق فعل نفسة وأحسن ما يقال في هذا ما جاء في الروايه المفسره التى أسلفنا من أن آدم مخلوق على صوره الرحمن ثم يبقى الكلام فى التفويض الى الله تعالى والى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) .

وهذا مذهب المتقدمين في المتشابه وهو أسلم فنقول آمنا بما جاء من عند الله تعالى ومن عند رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) على مراد الله تعالى ومراد رسوله

١ـ اختلاف فى نسخه (هـ) .

(صلى الله تعالى عليه وسلم) وأما مذهب المتأخرين فالتأويل وذلك بأن يقولوا ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن ان المراد الصورة انما هي الصفة والمعنى ان الله تعالى خلق على صفته في العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك وكانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء .

وقوله ضربت وجهة مؤمنة علة ثالثة لتعظيم ما أتى به من الذنب وهو أن المؤمن لا يليق له الا الاكرام والاحترام فكيف يباشر أشرف اعضائه بالضرب وقد أخرج البخارى عن ابن عمر أن النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) (١) الحديث وأخرج أبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا .

(كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرئ من الشرك أن يحقر أخاه المسلم) (٢)

فكل هذه الاحاديث تقتضى الكف عن المؤمن من جميع جهاته ولو كان مملوكا فانما ملك منه المنافع لا عينه والا لجاز له ازالة عضو منه وليس فليس والله اعلم .

وقوله فقال انها أى المضروبة سوداء لاعلم لها أى بالأيمان لأن الغالب على سودان عدم التدين والتفقه بسبب أن أفكارهم قاصره عن فهم تلك الحقائق وهذا عذر أسداه عبد الله بن رواحة تخلصا عن الاثم الحاصل من ضرب المؤمن .

١- أخرجه البخارى ، كتاب المظالم والغصب ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه حديث رقم ٢٣١٠ .

٢- أخرجه ابو داود ٢ / ٢٧٠ حديث رقم ٤٨٨٢ ، كتاب الادب ، باب في الغيبة ورد فيه كلمة الشر بدلا من الشرك ، واحمد فى مسنده ٤٩١/٢ .

وقوله فأرسل اليها النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لتأتي وتخبر بحقيقة ايمانها حتى لا يستحقرها ما لكها ولا يستخف بشأنها وقوله : أين الله ؟ إستشكلت العلماء في لفظ هذا السؤال فان لفظ أين انما وضعت للاستفهام عن محل التحيز والله تعالى منزه عن التحيز بل لا يزال في كل مكان موجود وأجيب عن ذلك بأن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) انما استفهمها بذلك ليتحقق عنها نفي الآلهه الارضية من الطواغيت والاصنام التي كان أهل الجاهلية مشتغلين بعبادتها والتنويه بشأنها تكليما معها بقدر عقلها فقنع به ولم يكلفها حقيقه التنزيه فظهر هذا التقرير أنه (صلى الله تعالى عليه وسلم) لم يرد بذلك السؤال عن المكان .

قال النووي (١) هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيها وجهان أحدهما الايمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء وتنزيهه عن سمات المخلوق والثاني تأويله بما يليق به فمن قال بهذا قال كان المراد بهذا امتحانها هل هي موحدة تقر بأن الخالق الفعال المدبر هو الله وحده وهو الذى اذا دعاه الداعي استقبل السماء كما اذا صلى له المصلى استقبل الكعبة وليس معنى ذلك أنه منحصر في السماء كما أنه ليس منحصرا في جهه الكعبة بل ذلك لان السماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبل المصلين أم هي من عبدة الاوثان التي هي بين أيديهم فلما قالت في السماء علم

١- النووي ،الامام الحافظ شيخ الاسلام محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف ،صاحب التصانيف النافعه، مات سنه ٦٧٦ ، تذكره الحفاظ ، ٤/ ١٤٧٠ .

أنها موحدة لتبرئها عن الاصنام (١) .

قال القاضي عياض : ولا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلميهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء ، كقوله تعالى : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) (٢) ونحوها ليست على ظاهرها بل هي متأولة عند جميعهم فمن قال باثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأول في السماء أى على السماء .

ومن قال من النظار والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفي الحيز واستحالة الجهة في حقه تعالى تأولوها بتأويلات بحسب مقتضاها وذكر نحوها ما سبق قال ويا ليت شعرى ما الذى جمع أهل السنة والحق كلهم على وجوب الامساك عن التفكر في الذات كما أمروا وسكتوا بحيرة العقل واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وامساكهم غير شك في الوجود والموجود وغير قادح في التوحيد بل هو حقيقة ثم تسامح بعضهم باثبات الجهة وهل بين التكييف واثبات الجهة فرق ؟ لكن اطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذى لا يصح في معقول غيره وهو قوله تعالى : (ليس كمثله شيء) عصمة (٣) .

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٥/٢٤ .
٢- سورة الملك الآية : ١٦ .
٣- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٥/٢٤، ٢٥ .

لـــــمن وفقه الله تعالى. هذا كلام القاضي .

وأيد ابن عبدالبر في الاستذكار مذهب المتقدمين وهو الوجه الاول الذى أشـــار اليه النووى ثم قال ومخالفونا ينسبونا الى التشبيه والله المستعان (١) .

وقوله : (فمن أنا) استفهام منها بأنها هل تقر برسالته (صلى الله تعالى عليه وسلم) أم لا وذلك لأن مشركي مكة أبوا في صلح الحديبية أن يكتب(هذا ما قاضى عليـه محمد رسول الله) وقالوا لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ولا صددناك عن البيـــت ولكن اكتبمحمد بن عبدالله فقال (صلى الله تعالى عليه وسلم) (أنا محمد بن عبدالله وأنا رسول الله) (٢) .

فهي فهمت حقيقة السؤال ولذلك قالت :(رسول الله) أى : أنت رسول اللــه المكلف بتبليغ الشرائع الى الامة .

فاقرارها بهذه الشهادتين كان اقرارا بعموم ما بعث به (صلى الله تعالى عليـه وسلم) من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورســـله والقدر خيره وشره والميزان والصراط والجنة والنار والثواب والعقاب والبعث بعد الموت فلا يقال كيف اكتفى مع أن شرايع الاسلام كثيرة وهي لم تقر بها فضلا عن العمل بها ؟

لأنا نقول : لما كانت بين أظهر المسلمين لا تزال تنظر الى أمور دينهم كان ذلك

١- انظر: صحيح مسلم بشرح النووى : ٥/٢٤، ٢٥.
٢- جزء من حديث أخرجه البخارى ، كتاب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهـــل الحرب وكتابة الشروط من حديث طويل الاحاديث :رقـــم: (٢٥٨١، ٢٥٨٢) .

القدر كافيا منها مع أن ذلك القدر انما هو اس الايمان .

وقوله قال : انها مؤمنة فيه دليل على أن الكافر لا يصير مؤمنا الا بالاقرار بالله ورسالة رسوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه على من أقر بالشهادتين واعتقد ذلك جزما كفاه ذلك في صحه ايمانه وكونه من أهل القبلة والجنة ولا يكلف مع هذا اقامه الدليل والبرهان على ذلك ولا يلزمه معرفه الدليل وهذا هو الصحيح الذى عليه الجمهور.

وقوله : فاعتقها قد وقع فى حديث معاوية فعظم ذلك علي فقلت: يا رسول الله أفلا اعتقها قال : ائتنى بها فأتيته بها فقال : لها أين الله ؟ فقالت: في السماء قال : من آنا ؟ قالت: أنت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : أعتقها فأنها مؤمنة (١) فتبين من هنا أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) لم يأمره بعتقها الا بعد بذله للمعتق كفارة عن ما جناه وغاية ما هناك أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) أراد أن لا يعتقها الا بعد أن تقرر الاسلام منها لئلا تذهب الا المشركين وترغب في دينهم .

وهكذا وقع في حديث كعب وحمزه لما أسلفنا من قول كل منهما لو أعلم أنها مؤمنه لاعتقتها فهذا يؤيد أن البذل كان سابقا قبل الأمر بالعتق وانما حديث كعب وحمزه يدلان على بذل عتقها لو كانت مؤمنة .

وحديث معاوية الأسلمي قال : عن اشتراط الايمان وأما حديث الباب وهو حديث

١- أخرجه مسلم في كتاب المساجد ،باب تحريم الكلام في الصلاة - وقد سبق ذكره .

ـــعبد الله بن رواحة فانما يدل على أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم)قرر جهله عن فضلها وما عليها من الايمان فأمره بعتقها والله أعلم .

وقد وقع مثل هذا السؤال من النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن غير هذه المظلومة منها ماأخرجه الطبراني والبزار وأحمد عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبـــي (صلى الله تعالى عليه وسلم) بجارية سوداء أعجمية فقال : يارسول الله ان عليّ رقبة مؤمنة ، فقال لها رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : أين الله فأشارت برأسها الى السماء بأصبعها السبابة فقال لها : من أنا ؟ فأشارت بأصبعها الى رسول اللـه (صلى الله تعالى عليه وسلم) والى السماء أى أنت رسول الله ، قال : فأعتقها (١) .

وفي لفظ الطبراني قال لها : مـن ربك ؟ فأشارت برأسها الى السماء فقالت : الله (٢) . ورجاله موثوقون .

ومنها ما أخرجه الطبراني عن أبي جحيفة قال : أتت النبي (صلى الله تعالـى عليه وسلم) امرأة ومعها جارية سوداء فقالت المرأة : يارسول ان عليّ رقبة مؤمنـــة أفتجزئ هذه ؟ فقال لها رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : أين الله ؟ قالت : فـي السماء قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أتشهدين أن لا اله الا الله وأني رسول الله ؟ قالت: نعم ،قال : أتؤمنين بما جاء من عند الله تعالى ؟ قالت:

١- أخرجه أحمد : جـ٢/ ٢٩١ ، وانظر: مجمع الزوائد :جـ١ / ٢٤ .
٢- انظر : مجمع الزوائد : ٤/ ٢٤٤ .

نعم ، قال :اعتقيها فانها موءمنة (١) وفي اسناده سعيد بن عبسة (٢) وهو ضعيف
وفي الحديث دلالة على فضيلة عتق الموءمنة وانه مهما أمكنه أن يعتقها وهي موءمنة فهو
أحسن والله أعلم.

الحديث : الخامس

أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن أبي بريدة عن أبيه قال كنا جلوسا عند رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال لاصحابه : انهضوا بنا نعود جارنا اليهودى قال : فدخل عليه فوجده في الموت فسأله ثم قال : أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله فنظر الى أبيه فلم يكلمه أبوه ، فقال النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) أتشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله ؟ فنظر الى أبيه فقال أبوه : اشهد له ، فقال الفتى : أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله .

فقال النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) : الحمد لله الذى أنقذ بي نسمة من النار(١) .

وفي رواية أنه قال : ذات يوم لاصحابه انهضوا بنا نعود جارنا اليهودى قال : فوجده في الموت فقال : أشهد أن لا اله الا الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أني رسول الله قال : فنظر الرجل الى أبيه قال : فأعاد عليه رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فوصف الحديث ثلاث مرات الى آخره على هذه الهيئة الى قوله : أتشهد فقال : أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) :

١- لم أقف على من أخرجه كما قال المصنف كذلك وانما أخرج أبو داود والبخارى شواهد له ، أبو داود : ٢١٨٥/٣ ، حديث رقم (٣٠٩٥) ، كتاب الجنائز ، في عيادة الذمي وأخرج البخارى في : ٤٥٥/١ حديث رقم (١٢٩٠) كتاب الجنائز باب اذا أسلم الصبي فمات .

الحمد لله الذى أنقذ بي نسمة من النار (١) .

حديث بريدة بن الحصيب الاسلمي لم أجد من أخرجه وانما له شواهد منها ما أخرجه البخارى وأبو داود والنسائي من حديث سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : كان غلام يهودى يخدم النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فمرض فأتاه النبي (صلى الله عليه وسلم) يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم فنظر الى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول : (الحمد لله الذى أنقذه من النار (٢) - .

ومنها ما أخرجه الطبراني في الكبير باسناد حسن عن صفوان بن عسال المرادى (٣) قال : دخل رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) على غلام من اليهود وهو مريض فقال : أتشهد أن لا اله الا الله ؟ قال : نعم ، قال : قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ثم قبض فوليه رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) والمسلمون فغسلوه ودفنوه (٤) .

١- لم أقف على من أخرجه كما قال المصنف كذلك وانما أخرج أبو داود والبخارى شواهد له ، أبو داود : ٣/ ٢١٨٥ ، حديث رقم (٣٠٩٥) كتاب الجنائز في عيادة الذمي ، وأخرج البخارى في : ١/ ٤٥٥ حديث رقم (١٢٩٠) كتاب الجنائز باب اذا أسلم الصبي فمات .

٢- البخارى حديث : (١٢٩٠) ، وأبو داود حديث : (٣٠٩٥) من كتاب الجنائز

٣- صفوان بن عسال المرادى . صحابي ، نزل الكوفة ، تجريد أسماء الصحابة : ١/ ٢٨٠٧ .

٤- انظر مجمع الزوائد للهيثمي : ٢/ ٣٢٣ ، ٣٢٤ كتاب الجنائز باب تلقين الميت (لا اله الا الله) .

وعلقمة بن مرثد بفتح الميم وسكون الراء بعدها مثلثة الحضرمي يكنى بأبي الحارث الكوفي ،ثقة ، وسليمان بن بريدة الحصيب الاسلمي المروزى قاضيها ثقة ،مات سنة خمس ومائة وله تسعون سنة ونقل الذهبي عن البخارى أنه قال : لم يذكر أنه سمع أباه ، وأبوه بريدة أسلم حين مر به النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) مهاجرا بالغميم وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد ثم قدم بعد ذلك هكذا قال ابن السكن .

وقيل أسلم بعد منصرف النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) من بدر وسكن البصرة لما فتحت .

وفي الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ستة عشرة غزوة قال أبو علي الطوسي أحمد بن عثمان صاحب ابن المبارك اسم بريدة عامر وبريدة كعب ومناقبه مشهورة وكان غزا خراسان في زمن عثمان ثم تحول الى مرو فسكنها الى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية .

وقال ابن سعد : مات سنة ثلاث وستين . وقوله : كنا جلوسا عند رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم)) يؤخذ منه استحباب الجلوس عند الامام وأنه لا يعد ذلك من القوم سوء أدب وكذلك يستفاد منه مجالسة أهل العلم والصلاح ليستفيد الامور الدينية .

ومن أجل ذلك فاق أبو هريرة (رضي الله عنه) على سائر الصحابة في أمر حفظ

الحديث ، وانه ذكر أن الانصار كان يشغلهم عمل أموالهم والمهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وكنت أمرا مسكينا ألزم رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لشبع بطني فأحضر مالا يحضرون وأحفظ مالا يحفظون .

قلت ولذلك قال : عمر (رضى الله عنه) أخفى علىّ هذا يعنى أمر الاستئذان ثلاثا فان لم يؤذن رجع من أمر رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) .

الهانى الصفق بالاسواق وذلك فى استئذان أبو موسى الاشعرى عليه ثلاث مرات ثم رجع فاسترده وسأله عن رجوعه فقال : أبو موسى هكذا أمرنا فطلب منه شاهدا على ذلك حتى شهد أبو سعيد الخدرى .

فقال : عمر ذلك (رضى الله تعالى عنه) وقوله : انهضوا بنا بفتح الهاء أى قوموا بنا وهذا يستفاد منه أن الامام اذا عنّ له القيام لامر مهم وشق على القوم فراقه التمس منهم القيام معه طلبا للمصلحتين وتحصيلا للفائدتين وانما كان (صلى الله تعالى عليه وسلم) يفعل ذلك امتثالا لقوله تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) (١) .

وقوله نعود مشتق من العيادة لامن العود فانه بمعنى الرجوع وهي بمعنى زيارة المريض وتفقد أحواله وتأنسيه ليخفف عنه بعض ما يلاقية من الوجع .

١ـ سورة الكهف، الآيه : ٢٨ .

ولذلك استحب للعائد أن يجلس عند رأسه ويوقف بصره على المريض ولا ينظر اليه بحده ولا يدخل عليه في ثياب جدد ولا وسخه ولا يحدثه الا بما يعجبه وينفس في أجله بمعنى أنه يبشره بطول العمر ويهون عليه ما يلقاه ويخفف الجلوس عنده وتمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده فيسأله كيف هو ويدعو له بالشفاء .

وقوله جارنا اليهودى اخبار منه (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن موجبات العيادة فانه لما كان جارا له (صلى الله تعالى عليه وسلم) والجار له حقوق متعدده ولو كان مشركا استحق العيادة وكذلك لما كان يهوديا أحب النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) أن يذهب اليه عائدا له فيستأنس به حتى يلقي اليه أمر الاسلام ويعرض عليه الشهادتين ليكون محصلا للفوز الاكبر وهذا مصداق قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١)

وقد تبين من حديث أنس أنه كان يخدم النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فنال ما نال بسبب الخدمة الشريفة وهكذا ينبغي للمخدوم أن يلاحظ حال الخادم ولا ينظر الى عيوبه .

ومن أعجب الاحاديث الواردة في حق الجار ما أخرجه البزار وأبو الشح (٢) في الثواب وأبو نعيم في الحلية عن جابر مرفوعا الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران

١- سورة الانبياء ، الآيه : ١٠٧ .
٢- لم أجد من كنيته ابو الشح وانما ابو شيخ ، الهنائي ، البصرى قيل اسمه حيوان ابن خالد وهو ثقه من الثالثه ، تقريب التهذيب : ٢ / ٤٣٥ .

حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذى له حق واحد فجار مشرك له حق الجوار واما الذى له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الجوار وحق الرحم (١) .

وقوله(فوجده في الموات) أى مشغولا بمقدمات الموت من الكرب والسكرات ونحو ذلك وليس المراد أنه كان يجود بنفسة بحيث شرعت فيه حاله الغرغره فان ذلك الوقت لا يقبل منه الاسلام وذلك لقول الله تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا اليما) (٢) وقوله تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) (٣)الآية .

وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عمر عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : (ان الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر) (٤) .

وأخرج البيهقى في الشعب عن رجل من أصحاب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (يقول ما انسان يتوب الى اللهعز وجل قبل أن يغرغر بنفسه الاقبل الله توبتة) (٥) .

١- أخرجه ابو نعيم فى حليه الاولياء ، ٥/ ٢٠٧ وقال ابو نعيم غريب من حديث عطا عن الحسن لم تكتبه الا من حديث ابن أبى فديك .

٢- سورة النساء ، الآيه : ١٨ .

٣- سورة غافر ، الآية : ٨٤ .

٤- الترمذى حديث رقم (٣٧ ، ٣٥) كتاب الدعوات باب فضل التوبة ، وأخرجه احمد بلفظ قريب : ٥/ ٣٦٥

٥- انظر مجمع الزوائد للهيثمي ، ١٠/ ١٩٨ .

قال : الطيبى الغرغره أن يجعل المشروب في الفم ويرد د الى أصل الحلق ولا يمكن ابتلاعه فهذا الحال هو المعبر عنه فى قوله تعالى (حتى اذا حضر أحد هم الموت) (١) فحضوره مجاز وفسر ابن عباس الحضور بمعاينه ملك الموت(٢) فهذا وان كان وافـــق الحقيقة وهى مقد مة على المجاز لكن لا يراه كثير من الناس وربما راه كثير قبل الغرغـــره والتحديد الواقع في الحديث محصور حال الغرغره يرجح المجاز فان الروح انما يقبـــض ابتداء من الرجل وذلك ليبقى اللسان والقلب ذاكرا وليتوب الى الله عز وجل وليستحل من الناس عن المظالم ويوصى من ماله فى المصالح مهما أمكنه فهذه الحاله كلها سابقه على الغرغره وهي واقعه بعد رؤية الملك .

فلا يكون حضور الموت حضورا تاما الا عند خروج الروح من الحلقوم ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في الشعب عن عمرو قال : (من تاب قبل موته بفواق تيب عليه قيل له ألم يقل الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات) الآية .

قال انما أحدثك ما سمعت من رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (٣) ثـــم قبول التوبة في حالة الغرغره انما هو بناء على أنه من شرط التوبة العزم على ترك الذنب

١- سورة النساء ، الآية : ١٨ .
٢- تنوير المقباس ، ٥٥ ولفظه : ولا يقبل توبه الكفار عند المعاينه .
٣- أخرج احمد في ، ٢/٢٠٦ : عن عبد الله بن عمرو ....) .

المتوب منه وعدم المعاودة ، وانما يتحقق ذلك مع تمكن التائب منه بحسب الظاهر وبقاء أوان الاختبار واما اذا حضر الموت وتمكنت الغرغرة فقد تيقن بخروجه من الدنيا فصار بتوبته حينئذ كالمستهزئ فلا يقبل منه كما لا تقبل توبة العنين من الزنا لان حالته مفحمة بعدم وقوع الزنا منه فتكون توبته عبثا والله أعلم .

وقوله : (فسأله) أي : عن مرضه وشدته عليه وهذا كما أخرجه الطبراني باسناد رجاله رجال الصحيح عن فاطمة الخزاعية (١) قالت : عاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)امرأة من الانصار وهي وجعة فقال لها : كيف تجدينك (٢) وأخرج مالك عن أبي أمامة أن مسكينة مرضت فأُخبر رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) بمرضها وكان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يعود المساكين ويسأل عنهم (٣) الحديث .

وكان هذا دأبه (صلى الله عليه وسلم) في عيادته للمرضى .

وقوله : (اشهد) بكسر الهمزة وسكون الدال في أخره أمر ويوافقه ما قدمناه في حديث أنس فقال له : (أسلم) وفي الحديث دلالة على أن اسلام الصبي صحيح اذ لو لم يصح لما عرض عليه وهذا عند ملاحظة حديث أنس ، وحديث صفوان بن عسال والا

١- فاطمة الخزاعية ، صحابية ، تجريد اسماء الصحابة : ٢/٣٥٣٧ .
٢- الطبراني في الكبير : ٢٤/٤٠٥ حديث رقم (٩٨٤) ...
٣- مالك ، كتاب الجنائز ، باب التكبير على الجنائز : ١/٢٢٧ حديث رقم (١٥) .

فحديث بريدة الذى أخرجه الامام (رحمه الله تعالى) ساكت عن قوله (غلاما) أو (رجلا) وقد اختلف العلماء في صحة اسلام الصبي فالحنفية على صحته لان عليـــا (رضي الله عنه) أسلم وهو صبي ابن سبع ، وكذلك قد عرض النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) على ابن صياد وقد راهق الحلم ، وحديثه عند البخارى وقد عقد البخارى باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه ، وأورد حديث ابن صياد وحديث الغلام اليهودى ، وحديث ابن عباس : (كنت أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان وأمي من النساء) (١) .

وقوله : (فنظر الى أبيه) وقع عند أبي داود وهو عند رأسه (٢) ونظره اليه استشارة منه في قبول ما يلقيه اليه (صلى الله عليه وسلم) من الشهادتين .

وقوله : فلم يكلمه أبوه) أى : لا بالنفي ولا الاثبات اشعارا منه بعدم الرضاء .

وقوله : (أتشهد) بهمزة استفهام يعقبه صيغة فعل مضارع للمذكر الحاضر ، وقد اختلف هذا اللفظ باللفظ السابق فيمكن أن يقال لما علم الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) أولا منه قبول ما يلقيه اليه أمره بالشهادتين ثم رأى نظره الى أبيه وعدم اسعاد

١- البخارى حديث رقم (١٢٩١) ، كتاب الجنائز .
٢- أبو داود ، كتاب الجنائز ، الحديث رقم (٣٠٩٥) .

والده الى ذلك استفهم (صلى الله تعالى عليه وسلم) منه عن ما يعتقده وعن قبـــول ما يلقى اليه ويحتمل أن تكون الكلمتان متساويتان وتصحف على الناسخ غلطا النسخـــة التي نقلت منها المتن غير معتمدة في الصحة والله أعلم .

وقوله : (فنظر الى أبيه) أى : مرة أخرى رجاء للاذن منه ،

وقوله : (فقال له أبوه اشهد له) أى : بالرسالة والا فالشهادة بالتوحيد موجودة عند أكثر اليهود .

وقوله : (الحمد لله الذى أنقذ بي) أى : بسببي(بسمة من النار) فيه دليل على أن الصبي ان عقل الكفر ومات على ذلك يعذب والخلاف الواقع في أطفال المشركين محمول على من لا يعقل الكفر منهم أو أن هذه القصة كانت متقدمة على اطلاع الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) أنهم في الجنة والله أعلم .

وفيه اشارة الى أن الكافر اذا أسلم على يد أحد من المسلمين كان ذلك نعمـــة عظيمة على الذى أسلم على يديه ويؤيده قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلي كرم الله تعالى وجهه : (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك بها حمـر النعم(١) .

وقوله في الرواية الاخرى : (أشهد أن لا اله الا الله) قال : نعم ، أى لانهم

١- البخارى : ١٠٩٦/٣ حديث رقم (٢٨٤٧) في كتاب الجهاد ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ...... الاحاديث : (٢٧٨٣ ، ٣٤٩٨ ، ٣٩٧٣) .

من أهل الكتاب وغالبهم من أهل التوحيد وانما لهم كلمات نقل الله تعالى عنهم سيئة كريهة ينبغي التجنب عنها منها قولهم : عزيرابن الله ، ويد الله مغلولة ، ونحو ذلك من قبائح أقوالهم .

ولذلك كان لا يفتي عبدالله بن عمر في التزوج بنساء اليهود ويلحقهم بالمشركين المنهي عنهم بقوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) (١) .

وكان يقول : أى شرك أعظم من نسبة الولد الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

وقوله : (أتشهد أني رسول الله) بعد الاقرار بالوحدانية وفيه دليل على أنه لا يتحقق مسمى الاسلام الا بعد الشهادتين جميعا .

وفي الحديث جواز تلقين الميت وقد وردت فيه أحاديث منها ما أخرجه مسلم وأصحاب السنن عن أبي سعيد قال قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (لقنوا موتاكم لا اله الا الله) (٢) .

وزاد الطبراني في الاوسط باسناد فيه ضعف : (وقولوا الثبات الثبات ولا قوة الا بالله (٣) .

ومنها ما أخرجه ابن ماجه باسناد فيه ضعف عن عبدالله بن جعفر (٤) مرفوعا : (

١- البقرة : الآية : ٢٢١ .
٢- مسلم : ٢/ ٦٣١ ، كتاب الجنائز ، باب تلقين الموتى لا اله الا الله حديث رقم (٩١٦)
٣- انظر مجمع الزوائد : ٢/ ٣٢٣ باب تلقين الميت لا اله الا الله .
٤- عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي أحد الاجواد وله صحبة ، مات سنة ثمانين تقريب التهذيب : ١/ ٤٠٦ .

(لقنوا موتاكم لا اله الا الله الحكيم الكريم سبحان ذ و العرش العظيم الحمد لله رب العالمين) وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة والضعيفة .

قال : في الضجر وينبغي أن يقال عنده (لا اله الا الله محمد رسول الله) ولا يؤمر بها .

ثم اذا قالها المحتضر مرة كفاه ولا يكثر عليه مالم يتكلم بعد ذلك ، ولما أكثر على ابن المبارك عند الوفاه قال : اذا قلت ذلك مرة فأنا على ذلك مالم أتكلم (١) .

ثم التلقين مستحب والامر الوارد في قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (لقنوا موتاكم لا اله الا الله) أمر استحباب لا ايجاب وانتهى باختصار فافهم والله أعلم .

١- صفوة الصفوة ، ٤/ ١٤٦ .

الحديث : السادس

أبو حنيفة عن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج (١) عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه) قيل فمن مات صغيرا يا رسول قال : الله أعلم بما كانوا عاملين (٢) هذا الحديث أخرجه مالك في الموطأ وأبوداود من حديث أبي الزناد (٣) عن الأعرج عن أبي هريرة وروى عن أبي هريرة أبو صالح السمان (٤) وأبو العلا عبد الرحمن (٥) وابن المسيب عند مسلم وأبو سلمه (٦) وهمام (٧) عند البخارى وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج يكنى بابي داود المدني مولى بني هاشم وقيل يكني بأبي حازم وقيل ان اسم ابيه كيسان قال : غندنا عبد الله بن سعيد بن أبي هندنا عبد الرحمن بن كيسان الاعرج وقال : الحاكم أبو أحمد عبيد

١- عبد الرحمن بن هرمز الاعرج ، ابو داود المدني ، ثقه ثبت عالم من الثالثه مات ١١٧ ، تقريب التهذيب : ١/ ٥٠١ .

٢- مسلم ، كتاب القدر حديث رقم (٢٣) ، ٤/ ٢٠٤٨ .

٣- عبد الله بن ذكوان القرشى ابو عبد الرحمن ، المدني المعروف بابي الزناد ، ثقه فقيه من الخامسه مات ١٣٠ ، تقريب التهذيب : ١/ ٤١٣ .

٤- ذكوان ابو صالح سمان الزيات ، المدني ثقه ثبت من الثالثه مات احدى ومائه ، تقريب التهذيب : ١/٢٣٨ .

٥- ابو العلا عبد الرحمن مجهول الحال كما قال ابو زرعه ، الجرح التعديل ، ٩/ ٤١٥ .

٦- ابو سلمه بن عبد الرحمن بن عوف ، المدني ثقه مكثر من الثالثه مات ٩٤ ، تقريب التهذيب : ٢/ ٤٣٠ .

٧- همام بن منبه بن كامل الصنعانى ابو عتبه ، ثقه من الرابعه مات اثنين وثلاثين ومائه تقريب التهذيب : ٢/ ٣٢١ .

الرحمن بن هرمز ويقال كيسان قال : أبو نصر كان الاعرج عالما بالعربية والانساب روى عن كثير من الصحابة منهم أبو سعيد وعبد الله بن مالك بن بحينه (١) وابن عباس ومحمد بن مسلمه الانصارى (٢) ومعاوية بن أبي سفيان وكان مولى محمد بن ربيعة (٣) بن الحارث بن عبد المطلب وكان من مشاهير التابعين وثقاتهم مات بالاسكندرية سنة عشر ومائة وقيل سنة سبع عشرة .

قوله عن ابي هريرة وقد روى غيره هذا الحديث منهم جابر عند أحمد قال قال : رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا عبر لسانه اما شاكرا واما كفورا) (٤) .

وفي اسناده أبو جعفر الرازى (٥) وهو ثقه وفيه خلاف ومنهم سمره بن جندب (٦) عند البزار مرفوعا :(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه)

وفي اسناده عباد بن منصور نقل عن يحيى القطان أنه ثقة ومنهم ابن عباس عنده أيضا مرفوعا بذلك اللفظ وفي اسناده من لا يعرف .

١- عبدالله بن مالك بن بحينة وهي أمه ، تجريد ، رقم الترجمة (٣٥١٥) .
٢- محمد بن مسلمة بن خالد الاوسي ، تجريد ، رقم (٦٧٣) .
٣- محمد بن ربيعة بن الحارث أبو حمزة الهاشمي قيل انه أدرك النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ، تجريد ، رقم الترجمة (٦٢٦) .
٤- أخرجه أحمد من طريق آخر عن الاسود بن سريع : ٤٣٥/٣ على نحو من ذلك.
٥- أبو جعفر الرازى التميمي مولاهم ، مشهور بكنيته واسمه عيسى بن أبي عيسى عبدالله بن ماهان ، صدوق سيئ الحفظ، خصوصا عن مغيرة من كبار السابعة ، مات في حدود الستين : ٤٠٦/٢ . تقريب التهذيب
٦- سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ، صحابي مشهور له أحاديث ، مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين : تقريب التهذيب : ٣٣٢/١ .

وقوله : (كل مولود) أي : من بني آدم ، وصرح به جعفر بن ربيعة (١) عن الاعرج عن أبي هريرة بلفظ : (كل بني آدم يولد على الفطرة) (٢) .

واستشكل هذا التركيب بأنه يقتضي أن كل مولود يقع له التهويد وغيره مما ذكر والغرض أن بعضهم يستمر مسلما ولا يقع له شيء والجواب : أن المراد من التركيب أن الكفر ليس من ذات المولود ولا من مقتضى طبعه انما حصل بسبب خارجي فان سلم ذلك السبب استمر على الحق . وهذا يقوى المذهب الصحيح في تأويل الفطرة .

وقوله : (يولد على الفطرة) ظاهره تعميم الوصف المذكور في جميع المولودين وأصرح منه ما رواه يونس بلفظ : (ما من مولود الا يولد على الفطرة) .

ولمسلم من طريق أبو صالح : (ليس من مولود يولد الا على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه) (٣) .

وفي رواية له من هذا الوجه : (ما من مولود الا وهو على الملة) (٤) وحكى ابن عبد البر عن قوم أنه لا يقتضي العموم ، وانما المراد كل من يولد على الفطرة وكان له أبوان على غير الاسلام نقلاه الى دينهما (٥) فتقدير الخبر على هذا كل مولود يولد على

١- جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندى ، ثقة من الخامسة مات سنة ستا وثلاثين ومائة : ١/١٣٠ .
٢- أخرجه مسلم : ٤/٢٠٤٧ الحديث (٢٢) .
٣- مسلم : ٤/٢٠٤٨ الحديث (٢٣) .
٤- أخرجه مسلم : ٤/٢٠٤٨ حديث رقم (٢٣) عن ابن نمير .
٥- انظر فتح الباري : ٣/٢٤٨ .

الفطرة وأبواه يهوديان مثلا فانهما يهودانه ثم يصير عند بلوغه الى ما يحكم به عليه

واستدلوا في ذلك بما أخرجه مسلم عن أبي بن كعب (١) مرفوعا أن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا (٢) .

وأخرجه عن عائشة مرفوعا : (ان الله تعالى خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم (٣) .

ومثل هذه الاحاديث تدل على أن الكل لم يولد على الفطرة ، ويكفي في الرد عليهم رواية أبي صالح المتقدمة وكذلك كل بني آدم يولد على الفطرة ، ويجاب على حديث أبي بن كعب وحديث عائشة أن الكل كانوا مولودين على الفطرة ، وبعد ذلك رجعوا الى الشقاوة التي قدرها لهم رب العزة وذلك من قبيل كل ميسر لما خلق له فافهم .

وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة وحكى أبو عبيد أنه سأل محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الامام الاعظم عن ذلك فقال : كان هذا في أول الاسلام قبل أن تنزل الفرائض وقبل الامر بالجهاد .

١- أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر ، أقرأ الامة ، تجريد : ١/ ٤ .
٢- مسلم : ٤/ ٢٠٥٠ كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة الحديث (٢٩) .
٣- مسلم : ٤/ ٢٠٥٠ كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة الحديث (٣١) .

وقال أبو عبيدة :كأنه عنى أنه لو كان يولد على الاسلام فمات قبل أن يهـــوده أبواه مثلا لم يرثاه والواقع في الحكم أنهما يرثانه فدل على تغير الحكم .

وقد تعقبه ابن عبدالبر وغيره وسبب الاشتباه أنه حمله على أحكام الدنيا فلذلـــك ادعى فيه النسخ والحق أنه اخبار من النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) بما وقع في نفس الامر ولم يرد به اثبات أحكام الدنيا .

وأشهر الاقوال أن المراد بالفطرة الاسلام ،قال ابن عبدالبر : وهو الحق المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : (فطرة الله التي فطر الناس عليها) الاسلام (١) .

واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب عند البخارى وغيره اقرؤا ان شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها) (٢) وبحديث عياض بن حمار (٣) عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه : (اني خلقت عبادى كلهم حنفاء فاجتالتهـــم الشياطين عن دينهم) (٤) الحديث .....

وقد رواه غيره فزاد فيه حنفاء مسلمين ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى : (فطرة الله) لانها اضافة مدح وقد أمر نبيه (صلى الله تعالى عليه وسلم) بلزومها فعلم أنها الاسلام .

١- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ٢٤٨/٣ .
٢- البخارى - الحديث (١٢٩٣) ، كتاب الجنائز باب اذا أسلم الصبي فمات .. الخ .
٣- عياض بن حمار التميمي المجاشعي ، صحابي سكن البصرة ، تقريب التهذيب: ٩٥/٢ تجريد رقم (٤٦٥٨) .
٤- أخرجه مسلم : ٢١٩٧/٤ (٢٦٣) حديث (٢٦٣) كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار وهو جزء من حديث طويل .

وأخرج البخاري عن الزهري أنه قال يصلى على كل مولود متوفى وإن كان لُغية من أجل أنه ولد على فطرة الاسلام إذا استهلّ وهو صارخ (١) .

وروى عن عكرمة أيضا أن الفطرة هي الاسلام ، وقد جزم البخاري بذلك أيضا في صحيحه وقد قال أحمد :من مات أبواه وهما كافران حكم باسلامه (٢) واستدل بحديث الباب فدل على أنه فسر الفطرة بالاسلام، وتعقبه بعضهم بأنه كان يلزم أن لا يصح استرقاقه ولا يحكم بإسلامه إذا أسلم أحد أبويه ،والحق ما قدمناه من أن الحديث انما سيق لبيان ما هو في نفس الامر لا لبيان أحكام الدنيا (٣) وحكى محمد بن نصر (٤) أن آخر قولي أحمد :أن المراد بالفطرة الاسلام .

قال ابن القيم (٥) : وقد جاء عن أحمد أجوبة كثيرة يحتج فيها بهذا الحديث على أن الطفل انما يحكم بكفره بأبويه فاذا لم يكن بين أبوين كافرين فهو مسلم .

وروى أبو داود عن حماد بن سلمة أنه قال : المراد أن ذلك حيث أخذ الله تعالى العهد حيث قال : (ألست بربكم قالوا بلى) (٦) .

١- البخاري : ٤٥٦/١ الحديث (١٢٩٢) ، كتاب الجنائز ،باب اذا أسلم الصبي فمات ....الخ .

٢- انظر فتح الباري : ٢٤٨/٣ .

٣- نفس المصدر السابق : ٢٤٨/٣ ، ٢٤٩ .

٤- محمد بن نصر المروزي الفقيه أبو عبد الله ، ثقة حافظ امام جَبَلٌ من كبار الثانية عشر مات سنة أربع وتسعين ، تقريب التهذيب : ٢١٣/٢ .

٥- ابن القيم الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية . مات سنة ٧٥١هـ الدرر الكامنة : ٢١/٤ .

٦- سورة الاعراف ،الآية : ١٧٢ .

ونقله ابن عبد البر عن الاوزاعي وعن سحنون ، ونقله أبو يعلى بن الفرّاء عن إحدى الروايتين عن أحمد وهو ما حكاه الميموني عنه وذكره ابن بطة وذكر أبي هريرة لقولـــه تعالى : (فطرة الله التي فطر الناس عليها) عقب هذا الحديث كما وقع عند البخارى وغيره يقوي ما أوله حماد بن سلمة من أوجه منها أن التعريف الواقع في قوله : (على الفطرة) إشارة إلى المعهود وهو قوله تعالى : (فطرة الله) ومعنى المأمور في قوله تعالى : (فأقم وجهك) أى أثبت على العهد القديم .

ومنها ورود الرواية بلفظ (الملة) بدل (الفطرة) والدين في قوله :(للدين حنيفا) هو عين الملة (١) .

قال تعالى : (ديناً قِيَماً ملّة إبراهيم حنيفاً) (٢) ويوئيده حديث عياض المتقدم ومنها التشبيه بالمحسوس المعاين ليفيد أن ظهوره يقع في البيان مبلغ هذا المحسوس والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجِبلّة والتهيوء لقبول الدين فلو ترك المرء عليها لا ستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس

١- انظر فتح البارى : ٢٤٩/٣ .

٢- سورة الانعام ، الآية : ١٦١ .

وانما يُعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد هكذا قرره الطيبي والى هذا مال القرطبي في المُفهم فقال : المعنى أن الله تعالى خلق قلوب بني آدم متأهلة لقبول الحق كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الاسلام هو الدين الحق .

وقد دلّ على هذا المعنى بقية الحديث الواقعة عند الشيخين وغيرهما حيث قال : كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة فلو ترك كذلك كان بريئا من العيب لكنهم تصرفوا فيه بقطع اذنه مثلا فخرج عن الاصل وهو تشبيه واقع ووجهه واضح والله أعلم (١) .

وقال ابن القيم : ليس المراد بقوله (يولد على الفطرة) أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين لأنّ الله تعالى يقول : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) (٢) . ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الاسلام ومحبته فنفس الفطرة تستلزم الاقرار والمحبة وليس المراد مجرد قبول الفطرة كذلك كأنه لا يتغير بتهويد الابوين مثلا بحيث يخرجان الفطرة عن القبول وانما المراد أن كل يولد على اقراره بالربوبية فلو

١- انظر فتح البارى ، لابن حجر : ٢٤٩/٣ .

٢- سورة النحل ، الآية : ٧٨ .

خُلْقِيّ وعُدمَ المعارض لم يعدل عن ذلك الى غيره كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف ومن ثمة شبهت الفطرة باللبن بل كانت اياه في تأويل الرؤيا والله أعلم(١) .

قلت: وهذا تفسير للفطرة بالجملة فهو تفسير ثالث لأنه تقدم تفسيرها بالاسلام وتفسيرها بالعهد المأخوذ في صلب آدم من ذريته يوم قال : (ألست بربكم قالوا بلى) وهذا تفسيرها بالجبلة وفي المسألة أقوال أخر ذكرها ابن عبد البر وغيره، منها: قول ابن المبارك : أن المراد أنه يولد على ما يصير اليه من شقاوة أو سعادة فمن علم الله تعالى أنه يصير مسلما ولد على الاسلام ومن علم أنه يصير كافرا ولد على الكفر فكأنه أول الفطرة بالعلم وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يكن لقوله : (فأبواه يهودانه) . . . . الخ معنى لأنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فينا في التمثيل بحال البهيمة (٢) .

ومنها أن المراد أن الله تعالى خلق فيهم المعرفة والانكار فلما أخذ الميثاق من الذرية قالوا جميعا بلى أما أهل السعادة فقالوا طوعا، وأما أهل الشقاء فقالوها كُرها .

قال محمد بن نصر سمعت اسحق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى ويرجحه، وتعقب بأنه يحتاج الى نقل صحيح فانه لا يعرف هذا التفصيل عند أخذ الميثاق الا عند السدي ولم يسنده ، فكأنه أخذها من الاسرائيليات حكاه ابن القيم عن شيخه .

١- انظر فتح الباري ، لابن حجر : ٢٤٩/٣ .
٢- نفس المصدر السابق : ٢٤٩/٣ .

ومنها أن المراد بالفطرة الخلقة أي : يولد سالما لا يعرف كفراً ولا إيماناً ثـم يعتقد اذا بلغ التكليف .

وحديث عياض لا يخالفه فان قوله حنفاء معناه على الاستقامة،وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يقتصر في أحوال التبديل على ملل الكفر دون ملة الاسلام ولم يكن لاستشهاد أبي هريرة بالآية معنى .

ومنها قول بعضهم أن اللام في الفطرة للعهد أي : فطرة أبويه وهذا باطل لأجل أنه لم تبق فائدة لقوله فأبواه يهودانه لأن التهويد فطرتهما سابقة وكذلك لم يناسـب التمثيل ولا الاستشهاد بالآية .

قال ابن القيم : سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليست من قضاء الله تعالى بل من ابتداء احداثه فحاول جماعة من العلماء في لغتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الاسلام ولا حاجـة لذلك لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة الاسلام ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية لان قوله : (فأبواه يهودانه) . . . . . .الخ محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى ،وأخرج أبو داود عن ابن وهب قال : سمعت مالكا قيل له إنّ أهل الاهواء يحتجّون علينا بهذا الحديث قال مالك : احتج عليهم بآخره قالوا أرأيت من يموت وهو صغير ، قال الله أعلم بما كانوا عاملين "

ومعناه أن هذا يدل على أن الله تعالى يعلم ما يصيرون اليه بعد ايجادهم على الفطرة فهو دليل على تقديم العلم الذى ينكره غلاتهم ومن ثم .

قال الشافعي : أهل القدر أن أثبتوا العلم خصموا ورجح التوربشتي تفسير الفطرة بالجبلَّة فقال : إن كل ذلك يرجع إلى أصلين من التأويل أحدهما: أنَّ المراد بالفطرة هو الدين الذى شرع لأول مفطور من البشر وهو التوحيد الذى لا شريك فيه ولا تشبيه والفطرة على هذا التأويل هو الاسلام والقائلون بهذا التأويل أكثرهم ممن ينتسب الى مذهب القدر. والآخر: أن يقال أن المراد بالفطرة ههنا ما فطر الله الخلق عليه من الهيئة المستعدة لمعرفة الخالق وقبول الحق والتمييز بين حسن الأمر وقبيحه لما ركبه فى الناس من المعقول .

والى هذا المعنى أشار بقوله سبحانه وتعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها والقائلون بتأويله بالاسلام يستدلون بهذه الآية .

فيما ذهبوا اليه من معنى الحديث والآية تدل على غير ما ذهبوا إليه لأنه سبحانه وتعالى يقول لا تبديل لخلق الله فلو كان المراد بالفطرة نفس الاسلام للزم من الحديث (تبديل خلق الله) ، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (فأبواه يهودانه) الحديث فتبيَّن اذاً أنَّ المراد بالفطرة في هذا الحديث هو المراد في الآية وذلك ما يتوصل به الى معرفة (أن الدين عند الله الاسلام) (١) فالفطرة هى التى لا يتهيا،

١- سورة آل عمران ، الآيه : ١٩ .

لا حد تبديلها وان ذهب ضها ذاهب كانت هي بحالها حجة عليه وهي الحنيفية التي وقعت لأول الخلق في فطرة العقول،ومعنى الحديث(أن المولود لو ترك على مـا فطره عليه من العقل القويم والوضع المستقيم ولم تعترضه آفه من قبل الأبوين لم يختـر غير هذا الدين الذى حسنه ظاهر عند ذوى العقول وهذا أصوب التأويلين وأولا هما بالتقديم لوجوه أحدهما .

ما ذكرناه من تأويل الآية وثانيها قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا وثالثها : ان الدين المعتد به من باب الاكتساب لأنه يثاب علـى حسنة ويعاقب على قبيحه ولو كان من حكم الجبله لم يكن كذلك ، ورابعهما : أن المولود لو ولد مسلما لم يجعله الشرع تبعا لأبويه الكافرين فى كفرهما كيف وقد حكم الشرع على ولدان المشركين بحكم وهم أجنه فى بطون أمهاتهم انتهى .

قلت أن فسرت الفطرة بالجبلة فمن شأنها أن لا تختلف ولا تتبدل لأنها طـبع والميل الى دين الأبوين تطبع والطبع يغلب التطبع،ثم لا نزال نشاهد أنّ الولد ربما فاق والداه فى الكفر،فقد حصل التبديل الذى فرمنه فى تفسيرها بالاسلام فالأولى أن يقال فى قوله: لا تبديل لخلق الله أن خلق الله تعالى لا يتبدل فى شخص شخص بأن يكون هذا مولودا على الاسلام والآخر مولودا على اليهودية بل الكل إنما يولدون على الاسلام فلا تختص الفطرة بأُشخاص دون أُشخاص بل تعم وذلك لما أخرج ابن مردوية فى تفسيره

من طريق الأسود بن سريع (١) بلفظ ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى تبين عنها لسانه (٢) .

وكذلك ما قدمناه من رواية مسلم ليس من مولود يولد الا على هذه الفطرة حتى تعبر عنه لسانه فوقت التعبير خارج عن الفطرة التى فطرها الله تعالى عندما لم يكن مسلما لأن الغاية لا تدخل تحت المغيّا، فتعميم الفطرة لكل مولود حاصل لا تبديل لخلق الله تعالى فى ذلك بمعنى أنه لا يختلف حكم والا فالتبديل حاصل فى كل معنى من معاني الفطرة اذا لم تحمل نفي التبديل على تعميم كل مولود .

فتأمل وقد مر الجواب عن حديث الغلام الذى قتله الخضر واما الثواب فانما يترتب على ثبات ما فطر عليه لا على أصل الفطرة .

وقد مر الجواب عن لحوق المولود بالمشركين لأن الحديث انما سبق لبيان ما هو فى نفس الأمر لا لبيان أحكام الدنيا نعم اذا لم يكن بين أبويه كافرين وهو باق على الفطرة فهو مسلم .

كما قدمناه عن أحمد فتأويل الفطرة بالإسلام أحسن التأويلات وأصحها بقي الكلام فى استدلال أهل القدر بذلك التأويل فقد قدمنا عن مالك أنه يرد عليهم بقوله (صلى الله

١- الاسود بن سريع التميمى السعدى صحابى ، مات سنه اثنين واربعين تقريب التهذيب : ١ / ٧٦ .

٢- انظر فتح البارى لابن حجر : ٢٥١/٣ .

تعالى عليه وسلم) فى آخر الحديث الله أعلم بما كانوا عاملين وقد قدمنا فى ذلك كلاما

شافيا فسقطت حججهم ولله تعالى الحمد وليكن هذا آخر كلامنا فى تفسير الفطرة .

وقوله بقيل فمن مات صغيرا أي من أولاد المشركين أيصلى عليه ويحكم باسلامه أم لا.

وقوله الله أعلم بما كانوا عاملين أى يعلم ما يصيرون إليه بعد إيجاد الفطرة فيهم

وهذا يحتمل لأنه لم ينبه عند حدوث هذا السؤال عن حقيقة أمرهم فتوقف فيه أو علم ولم

يؤذن له في الكشف عنه رعاية لمصلحة العباد فأجاب عنه بقوله الله أعلم بما هم صائرون

إليه وبما هو كائن من أمرهم أيدخلون الجنة آمنين منعمين أو يردون النار لابثين معذبين

منه أم يتركون مابين المنزلتين ويحتمل أنه علق أمرهم بما علم الله تعالى من عاقبة أمرهم لو

تركوا فعاشوا حتى بلغوا الحنث والمعنى من علم الله تعالى منه أنه أن أمهل حتى بلغ

الحنث عبده ثم مات على الايمان أدخله الجنة ومن علم منه أنه يفجر ويكفر أدخله النار.

قال التوربشتي :وفي هذا التأويل نظر لأنا ننفي في أصل الدين ومنهاج الشرع

أن يعذب العصاة على معصية كانت تقع منهم لو طالت بهم الحياة فلا ننفي ذلك عن

الاطفال وهم أضعف منة وأقل قوة أحق وأجدر انتهى (١) .

فاذا علمت هذا فاعلم أن مبنى اختلاف التأويل هذا الحديث على اختلاف أهل

١- انظر فتح البارى : ٣/٢٤٦.

العلم في ولدان المشركين فمنهم من يسكت عنهم ولا يقطع في أمرهم بشيء ومنهم من يُعلّق أمرهم بما علم الله تعالى منهم وأنهم في مشيئة الله تعالى وهو منقول عن الحمادين وابن المبارك واسحاق ونقله البيهقي في الاعتقاد عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة (١) .

قال ابن عبد البر : وهو مقتضى صنيع مالك وليس عنه في هذه المسألة شيء منصوص الا أن أصحابه صرّحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة (٢)

والحجة لهم في ذلك قوله:الله أعلم بما كانوا عاملين ، وكذلك أنس مرفوعا أن الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول : يارب نطفة يارب مضغة يارب علقة فاذا أراد أن يقضي خلقه قال ذكر أم أنثى ،شقي أم سعيد ، فما الرزق ،فما الاجل،فكتب في بطن أمه (٣) .

فمنهم من يقول أنهم مع آبائهم فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد الكفار في النار حكى هذا القول ابن حزم عن الازارقة من الخوارج واحتج بقوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم) (٤) .

١- انظر فتح الباري ،لابن حجر : ٢٤٦/٣ .
٢- نفس المصدر السابق .
٣- البخارى : ١/ الحديث (٣١٢) كتاب الحيض ، باب مخلقة وغير مخلقة .
٤- سورة الطور ، الآية : ٢١ .

وأما قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لصعب بن جثامة (١) حين سأله عن البيات فتصيب الصبيان فقال :هم من آبائهم فذاك ورد في حكم الحرب .

وأخرج أحمد من حديث عائشة سألت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن ولدان المسلمين قال : في الجنة ، وعن ولدان المشركين قال في النار فقلت : يا رسول الله لم يدرك الاعمال قال : ربك أعلم بما كانوا عاملين لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار (٢) .

وفي اسناده أبو عقيل (٣) مولى بهية وهو متروك،ومنهم من يقول:انهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار لأنهم لم يعملوا سيئة يدخلون بها النار ولا حسنة يدخلون بها الجنة .

ومنهم من يقول:إنهم خدم أهل الجنة ومن حديث عن أنس ضعيف أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى والطبراني والبزار من حديث سمرة مرفوعا : (أولاد المشركين خدم أهل الجنة (٤) قال الحافظ واسناده ضعيف .

ومنهم من يقول : انهم يصيرون تراب (٥) روى ثمامة بن أشرس . ومنهم من يقول هم

١- صعب بن جثامة الليثي صحابي ، مات في خلافة أبي بكر الصديق والاصح أنه مات في خلافة عثمان ، تقريب التهذيب: ١/٣٦٧ .

٢- لم أقف على هذا الحديث في مسند الامام أحمد من حديث عائشة ، ولكن أخرج قريبا منه عن أبي هريرة في : ٢/٢٥٩ ، وأخرجه البخاري عن ابن عباس وأبي هريرة في الاحاديث (١٣١٧) (١٣١٨) ، ومسلم الحديث رقم (٢٦٥٩) .

٣- أبو عقيل هو يحيى بن المتوكل المدني، أبو عقيل ، صاحب بهية (مولاة عائشة) ضعيف من الثامنة مات سنة سبع وستين ، تقريب التهذيب: ٢/٣٥٦ .

٤ ، ٥- انظر : فتح الباري : ٣/٢٤٦ .

في النار (١) حكاه عياض عن أحمد وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الامام أصلا .

ومنهم من يقول انهم يمتحنون في الاخرة بأن يرفع لهم نار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن أبي عُذّب (٢) أخرجه البزار عن حديث أنس وأبي سعيد وأخرجه الطبراني عن حديث معاذ بن جبل قال الحافظ : وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة (٣) .

وحكى البيهقي في كتاب الاعتقاد أنه المذهب الصحيح (٤) وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذاك ، وقد قال تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) (٥) .

وفي الصحيحين أن الناس يؤمرون بالسجود فيصير ظهر المنافق طبقا فلا يستطيع أن يسجد(٦) .

ومنهم من يقول إنهم في الجنة قال النووي : وهذا المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٧) .

---

١ ، ٢ ، ٣- انظر فتح البارى : ٣/٢٤٦.
٤- نفس المصدر السابق : ٣/٢٤٦.
٥- سورة القلم الآية : ٤٢.
٦- البخارى : ٤/١٨٧١ ، الحديث رقم (٤٦٣٥) ، كتاب التفسير ، باب يوم يكشف عن ساق عن أبي سعيد الخدرى بمعناه .
٧- سورة الاسراء الآية : ١٥.

واذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الاولى ولحديث سمرة بن جندب عند البخارى أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قص عليهم رؤيا رآها في منامه وفيه فانطلقنا حتى انتهينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، والشيخ في أصل الشجرة ابراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس (١) وفي رواية : (وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين وأولاد المشركين يارسول الله فقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وأولاد المشركين) .

ولما رواه ابن عبدالبر من طريق أبي معاذ (٢) عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : سألت خديجة النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن أولاد المشركين فقال : هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم سألته بعدما استحكم الاسلام فنزلت : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال : هم على الفطرة أو قال : في الجنة.

وأبو معاذ هو سليمان بن أرقم وهو ضعيف ولو صح هذا لكان قاطعا للنزاع رافعا لكثير من الاشكالات لان فيه الجزم بالحكم الاخر بخلاف ما تقدم من الادلة فانه لا يعلم الاول من الآخر فتأمل .

١- البخارى : ٤٦٥/١ الحديث (١٣٢) ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين عن سمرة بن جندب من حديث طويل .

٢- أبو معاذ سليمان بن أرقم . ضعيف من السابعة ، تقريب التهذيب : ٤٠٩/١ .

ولما أخرج احمد من طريق حسناء بنت معاويه بن صريم (١) عن عمتها قالت: قلت يا رسول الله من في الجنة قال : النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة (٢). وحسن الحافظ اسناده .

ولما رواه أبو يعلى من حديث أنس مرفوعا: سألت ربي اللاّهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم (٣) وحسن اسناد أيضا .

قال وورد تفسير اللاّهين : بأنهم الاطفال من حديث ابن عباس (رضى الله عنه) مرفوعا .

أخرجه البزار (٤) فهذه تسعة أقوال فى أطفال المشركين، والمذهب الأخير هو المرجح من حيث الأدلة .

وأما الامام الاعظم أبو حنيفة رحمه الله فقد نقل عنه التوقف في هذه المسألة وهو المذهب الذى قدمناه أولا فافهم والله أعلم .

١- حسناء بنت معاويه بن صريم ويقال خنساء ، مقبوله من الرابعه ، تقريب التهذيب ٥٩٤/٢ .
٢- أخرجه احمد في الجزء ٥ رقم الحديث (٤٠٩) وردت كلمة الوليد، بدل الوئيد .
٣-٤- انظر مجمع الزوائد ، ٢١٨/٧ ، ٢١٩ : كتاب القدر ، باب ما جاء في اولاد المشركين ، وباب ما جاء في الاطفال .

الحديث : السابع

أبو حنيفة عن أبي الزبير عن جابر أن سراقة بن مالك(١) قال : يا رسول الله حدثنا عن ديننا كأنا ولدنا له أنعمل بشيء قد جرت به المقادير وجفت به الأقلام أم في شيء نستقبل فيه العمل قال : بل في شيء جرت به المقادير وجفت به الأقلام قال : ففيم العمل قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له "فأما من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى فسنُيسره لليسرى وأما من بخِلَ واستغنى وكذب بالحسنى فَسنُيسرهُ للعُسرى"(٢) .

هذا الحديث أخرجه مسلم عن طريق زهير ابي خيثمه وعمر بن الحارث(٣) وابن حبان في صحيحه من طريق روح بن القاسم(٤) كلهم عن أبي الزبير عن جابر .

وأبو الزبير اسمه محمد بن مسلم بن تَدْرُس بفتح الفوقية وسكون الدال المهملة وضم الراء الأسدى مولاهم قيل أنه مولى حكيم بن حزام(٥) من تابعى مكة ، ولهذا يقال أبو

١- سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي صحابي ، مات في خلافه عثمان سنه ٢٤ ، تقريب التهذيب : ٢٨٤/١ .

٢- أخرجه مسلم ، ٢٠٤٠/٤ ، حديث رقم (٨-٢٦٤٨) عن زهير ابى خيثمه ، عن جابر وعن عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بهذا المعنى ، في كتاب القدر باب كيفيه الخلق الاولى في بطن امه ، وانظر الاحسان بترتيب صحيح بن حبان : ٢٧٦/١ ، حديث رقم (٣٣٨) .

٣- عمرو بن الحارث بن يعقوب الانصارى ثقه فقيه حافظ من السابعه مات قبل الخمسين ومائه : تقريب التهذيب : ٦٧/٢ .

٤- روح بن القاسم التميمى العنبرى ابو غياث البصرى ثقه حافظ من السادسه مات سنه احد واربعين ومائه ، تقريب التهذيب : ٢٥٤/١ .

٥- حكيم بن حزام بن خويلد الاسدى ابو خالد المكى صحابى ، تقريب التهذيب : ١٩٤/١

الزبير المكى ، سمع جابر بن عبد الله قال : فيه الحافظ انه صدوق لكنه يدلس انتهى .

مات سنه خمس وعشرين ومائه .

وجابر بن عبد الله قد مرت ترجمته في أحاديث الشفاعة وسراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكنانى المدلجى ، وقد ينسبُ إلى جده فيكنى أبا سفيان كان ينزل قديدا روى البخارى قصته في إدراكه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) لما هاجر إلى المدينة لأن كفار قريش قد كانوا جعلوا في رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فركب فرسه وتبعهم حتى دنى منهم فعثرت به فرسه حتى خرّ عنها ثم ركبها حتى سمع قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو لا يلتفت فساخت يدا فرسه في الارض حتى بلغتا الركبتين بعد ما دعا النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فدعاهم بالأُمان فوصل وعرض عليه الزاد والمتاع ، فطلب منه الاخفاء عنه .

وكتب له أماناً وكان الكاتب عامر بن فُهيرة (١) بعد ما التمس من النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) كتاب الأمن (٢) .

وفي تلك القصة يقول سراقة مخاطبا لأُبي جهل :أبا الحكم والله لو كنت شاهدا لأُمر جوادي أن تسيخ قوائمه علمت ولم تشكك بأن محمدا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

١- عامر بن فهيرة ،أبو عمرو مولى أبي بكر كان أسود ، تجريد أسماء الصحابة : ١/ ٣٠٣٢

٢- البخارى : ٣/حديث رقم (٣٦٩٣) ، كتاب فضائل الصحابة باب هجرة النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وأصحابه الى المدينة .

وأسلم يوم الفتح (١) .

وقال ابن عيينة عن اسرائيل أبي موسى (٢)عن الحسن أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال لسراقة بن مالك : كيف بك إذا لبست سوارى كسرى قال : فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه وكان رجلا أزب كثير شعر الساعدين فقال له ارفع يديك وقل الحمد لله سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الاعرابي

قال ابن عبدالبر : مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعد عثمان .

وقد روى عن سراقة هذا الحديث من غير رواية جابر،فقد أخرج ابن ماجة من طريق الاعمش عن مجاهد (٣) عن سراقة قال : قلت : يارسول الله العمل فيما جف به القلم وجرت به المقادير أم في أمر مستقبل ؟ قال :بل فيما جفَّ بهالقلم وجرت به المقادير وكل مُيسر لما خُلق له(٤) .

ووقع هذا السؤال وجوابه سوى تلاوة الآية لشريح بن عامر الكلالي أخرجه أحمد والطبراني في لفظ قال:ففيم العمل قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال : قال عمر : يارسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو أمر قد فرغ منه) (٥) .

١- سيرة ابن هشام : ١/ ٤٩٠ ،مطبعة دار الكنوز الادبية .
٢- اسرائيل بن موسى ،أبو موسى نزيل الهند ، ثقة من السادسة ، تقريب التهذيب : ٦٤/١ .
٣- مجاهد هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المخزومي المكي ثقة امام في التفسير من الثالثة مات سنة احدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ، تقريب التهذيب: ٢/ ٢٢٩ .
٤- مقدمة ابن ماجه ، الحديث رقم (٩١) .
٥- الترمذى ، كتاب القدر ، باب ما جاء في الشقاء والسعادة ، الحديث رقم (٢١٣٥) .

فذكر نحوه وأخرج البزار والفريابي من حديث أبي هريرة أن عمر قال : يا رسول الله (١) فذكره وأخرجه احمد والبزار والطبراني من حديث أبي بكر الصديق قلت يا رسول الله نعمل على ما فرغ منه (٢) الحديث نحوه .

ووقع في حديث سعد بن أبي وقاص فقال رجل من الانصار كما سيأتي في روايات حديث سعد في لفظ المسند ان شاء الله تعالى .

قال الحافظ : والجمع بينهما تعدد السائلين عن ذلك ، فقد وقع في حديث عبدالله بن عمرو فيما أخرج الترمذي من قصة خروج النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي يده كتابان فقال لأصحابه ففيم العمل يارسول الله ان كان أمر قد فرغ منه (٣) . الحديث .

وكذلك في حديث أبي الدرداء عند البزار وحسن اسناده قال (قالوا يارسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه قال : بل أمر قد فرغ منه ، قالوا : فكيف بالعمل يارسول الله ؟ قال : كل امرئ مهيأ لما خلق له) (٤) .

ونحوه في حديث ابن عباس عند الطبراني باسناد رجاله ثقات قال : قال رجل : يا رسول الله أنعمل فيما جرت به المقادير أو جفَّ به القلم أو شيء نأتنفه ؟ قال : بل

١- انظر مجمع الزوائد : ١٩٤/٧ ، باب كل ميسر لما خلق له .
٢- أخرجه أحمد : ٦/١ .
٣- الترمذي ، كتاب القدر ، باب ما جاء أن الله كتب كتابا لا هل الجنة وأهل النار الحديث رقم (٢١٤١) .
٤- أحمد : ٤٤١/٦ .

لما جرت به المقادير وجف به القلم . قال : ففيم العمل قال : اعمل فكل ميسر) (١) .

وزاد البزار في آخره فقال : بعضهم لبعض فالجِدّ اذا .

وقوله (حدثنا عن ديننا) ؟ أى شأن ما نتدين به ونتعبد به ونتقرب الى الله تعالى بسببه .

وقوله : (كأنا ولدنا له) في رواية مسلم : (بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن)

ومقصوده بذلك أمران : أحدهما : الحث على الجواب الشافي الخالص عن الاشكال الذى لا يعتريه إجمال أو تشكيك أو كناية بل يكون صريحا مبينا مفصّلا شافياً لعلة الجهل كافيا له .

وثانيهما : بيان وجه الطلب مثل ذلك الجواب فان أمر الدين أمر عظيم ومن ولد لأجله وخلق بسببه يحتاج أن يبالغ في تحقيقه وكشف معضله وكأنه يُشير إلى قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون) (٢) .

فهذه العبادة التي خلق المرء بسببها هي الدين بنفسها أنعمل بتلك العبادة لشيء أي : لنكون سعداء فندخل الجنة .

قد جرت به المقادير جمع مقدار والمراد من ذلك أن الله تعالى قد قدر لنا السعادة والشقاوة ودخولنا في الجنة وورودنا على النار فنعمل لما قدر لنا من ذلك .

١- انظر مجمع الزوائد للهيثمي : ٧//١٩٥ .
٢- سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

والقدر محركة اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر كالهدم والنشر والقبض أسماء لما صدر عن فعل الهادم .

والناشر والقابض يقال قدرت الشيء وقدرت مخففا بمعنى واحد قال الراغب: القدر بوضعه يدل على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم ، ويتضمن الارادة عقلا والقول نقلا . وحاصله وجود شيء في وقت وعلى كل حال توقف العلم والارادة والقول (١) .

قال الخطابي : قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله تعالى والقضاء بمعنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم أن قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (فحج آدم موسى من هذا الوجه) وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لهم الخير والشر واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله تعالى فيهم افعالهم واكتسابهم ومباشرتهم تلك الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها .

قال : وجماع القول في هذا أي : في القضاء والقدر أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه ثم أتى بكلام يقتضي الجواب عن حديث موسى عليه السلام (٢).

١- انظر الراغب في المفردات : ٣٩٤ .
٢- انظر سنن الترمذي ، كتاب الايمان ، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر حديث رقم (٢) .

فحاصل كلامه يشعر بالسبب في لائمة الله تعالى على العباد في أفعالهم السيئة والسكوت عن التفريق بين القضاء والقدر ، ولهذا من قال القضاء الارادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في أوقاتها .

وقال غيره القضاء : هو الحكم الكلي الاجمالي في الأزل والقدر: جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله .

وقال أبو المظفر بن السمعاني : سبيل معرفة هذا الباب متوقفة على الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوقف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ ما يُقربه عينه ويطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الاستار وحجبه عن عقول الخلق لما علمه من الحكمة فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب .

وقيل ان سر القدر يكشف لهم اذا دخلوا الجنة ولا يتكشف قبل دخولها انتهى (١).

وقد أخرج الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود مرفوعا اذا ذكر القدر فأمسكوا (٢)

وأخرج مسلم من طريق طاوس :أدركت ناسا من أصحاب رسول الله (صلى الله تعالى

١- انظر : مرقاة شرح مشكاة ـ للملا علي القارى كلاما قريبا من هذا المعنى : ١/ ٦٢ .
٢- انظر : مجمع الزوائد للهيثمي : ٧/ ٢٠٢ باب النهي عن الكلام في القدر .

عليه وسلم) يقولون :كل شيء بقدر ، وسمعت عبدالله بن عمر يقول : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس) (١) .

وفسر الكَيس مفتوح الكاف بضد العجز ومعناه الحذق في الامور الدنيوية والاخروية ومعناه أن كل شيء لا يقع في الوجود إلاّ وقد سبق إلى علم الله تعالى ومشيئته به .

وهذا عين حقيقة قوله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (٢) . فإنها نَصٌّ في أن كل شيء انما خلقه الله وقدره .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة : (جاء مشركو قريش يخاصمون النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) في القدر فنزلت يعني الآية المذكورة. وقوله : (وجفت به الاقلام) من الجفاف يقال : جف الثوب وغيره يجف جفافا وجفوفا اذا ابتل ثم جف وفيه ندى فجعل جفاف القلم كناية عن جريانه بالمقادير وامضائها والفراغ منها تمثيلا بما عهدناه وذلك أبلغ في المعنى المراد منه لأن الكاتب انما يجف قلمه بعد الفراغ عما يكتب .

قال التوربشتي : ولم نجد هذا اللفظ مستعملا على هذا الوجه فيما انتهى الينا من كلام العرب الا في كلام رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فأراها من الالفاظ المستعارة التى لم تهتد اليها البلغاء فافتضتها الفصاحة النبوية انتهى .

١- أخرجه مسلم : ٤/٢٠٤٥ ،كتاب القدر باب كل شيء بقدر الحديث (٢٦٥٥/١٨)
٢- سورة القمر الآية : ٤٩.

قلت : وقد وقعت هذه اللفظة في حديث الباب في قول سراقة بن جعشم فلعله (رضي الله عنه) يكون سمع من أمثالها شيئاً من النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقالها وذلك كقوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لأبي هريرة جفَّ القلم بما أنت لاق ونحو ذلك والله أعلم .

وقوله أم في شيء نستقبل فيه العمل في حديث ابي بكر الصديق (رضى الله عنه) (نعمل على أمر قد فرغ منه أو على أمر مؤتنف) (١)

وفى حديث عمر قد فرغ منه أو في شيء مبتدأ او امر مبتدع والمراد انا نعمل لشيء باتينا اذا عملنا له عملا ولم يقدرلنا بعد قال : بل في شيء قد جرت به المقادير معناه ان الله تعالى قد كتب للانسان جميع ما يلقاه في الدنيا والاخرة فانه ..

قد ثبت من حديث ابن مسعود عن الشيخين وغيرهما قال : حدثنا رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو الصادق المصدوق قال : (أنّ أُحدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى ملكا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقى أو سعيد، فوالله إن أُحدكم ،أو قال : الرجل يعمل بعمل أُهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وان الرجل يعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير

١- مؤتنف: أى يوجد الان ،انظر الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل ١/١٣٦.

ذارع او ذراعين فيسبق عليه عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها) (١) .

وكذلك ما أخرجاه من حديث علي (رضى الله عنه) مرفوعا (ما منكم من أحد مامن نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتب شقية أو سعيدة (٢) .

فدلت هذه الأحاديث وما شابهها أن المقر الأخروي مفروغ منه فلا يعمل إلا لشيء قد جرت به أي بذلك الشيء وهو حصول النعيم أو الورود في الجحيم المقادير ثم تقدير المقادير ما هو سابق ولا حق فالسابق ما في علم الله تعالى واللاحق ما يُقدّر علـــى الجنين في بطن أُمه كما وقع في هذه الأحاديث .

وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا (كتب الله تعالـــى مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه) (٣) فيشير ذلك الى التقدير السابق ومع ذلك يراد به ما كتب في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم اللـــه سبحانه وتعالى وقوله : (وجفت به الاقلام) أما يراد به المجاز كما قدمناه فيكون المقصود ان الله تعالى قد فرغ من تقدير الاشياء كما يفرغ الكاتب اذا جفت اقلامه .

١- البخارى ، ٢٧١٣/٦ : كتاب التوحيد ، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الحديث رقم (٧٠١٦) .
ولمسلم فى : ٢٠٣٦/٤ ،كتاب القدر ، باب كيفيه الخلق الادمي في بطن امه رقم الباب (١) ورقم الحديث (٢٦٤٣) .

٢- البخارى ، ٤٥٨/٣ : كتاب الجنائز ، باب موعظه المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله الحديث رقم (١٢٩٦) جزء من حديث
ومسلم فى : ٢٠٣٩/٤ ، كتاب القدر ، باب كيفيه الخلق ... الخ الحديث رقم ٦- ٢٦٤٧

٣- مسلم فى : ٢٠٤٤/٤ ،كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام الحديث ١٦ (٢٦٥٣) .

وإما يراد منه الحقيقة وذلك لما أخرجه أبو يعلى بسند جيد عن ابن عباس مرفوعا : (أن أول شيء خلقه الله القلم وأمره أن يكتب كل شيء) (١) .

وفي لفظ الطبراني بسند جيد : (لما خلق الله القلم قال له : اكتب فجرى بما هو كائن الى قيام الساعة) (٢) .

وفي لفظ له آخر موقوفا : (ان الله جل ذكره خلق العرش فاستوى عليه ثم خلق القلم فأمره أن يجرى باذنه وعظم القلم ما بين السماء والارض) (٣) . الحديث .

وعلى حمل القلم على حقيقته لا بد من ارتكاب المجاز من حيثية استعمال لفظ الجمع في المفرد والله أعلم .

وقوله : (ففيم العمل) استفهام ، والمعنى: اذا قد جرى في علم الله تعالى أن مآل فلان الى كذا وكذا فلا يحتاج العامل الى العمل لانه سيصير الى ما قدر له سواء عمل أو لم يعمل (٤) .

وقوله : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وفي لفظ حديث أبي الدرداء : (كل امرىء مهيء (٥) لما خلق لـه) فحاصل السؤال ألا نترك مشقة العمل فانا سنصير

١- انظر: مجمع الزوائد : ٧/١٩٠ باب جف القلم بما هو كائن .
٢- نفس المصدر السابق .
٣- نفس المصدر السابق .
٤- ورد في نسخة (هـ) قال سراقة ففيم العمل ، والمعنى اذا جرى في علم الله أن مآل فلان الى كذا ......
٥- ورد في نسخة (هـ) قال : (صلى الله عليه وسلم) : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وقد مرّ لفظ كل امرىء مهيء........

الى ما قدر لنا أو علينا .

وحاصل الجواب لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق وهو يسير على من يسره الله تعالى (١) .

قال الطيبي : الجواب من اسلوب الحكيم منعهم عن ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد وزجرهم عن التصرف في الامور الغيبية فلا تجعلوا العبادة وتركها سببا مستقلا لدخول الجنة والنار بل هي علامات فقط (٢) .

قال الخطابي : (لما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن سبق الكائنات رام من تمسك بالقدر أن يتخذه حجة في ترك العمل فاعلمهم أن هنا أمرين لا يُبطل أحدهما بالآخر باطن وهو العلة الموجبة في حكم الربوبية وظاهر وهو العلامة الظاهرة اللازمة في حق العبودية وانما هي إمارة محيلة في مطالعة علم العواقب غير مفيد حقيقه فبين لهم أن كلا ميسر لما خلق له وان عمله في العاجل دليل على مصيره في الأجل ولذلك مثل بالآيات ونظير ذلك الرزق مع الامر بالكسب والأجل مع الأذن في المعالجة .

وقوله (٣) فاما من أعطى.الخ استشهاد على ما ادعاه (صلى الله تعالى عليه وسلم)

١- ورد في نسخه (هـ) كل واحد يوفقه الله تعالى للتهيء الذي خلقه فاهل النار ميسرون للمعاص وأهل الجنة ميسرون للطاعات .

٢- ورد في نسخه (هـ) علامتان فقط بدل علامات فقط .

٣- ورد في نسخه (هـ) ولما ادعى (صلى الله تعالى عليه وسلم) من ميسر لما خلق لأجله استشهد على ذلك بقوله تعالى (فاما من أعطى) .

من تيسر ما خلق لأجله والمراد من الاعطاء انفاق المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب وفك الاسارى وتقوية المسلمين على عدوهم ودفع حاجة المساكين وصلة الارحام وكل ذلك مطلق سواء كان واجبا أو نفلا .

وقد مدح الله تعالى قوما فقال : (ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيما وأسيرا) (١) .

وكذلك انفاق النفس في مرضات الله تعالى وهذا كله عمل الظاهر وقوله(واتقى) اى اجتنب كل ما يخل في قبول الأعمال الصالحة من الرياء والسمعة وكذلك مقاربته وارتكابه للمعاصي وهذا عمل الباطن .

وقوله (وصدق بالحسنى) أي بكلمة التوحيد وهي (لا اله الا الله) فانه لا ينفع على الكفر أصلاً أو ان المراد من الحسنى ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وصدق بالحسنى) قال : أيقن بالخلق وهو ما وعده الله تعالى في قوله (وما أُنفقتم من شيء فهو يخلفه) فالمعنى أُعطى من ماله في طاعة الله مصدقا بما وعده الله تعالى من الحسنى (٢)

وقوله فسنيسره لليسرى فسره زيد بن اسلم (٣) فيما أخرج عنه ابن حاتم بالجنة وفسره

١- سورة الانسان ، الآية : ٨ .

٢- تفسير الطبري ، ٨/١٤٠ .

٣- زيد بن أسلم العدوى مولى عمر ، أبو عبدالله ، ثقة عالم ، وكان يرسل ، من الثالثة مات سنة ست وثلاثين ، تقريب التهذيب : ١/٢٧٢ رقم (١٥٧) .

بعض المفسرين بالطريقة اليسرى في جميع خيرات الدنيا وقربات الآخرة ، فالمعنى أن يسهل عليه كل ما كلف به من الافعال والتروك .

قال الرازى (١) : من فَسَّر اليسرى بالجنة فسَّر التيسير بادخال الله تعالى إياهم في الجنة بسهولة من غير أن يروا فزعاً واكرام على ماأخبر الله تعالى عنه بقوله : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) (٢) .

وقوله : (طبتم فادخلوها خالدين) (٣) وقوله : (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) .

وأما من فسر اليسرى بأفعال الخير فالتيسير لها هو تسهيلها على من أراد حتى لا يعتريه من التثاقل ما يعترى المرائين والمنافقين من الكسل ،قال الله تعالى : (وانها لكبيرة إلا على الخاشعين) (واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) وقال : (مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض) (٤) .

وكان التيسير هو التنشيط ،وقوله:(وأما من بخل) أي منع نفسه وماله عن بذلهما في المصالح واستغنى بالمال عن الله تعالى فلم يطمع في ثوابه أو استغنى بما عنده فلا

١- الرازى هو محمد بن عمر بن حسن بن الحسن بن على ،الامام فخر الدين الرازى القرشي البكرى ، طبقات المفسرين من ١١٥ مات سنه ست وست مائه ،العبر ، ١٤٢/٣ .

٢- انظر التفسير الكبير للرازى ، ٣١ / ٢٠٠ تفسير سوره الليل (المسأله الثالثه)

٣- سوره الحج ،الآية : ٧٧ .

٤- سوره التوبه ، الآية : ٣٨ .

بطلب ما وعد الله تعالى من المضاعفة وكل ذلك انما حدث له بسبب انه كذب بالحسنى فسنيسرة للعسرى أي في جميع شرور الدنيا وأهوال الاخرة .

وقد فسرت بالنار واستدل (صلى الله تعالى عليه وسلم) بالآية على ان تقدير الأعمال قد فرغ منه ولم يبق الا التيسير وهو حاصل للعبد من الله تعالى من دون أن يعتقد أنه هو الذى فعل بل الله تعالى وَفَّقَهُ لذلك وهيأه لما هنالك والسين الواقع فى قوله تعالى (فسنيسره) تحتمل وجوها :

أحدها:أنه على سبيل الترقيق والتلطيف وهو من الله تعالى قطع ويقين كما فـــي قوله تعالى : (اعبدوا ربكم لعلكم تتقون) .

وثانيها:تحمل ذلك على ان المطيع قد يصير عاصيا والعاصى قد يصير بالتوبه مطيعا فلهذا السبب كان للتغيير فيه مجال .

وثالثها:أن الثواب والعقاب لما كان اكثره موعودا به في الآخرة وكان ذلك بما لـــم يأت وقته ولا يقف على وقته أحد إلاّ الله لا جرم أُنه مستقبل والسين تجعل الفعل المضارع خالصا لمعنى الاستقبال والله أعلم .

والحديث نصى فى أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وايجاده وخالف فى ذلك القدرية والمجبرة .

فذهبت القدرية الى فعل العبد من قبل نفسه ومنهم من فرق بين الخير والشر فنسب

الى الله تعالى الخير ونفاضه (١) خلق الشر .

وذهب المُجبِّرة إلى أن الكل فعل الله تعالى وليس للمخلوق فيه تاثير أصلا وتوسط

أهل السنة فمنهم من قال : أصل الفعل خلقة الله وللعبد قدرة غير مؤثره في المقدور

ولفت بعضهم ان له تاثير لكنه يسمى كسبا وبسط ادلتهم يطول وقد ذكرنا من كلام

الخطابى في اول شرح هذا الحديث ما تكون اللائمة من الله تعالى على فعل العبد

بسببه والقياس في هذا الباب متروك .

والمطالبة للبحث عن كشف أمر القدر ساقط وأنه لا يشبه الامور التى عقلت معانيها

وتحققت حكمتها بل طوى الله تعالى علم الغيب عن خلقه وحجبهم أن دركه (٢) كما أُخفى

عنهم أمر الساعة فلا يعلم احد حتى حين قيامها .

وقد قدمنا كلام ابن السمعانى في نحو ذلك .

وقد أخرج أحمد وأبو يعلى من طريق أيوب بن زياد (٣) عن عبادة بن الوليد بن

بن عبادة بن الصامت (٤) حدثنى أبى قال : دخلت على عبادة وهومريض فقلت: أُوصني

فقال انك لن تطعم طعم الايمان ، ولم تبلغ حقيقة العلم بالله تعالى حتى تؤمن بالقدر

خيره وشره وان تعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن

١- الصواب نفى كما فى نسخه (هـ) .
٢- انظر مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصابيح ، الملا على القارى : ١/٥٨ .
٣- ايوب بن زياد الحمصيه الحرح والتعديل : ٢/٢٤٧ .
٤- عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، ثقه من الرابعه ، تقريب التهذيب : ١/٣٩٦ .

ليخطئك (١) الحديث وفيه وان مت ولست على ذلك دخلت النار .

وعند أبي داود يا بني اني سمعت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول من مات على غير هذا فليس مني (٢) .

وعن مالك قال : أنه قيل لا بأس ما رأيك في القدر قال : راى ابنتى (٣) يريد لا يعلم سرى الا الله وبه كان يضرب المثل في الفهم .

وقال لرجل وقد سئل عن أمر ما من القدر فقال : الست تؤمن به ؟ قال : بلى قال فحسبك وقد قال : (صلى الله تعالى عليه وسلم) (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) فينبغى لكل شخص أن يؤمن بالقدر وجوبا ولا يسأل عن كنهه .

وقد أخرج الترمذى عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى أحمر وجهه حتى كانما فقئ في وجنتيه حَبُّ الرمان فقال : بهذا أمرتم؟ أبهذا أرسلتُ إليكم؟ انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمتُ عليكم عزمت عليكم أن لا تنازعوا فيه (٤) .

فعلى كل امرئ ان يصرف جَدّه واجتهاده في الاعمال الصالحة ولا يترك وكولا الى

١- مسند الامام احمد : ٥/٣١٧ .
٢- سنن ابي داود ، كتاب السنه ، باب في القدر : ٤/٢٦٦ الحديث رقم ٤٧٠٠ .
٣- موطأ مالك : ٢/٩٠٠ الحديث رقم ٦ ، كتاب القدر بلفظ مختلف .
٤- الترمذى ، كتاب القدر ، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر الحديث رقم (٢١٣٣) .

ما يؤل إليه أمره فيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبه مع ملازمه ايمانه بالقدر فافهم

والله أعلم(١) .

١- لم ترد الفقره التى تبدأ ، وقد قدمنا كلام بن السمعانى الى نهايه الشرح في النسخه (هـ) .

الحديث : الثامن

حماد عن أبى حنيفة عن عبد العزيز بن رفيع(١) عن مصعب(٢) عن سعد عن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : ما من نفس الا قد كتب الله عز وجل مدخلها ومخرجها وما هى لاقيه قيل ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن كان من أهل الجنة يسر لعمل أهل الجنة ، ومن كان من أهل النار يسر لعمل أهل النار (٣) قال الانصارى الآن حق العمل .

عبد العزيز بن رفيع بضم الراء وفتح الفاء وسكون التحتية وبالعين المهملة يكنى بأبى عبد الله الاسدى سكن كوفة وهو مشاهير التابعين وثقاتهم سمع ابن عباس وأنس بن مالك ورای عائشة اتى عليه نيف وتسعون سنة .

ومصعب هو ابن سعد بن ابى وقاص القرشى يكنى بابى زراره بضم الزاى وتخفيف الرايين سمع اباه وعلى ابن أبي طالب وابن عمر (رضى الله تعالى عنهم) .

١- عبد العزيز بن رفيع الاسدى ، ابو عبد الله المكى ، ثقه من الرابعة ، مات سنه ثلاث ومائه وقيل بعدها ، تقريب التهذيب : ١/٥٠٩ .

٢ - مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهرى ، ابو زراره المدنى ، ثقه من الثالثة مات سنه ثلاث ومائه ، تقريب التهذيب : ٢/٢٥١ .

٣- أخرجه مسلم عن على بمعناه في كتاب القدر : ٤ / ٢٠٣٩ الحديث رقم ٦ / ٢٦٤٧ . والبخارى الحديث رقم (١٢٩٦) في كتاب الجنائز ، باب موعظه المحدث عند القبر كما أخرج أصحاب السنن عن على وسراقة بمعنى هذا الحديث.

وسعد بن ابي وقاص هو سعد بن مالك يكنى بابى اسحاق وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة واخرهم موتا وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد الستة الشورى ولزم بيته بعد قتل عثمان وهو الذى فتح مدائن كسرى وكوّف الكوفة واعتزل الفتنة وجاءه ابن اخيه هاشم بن عتبة فقال له : ههنا مائة الف سيف يرونك احق بهذا الأمر فقال : أريد منها سيفا واحد اذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا واذا ضربت به الكافر قطع وقال له : النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) يوم احد ارم فداك ابى وامي وقال : انه مكث سبعة ايام وانه لثلث الاسلام .

وروى الترمذى من حديث قيس بن حازم عن سعد ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : اللهم استجب لسعد اذا دعاك فكان لا يدعوالا استجيب له ، وتوفى سنه خمس وخمسين ، وقيل ثمان وخمسين بالعقيق ، وحمل الى المدينة فصلى عليه بالمسجد وحديثه هذا لم اجد من أخرجه غير الامام رحمه الله .

وانما أخرج الشيخان وأصحاب السنن فى حديث على (رضى الله عنه) قريبا من لفظ هذا الحديث(١) ، وقد ذكرت بعض الفاظه من حديث سراقة .

وقوله (مدخلها) أى محل دخولها يوم القيامة اما في النار او في الجنة .

ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : خرج علينا رسول

١- سبق تخريجه فى الصفحة السابقه .

الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا لا يارسول الله الا ان تخبرنا فقال : للذى في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء أهل الجنه ، واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وقال : للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء أبائهم وقبائلهم ثم أجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا (١) .

الحديث فلهذا الحيثية والاعتبار قد كتب لكل واحد مدخله .

وقوله(ومخرجها) لعله يريد به والله أعلم خروج كل شخص من الدنيا ومنتهى أجله ومنقطع أثره فقد قدرت اعمارهم واجالهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

وقوله (وما هى لا قية) في ايام حياتها وبعد وفاتها فى البرزخ وما بعده من الحساب والميزان وغيره وفي ايام حياتها من الطاعة والعصيان .

وقوله (قيل ففيم العمل) يا رسول الله) في الرواية الاتية ان القائل هو رجل من الانصار وفي اخر هذه الرواية الي ذلك اشارة أيضا بقوله قال : الانصارى الآن حق العمل .

وقوله (اعملوا) أى بما امرتم به ولا تتكلو على ما كتب لكم من خير وشر وفي هذا الكلام اشارتان أولاهما : ان العمل الذى امرتم به قد كتب الله تعالى حصوله منكم فاجتهدوا فيه ،ولا تتراخوا عنه فلا بد من حصوله كيف ما كان .

١- سنن الترمذى : ٤/ ٤٥٠ ، كتاب القدر باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار ، الحديث رقم (١) .

وثانيها : ان من شان العبد الامتثال لامر ربه فكلما فعل شيئا لا ينوى فيه الاطاعة مولاه في امتثاله لما امره به وليس من شان العبد ان يعمل لتحصيل الجنة او للفرار من النار وهذا هو المقام الاكمل في العبادة .

وقوله (فكل ميسّر) اى مهيئا ومصروف لما خلق له أى للامر الذى خلق لـــه مـــن السعادة والشقاوة فلا يقدر البته على غير ذلك العمل أصلا ثم فسر النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) هذه الجملة بقوله (فمن كان من أهل الجنة) أى من الذين كتبت لهم السعادة الآخروية والفوز الأكبر يسر بضم التحتية في ضم السين المهملة وكسرها من التيسير على بناء المفعول ، من الفعل الماضى أى وفق لعمل أهل الجنة فـلا تراه الا منهمكا فى الطاعات متجنبا عن المعاصى .

ولقد صدق البوصيرى فيما قال : واذا حلت الهداية قلبا نشطت لها الاعضاء (١) .

وهكذا (من كان من أهل النار) أى من جرت الشقاوة الاخروية وقدرت له في عالم الازل يسر لعمل أهل النار أى بارتكابه الذنوب وعدم مبالاته بأوامر الله ومن هنا يفهم الشقى من السعيد ومع ذلك فليس مؤمن ان يغترّ بظاهر أعماله الصالحة فان العبرة بالخواتيم لما قدمنا في الحديث السابق .

من حديث عبد الله بن مسعود وانما اذا رأى غيره يعمل الأعمال الصالحة قبل موته

١- ورد فى نسخه (هـ) نشطت للعبادة الاعضاء .

ولم يخبر منها شيئا فيشهد لكونه من أهل الجنة أو لكونه مسعودا وذلك لما أخرجه الترمذى عن أنس مرفوعا : (اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فقيل له كيف يستعمله يارسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت (١) .

وفي حديث عمرو بن الحمق الخزاعي (٢) عند أحمد والبزار باسناد رجاله رجال الصحيح قال : (يفتح له عمل صالح بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله (٣) .

وفي حديث شريح بن النعمان (٤) عند أحمد مرفوعا : (اذا أراد الله بعبد خيرا غسله قيل وما غسله ؟ قال : يفتح الله تعالى له عملا صالحا قبل موته ثم يقبضه عليه) (٥) وفي اسناده بقية لكنه صرح بالسماع ، وبقية رجاله ثقات ، وغسله بفتح العين والسين المهملتين يشدد ويخفف أى طيب ثناءه بين الناس من غسل الطعام يغسله اذا جعل فيه الغسل ذكره الزمخشرى .

رزقنا الله تعالى حسن الخاتمة ، وأجارنا من الموبقات في الدنيا والآخرة ورضي عنا رضاء لا سخط بعده فضلا منه وكرما آمين .

١- أخرجه الترمذى - كتاب الايمان حديث رقم (٢٢٢٩) باب أن الله كتب كتابا لأهل الجنة ، وأحمد في كتاب القدر حديث رقم (٦) .
٢- عمرو بن الحمق ، ابن كاهل ويقال الكاهن ، ابن حبيب الخزاعي ، صحابي ، سكن الكوفة ثم مصر قتل في خلافة معاوية . تقريب التهذيب : ٢/٦٨ .
٣- انظر : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة - الامام السخاوى الحديث رقم (١٣١) /٦٧ ، عن أبي عنبة الخولاني .
٤- شريح بن النعمان الصائدى ، الكوفي ، صدوق ، من الثالثة ، تقريب التهذيب : ١/ ٣٥٠ .
٥- انظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة : الحديث رقم (١١٩) الاعمال بالخواتيم .

الحديث : التاسع

أبو حنيفة عن عبد العزيز عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : ما من نفس الا وقد كتب الله مدخلها ومخرجها وما هي لاقيه ، فقال رجل من الانصار : ففيم العمل اذا يارسول الله؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما أهل الشقاوة فييسروا لعمل أهل الشقاوة ، وأما أهل السعادة فييسروا لعمل أهل السعادة ، فقال الانصارى : الآن حق العمل .

وفي رواية : (اعملوا فكل ميسر من كان من أهل الجنة ميسر لعمل أهل الجنة ، ومن كان من أهل النار يسر لعمل أهلها) (١) فقال الانصارى : الان حق العمل .

هذا الحديث بعينه هو الحديث السابق اسنادا ومتنا الا ما كان في رواية الاولى من قوله : (أما أهل الشقاوة) . . الخ . فانه مختلف الالفاظ وان كان مفاد اللفظين متحد والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدتها له على فعل الخير والصلاح وتوفيقه لها ثم السعادة على ضربين : سعادة دنيوية ، وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة ، وكذلك الشقاوة على ضربين : شقاوة دنيوية

١- سبق تخريجه .

٧٩

وشقاوة أخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل وهذا الحديث يدل على أن أهل الموقف قسمان : شقي ، وسعيد لا ثالث لهما لكن نفي قسم آخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف فهم تحت مشيئة الله عزوجل ان شاء ألحقهم بأهل السعادة فضلا منه وكرما ،وان شاء ألحقهم بأهل الشقاوة عدلا منه وهو اللطيف الخبير .

وقوله : (الآن حق العمل) يعني بذلك اذا كانت الامور كلها بمقادير الله تعالى لا ينفعك شيء عنها وكانت أعمالنا من جملتها لم يسعنا الا الاجتهاد والسعي فما أمرنا حتى لنوافق ارادة ربنا ونصدق مشيئته فينا فمن فعل طوعا مالا يمكن المحيص عنه لا شك أنه أرفع درجة ممن فعله كرها فافهم ، والله أعلم (١) .

١- شرح هذا الحديث في النسخة (هـ) يختلف عنه هنا .

الحديث : العاشر

أبو حنيفة عن الهيثم (١)عن نافع (٢)عن ابن عمر قال قال : رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجيىء قوم يقولون لا قدر ثم يخرجون منه الى الزندقة فاذا لقيتموهم فلا تسلموا عليهم وان مرضوا فلا تعودوهم ، وان ماتوا فلا تشيعوهم بانهم شيعة الدجال ومجوس هذه الامة حق على الله عزوجل ان يلحقهم بهم في النار) (٣) .

هيثم هو ابن حبيب الصيرفي هكذا حققه الشيخ محمد بن محمود الخوارزمي في جامع المسانيد ، ونقل عن البخارى في تاريخه انه ذكر الهيثم بن أبي الهيثم يروى عنه المسعودى (٤) ثم قال : انه هو الذى يروى عنه الامام الأعظم في مسنده ، ثم راجعت الجواهر المضيئة فوجدت الهيثم بن أبي الهيثم بن عتبة بن هيثم التميمى ثقه مشهور من بيت العلم والقضاء والامامة سمع الحديث عن ابيه وغيره وتوفي في يوم الخميس رابع عشر جماد الاولى سنة احدى وثلثين واربعمائه انتهى .

١- الهيثم بن حبيب الصيرفي ، الكوفي ، صدوق ، من السادسه ، ذكره عبد الغنى ولم يذكر من أخرج له ، قال المزى يشبه ان يكون له في المراسيل ، فيرقم له : تقريب التهذيب : ٣٢٦/٢ .

٢- سبق الترجمه له .

٣- أخرجه الامام احمد على نحوذلك في كتاب الايمان ، باب في هجر المكذبين بالقدر والتغليظ عليهم الاحاديث رقم(١ ، ٢٤ ، ٣) وابو داود فى كتاب السنه باب القدر على نحوذلك ، الاحاديث : ٤٦٩١ ، ٤٦٩٢ .

فهذا صريح فان الهيثم بن ابي الهيثم لم يكن شيخا للامام رحمه الله تعالى فان الامام توفى في مائة وخمسين وهذا بعده بمدة ولا يتصور أيضا ان يكون من رواية الاكابر عن الاصاغر فان بين وفاتيهما مائتان واحدى وتسعين سنة ، فتامل .

وكذلك لم يذكر الحافظ ابن حجر فى التقريب الا هيثم بن حبيب وذكر انه شيخ لمحمد بن زريق (١) شيخ الطبراني وذكر انه متروك ، وذكر انه من الذين توفيوا بعد المائتين .

وقد ذكر الذهبى في الميزان ، وذكر هيثم بن حبيب اخر يروى عن عكرمه والحكم بن عيينه ويروى عنه شعبة وابو عوانة وجمع فوثقة هذا غاية ما وجدت والله أعلم .

ونافع هو مولى ابن عمر يكنى بابي عبد الله نافع بن سرجس فتح السين الاولى وسكون الراء المهملتين وكسر الجيم ، وكان ديلميا وهو من كبار التابعين المدنيين وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ومعظم حديث ابن عمر عليه دار قال مالك اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر فلا ابالى ان لا اسمعه من احد ، مات سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل سنة عشرين .

وحديث ابن عمر هذا أخرجه أبو داود من حديث عبد العزيز بن أبي حازم (٢)

١- لم أجد في تقريب التهذيب لابن حجر ما ذكره المصنف أن هيثم بن حبيب شيخ لمحمد بن زريق ، انظر تقريب التهذيب : ٢/٣٢٦ .

٢- عبد العزيز أبي حازم ، سلمه بن دينار ، المدنى صدوق ، فقيه من الثامنه ، مات سنه اربع وثمانين وقيل قبل ذلك ، تقريب التهذيب : ١/٥١٨ .

عن أبيه ، عن ابن عمر وأخرجه البخارى في تاريخه . وابن عدى فى الكامل والحاكم فى تاريخه وأحمد.

وقوله يقولون لا قدر أى ينكرون تقدير الاشياء في عالم الازل وينفون جفاف القلم عن ما يكون ويصرحون بأن الامر مستأنف ويخالفون مذهب اهل الحق الذى هو اثبات القدر وهو ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم .

وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى على صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى .

وأخرج الطبرانى عن أنس أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : (كل شيء بقضاء وقدر ولو هذه وضرب باصبعه السبابة على حبل ذراعه الاخر .

وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه بها وانها مستانفة العلم أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى جل مولانا عن اقوالهم الباطلة وتعالى علوا كبيرا وسميت هذا الفرقة قدرية (١) لانكارهم القدر .

وأول من انكر القدر بالبصرة معبد الجهنى وكان معبد يجالس الحسن البصرى ثم بعد ذلك تصدى لهذه الفرية العظيمة وسلك اهل البصرة بعده مسلكه قال :

١ـ انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١٥٤/١ .

أصحاب المقالات من المتكلمين (١) وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول المنكر الباطل ولم يبق احد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ثم يختلفون فمنهم من يقول الخير والشر من الله .ه. ومنهم من يضيف الخير الى الله تعالى وينزهه عن اضافة الشر اليه ، وهم المعتزلة (٣) ويستدلون بادلة منها حديث والشر ليس اليك وحجتهم داحضة واستدلالهم باطله فانهم لا يفرقون بين مقام الادب وغيره من المقامات .

فقد أخرج الطبراني في الاوسط والبزار عن عبد الله بن عمرو قال : بينا رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يحدثنا على باب الحجرات اذا أقبل ابو بكر وعمر ومعهما فئام (٢) من الناس يجاوب بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض فلما راوا رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) سكتوا فقال ، ما كلام سمعته آنفا جاوب بعضكم بعضا ويرد بعضكم على بعض فقال : رجل يا رسول الله زعم ابو بكر ان الحسنات من الله والسيئات من العباد ، وقال عمر الحسنات من الله تعالى والسيئات من الله تعالى فتابع هذا قوم وهذا قوم فأجاب بعضهم بعضا ورد بعضهم على بعض فالتفت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) الى أبي بكر فقال : كيف قلت ؟ فقال : قوله الاول والتفت الى عمر فقال قوله الاول فقال : والذى نفسي لاقضى بينكما بقضاء اسرافيل بين جبريل وميكائيل قال

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١/١٥٣ ، ١٥٤ .
٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١ / ١٥٤ ، والمرقاه شرح مشكاه : ١/٥٨ .
٣- فئام : جماعه كثيره .

ميكائيل بقول ابي بكر وقال : جبريل بقول عمر فقال : جبريل لميكائيل انا متى نختلف أهل السماء اختلف اهل الارض فلنتحاكم الى اسرافيل فتحاكما اليه فقضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره وحلوه ومره كله من الله عز وجل واني قاض بينكما ثم التفت الى ابي بكر فقال : يا ابا بكر ان الله تبارك وتعالى لو اراد ان لا يعصى لم يخلق ابليس فقال ابو بكر صدق الله ورسوله (١) .

وقول ادم عليه السلام لموسى عليه السلام أفتلومني على امر قد قدر على قبل ان اخلق (٢) وذلك لان الله تعالى قال : للملائكة قبل ان يخلق ادم (٣) اني جاعل في الارض خليفة فما كانت الارادة اصلا الا ببقائه في الأرض فكان اكله من الشجرة سببا لصدق ارادة الله منه والكلام في هذا يطول .

وقد حكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم ثبوت القدر قالا وهذا تمويه من هولاء الجهلة فان اهل الحق يفوضون امرهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والأفعال الى الله تعالى وهولاء الجهلة يضيفونه الى

١- انظر المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق الدكتور محمود الطحان : ٣١٢/٣ ، حديث رقم (٢٦٦٩) .

٢- جزء من حديث أخرجه احمد في كتاب القدر ، حديث ١٣ ، والترمذي في كتاب الايمان ، باب ما جاء في التشديد في الخوض بالقدر حديث رقم (٢) .

٣- قبل أن يخلق ادم) لم ترد هذه العباره في نسخه (هـ) .

أنفسهم ومدعى الشيء لنفسه ومضيفة اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه (١) .

وقد أخرج الطبراني في الاوسط بسند جيد وابن حبان وصححه عن عائشة (رضى الله عنها) مرفوعا : (قال ستة لعنتهم وكل نبى مجاب الدعوة،الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل لمحارم الله والمتسلط بالجبروت ليعز بذلك من اذل الله ويذل من اعز الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي) (٢) فهذا صريح في ان الوعيد الشديد انما الحق بالمكذبين للقدر ولم يكن للمثبتين الا الثواب الاكبر وغاية الظفر ان شاء الله تعالى .

وقوله (ثم يخرجون منه الى الزندقة) (٣) وهى ابطان الكفر واظهار الاسلام كالمنافق وسبب خروجهم انهم لما انكروا سابق علم الله تعالى فيما يجرى في مخلوقاته افضاهم ذلك الى انكار علمه تعالى مطلقا فقد أضمروا هذا الكفر في قلوبهم واجروا كلمة التوحيد على السنتهم وامنوا بالفاظ القران وقراءة وكفروا بحقيقته فبهذا الاعتبار قد اظهروا خلاف ما اضمروا والله اعلم .

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١/١٥٤ .
٢- انظر الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، للامير علاء الدين الفارسي ،الطبعة الاولى ،دار الكتب العلمية بيروت .
٣- وردت العبارة التالية في نسخة (هـ) (ثم يخرجون منه أى التكذيب بالقدر الى . .

وقوله : (فلا تسلموا عليهم معناه لا تبدأوهم بالسلام ويؤيد ذلك ما أخرجه أبو داود عن عمر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم (١) .

فان البداءة بالسلام عنوان الصداقة ومفتاح باب الوداد وينبغي لكل مؤمن أن يكون سلما لأولياء الله وحربا على أعدائه نعم اذا ابتدؤا بالسلام.هل يجب الرد عليهم أم لا ؟

أشار الشيخ علي القارى الى عدم الرد عليهم زجرا وتوبيخا لهم(٢) . والله أعلم .

وقوله : (وان مرضوا فلا تعودوهم)من العيادة لأن من شأن العائد تفريح قلب المريض وتسكين روعته ، واظهار البشاشة والدعاء بالصحة ونفي البأس عنه بقوله لا بأس طهور وكل ذلك مما لا يناسبه مقام الزنديق بل ينبغي هجرهم لينزجروا فيتوبوا .

وقوله : (فلا تشيعوهم) أى ولا تتبعوا جنائزهم ولا تصلوا عليهم ولا تشهدوا دفنهم لئلا يكون في ذلك اعظاما لقدرهم .

وقوله : (فانهم شيعة الدجال) أى : أولياؤه وأنصاره وأصله الفرقة من الناس ويجمع على شيع بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية المخففة ومنه قوله تعالى : (أو يلبسكم

١- أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب القدر الحديث رقم (٤٧١٠) .
٢- انظر شرح مسند الامام الاعظم للشيخ علي القارى : ٤١٦ .

شيعا) (١) أى : فرقا مختلفين ، والمراد أنهم من أحبه الدجال وأنصاره وأعوانه وفي الكلام اشارة الى أنهم يكبرون عند خروج الدجال ويظهر أمرهم خلاف ما عليه اليوم والله أعلم .

وقوله : (مجوس هذه الامة) أى : أمة الاجابة وذلك لان قولهم أفعال العباد مخلوقه بقدرهم يشبه قول المجوس القائلين بأن للعالم الهين خالق الخير وهو يزدان وخالق الشر وهو أهرمن (٢) أى الشيطان ، وقيل المجوس يقولون : الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة .

كذلك تقول القدرية الخير من الله والشر من الشيطان ومن النفس ، وقال الخطابي : انما قال : (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيهم أنهم مجوس هذه الامة لاحداثهم في الاسلام مذهبا يشبه مذهب المجوس من وجه وهو أنهم يضيفون الكائنات الى الهين أحدهما لا يصدر منه الا الخير والآخر لا يصدر منه الا الشر (٣) .

وقول القدرية يشبه ذلك لما قدمناه من مقالتهم . قال الشيخ علي القارى :ولعله مذهب فرقة منهم (٤) والا فالمشهور عنهم ما صرح به الزمخشرى منهم وهو أن الحسنة

١- سورة الانعام ،الآية : ٦٥.
٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١/١٥٤.
٣- نفس المصدر السابق .
٤- انظر: مرقاة شرح المشكاة ـ للشيخ علي القارى : ١/٥٨.

التى هي الخصب والصحة والسيئة التي هي القحط والمرض من الله تعالى .

واما الطاعة فمن العبد لكن الله تعالى قد لطف به في ادائها ويحتعليها وكذا المعصية منه أيضا والله تعالى برىء منه .

قال : ابن حجر المكى وعلى هذا فوجه تسميتهم مجوس انه يلزم على قولهم هذا تعدد الاله أيضا لان الباعث على الطاعة غير الباعث على المعصية عندهم كما تقدم اعاذنا الله تعالى من بوائق مقالاتهم وجعلنا حربا لاعدائه امين .

وقوله (وحق على الله عزوجل)الخ قال : الشيخ على القارى أى ثابت في حكمه أو واجب عليه بمقتضى اخباره اذ لا خلف في وعده ووعيده . (١)

وقوله (ان يلحقهم) أى : القدرية اى بالمجوس في النار أى فى دخولها .

وأما الحكم(٢) بخلودهم فلا يتم الا بعد تقرير كفرهم مع انهم من اهل القبلة وقد مرت أحاديث في الشفاعة على خروج من قال (لا اله الا الله) ولم يعمل سوى ذلك والله أعلم.

١ـ انظر شرح مسند الامام الأعظم أبي حنيفة الشيخ على القارى : ٤١٦.
٢ـ لم ترد العبارة من (وأما الحكم ـــ . . . . .الى آخر الفقرة) في نسخة (هـ) وانما وردت العبارة التاليه (ولتكذيبهم لنص كتاب الله تعالى : انا كل شىء خلقناه بقدر . لا بد لهم من الخلود فيها والله أعلم .

الحديث : الحادي عشر

أبو حنيفة عن نافع عن ابن عمر قال : (قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يجيئ قوم يقولون لا قدر ثم يخرجون منه الى الزندقة ، فاذا لقيتموهم فلا تسلموا عليهم وان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم فانهم شيعة الدجال ومجوس هذه الأمة وحقا على الله تعالى أن يلحقهم بهم) (١) .

هذا الحديث بعينه هو الحديث السابق مع اختلاف يسير في سنده ومتنه .

اما ما كان في سنده فانه روى الامام رحمه الله تعالى الحديث السابق عن الهيثم عن نافع وههنا رواه عن نافع بغير واسطة وقد ادرك الامام رحمهما الله تعالى كما سيأتي صريحا من لفظ الامام أبي حنيفة في كتاب الفضائل (٢) انه ادرك من الكبراء قاسما وسالما (٣) وعد منهم نافعا فلعله رحمه الله روى هذا الحديث باسنادين احدهما نازل والاخر عالي وهذا ليس بضار عند المحققين فتأمل .

١- سبق تخريجه .
٢- كتاب الفضائل والشمائل في الجزء غير المحقق من هذا المخطوط .
٣- وردت العبارة التالية في نسخه (هـ) (قاسما وسالما فلا يقال في هذا السند بالانقطاع ولا في الاسناد السابق بالمزيد في متصل الاسانيد) .وعلى كل شرح هذا الحديث في النسخه (هـ) فيه اختلاف .

وما اختلافه في المتن ففي قوله (وان ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم) وفي الحديث السابق (فلا تشيعوهم) ومفادهما واحد على التفسير الذى اسلفناه والله أعلم.

وكذلك زاد في الحديث السابق قوله : (في النار) بعد قوله (ان يلحقهم بهم) وذلك أوضح مما هنا لانه ربما فهم الفاهم لحوق القدرية بالمجوس في الخسه وعدم مقدارهم عند الله تعالى وربما فهم من ذلك الالتحاق في النار فبين الاخير أنه لازم للاول ولا عكس فتأمـــل .

الحديث : الثاني عشر

أبو حنيفة عن سالم(١) عن ابن عمر (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال لعن الله القدرية وقال ما من نبي بعثه الله تعالى قبلى الا حذر أمته منهم ولعنهم) .

هذا الحديث لم أجد من أخرجه غير الامام رحمه الله تعالى وانما له شواهد منها ما أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل قال (قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ما بعث الله نبيا قط الا وفي امته قدرية ومرجية يشوشون عليهم امر أمته الا وان الله تعالى قد لعن القدرية والمرجية على لسان سبعين نبيا) (٢)

وفي اسناده بقية بن الوليد (٣) وهو مدلس ويزيد بن حصين (٤) قال : الهيثمي لم اعرفه ومنها ما رواه أيضا باسناد فيه ابن لهيعة عن أبي هريرة (رضى الله عنه) مرفوعا :

١- هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ابو عمر أو ابو عبد الله ، احد الفقهاء السبعه ، وكان ثبتا عابدا فاضلا من كبار الثالثه ، مات في آخر سنه ست على الصحيح تقريب التهذيب : ١/٢٨٠ .

٢- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المجلد الرابع ، كتاب القدر ، باب النهى عن الكلام في القدر : ١/٢٩٤ .

٣- بقيه بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي ، صدوق ، كثير التدليس عن الضعفاء ، من الثامنة ماته سنه سبع وتسعين وله سبع وثمانون ، تقريب التهذيب : ١/١٠٥ .

٤- يزيد بن حصين ، لم أعثر على ترجمه له .

(لعن الله أهل القدر الذين يكذبون بقدر ويصدقون بقدر (١) .

ومنها ما ذكرناه فيما سبق من حديث عائشة مرفوعا : (ستة لعنتهم وعد منهم المكذب بالقدر وقد صححه ابن حبان (٢) .

وقوله (لعن الله) جملة اخبارية تتضمن على ان الله قد طردهم عن رحمته واوقعهم في بحر الضلالة والجهالة .

وذلك لما جاء من قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (صنفان من امتى لا سهم لهم في الاسلام القدرية والمرجية) (٣) الحديث .

واخرج ابن عدى عن أنس مرفوعا : (أنهما لا يدخلان الجنة ويحتمل ان تكون جملة انشائية دعا عليهم اهانة لهم وتوبيخا وزجر لقبح ما اتوا به من انكار القدر (واللعن) عند الطرد عن رحمة الله تعالى (٤) .

وقوله الا حذر أمته منهم (٥) لانهم يشوشون على الامة بانكار ما يجب الايمان به وقوله ولعنهم يتبين من هذا ان كل امة لا تخلوا عن قدرية .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب القدر ، باب ما جاء فيمن يكذب بالقدر المجلد الرابع : ٧/ ٢٠٤ .
٢- الفقره (لم أجد من أخرجه غير الامام . . . . وقد صححه ابن حبان) لم ترد في النسخه (هـ) في شرح هذا الحديث وانما وردت في الحديث (القدرية مجوس هذه الامة وهم شيعه الدجال) .
٣- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المجلد الرابع : ٢٠٦/٧ ، كتاب القدر وفيه عمرو بن القاسم بن حبيب التمار وهو ضعيف .
٤- لم ترد الفقرة (واللعن عند الطرد عن رحمة الله تعالى) في النسخة (هـ) .
٥- ورد في نسخة (هـ) (منهم أى من القدرية) .

فالنبي كان ينهى امته عن مخالطتهم ويصرح بلعنهم تنفيرا للناس عنهم فان مخالطه السفيه سفاهة وربما انجرت القباحة المستقرة في القدرية الى مخالطيهم فيقعوا فيما وقعوا فيه فلذلك كانت الانبياء تحذر وكان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ولا مصلحة في مخالطتهم اصلا فصارت القدرية ضررا محضا والضرر يزال فافهم والله أعلم .

الحديث : الثالث عشر

أبو حنيفة عن علقمة عن ابن بريدة عن ابيه قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (لعن الله القدرية وما من نبي ولا رسول الا لعنهم ونهى امته عن الكلام معهم) وهذا الحديث أيضا لم أجد من أخرجه غير الامام رحمه الله وهو بعينه الحديث السابق الا ان الاسناد مخالف لاسناد الحديث السابق وقد مرت ترجمة كل من رجاله فيما سبق وفي متنه مخالف غيره وهي قوله (ونهى امته عن الكلام معهم) أى : لئلا يقعوا في فتنه وذلك ان القدر سر من اسرار الله ولا ينبغي ان يكشف لله تعالى سر.

وقد سأل رجل علي ابن أبي طالب (رضى الله عنه) قال : يا أمير المؤمنين اخبرني عن القدر قال : طريق مظلم لا تسلكه قال : يا أمير المؤمنين اخبرني عن القدر قال : بحر عميق لا تلجه قال : يا أمير المؤمنين اخبرني عن القدر قال : سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال : أيها السائل ان الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء قال : فيستعملك كما شاء أو كما شئت ؟ قال : بل كما يشاء ، قال : يبعثك يوم القيامه كما شاء أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء ، قال: أيها السائل ألست تسأل ربك العافية؟ قال بلى ،قال : فمن أى : شئ تسأله العافية؟ أمن البلاء الذى ابتلاك به أم من البلاء الذى ابتلاك به غيره؟ قال : من البلاء

الذى ابتلانى فيه ؟ قال : أيها السائل تقول (لا حول ولا قوه الا بمن قال الا بالله العلى العظيم قال : فتعلم ما في تفسيرها قال : تعلمن مما علمك الله يا أمير المؤمنين قال : ان تفسيرها (لا يقدر على طاعة الله ولا يكون له قوة في معصية الله في الامرين جميعا الا بالله) أيها السائل ألك مع الله تعالى مشيئة فان قلت: ان لك من دون الله مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله ، وان زعمت ان لك فوق الله مشيئة فقد ادعيت مع الله تعالى شركا في مشيئته، أيها السائل ان الله يسقم ويداوى فمنه الدواء ومنه الداء ، علقت عن الله تعالى امره ؟ قال نعم : قال على الان اسلم أخوكم فقوموا فصافحوه فانظر الى جلاله قدر على كرم الله تعالى وجهه وغزارة علمه بالغ في كشف شبهته .

فلما ارتفعت أمر أصحابه أن يصافحوه فافهم والله أعلم .

الحديث : الرابع عشر

أبو حنيفة عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (القدرية مجوس هذه الامة وهم شيعة الدجال) قد مر هذا الحديث باطول منه بهذا الاسناد وقد مضى شرحه مستوفى والله المستعان .

الحديث : الخامس عشر

أبو حنيفة قال : كنا مع علقمة وعطاء بن رباح فسأله علقمة فقال : له يا أبا محمد أن ببلادنا قوما لا يثبتون الايمان (١) لأنفسهم الايمان ويكرهون ان يقولوا انا مؤمنون بل يقولون انا مؤمنون ان شاء الله تعالى فقال : ومالهم لا يقولون قال : يقولون انا اذا اثبتنا لانفسنا الايمان جعلنا لأنفسنا الجنة قال : سبحان الله هذا من خدع الشيطان وحبائله وحيله الجأهم الى ان دفعوا اعظم منّة الله تعالى عليهم وهو الاسلام وخالفوا سنة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) .

رأيت أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضى الله عنهم يثبتون الايمان لانفسهم ويذكرون ذلك عن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقل لهم يقولون انا مؤمنون ولا يقولوا انا من أهل الجنة فان الله تعالى لو عذب اهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم فقال له علقمة يا أبا محمد ان الله تعالى لو عذب الملائكة الذين لم يعصوه طرفة عين عذبهم وهو غير ظالم لهم قال نعم : قال : هذا عندنا عظيم فكيف نعرف هذا ؟ فقال : له يا ابن أخي من هنا ضل أهل القدر فاياك ان تقول

١- كلمة الأيمان هنا زائدة لأنها غير موجودة فى أصل الحديث ولا فى النسخة (هـ) .

بقولهم فانهم أعداء الله تعالى الرادون على الله تعالى اليس يقول الله تعالى لنبيه
(صلى الله تعالى عليه وسلم) (قل فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين) (١)

فقال : له علقمة اشرح يا ابا محمد شرحا يذهب عن قلوبنا هذه الشبهة فقال :
أليس الله تبارك وتعالى دل الملائكة على الطاعة والهمهم اياها وعزمهم عليها وجبرهم
على ذلك قال نعم : قال وهذه نعم انعم الله تعالى بها عليهم قال نعم : قال طالبهم
بشكر هذه النعم ما قدروا على ذلك وقصروا وكان له ان يعذبهم بتقصير الشكر وهو غير
ظالم لهم)) (٢) .

وقوله (كنا مع علقمة) أى : أبن مرثد وقد مرت ترجمة علقمة وعطاء فيما سبق .

وقوله (ببلادنا) قال : الشيخ على القارى يعنى الكوفة وسائر العراق انتهى .
والحافظ ابن حجر ذكر في ترجمته في التقريب كوفي حضرميا ويكنى بابى الحارث
الكوفى فلعله كان في الأصل من حضرموت ثم نزل الكوفه .

وقوله (لا يثبتون لانفسهم) أى : لا يجزمون بل اذا ذكروا لأنفسهم الايمان ذكروه
بلفظ فيه تردد وذلك بالحاق المشيئة والا ستثناء في آخره .

١- سورة الانعام ، الآية : ١٤٩ .
٢- لم أعثر على من خرج هذا الحديث ، ولكن سيأتى تخريج الشواهد له .

وقوله (جعلنا لا نفسنا الجنة) وذلك لما أخرجه البخارى من حديث أبي هريرة مرفوعا : (قم يا فلان فاذن ان لا يدخل الجنة الا مؤمن) (١) فلما كان الداخل في الجنة مختصرا في المؤمن أوجب عدم الجزم بالايمان لانه لا ينبغي لاحد ان يشهد لنفسه او لغيره بالجنة او النار فان ذلك من الأمور الغيبية التى لا يطلع عليها الا الله تعالى

وأخرج البخارى عن خارجه بن زيد بن ثابت (ان ام العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون رحمه الله عليك ابا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال : النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وما يدريك ان الله قد اكرمه ؟ قلت: بابي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال : اما هو فقد جاءه اليقين والله انى لأرجو له الخير والله ما ادرى وانا رسول الله ما يفعل بي قالت: فوالله لا زكى بعده أبدا) (٢) .

وأخرج مسلم عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: (دعى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) الى جنازة صبى من الانصار ، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا هو عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال : أو غير ذلك يا عائشة ان الله تعالى خلق هو للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب ابائهم وخلق للنار اهلا خلقهم

١- جزء من حديث ، أخرجه البخارى فى كتاب القدر ، باب العمل بالخواتيم :الحديث الاول .

٢- أخرجه البخارى : ٨٩/٣ ،كتاب الجنائز ،باب الدخول على الميت بعد الموت اذا أدرج في أكفانه .

لها وهم في اصلاب ابائـهـم) (١) .

فظهر من كل من الحديثين انه (صلى الله تعالى عليه وسلم) لم يرتضى الجزم من ام العلاء باكرام الله تعالى لعثمان بن مظعون ، وكذلك لم يرتض من عائشة الجزم بكون الصبي من أهل الجنة .

نعم الاحاديث الواردة في معنى قوله (انتم شهداء الله في الأرض من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار) يقتضى انه لا بأس بذكر الأعمال الصالحة من الميت التي كانت معروفة منه في حياته .

واما الجزم بانه من اهل الجنة أو من أهل النار فلا لما فيه من الحكم بالغيب ولا يعلم الا الله تعالى .

وقوله (٢) سبحان الله كلمة تنزيه للرب تعالى وتقدس عن مالا يليق بشأنه وكبريائه والعرب تستعمله عند التعجب ووجه المناسبه العله والله أعلـم .

ان المتعجب لما راى مالا يعتاده او سمع ما يمج سماعه كما في حديث الباب نـزه جناب الحق عن المكروهات وعن حصول مالا يؤمل فيه أو منه فكانه يقول بلسان حاله ان هذا شأن المخلوق ولا غرو بذلك بخلاف الخالق فلا تؤمل فيه الا خيرا ولا يتغير عن ما هو

١- صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبه عن وكيع ، عن طلحه بن يحي ، عن عمتة عائشة بنت طلحه ، حديث رقم (٢٦٦٢) وانظر شرح السنه للبغوى : ١٤١/١ عن عائشة ام المؤمنين (رضى الله عنها) .

عليه أصلا أبدا .

وقوله هذا من خدع بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة أى تلبيسات وتمويهاته بان يحسن المرء ما كان قبيحا في الواقع .

وقوله وحبائله فسر الحبائل في القاموس بالأسباب وذكران الحبالة على وزن الكتابة هى التصيد كالاحبول فالمراد هنها ان هذا من شرك الشيطان الذى مده في الأرض ليصيد المؤمن فيه حتى تزول به الحياة الابدية وهي الايمان والله أعلم.

وقوله(أوصلة)أى التى اراد بها اغواء الأمة المحمدية حيث لم يجد لهم مجالا في الشرك بالله اتاهم بمثل هذه الرذيلة الشنيعة .

وقوله (الجاهم) فعل ماض من الالجاء أى : اضطرهم الى دفع اعظم منة الله تعالى عليهم وهو الاسلام المنوه بشأنه في كثير من ايات كتاب الله تعالى والحديث .

وقوله : وخالفوا سنةرسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ووجه المخالفة ان الله تعالى امر نبيه (صلى الله تعالى عليه وسلم) بقول (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دنيا قيما . . . الى قوله وانا أول المسلمين) (١) ولم يامره بالاستثناء .

وكذلك قوله : (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين (٢) وقد قيل ان هذه الآية انما نزلت في شأن المؤذنين .

١- سورة الانعام : الايات (١٦١ - ١٦٣)
٢- سورة فصلت ،الآية : ٣٣ .

ولذلك كان يقول عاصم بن هبيرة لمؤذنه اذا فرغت من اذانك فقل (لا اله الا الله وانا من المسلمين) واستشهد بالاية .

وقال : ابن سرين ان المعنى بها هو النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) فالحاصل لم يرد ان النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان اذا اخبر عن نفسه بالايمان او الاسلام الحق بعده الاستثنا* وما كان يأمر بذلك اصحابه أيضا .

فالقول بالاستثنا* حينئذ (١) مخالفه للسنه .

وقوله يثبتون الايمان لانفسهم) لم يذكر عطا* رحمه الله من الذى سمع منهم ذلك ولعله لكثرة من سمعه منهم اتى به مجملا والله أعلم .

وقد تتبعت فوجدت من ذلك محجن (٢) وذلك انه كان في مجلس مع رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فاذن بالصلاة فقام رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فصلى ورجع ومحجن في مجلسه فقال : له رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ما منعك ان تصلى مع الناس الست برجل مسلم ؟ فقال : بلى يا رسول الله ولكنى كنت قد صليت في أهلى) (٣)الحديث أخرجه النسائى وأبو داود فلم يلقنه النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) الاستثنا* ولا ذكرها في كلامه .

١- ورد حرف(ح) في نسخه (هـ) بدل حينئذ .
٢- فى نسخه (هـ) (محجنا) وهو صواب
٣-أخرجه النسائى في سننه ، كتاب الصلاة ، باب اعاده الصلاة مع الجماعة بعد صلاة الرجل لنفسه ، مجلد (١) : ٢/١١٢ .

وقد جاء أن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) لقي حارثة فقال له كيف أصبحت يا حارثة؟ فقال : أصبحت مؤمنا حقا (١) أخرجه البزار والطبراني ،

وأخرج عنجار في تاريخ بخارى عن علي (رضي الله عنه) قال : كنا جلوس عند النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ دخل علينا عويمر أبو الدرداء فقال : يا نبي الله اني أنا مؤمن حقا فقال : ياأبا الدرداء ان لم تقل حقا كأنك قلت : أنا مؤمن باطلا ومدح الله تعالى أقواما فقال فيهم (أولئك هم المؤمنون حقا) (٢) .

ونقل ابن الهمام في المسايرة عن الطبراني أنه أخرج عن عبدالله بن يزيد الخطمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) : (اذا سئل أحدكم أمؤمن أنت فلا يشك)

وقول السحرة (آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) (٣) خال عن الاستثناء

وأخرج الطبراني عن قطبة بن قتادة السدوسي قال : قلت : يارسول الله ابسط يدك أبايعك على نفسي وعلى ابني الحويصلة ولو كذبت على الله لخدعتك قال : وحمل علينا خالد بن الوليد فقلنا : انا مسلمون فتركنا ولم يعاتبهم خالد في ترك المشيئة (٤).

١- انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد باب في حقيقة الايمان وكماله ، فعند الطبراني في سنده ابن لهيعة يحتاج الى الكشف عنه ، وعند البزار في سنده يوسف بن عطية لا يحتج به : ١/٥٧ .

٢- جزء من آية رقم : ٤ سورة الانفال وانظر جامع المسانيد للخوارزمي : ١/١٢٤ .

٣- سورة الاعراف ، الآيات : ١٢١ ، ١٢٢ .

٤ - في نسخة (هـ) الاستثناء بدل كلمة المشيئة .

وفي بعض طرق حديث جبريل الذى سأل فيه عن الايمان والاسلام والاحسان عند البزار والطبراني باسناد جيد قوله : فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال : نعم . ثم قال : اذا فعلت ذلك فأنا موءمن ؟ قال : نعم . ولم يرشده الى الاستثناء (١) .

وقوله(٢) عن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فعلا أو تقريرا والفعل كما قدمناه وأنـا أول المسلمين ، والتقرير كذلك مثل ما قدمناه من أحاديث الصحابة وحديث جابر .

وقوله : (قل لهم يقولوا انا موءمنون) (٣) أى لما لهم في رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أسوة حسنة وينبغى لكل مسلم ان يحوم حول الاتباع ويجانب الابتداع وأمور الشريعة انما تستفاد من الله تعالى ورسوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لا مجال القياس والرأى فيها .

وقوله : (فلا يقولوا انا من أهل الجنة) وذلك لأنه لا تلازم بينهما لان المخبر عن الايمان بنفسة انما يخبر عن الحالة الراهنة وهى متحققة عنده ثابتة في نفسة راسخة فى قلبه زائلة عنه في وقت الاخبار فليخبر بما يعرف في نفسه من الايمان .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، باب فرائض الاسلام وسهامه : ١/ ٤٠ وفي سنده عند البزار الضحاك بن نبراس ضعفه الجمهور وقال البزار : لا بأس به .

٢- وردت عبارة (ويذكرون ذلك عن ....) في نسخة (هـ) بدل وقوله .

٣- ورد في نسخة (هـ) من أحاديث الصحابة فقل لهم يقولون انا موءمنون .....) .

واما امر الجنة فانه غيبي غير متحقق عنده في تلك الحالة انه من أهلها أم لا فليكف لسانه عما لا يعلم .

وههنا بحث فيما ذكرنا من استدلالهم فيما سبق انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وزجر النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم)أم العلاء وعائشة حين زكت كل واحدة منها ميتا فنقول في قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (لا يدخل الجنة الا مؤمن) ورد في قصة وهي ان الرجل الذى اخبر عنه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) يوم خيبر بعدما راه لا يدع شاذة ولا فاذة الا اتبعها بسيفة انه من أهل النار فكثر التردد من الصحابة في ذلك المقالة حتى نحر نفسة فاخبروه بذلك فاذن ان لا يدخل الا مؤمن وكل ذلك يشير ان قاتل نفسه لم يسلب عنه اسم الايمان والاسلام ومع ذلك اخبرانه من اهل النار

فلولا اتفاق اهل السنة والجماعة وقيام الادلة الصريحة الثابتة الصحيحة على عدم اخراجه من دائرة الاسلام لكان القول بان بعض اهل الايمان لا يكون في الجنة متجها ولكن الحق خلاف ذلك وعلى كل حال فلا ينبغي لأحد ان يحكم لنفسة او لغيره بجنة أو نار لان الخاتمة مجهولة نسأل الله تعالى حسنها .

واما الاخبار عن الايمان الموجود في حالة الاستفهام من دون استثناء فمتوجه لما ذكرناه والله أعلم .

وقوله : (فان الله تعالى لو عذب أهل سمواته وهم الملائكة واهل ارضه من المطيعين والمخلصين من الانبياء والمرسلين لعذبهم وهو غير ظالم لهم) اذ الظلم لا يتصور منه تعالى اصلا فانه عزيز لا يحتاج الى شيء ومع ذلك رافته غالبه بخلقه ولذلك انزل الكتاب والرسل ودعا الى شيء سهل وهى كلمة التوحيد وكل ذلك من اثار الرحمة تبارك ربنا وتعالى .

وقوله : (لم يعصوه طرفه عين) أى : مقدار حركة العين في موضعها ماهـــم مشغولون بطاعة مولاهم وامتثال أوامره واورد علقمه هذا الاشكال استبعادا لما فهمه من كلام عطاء .

وقوله : (هى عندنا عظيم)(١) بمعنى ان العذاب انما يتوجه على المخالف ولا مخالفة تظهر في الملائكة فان الله تعالى مدحهم بقوله (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم مـــن خشيته مشفقون) (٢) .

وقد قال في الاية السابقة على هذه ولمن في السموات ومن في الأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (٣) .

١- ورد اختلاف في نسخة (هـ) من عند وقوله لم يعصوه ... وقوله هي عندنا عظيم.
٢- سورة الانبياء ، الآيات : ٢٧ ، ٢٨ .
٣- سورة الانبياء ، الآيات : ١٩ ، ٢٠ .

فمن كانت هذه حالته كيف يستحق العذاب ولذلك قال : كيف يعرف هذا أي : تقرير عدم الظلم من الله تعالى في تعذيبهم وهم على هذه الحالة .

وقوله(١) (من هنا ضل أهل القدر) معناه : أن أهل القدر لما رأوا في ظواهر أفكارهم أن الامور الجارية في العالم لو كانت مقدرة خيرها وشرها لما استحق العاصي التعذيب على عصيانه فانه ليس له الا العمل وفق التقدير فكيف يسوغ تعذيبه والله تعالى منزه عن الظلم فلما تحيروا في ذلك هدتهم العقول الضالة الى نفي القضاء والقدر حتى يستحق المطيع الثواب والعاصي العقاب وبتقدير ربنا تبارك وتعالى عن الاتصاف بالظلم وكل ذلك انما نشأ لهم لانهم لم يعرفوا القدر سر من أسرار الله لم يكشفه لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولذلك قال في وصفه علي بن أبي طالب : بحر عميق فلا تلجه كما قدمنا عنه في أحاديث القدر .

وقوله : (فاياك أن تقول بقولهم) أي : في الاستشكال في التعذيب بغير عصيان في الظاهر بل لك أن تقول يفعل ربنا ما يشاء ويحكم ما يريد وله الحجة البالغة

وقوله : (فانهم أعداء الله) أي : لما استحقوا من اللعنة والخيبة والخسران كما مر في الاحاديث السابقة .

١- ورد في نسخة (هـ) فقال عطاء له أي لعلقمة يابن أخي من هنا ....

وقوله : (الرادون على الله) أى : في قوله : (انا كل شي* خلقناه بقدر) .

وقوله (١) : (فلله الحجة البالغة) أى : على العباد مع كونه تعالى خالق لاعمالهم فلو قدر أن عبدا قال : يارب كيف تؤاخذني بما قدرته عليّ قبل أن أخلق ؟

فقال له الحق تعالى وهل تعلق علمي بك الا بما أنت عليه وذلك أن العلم انما هو تابع للمعلوم وتميز الحق تعالى عن خلقه انما هو برتبة الفاعلية أن الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيئا من الامور الا وهو محكوم عليه أن يقوله وكأن لسان الحق تعالى يقول للعبد المجادل : ما تعلق علمي بك حال عدمك الشخصي وأنت في عالم الغيب عن هذا العالم الا على ما أنت عليه فاني أبرزتك الى الوجود الا على قدر ما قبلته ذاتك فيعترف العبد حينئذ أن ذلك هو الحق وهناك تدحض الحجج من المنازعين .

قال الشيخ محي الدين بن العربي في كتاب لواقح الانوار : لو أن عبدا قال لربه كيف تؤاخذني على أمر قدرته عليّ قبل أن أخلق ؟ لقال له الحق تعالى : انما أنت محل لجريان أقدارى فلا يسعه الا أن يقول : نعم يا رب أنا محل لجريان أقدارك فاذا قال العبد ذلك قال له الحق : فاذن قد ذهب اعتراضك عليّ فان شئت جعلتك محلا للثواب وان شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب .

١- ورد في نسخة (هـ) (أليس يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله تعالى عليه وسلم) قل فلله الحجة ....) .

وان قال العبد بمذهب المعتزلة قلنا له : فحينئذ يقام عليك ميزان العدل في قوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فقد قامت حجة الله تعالى على جميع الطوائف انتهى (١)

فاقامة حجة الله على العباد حاصلة حقيقة من دون ملاحظة للادب وبعضهم يقيموا حجة الله على خلقه أدبا فقط من باب قولهم : يد لا تقدر على قطعها بادر الى تقبيلها وربما استشهد بعضهم بقولة من قال : ألقاه في اليم مكتوفا وقال له اياك اياك أن تبتل بالماء .

قال الشعراني : ومثل هذا البيت لا يجوز عندنا التفوه به لما فيه من رايحة اقامه الحجة على الله تعالى انتهى .

وقوله : (ولو شاء لهداكم أجمعين) هو بمعنى قوله تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (١) .

وكذلك قوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) (٢) . وفي هذه الآيات دليل على أنه تعالى لم يشأ ايمان الكفار ولو شاء لهداهم لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ومع ذلك لو تصدى مجادل لكانت حجة الله تعالى قاهرة له وهو

١- سورة السجدة ، الآية : ١٣ .   ٢- سورة يونس ، الآية : ٩٩ .

القاهر فوق عباده وعدم الاهتداء الى الجواب على المعاند في بعض الحالات لا يدل على تسليم ما قاله المعاند بل على قصور في المجيب فلو عدل الى غيره لوجد عنده شفاء لمرضه .

وقوله : (١) (اشرح يا أبا محمد . . . الخ يعني بذلك أن كلامه مجمل غير مقيد في ازالة صعوبة اشكال التعذيب عند عدم العصيان في الظاهر والمراد من الفائدة ما لا تخفى على الذكي والغبي .

وأما اذا فهم الذكي ولم يفهم الغبي كان قليل الجدوى . وقوله : دل الملائكة على تلك الطاعة معناه لولا أن الله تعالى أظهر أن هذا النوع من العمل مما يتقرب به الى حضرتي (٢) وان مثل هذا ينال فيه ثوابي لما كانت لهم معرفة بذلك وربما عدوا فاعله عاصيا كما أن الانصار تحرجت على السعي بين الصفا والمروة بسبب ماكان هناك في أيام الجاهلية من الاصنام أو بسبب أن الطواف بينهما من فعل الجاهلية ندب الله تعالى عباده بقوله : (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الآية (٣) .

وقوله : (وألهمهم اياها) قال السيد الشريف الجرجاني (٤) في تعريفاته :

١- ورد في نسخة (هـ) فقال علقمة اشرح يا أبا محمد شرحا يذهب عن قلوبنا هذه الشبهة يعني . . . . .) .
٢- في نسخة (هـ) حضرته .
٣- سورة البقرة ، الآية : ١٥٨ .
٤- لم يرد في نسخة (هـ) الا قال السيد وأما بقية الاسم لم يذكر .

الالهام ما يلقى في الروع بطريق الفيض انتهى .

وقوله : (وعزمهم من العزيمة) أى : رفع الملالة وصرف السآمية عنهم وجعلهم متلذذين بها حتى لو نزعت عنهم لوجدوا مشقة لالفهم بها .

وقوله : (وجبرهم على ذلك) أى : قهرهم عليها بأن صرف عنهم الشواغل والموانع عنها .

وقوله : (هذه نعم) بكسر النون وفتح العين جمع نعمة وفيه اشارة الى أن انشغالهم بتلك الطاعة مشتمل على نعم عديدة واردة من ربهم تبارك وتعالى عليهم .

وقوله :(١) (يشكر هذه النعم) أى : لو طلب منهم أن يشكروا على كل نعمة من تلك النعم ما قدروا عليها أى لاستحالة حصول الفعلين المتعارضين من الفاعل الواحد من المخلوقين في حالة واحدة فانهم لا يزالون ممتثلين لا وامر ربهم تبارك وتعالى في العبادة فاذا اشتغلوا بالشكر على ما تضمنته عباداتهم من النعم قصروا فيما أمروا من العبادة وأخلوا بها وهكذا اشتغالهم بالعبادة مخل للشكر على النعم فلا يتأتى منهم الجمع بين الامرين أبدا ولنبين هنا معنى الشكر فانه قيل في حده : فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب انعامه سواء كان ذلك الفعل بالقلب أو اللسان واليد ومنه قول القائل : أفادتكم النعماء مني ثلاثة : يدى ولساني

١- ورد في نسخة (هـ) قال طقمة : نعم قال عطا فلو طالبهم الله تعالى بشكر ......) .

والضمير المحجبا .

وقال الشيخ محي الدين ابن العربي في رسالته المؤلفة في اصطلاحات الصوفية : الشكر هو الثناء الجميل على الكثير والقليل وهو على ثلاثة مراتب : معرفة النعمة ، ثم قبولها ، ثم اثباتها .

وقيل : الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع ، وقيل : الشكر معرفة العجز عن الشكر وفرقوا بين الشاكر والشكور فقالوا : الشاكر الذى يشكر على الموجود والشكور الذى يشكر على المفقود ، وأعظم الشكر أن لا يشهد العبد الا المنعم فاذا شهد المنعم عبودية استعظم منه النعمة واذا شهده حبا استجلى منه الشر .

واذا شهده تفريدا لم يشهد منه نعمة ولا نقمة وذلك لاستغراقه فيه انتهى .

ورأيت في ترجمة الجنيد أنه كان يلعب يوما مع الاطفال وهو صغير فقال له خاله السرى السقطي : ماتقول في الشكر ياغلام؟ قال : الشكر أن لا أستعين بنعمة على معاصيه .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن جابر مرفوعا : (ما أنعم الله تعالى على عبد من نعمة فقال : الحمد لله الا أدى شكرها فان قالها ثانية جدد الله له ثوابها فان قالها ثالثة غفر الله تعالى له ذنوبه) (١) .

١- الحاكم في المستدرك على الصحيحين : ١/٥٠٨ عن جابر .

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه والبيهقي عن ابن عمرو مرفوعا : (الحمد لله رأس الشكر ما شكر عبد لا يحمده .

وأخرج البيهقي عن النعمان بن بشير مرفوعا : (التحدث بنعمة الله تعالى شكر وتركها كفر) (١) الحديث .

وأخرج الحكيم عن الحسن مرسلا قال موسى : يارب كيف شكرك آدم ؟ فقال : علم أن ذلك مني فكان ذلك شكره .

وأخرج أبو داود عن جابر مرفوعا(من أبلى بلاء فذكره فقد شكره) الحديث

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الرحمن الخليلي قال : الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تفعله لله شكر ،وأفضل الشكر الحمد لله) .

وههنا معاني كثيرة جاءت عن الحسن بن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) وغيره من السلف الصالحين لم أستحضرها الان فاكتفيت هنا على هذا القدر.

وقوله : (٢)(بتقصير الشكر) أى : بسبب تقصيرهم في الشكر على النعم المفاضة

١- جزء من حديث أخرجه أحمد : ٤/٢٧٨عن النعمان بن بشير.

٢- ورد في نسخة (هـ) بعد كلمة هذا القدر عبارة وكان له أى : (لله تعالى) أن يعذبهم أى الملائكة بسبب تقصير الشكر على النعم ......

عليهم قيل كان الحسن البصري (رحمه الله) اذا جلس للوعظ اجتمعوا اليه وكان رجل بجنبه ثم يأت في مجلسه فطال ذلك على الحسن فجاء يوما اليه وقال له :ما منعك أن تأتي الحسن فتسمع منه ؟ فقال : شغلني عنه أني لا أزال في كل لحظة بين نعمة ومعصية فأحتاج في كل لحظة الجمع بين الشكر والاستغفار فقال الحسن : لأنت أفقه من الحسن .

فالحاصل أن عطاء بن أبي رباح قد رفع عن علقمة (١) كل مشكل أظهره له وقرر أنه لا ينبغي للمؤمن الا أن يقول أنا مؤمن بدون استثناء لا يخلوا اما أن يكون لشك وتردد فهو كفر لا محالة ، وان كان من قبيل أن الحكم بالايمان يستلزم الحكم بدخول الجنة فقد مرّ جوابه بأن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) مع قوله : (والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بي) كما مرّ في حديث أم العلا : (ما كان يقول الا وانا من المسلمين) ونحو ذلك ،

وكذلك الصحابة لم يوجد عن أحد منهم الاستثناء ، وقد وقع التقرير القولي والسكوتي من النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيمن قال له ألست برجل مسلم وقال جبريل : (فاذا فعلت ذلك فأنا مؤمن) وسكوته عن من قال :أنا مؤمن حقا)وكل هؤلاء أشد تحريا منا في الاداب الشرعية ، واما أن يكون للتبرك بذكر

١- في نسخة (هـ) بدل(عن علقمة)كلمة لعلقمة .

الله تعالى وذلك من قبيل قوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم) الآية (١) ، وقوله (صلى الله تعالى عليه وسلم): (وانا ان شاء الله بكم لاحقون) (٢) .

أو للتبرىء عن تزكية النفس والاعجاب بحاله ، فالا ولى والا حرى تركه في جميع هذه الوجوه لأن التبرك والتبرى أمر أدبي ، ولقد كانت لنا في رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى قال : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وكذلك لنا في أصحابه الذين كانوا أشد معرفة بالله تعالى ورسوله وحقوق كل منهما منا أسوة حسنة ولو كان هذا أدبا لكانوا أحق به منا على أن ما استدل به من الآية استدلالا غيرمتوجه لأن(ان شاء الله)انما وقع في الآية ردا على من رام من الصحابة دخول مكة عام الحديبية فكأن الله تعالى وعدهم بالدخول لكن لا لجلادتهم ولا لارادتهم بل يدخلون لمشيئة الله تعالى .

وكذلك ردا لمن توهم منهم في الدخول في العام القابل بأن الكفار ان لم يشاؤا دخولهم لم يدخلوا فقال تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله (٣) .

١- سورة الفتح ،الآية : ٢٧ .
٢- جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب زيارة القبر .
٣-

أى : بمشيئة الله تعالى لا بمشيئة الكفار فكونوا على يقين فمن كان من الاكـــابر عرف أن المنع من الله تعالى والدخول في العام القابل من الله تعالى ومن قصرت معـــرفته كان كثير البحث عن شأن عدم الدخول مع أنهـــم في قوة ومنعة ولا يبالـون بالقتل بناء على أن مآلهم الى الجنة والاستثناء الواقع في قوله : (وانا ان شـــاء الله بكم لاحقون) حقيقي فان اللحوق بخصوص أهل البقيع مما لا يعلمه الا اللـــه تعالى .

وأما من قال من الشافعية في الحاق الاستثناء أن ذلك انما هو خوفا مـــن الخاتمة المجهولة فالكلام فيه أن الصحابة مع كمال تحرزهم عما لا ينبغي ما كانوا يلحقون الاستثناء .

وأخرج البخارى عن أبي مليكة معلقا قال : (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل (١) ولم ينقل عنهم أنهم كانوا يستثنون على أن السائل لما قال للرجل أنت مؤمن ؟ قال : أنا مؤمن فما سؤاله الا عن الامر الحالي ومـا جواب المجيب الا كذلك فأى حاجة الى ملاحظة الاستقبال عند عدم الاحتياج اليه فتنبه والله أعلم .

١- انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى : ١٠٩/١ باب خوف المؤمـــن أن يحبط عمله وهو لا يشعر .

الحديث : السادس عشر

أبو حنيفة عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالواها عصموا مني دمائهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عزوجل) (١) .

تابع الامام في رواية هذا الحديث عن أبي الزبير سفيان الثورى عند مسلم والترمذى ، وقد رواه عن جابر أبو سفيان طلحة بن نافع الواسطى عند مسلم والنسائي وابن ماجه وقد أسنده عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) غير جابر أيضا منهم أبو هريرة عند الشيخين وأبي داود والنسائي والترمذى وابن ماجه وعبدالله بن عمر عند الشيخين وأوس عند ابن ماجه وأبي مالك الاشجعي عند الطبراني (٢) في الكبير باسناد جيد وعبدالله بن عباس (٣) عنده بنحو ذلك الاسناد الا أن فيه اسحاق بن يزيد الخطابي ولم يعرف .

وسهل بن سعد عنده أيضا باسناد فيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان والاكثر على تضعيفه .

وجرير (٤) عنده باسناد فيه ابراهيم بن عيينة وقد ضعفه الاكثرون وقال ابن معين

١- أخرجه الشيخان وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة والشيخان عن ابن عمر والنسائي عن أبي بكرة ، وقد أخرجه ابن نصر المروزى في أول كتابه الصلاة من حديث ابن عمر وأنس وأبي هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهم . فهو حديث متواتر ، ولكن ألفاظه مختلفة ، انظر الجامع الصغير وزياداته : ٢٩٢/١ ، الاحاديث ذات الارقام : ١٢٧٠-١٢٧٣ .

٢- ٤ - انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٢٤/١ ، ٢٥ باب في ما يحرم دم المرء وماله .

كان مسلما صدوقا وأبو بكر الصديق (١) (رضي الله عنه) عند البزار باسناد معلول وأبو بكرة (٢) عند الطبراني في الكبير والاوسط باسناد فيه عبدالله بن عيسى الخزاز فهو ضعيف لا يحتج به ، وسمرة بن جندب عنده في الاوسط باسناد فيه مبارك بن فضالة واختلف في الاحتجاج به ، والنعمان بن بشير عند البزار (٣) باسناد جيد وأنس بن مالك عند الطبراني (٤) في الاوسط فيه عمرو بن هشام والاكثر على توثيقه .

ولانس حديث عند البخارى والترمذى وأبي داود والنسائي بلفظ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عزوجل) فهذا لفظ البخارى (٥) .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وكان أبو بكر وكفر من كفر من العرب فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله) (٦) الحديث .

١- ٤- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١/ ٢٤-٢٥ ، باب في ما يحرم دم المرء وماله .

٥- انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته : ١/ ٢٩٢ الحديث رقم (١٣٧٠) وتعليق الالباني في الحاشية .

٦- نفس المصدر السابق : ١/ ٢٩٣ حديث رقم (١٣٧٣) ، وصحيح مسلم بشرح النووى : ١/ ١/ ٢٠١-٢٠٣ باب أصناف المرتدين .

فهؤلاء ثلاثة عشر من الصحابة يروون ما رواه جابر ولهذا حكم السيوطي عليه في الجامع الكبير بالتواتر والله أعلم (١) .

قوله : (أمرت) أي : أمرني الله تعالى لانه لا آمر للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) الا الله وهكذا اذ قال الصحابة أمرت فالمراد أمره رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ من اشتهر بطاعة رئيس وقال ذلك فهم منه أن الآمر له هو ذلك الرئيس ولهذا ذكروا أنه اذا جاء كذلك من كلام الصحابي كان له حكم الرفع ولا يحتمل أن يريد أمرني صحابي آخر لانهم من حيث أنهم مجتهدون ولا يحتجون بأمر مجتهد آخر وذلك كقول أم عطية أمرنا أن نخرج في العيدين العواتق ذوات الخدور (٢) الحديث.

وقوله : (حتى يقولوا لا اله الا الله) قد وقع الاقتصار في بعض الروايات هذا الحديث على الشهادة الواحدة ووقع في اكثرها الشهادة الثانية أيضا كما عند مسلم من حديث أبي هريرة (حتى يشهدوا لا اله الا الله وان محمدا رسول الله)

وفي حديث ابن عمر وغيره زيادة ، اقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وقد مر من حديث أنس زيادة استقبال القبلة واكل الذبيحة "٣"

١- انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته : ١/٢٩٢ حديث رقم (١٢٧٠) .
٢- أخرجه البخاري في كتاب العيدين ، باب اباحة خروج النساء في العيدين الى المصلى ، الحديث الاول في الباب .
٣- انظر الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا حديث رقم ٦٤ ، ١٠ / ٩٨ ، عن أنس بن مالك .

قال الطبراني وغيره في وجه الجمع بين هذه الروايات المختلفة ...

واما الاول : وهو الاقتصار على الشهادة الواحدة فقاله في حاله قتاله لأهل الأوثان الذين لا يقرون بالتوحيد ويجحدون نبوته عموما وخصوصا .

واما الثاني : فقاله في حال قتال اهل الكتاب الذين يعترفون بالتوحيد ويجحدون نبوته عموما وخصوصا .

واما الثالثة : ففيه الاشارة الى ان من دخل في الاسلام وشهد بالتوحيد وبالنبوة ولم يعمل بالطاعات ان حكمهم ان يقاتلوا حتى يذعنوا الى ذلك وانما نص بالصلاة والزكاة في بعض الروايات.

ولم يعترض لغيرها من شرائع الاسلام كالصيام والحج لعظمها والاهتمام بشأنهما مع ان اخر الحديث وهو قوله : (الا بحقها) يدخل فيه جميع ذلك .

وقوله : (عصموا) أى : منعوا منى واصل العصمة من العصام وهو الخيط الذى يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء .

(دماءهم) فلا تسفك ويشمل ذكر الدماء للاعراض فلا تتعرض بذم ولا هجاء ولا غيبة .

وقوله : (واموالهم) فلا تتعرض بنهب وغصب بل لها الاحترام الشرعى حتى يقطع بسببها يد سارقها .

وقوله : (الا بحقها) فسر في حديث أنس عند الطبرانى قيل وما حقها قال :

(زنا بعد احصان ، او كفر بعد الاسلام او قتل نفس فيقتل به) (١) .

والمراد لذلك ان المتلفظ بالشهادتين لا يراق دمه ولا يتعرض لضرب أو شتم أو اهانه الا اذا فعل ما اوجب فيه الشارع على المسلمين فعند ذلك يأخذ به ومالم يات منه مخالف للشريعة فهو معان محفوظ محترم .

وقوله : (حسابهم على الله عز وجل) أى : في أمر سرائرهم ولفظة على مشعره بالايجاب .

وظاهره غير مراد فاما ان يكون بمعنى اللام أو على سبيل التشبيه أى هو كالواجب على الله تعالى في تحقق الوقوع وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر والاكتفاء في قبول الايمان بالاعتقاد الجازم خلافا لمن أوجب تعلم الادلة ويؤخذ منه ترك تكفير اهل البدع المقرين بالتوحيد الملزمين للشرائع وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر باطن أو ظاهر وان قيل ظاهر .

هذا الحديث يقتضى قتال كل من امتنع من التوحيد ومن جملته مؤدى الجزية والمعاهد وقد منع الشرع عن قتالها (٢) .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمى : ١/ ٢٥ ، ٢٦ ، باب فيما يحرم دم المرء وماله .

٢- في نسخة (هـ) قتالهما بدل قتالها .

فالجواب عنه من وجوه :

أحدهما : دعوى النسخ بأن يكون الاذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخرا عن هذه الاحاديث بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى : (فاقتلوا المشركين) .

ثانيهما : أن يكون من العام الذى خص منه البعض لأن المقصود من الامر حصول المطلوب فاذا تخلف البعض لدليل لم يقدح في العموم وقد عدّ ذلك بعض العلماء من تخصيص السنة بالكتاب .

ثالثها : أن يكون من العام الذى أريد به الخاص فيكون المراد بالناس في قوله : (أقاتل الناس) أى : المشركين من غير أهل الكتاب ويدل عليه رواية النسائي بلفظ : (أمرت أن أقاتل المشركين) فان قيل اذا تم هذا في أهل الجزية لم يتم في المعاهدين ولا فيمن منع الجزية وأجيب بأن الممتنع في ترك القتال رفعها لا تأخيرها كما في الهدنة وانما ساغت مقاتلة من امتنع من أداء الجزية بدليل الآية .

رابعها : أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها التعبير عن اعلاء كلمة الله واذعان المخالفين فتحصل في بعض بالقتل وفي بعض بالجزية وفي بعض بالمعاهدة .

خامسهـــا : أن يكون المراد هنا بالقتال هو ما يقوم مقامه من جزية أو غيـــرها .

سادسها : أن يقال الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم الى الاسلام وسبب

السبب سبب فكأنه قال حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم الى الاسلام

قال الحافظ: وهذا أحسن الاجوبة ، وعندى أن أحسن الاجوبة

هو الثاني والله أعلم .

الحديث : السابع عشر

أبوحنيفة عن أبي الزبير قال : قلت لجابر ماكنتم تعدون الذنوب شركا؟قال :لا قال أبو سعيد قلت : يارسول الله هل في هذه الامة ذنب يبلغ الكفر ؟ قال : لا الا الشرك).

هذا الحديث لم أجده بهذا اللفظ فيما عثرت عليه ، وانما أخرج الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح ،وأبو يعلى عن أبي سفيان قال : سألت جابرا وهو مجاور بمكة وهو نازل في بني فهر فسأله رجل هل كنتم تدعون أحدا من أهل القبلة مشركا قال:معاذ الله . ففزع لذلك قال : هل كنتم تدعون أحدا منهم كافرا قال :لا) (١) .

وأخرج أبو داود بسند فيه يزيد بن أبي نشبة بضم النون ولم يخرج له أحد من الستة غير أبي داود عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : (ثلاث من أصل الايمان : الكف عن قال لا اله الا الله ، ولا يكفر بذنب ،ولا يخرجه من الاسلام بعمل) (٢) الحديث.

١- انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي : ١٠٧/١ باب لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب رواه أبويعلى والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

٢- جزء من حديث أخرجه أبوداود ، كتاب الجهاد باب في الغزو مع أئمة الجور : ٣٨٠/٣/٢ حديث رقم (٢٤٢١)عن أنس .

وقد وردت في معنى ذلك أحاديث كثيرة لكن لم نورد ها لضعف اسناد هـــا

والاصل في ذلك قوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١) .

فجعل ما سوى الشرك تحت المشيئة ان شاء غفر وان شاء عذب ولذلك ترجـم البخارى في صحيحه بقوله باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك (٢) .

يعني أن كل معصية توجد من ترك واجب أو فعل محرم فهي من أخلاق الجاهلية والشرك أكبر المعاصي ولهذا استثناه .

وأورد حديث أبي ذر فان فيه قال : سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال (صلى الله تعالى عليه وسلم) :(يا أبا ذر أعيرته بأمه انك امرؤ فيك جاهلية) (٣) .

واستدل أيضا بقوله تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) ثم قال : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) (٤) .

١- سورة النساء ، الآية : ١١٦ .
٢- البخارى : ١ / ٨٤ ، كتاب الايمان ، الباب الثاني والعشرون .
٣- انظر فتح البارى : ١ / ٨٤ كتاب الايمان باب (٢٢) الاحاديث الاول والثاني .
٤- سورة الحجرات ، الآيات: ٩ ، ١٠ .

واستدل أيضا بقوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) (١) .

فسماهما مسلمين مع التوعد بالنار وكذلك لما نزل قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) (٢) .

شق ذلك على أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه فقال : ليس كما تقولون : لم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك أو لم تسمعوا الى قوله عن (ان الشرك لظلم عظيم) .

فيفهم من هذا أن المعاصي لا تسمى شركا وان من لم يشرك بالله تعالى شيئا فله الأمن وهو مهتد وان عذب والمراد من الشرك في جميع ما ذكرناه الكفر لأن من جحد بنبوة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) مثلا كان كافرا ولو لم يجعل مع الله اله آخر .

والمغفرة منتفية عنه بلا خلاف ، وقد يرد الشرك ويراد به ما هو أخص من الكفر كما في قوله تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) (٣) .

ويشهد الى ذلك رواية أبي سفيان عن جابر وأما حديث أبي سعيد فمفهومه أن الكفر هو الشرك.

١- انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته تأليف محمد ناصر الدين الالباني ١٣٠/١ الحديث رقم (٣٨٧) .

٢- سورة الانعام جزء من آية : (٨٢) ٣- سورة البينة ،الآية : ١ .

فالحاصل ان الذنوب مطلقا سواء كانت صغائر ام كبائر .

لا تخرج العبد المؤمن من الايمان ولا تدخله في الكفر لبقاء التصديق الذى هو حقيقة الايمان فلا يخرج المؤمن عن الاتصاف به الا بما ينافيه ومجرد الاقدام على الكبيرة لقلة شهوة او حمية أو انفه أو كسل خصوصا اذا اقترن به خوف العقاب ورجاء العفو .

والعزم على التوبة لا ينافيه اللهم الا ان يكون بطريق الاستحلال والاستخفاف فيكون كفرا لكونه علامه للتكذيب فليس التكذيب مختصرا فى القول بل اذا ظهرت من المعاصى ما جعله الشارع امارة التكذيب وعلم كونه ذلك بالادلة الشرعية كسجود للصنم ، والقاء المصحف في القاذرات والتلفظ بكلمات الكفر ونحو ذلك مما ثبت بالادلة انه كان كل ذلك تكذيبا .

ومهما لم يوجد شيء من ذلك سوى التلبيس بالمعاصى مع اقراره بان الله تعالى (واحد لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله) وتصديقه ذلك في قلبه لا يخرج عن الايمان وقد اجمعت الامة من عصر النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) الى يومنا بالصلاة على من مات من اهل القبلة من غير توبة والدعاء والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم الكبائر بعد الاتفاق على ان ذلك لا يجوز لغير المؤمن .

فان قلت الخوارج القائلين بأن الكبائر مكفرة .

قد استدلوا بقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم

الكافرون) (١) وقوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) (٢) وهذا مع انضمام.

قوله تعالى : (لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى) (٣)

وقوله تعالى : (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) (٤) .

وكذلك استدلوا بقوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن) (٥) .

وقوله : (صلى الله تعالى عليه وسلم) (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (٦) .

وغير ذلك من الايات والاحاديث المصرحة بان مرتكب تلك المعاصي يكون كافرا فما الجواب عن ذلك ، قلت وبالله أستعين وهو الموفق .

فاعلم ان قوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) انما هو اخبار الله تعالى لنا على ما حكم به في التوراة وما فيها من الشرايع .

١- سورة المائدة ، الآية : ٤٤ .
٢- سورة النساء ، الآية : ١٤ .
٣- سورة الليل ، الآيات : ١٥ ، ١٦ .
٤- سورة النحل ، الآية : ٢٧ .
٥- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الهيثمى : ١/١٠٠ ، باب (لا يزنى الزانى حين يزنى وهومؤمن) ونحو ذلك .
٦- متفق عليه البخارى : ١٠/٣٨٧ ، ومسلم حديث رقم (٦٤) .

وان كانت شريعة لنا مع ما انضم اليه من قوله تعالى : (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه . . . الآية) (١) .

لكن محل ذلك فيما لم يحصل فيه النسخ وههنا قرينة النسخ ظاهرة وذلك ان الله تعالى لما ذكر عيسى والانجيل قال : (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) (٢) فنسخ ذلك الكفر الذى كان فى التوراة بالفسق .

فتبين حينئذ ان الظلم الواقع في قوله تعالى : (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون) (٣) .

وانما يراد به الكفر من تتمة حكاية بما في التوراة ونبينا (صلى الله تعالى عليه وسلم) قد امر بالحكم بما انزل الله ولكن لم ينزل في حق امته تهديد او توبيخ مما قد نزل في الامم السابقة ويشير الى ذلك قوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٤) .

والخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امه موسى وامة عيسى وامة محمد (صلى الله عليه وسلم) بدليل ان الله تعالى قال قبل هذه (انزلنا التوراة فيها هدى

١- سورة المائدة ، الآية : ٤٧ .
٢- سورة المائدة ، الآية : ٤٦ .
٣- سورة المائدة ، الآية : ٤٥ .
٤- سورة المائدة ، الآية : ٤٧ .

ونور) (١) قال بعد ذلك وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة .

والدين واحد وهو التوحيد ولذلك قال : على بن ابي طالب (رضى الله عنه) الايمان منذ بعث ادم (عليه السلام) شهادة ان (لا اله الا الله) والاقرار بما جاء من عند الله تعالى ولكل قوم شريعة او منهاج ومن ههنا .

قال جماعة من المفسرين ان الايات الثلاثة نزلت في الكفار ومن غير حكم الله تعالى من اليهود لأن المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال له كافر .

وهذا قول ابن عباس (رضى الله عنه) وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما اخرجه مسلم عن البراء بن عازب قال : (انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الايات الثلاثة في الكفار (٢) .

وعن ابن عباس (رضى الله عنه) قال : (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون .... الى قوله الفاسقون) هذه الثلاث الايات في اليهود خاصة قريظة والنضير (٣) هو أخرجه ابو داود .

١- سورة المائدة ، الآية : ٤٤ .
٢- انظر تفسير القران العظيم : ٢/ ٥٩ ، ابن كثير .
٣- انظر تفسير القران العظيم لا بن كثير : ٢ / ٦٠ .

وقال مجاهد: في هذه الايات الثلاثة من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم وفاسق .

وقال عكرمة: ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس (١) .

واختار الزجاج لانه قال : من زعم ان حكما من احكام الله تعالى التى أتت بها الانبياء باطل فهو كافر .

وقال طاوس: قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما انزل الله تعالى فقال بسه كفر وليس بكفر عن الملة ، كمن كفر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسلة واليوم الآخر ونحو هذا وروى عن عطاء قال : هو كفر دون كفر (٢) .

قلت ولذلك ترجم البخارى في صحيحة بقوله باب كفران العشير وكفر دون كفر .

واخرج فيه حديث ابن عباس قال : قال النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) (اريت النار فاذا اكثر اهلها النساء يكفرن قيل ايكفرن بالله قال : يكفرن العشير ويكفرن الاحسان ، لو احسنت الى احداهن الدهر ثم رات منك شيئا ، قالت ما رأيت منك خيرا قط) (٣) فاطلق النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) لفظ الكفر على صنيعهن ولم ير أنه كفر مخرج عن الملة فكما ان الطاعات تسمى ايمانا كذلـك

١- انظر تفسير القران العظيم لابن كثير : ٦١/٢ .
٢- انظر تفسير القران العظيم لابن كثير : ٦١/٢ .
٣- البخارى في كتاب الايمان ، باب (٢١) الحديث الاول .

المعاصي تسمى كفر لكن لا يراد بها الكفر المخرج عن الملة فعلى هذا قس كل ما ورد من لفظ الكفر في التهديدات .

ومن هذا قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقتاله كفر فانما اطلق ذلك مبالغة في التحذير معتمدا على ما تقرر من القواعد ان مثل ذلك لا يخرج عن الملة أو اطلق عليه الكفر لشبهة به لأن قتال المؤمن من شأن الكافر او يراد به المعنى اللغوى وهو التغطية لأن حق المسلم على المسلم ان يعينه وينصره ويكف عنه اذاه فلما قابله بالمقاتله كأنه غط على هذا الحق والى هذا المعنى يشير قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) في النساء يكفرن لمّا سترن احسان ازواجهن وقابلن بالانسكار سمى فعلهن كفرا .

وقد ورد من لا يشكر الناس لا يشكر الله تعالى .

ويمكن ان يقال ان هذه المعاصي التى اطلق عليها لفظ الكفر .

قد تؤل لشومها منها الى الكفر ويمكن ان تحمل على شيء لها فانه اذا استحل معصية من معاصي الله تعالى كفر بلا خلاف .

واما قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... الخ) فقد اول ذلك بوجوه احدهما ان يحمل على معنى نفي الفضيلة عنه حيث اتصف بما لا يشبه أوصاف المؤمنين ولا يليق بهم .

والثاني ان يقال لفظة خبر ومعناه نهي وله نظائر من كتاب الله تعالى وسنة

رسوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الاسلوب من القول شايع في كلام العرب فتاويله على هذا الوجه اقوى وأولى واوضح لا سيما وقد روى لا يزن على صيغة النهى بحذف الياء ، ولا يشرب الخمر بالكسر فيه لتحريك الساكن المجزوم بحرف النهى .

الثالث ان يقال والحال انه مؤمن اى ذو أمن من عذاب الله تعالى .

والرابع ان يقال وهو مصدق بما جاء فيه من النهى والوعيد .

والخامس ان يصرف الى المستحيل من مرتكب هذه الامور .

والسادس انه يسلب منه الايمان حال تلبسه بالكبيرة فاذا فارقها عاد اليه ويؤيده ما أخرجه ابو داود والحاكم بسند صحيح من طريق سعيد المقبرى انه سمع ابا هريرة رفعه (اذا زنا الرجل خرج منه الايمان وكان عليه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه الايمان) (1) .

والسابع ان المراد منه الزجر والتنفير فهو من باب التغليظ والتشديد كقوله تعالى (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) .

والثامن معنى ليس بمؤمن أى ليس بمستحضر جلال من آمن به فهو كناية عن الغفلة التى جلبت اليه الشهوة .

والتاسع ان يكون في تلك الحالة منافقا نفاق معصية لا نفاق كفر .

حكاه بن بطال عن الاوزاعى وغير ذلك من التأويلات التى تدفع تمسك الخوارج

١- انظر مصابيح السنة للبغوى ، كتاب الايمان : ١٢٧/١ ، حديث رقم (٤٣) وانظر سنن أبي داود في كتاب السنه ، باب الدليل على زياده الايمان ونقصانه ٦٦/٥ ، حديث رقم (٤٦٩٠) .

بهذا الحديث فانه اذا احتمل ما قلناه اندفعت حجتهم .

واما قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله) الآية فقد قال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعدى حدوده استحلالا يدخله نارا .

وقال عكرمة : عن ابن عباس من لم يرض بقسمة الله تعالى ويتعدى ما قال الله فمن كان هكذا فلاشك في انه كافر والآية .

وان كان الاطلاق فيها ظاهر لكنها لما كانت بعد ذكر الفرائض .

وما اوجب الله تعالى لكل وارث وارث كان حملها على ما ذكره ابن عباس والكلبي اظهر والله أعلم .

وحينئذ لا منافاة بين هذه الآية وقوله تعالى : (لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى) (١) فان التصدي في مثل هذا معدوم بالكلية وكلامنا فيمن بقي فيه التصديق

واما ما ذهب اليه المعتزلة من اثبات منزلة بين الايمان والكفر فذلك خلاف ما ذهب اليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين (رضى الله تعالى عنهم اجمعين)

وربما ان الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) استشعر ذلك فقال في ردهم ولا يخرجه في الاسلام بعمل وقد ذكرنا ذلك فيما رواه أبو داود .

واما استدلالهم بقوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) (٢) فلا يتم ذلك

١- سورة الليل ، الايات : ١٥ ، ١٦ .
٢- سورة السجدة ، الآية : ١٨ .

لأن المراد من الفسق الوارد في هذه الاية انما هو الكفر بدليل ما في اخر الاية (فذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) فمن كذب لا شك انه كافر بالاجماع .

فان قلت ظهر مما ذكرت انه لا يضر مع الايمان ذنب وهذا بعينه هو الذى ذهبت اليه المرجئة قلت المرجئة انما تقول انه لا يحبط الايمان شئ فلا يخشى من التلبس بالمعاصى كائنا ما كانت ونحن قلنا ان من أصر على نفاق المعصية خشى عليه ان يفضى به الى نفاق الكفر فلا ينبغى للانسان ان يأمن من معاصية اذا لم يستغفر منها فقد قال الله تعالى : (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) (١) .

وقوله (واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) (٢) .

وقوله تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) (٣) .

وقوله تعالى (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت البنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم) (٤) .

واما من باشر المعاصي وهو لا يزال يستغفر ويتوب فهو داخل في قوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة

١- سورة الاعراف ، الآية : ٩٩.
٢- سورة الاعراف ، الآية : ١٧٥.
٣- سورة الصف ، الآية : ٣ .
٤- سورة الحجرات ،الآية : ٢.

من ربهم) الآية . وهذا لا شك يخالف من تلبس بالذنوب واصر عليها ولم يتب منها فانه وان كان في تلك الحالة غير مفارق للايمان لكنه ربما تتأدى به الحالة الى الوقوع في الكفر باستهزاء احكام الشريعة او استحلال ما حرمه الله تعالى وغير ذلك نسأل من الله تعالى العافية .

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخشون النفاق على انفسهم فضلا عن الكفر فافهم والله أعلم .

الحديث : الثامن عشر

أبو حنيفة عن عبد الكريم بن أبي المخارق (١) عن طاوس قال : جاء رجل الى ابن عمر فسألة فقال : يا ابا عبد الرحمن أرايت الذين يكسرون اغلاقنا وينقبون بيوتنا ويغيرون على أمتعتنا كفروا قال :لا ، قال : أرأيت الذين يتأولون علينا ويسفكون دمائنا اكفروا قال :لا ، حتى يجعلوا مع الله شيئا وأنا أنظر إلى أصبعي ابن عمر وهو يحركهما ، وهويقول سنة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم))

وهذا الحديث رواه جماعة فرفعوه من رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث لم أجد من أخرجه .

وقد وردت احاديث كثيرة في معناها قد سردنا الصحيحة منها في الحديث السابق ،وقد دلت على معناها الايات العديدة .

وقد مضى الكلام التام بهذا المقام آنفا ،، فلا حاجة الى التكرار بقى الكلام في حل بعض الالفاظ .

فاعلم ان قوله (يكسرون اغلاقنا) بالعين المهملة والقاف جمع غلق بالكسر سمى

١- عبد الكريم بن أبي المخارق ، أبو اميه ، نزيل مكة ، واسم ابيه قيس ، وقيل طارق ، ضعيف ، له في البخاري زياده ، علّم له المزى علامه التعليق ، وليس هو معلقا ، وله ذكر في مقدمه مسلم ، وما روى له النسائي الا قليلا ، ومن السادسة ، مات سنة ست وعشرين ، وقد شارك الجزرى في بعض المشايخ ، فربما التبس به على من لا فهم له ، تقريب التهذيب : ٢/٥١٦.

به لتعلق القلب به أى نفائس اموالنا .

وقال ابن التين وكونها بالغين المعجمة لا وجه لها .

قال الحافظ ابن حجر ويمكن توجيهه بان الاغلاق جمع غلق بفتحتين وهو غلـــق الباب الذى يغلق على البيت ويفتح بالمفتاح ويطلق الغلق على الحديده التى تجعل في الباب ويعمل عليها القفل فالكسر للاغلاق بالغين المعجمة على الحقيقة وللاعلاق بالمهملة مجاز في بعض مالا يتم كسرة كالثياب ونحوها .

وقوله : (وينقبون بيوتنا) تشديد القاف من التنقيب وهو البحث والتفتيش ومنه أى لم أومر أن انقب عن قلوب الناس .

وقد جاء النقب عند العرب بمعنى الثقب وهذا من شان السارق انه ينقـــب البيوت حتى يتم له دخوله واستخراج ما امكنه من غيران يطلع عليه أحد من اهـــل البيت .

وقوله : (ويغيرون) أى ينهبون من اغار على قوم اذا نهب .

وقوله : (كفروا) معناه الاستفهام بأنهم بعد ما اتصفوا بهذه الصفات الذميمه يسموا كفارا ويخرجوا عن حدّ الاسلام أم لا ؟ .

وقوله : (أرايت الذين يتأولون علينا) أي يحكمون بكفرنا تاويلا ويستحلون دمائنا بتلك الحيلة اكفروا أى أيكونوا باستحلالهم دمائنا .

قال : لا وهذا لا يتجه الا انهم انما سفكوا دمائنا بسبب التأويل الذين ترجح في ارائهم الضالة، وأما اذا استحلوا بغير تأويل فيكونوا كفارا والله أعلم .

الحديث : التاسع عشر

أبو حنيفة عن عبدالله بن حبيبة قال : سمعت أبا الدرداء صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : بينا أنا رديف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال : يا أبا الدرداء من شهد أن لا اله الا الله وجبت له الجنة . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : فسكت ساعة ثم سار ساعة فقال : من شهد أن لا اله الا الله وأني رسول وجبت له الجنة . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : فسكت عني ساعة ثم سار ساعة ثم قال : من شهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله وجبت له الجنة قال : قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق وان رغم أنف أبي الدرداء قال : وكأني أنظر الى أصبع أبي الدرداء السبابة يومي الى أرنبته) حديث أبي الدرداء (١) .أخرجه أحمد باسناد صحيح والبزار والطبراني في الكبير والاوسط من طريق وهب بن عبدالله المغافرى عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) : من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له دخل الجنة قال : قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنا

١- سند هذا الحديث ومتنه هو نفس سند ومتن الحديث الثالث في كتاب الايمان ولم أهتد الى السبب الذى دعا المصنف الى اعادة ذكره وشرحه باختلاف بسيط ، كما أن في شرحه اختلاف عن النسخة (هـ) .

وان سرق . قال : وان زنا وان سرق ، قلت : وان زنا وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي الدرداء ، قال : فخرجت لأنادي بها في الناس فلقيني عمر فقال : ارجع فان الناس ان علموا بهذه اتكلوا عليها ،قال : فرجعت فأخبرته (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال : صدق عمر (١) .

وأخرج الطبراني من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء رفعه بلفظ : (من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال أبو الدرداء : وان زنى وان سرق ؟ فقال النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) : وان زنا وان سرق على رغم أنف أبي الدرداء (١) .

وأخرج أيضا من طريق ابن مريم عن أبي الدرداء نحوه، وأخرج أيضا عن أبي الدرداء رفعه : (أتاني آت من ربي فقال : من يعمل سوءا أويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فقلت : يارسول الله وان زنا وان سرق ؟ قال : نعم ثم ثلثت فقال : على رغم أبي عويمر رددها قال : فأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنفه بأصبعه) . أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ، والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية عطاء بن يسار أنه سمع أبا الدرداء أنه سمع النبي (صلى الله

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١/١٦ .

تعالى عليه وسلم) وهو يعظ على المنبر يقول : ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت: وان زنا وان سرق يارسول الله فقال : وان زنا وان سرق فأعدت فأعاد فقال في الثالثة : نعم وان رغم أنف أبي الدرداء وعبد الله بن حبيبة الذى روى عنه الامام الاعظم (رحمه الله) لم أجده في كتب الرجال ولعله غلط من الناسخ وهو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي تابعي وهو أحد أعلام التابعين ، وصحب علي بن أبي طالب ، وسمع منه ،ومن عثمان بن عفان ، وابن مسعود وحذيفة ، وأبي موسى حديثه عند الكوفيين . مات سنة خمس ومائة ، وله تسعون سنة ، وربيعة بضم الراء وفتح الباء الموحدة وتشديد التحتية وكسرها .

وقد أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر حديثا مثل حديث أبي الدرداء ، قال أبو ذر : أتيت النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم اتيته فاذا هو نائم ثم اتيته قد استيقظ فجلست اليه فقال : ما من عبد قال : (لا اله الا الله) ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ، قلت: وان زنا وان سرق ؟ قال : وان زنا وان سرق قلت: وان زنا وان سرق ؟ قال : وان زنا وان سرق ثلاثا ثم قال : في الرابعة على رغم انف ابي ذر قال : فخرج ابو ذر وهو يقول وان رغم انف ابي ذر) وهذا لفظ لمسلم (١) .

١- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، جمع محمد فؤاد عبد الباقي حديث رقم (٦٠) : ١/١٨ .

وفي رواية له عنه مرفوعا : (اتاني جبريل (عليه السلام) فبشرني انه من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت: وان زنا وان سرق ؟ قال : وان زنا وان سرق) .

وأخرج ابن عساكر عن ابي ذر مرفوعا : (قال : لقيت الملك فاخبرني انه من مات يشهد (ان لا اله الا الله) كان له الجنة فما زلت أقول وان زنى وان سرق وان زنا وان سرق) .

وأخرج البخارى واحمد والبيهقى وابن حبان عنه مرفوعا : (اتاني جبريل فقال : بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت: يا جبريل وان زنا وان سرق ؟ قال : نعم وان زنى وان سرق ؟ قال : نعم قلت : وان سرق وان زنا ؟ قال : نعم وان شرب الخمر) (١) .

فهذا اللفظ من حديث أبي ذر صريح في ان المراجعة التى قد حصلت بين أبي الدرداء والنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وبين ابي ذر وبينه (صلى الله تعالى عليه وسلم) قد سبقت بين النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وبين جبريل (عليه السلام) وقد وقعت مثل هذه المراجعة بين النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وبين سلمة بن نعيم الاشجعي وكان من أصحاب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم)

١- صحيح ابن حبان ترتيب الامير علاء الدين الفارسي ضبط كمال يوسف الحوت ٢١٨/١ .

خال :قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا

دخل الجنة قلت: يا رسول الله وان زنا وان سرق ؟ قال : وان زنا وان سرق) رواه

احمد ورجاله رجال الصحيح وكلها قصص متغايرة .

ولم يرجح البخارى حديث ابي الدرداء انه قال : حديث ابي الدرداء مرسل

لا يصح انما اردنا للمعرفة أى انما اردنا ان نذكره للمعرفة بحاله قال : والصحيح

حديث ابي ذر قيل له فحديث عطاء بن يسار عن ابي الدرداء فقال : مرسل لا يصح

ثم قال : اضربوا على حديث ابي الدرداء انتهى .

فالحاصل انه قد روى هذا الحديث عن ابي الدرداء جماعة منهم أبو صالح عن

ابي الدرداء ومنهم عطاء ولم يصح عند البخارى (رحمه الله) .

حديث كل منهما للارسال لكن قد ذكرنا فيما سبق التصريح بسماع عطاء بن

يسار للحديث عن ابي الدرداء .

كما اخرجه ابن حاتم في التفسير فكل من حديث ابي الدرداء وحديث ابي

ذر صحيح والله أعلم.

واشتركا في قوله : (وان رغم انف) ومن الوجوه التي تدل على التغاير مراجعة

النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) مع جبريل انما رواها ابو ذر في حديثه ولم

يروها ابو الدرداء فما راجع النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) الا مستوضحا واما

ابو ذر وأبو الدرداء فانما راجعا مستبعدا فلاجل ذلك قيل لكل منهما وان رغم .

وانما اقتصر على ذكر الزنا والسرقة اشارة الى جنس حق الله تعالى وحق العبادة وكأن من راجع استحضر قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) لأن ظاهره معارض لظاهر هذا الخبر وسنذكر الجمع بينهما ان شاء الله تعالى بحسب الامكان .

قال : السبكي وأثر ذكر السرقة على القتل مع كونه اقبح لكثرة وقوعها من وقوع القتل فأثرها يكثر وقوعه لشدة الحاجة للسؤال عنه على ما يندر انتهى .

واما قول جبريل للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وان شرب الخمر فانما هو اشارة الى نحوسة هذه الكبيرة وفظاعتها لانها تؤدى الى خلل العقل الذى شرف به الانسان على غيره من الحيوان ولوقوع الخلل فيه يزول التوقي الحاجز عن ارتكاب بقيه الكبائر فاعظم به من مفسده وفيه اشعار بأن مجيئ جبريل واخباره بذلك كان بعد تحريم هذه الكبائر .

فالحاصل ان الحديث المذكور قصم ظهور المعتزلة والخوارج الذين يزعمون بخلود اهل الكبائر في النار .

وفي الباب ابو موسى عند أحمد والطبراني في الكبير باسناد رجاله ثقات قال أتيت النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ومعي نفر من قومي فقال : ابشروا وبشروا من وراءكم انه من شهد (ان لا اله الا الله) صادقا بها دخل الجنة) (١) .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١/١٦ .

الحديث ومعاذ بن جبل عند أحمد باسناد رجاله رجال الصحيح قال : (سمعت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول من لقى الله تعالى وهو لا يشرك به شيئا جعله الله في الجنة) (١) الحديث .

وأبو هريرة عند الطبراني في الاوسط والصغير باسناد رجاله رجال الصحيح يرفعه من قال (لا اله الا الله) نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما اصابه) (٢) .

وزيد بن خالد الجهني عنده في الكبير باسناد رجاله موثقون قال : ارسلني رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ابشر الناس انه من شهد ان (لا اله الا الله وحده لا شريك له فله الجنة) (٣) .

وشداد وعبادة بن الصامت عند البزار باسناد رجاله موثقون قالا كنا عند النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال: هل فيكم غريب يعني اهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا ايديكم وقولوا (لا اله الا الله) فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع (صلى الله تعالى عليه وسلم) يده ثم قال : (الحمد لله اللهم انك بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني عليها الجنة ، وانك لا تخلف الميعاد ثم قال : الا ابشروا فان الله قد غفر لكم) (٤) .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١/١٦ ، وفيه أن ابا صالح لم يسمع من معاذ بن جبل .
٢- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١/١٧ .
٣- الطبراني في المعجم الكبير، الحديث رقم (٥٢٦٢)
٤- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١/١٩ .

وجرير عند الطبراني في الكبير باسناد رجاله موثقون قال : قال النبي (صلى الله تعالي عليه وسلم) من مات لا يشرك بالله شيئا ولم يتند بدم حرام أدخل من أى أبواب الجنة شاء) (١) .

وقد روى غير المذكورين من الصحابة ما يدل علي ان الموحد لا بد له من دخول الجنة .

واحاديثهم في الصحيحين وغيرهما فالكبائر لا تسلب اسم الايمان .

ولا يقال ان امثال هذه الاحاديث ربما اتخذها البطلة ذريعة الى طرح التكاليف وابطال العمل ظنا ان ترك الشرك كاف وهذا يستلزم طي بساط الشريعة وابطال الحدود وان الترغيب في الطاعة والتحذير في المعاصي لا تأثير له بل يقتضي الانخلاع عن الدين والانحلال عن قيد الشريعه والخروج عن الضبط والولوج في الخبط وترك الناس سدا مهملين وذلك الى خراب الدنيا والاخرة مع ان هذه الاحاديث معارضة لكثير من الايات والاحاديث الدالة على وعيد اهل الكبائر بالنار وبالعذاب لانا نقول ان المراد من قوله دخل الجنة أى صار اليها .

اما ابتداء بفضله وكرمه وأما بعد ان يقع ما يقع له من العذاب ويؤيده ما سبق من قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) من قال : (لا اله الا الله) نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما اصابه .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١/١٩ .

وكذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا : (تعالـوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فامره الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفاعنه فبايعته على ذلك) (١)

وقال البخارى عقب حديث أبي ذر هذا اذا مات وقال : (لا اله الا الله) عند الموت مراده أنه حينئذ يكون نادما على ما حصل منه فكان بمنزلة التوبة ويؤيده ماجاء ما من عبد قال : (لا اله الا الله) ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وهـو

لفظ حديث أبي ذر فيما اسلفناه فحاصل ما اشار اليه على ان الحديث يدل على من وحد ربه ومات على ذلك تائبا من الذنوب التى اشير اليها في الحديث ثم هذا في حقوق الله تعالى باتفاق اهل السنة .

واما حقوق العباد فيشترط ردها عند الأكثر وقيل هو كالأول ويثيب الله تعالى صاحب الحق بما شاء واما من تلبس بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة فظاهـر الحديث انه داخل أيضا في ذلك لكن مذهب أهل السنة انه في مشيئة اللـه تعالى

١- سبق تخريجه في الحديث الثالث في كتاب الايمان .

جمعا بين الأحاديث وحديث عبادة ونحوه مفسر مقدم على المبهم على كل حال .

فالمتلبس بالمعاصي لا يخلد في النار لما سردناه من الاحاديث الرافعة لشبهة المعتزلة والخوارج .

وانما بقي الكلام فيما جاء من الأحاديث المصرحة بتحريمه على النار .

وذلك كما رواه الشيخان عن عتبان بن مالك قال : غدا على رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال : لن يوافى عبد يوم القيامة يقول (لا اله الا الله) يبتغى به وجه الله الا حرم الله عليه النار) (١)

ونحو ذلك من الاحاديث المقتضية لعدم دخول المؤمن المتلبس بالمعاصي في النار أصلا فقال بعضهم ان ذلك كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي وهو مروى عن سعيد بن المسيب والزهري ويشكل على ذلك ما رواه أبو هريرة عند مسلم بلفظ (مامن عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) الا حرمه الله على النار .

وأبو هريرة انما اسلم عام خيبر وقد شاعت الأوامر والنواهي والفرائض .

فالذى اراه في التأويل ان يقال حرم على النار خلوده فيها وتضرره منها بعد دخوله فيها فقد ورد ان الله تعالى يأمر النار بان تنطفي بعد دخول المؤمنين فيها لكن يعارضة ما جاء في البخارى وغيره عن أبي هريرة مرفوعا : (امر الله

١- سبق تخريجه في الحديث الثالث من كتاب الايمان .

الملائكة ان يخرجوهم من النار فيخرجوهم ويعرفونهم باثار السجود ، وحرم اللـــه على النار ان تأكل اثر السجود فيخرجون من النار فكل ابن ادم تأكله النار الا اثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا . الحديث .

.فالأولى من التأويلين هو الاول والله أعلـــم .(١)

اذا علمت هذا فلنحل الالفاظ الغريبة الواقعة في حديث أبي الدرداء الـذى ساقه الامام فقوله (بينا) أى : بين وقت من الأوقات أنا رديف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى راكب خلفه على راحلة ، يقال يرد ف ردفا ورديـفا والرد ف بكسر أوله وسكون الدال المهملة وقد ردف النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) جماعة من الصحابة عدوا في السيرة الشامية ولعلهم ينيفون على الأربعين.

وقوله : (وان رغم) الخ (٢) .

١- انظر صحيح مسلم بشرح النورى : ٢/٣/ ٢٢ ، باب الأعضاء التى لا تأكلها النار .

٢- الملاحظ أن شرح هذا الحديث لم يكمل ولا أدرى هل المصنف أحالنا على شرح الحديث الثالث أم اكمله في موقع آخر في مصنفه علما أننى عملت جهدى ولم اهتد على تكملة لشرحه .

الحديث : العشـرون

أبو حنيفة عن الحارث(١) عن ابي مسلم الخولانى (٢) قال : (لما نزل معـاذ حمص أتاه رجل شاب فقال : ما ترى في رجل وصل الرحم وبر وصدق الحديث وأدّى الأمانة وعف بطنه وفرجه وعمل ما استطاع من خير غير انه شك في الله ورسوله قـال : إنها تحبط ما كان معها من الأعمال ، قال : فما ترى في رجل ركب المعاصي وسفك الدماء واستحل الفروج والأموال غير أنه شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله مخلصا قال : معاذ أرجو وأخاف عليه قال : الفتى والله ان كانت هى التى احبطت ما معها من عمل ما تضره هذه ما عمل معها ثم انصرف فقال : معاذ ما أزعم ان رجلا افقه بالسنة من هذا) لم اجد هذا الحديث فيما كان عندى من المسانيد .

والحارث لعله هو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن ابي ذباب بضم المعجمة وموحدتين الدوسى بفتح الدال المهملة المدنى ، قال : الحافظ ابن حجر انه صدوق يهم مات سنه ست واربعين ومائة .

١- الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذباب ، الدوسى المدنى ، صدوق يهم ، من الخامسة ، مات سنة ست واربعين ، تقريب التهذيب ١٤٢/١ .

٢- ابو مسلم الخولانى هو عبد الله بن ثوب ، ثقة عابد ، عاش الى زمن يزيد بن معاوية ، تقريب التهذيب : ٤٧٣/٢ .

وأبو مسلم الخولانى اسمه عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل باشباع الواو وقيل ابن أثوب بمثلثة وزن احمر ، ويقال ابن عوف أو ابن مسلمه ، ويقال اسمه يعقوب بن عوف ثقة عابد رحل الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يدركه وعاش الى زمن يزيد بن معاوية ولما تنبى الاسود العنسى الكذاب باليمن استدعاه وامره ان يقر برسالته فأبى فامر بنار عظيمة فأججت وطرح فيها ابا مسلم فلم تضره فقال له اهل مملكته ان تركت هذا في بلادك أفسدها عليك فامره بالرحيل فقدم المدينة فقام الى اسطوانه يصلى فراه عمر فقال له ما فعل عدو الله بصاحبنا الذى حرقه بالنار فلم تضره قال ذلك عبد الله بن ثوب قال : نشدتك بالله تعالى أنت هو؟ قال : اللهم نعم قال : فقبل مابين عينيه وأتى به الى أبي بكر وقال : الحمد لله الذى لم يمتني حتى أراني في أمة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) من فعل به كما فعل بابراهيم الخليل ، وله مناقب جمة سردها ابن الجوزى في صفوة الصفوة . (١)

وقوله : (لما نزل معاذ حمص) بكسر المهملة وسكون الميم قال في القاموس انها كورة بالشام أهلها يمانيون انتهى .

ونزوله مع الجيوش التي جهزها عمر (رضى الله عنه) لمحاربة الشام بعدان

١- ورد في نسخة (هـ) وله مناقب جمة سردتها في كتابي روض الناظرين في تراجم الصالحين .

حاصرت الروم ابا عبيدة ابن الجراح ثم فتح الله على المسلمين ونزل بحمص طاعون فمات فيه ابو عبيدة ومعاذ وجميع الاشراف من المهاجرين والانصار .

ومعاذ هو ابن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى الانصارى الخزرجي كان يكنى بابي عبد الرحمن وكان اماما معتمدا في الحلال والحرام ، وقال الواقدى كان من أجمل الرجال وشهد المشاهد كلها وشهد بدرا وهو ابن احدى وعشرين سنة وامره النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) على اليمن وقال له قد طيبت لك الهدية فان أهدى لك شيئا فاقبل ذكره سيف في الفتوح .

وذكر أيضا انه قال له لما ودعه حفظك الله من بين يديك ومن خلفك ومن شمالك ومن فوقك ومن تحتك وذ رأعنك شر الانس والجن)

واخرج أبو داود عنه قال :قال لي النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) اني لأحبك ..... الحديث .

وقال عمر : (عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ) ، وكانت وفاته سنة سبع عشرة أو التي بعدها وهو قول الاكثر ، وعاش أربعا وثلاثين سنة (١) .

وقوله : (ما ترى أى ما رأيك وحكمك في شأن رجل موصوف بهذه الصفات الا أنه شك في الله ورسوله ؟ ما تقول فيه بأنه مؤمن أو كافر ويدخل الجنة أم لا (٢) .

١- في النسخة (هـ) اختلاف تقديم وتأخير في العبارات في ترجمة معاذ بن جبل .

٢- لم ترد العبارة من (موصوف بهذه الصفات ......أم لا) في النسخة (هـ) .

وقوله : (وصل الرحم) بكسر الحاء المهملة ككتف يعنى القرابة واصلها واسبابها جمعه ارحام والرحم اشد مبالغة من الرحمة التى هى رقة القلب لاستلزام القرابة الرأفة وصلة الرحم كناية عن الاحسان الى الأقربين من ذوى النسب والاجبهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم سواء قربوا ام بعدوا قطعوا او وصلوا وصل رحمه يصلها وصلا ووصلة فكانه بالاحسان اليهم وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر .

وقوله (وبر) بفتح الموحدة وتشديد الراء المهملة فعل الماضى من البر بالكسر وهو الاحسان وجاء بمعنى الشفقة ومن ذلك ما ورد تمسحوا بالارض فانها بكم بره أى مشفقة عليكم كالوالدة وجاء بمعنى الاجابة ، ومنه قوله (لأبره) (١) أى لا جابه وكل هذه المعانى يمكن اعتبارها في هذا المحل والله أعلم .

وقوله : (وصدق) الحديث بفتح الصاد المهملة والدال المهملة مع تخفيفة فعل ماض اى استعمل الصدق في جميع كلامة ولم يخبر الا ما وافق الواقع وطابق الاعتقاد وهذا تفسير الصدق عند الحافظ وعند الجمهور صدق الخبر ما طابق الواقع. وكذبه مالم يطابق الواقع وقيل صدق الخبر مطابقتة للاعتقاد وكذبه ما خالف الاعتقاد .

وقوله : (وأدى الأمانة) أى : دفع الى الاخر ما حفظ له لديه والأمانة هى

١- فى النسخة (هـ) ومنه قوله لو أقسم على الله لأبرة ....) .

كل حق لزمك أداءه وحفظه .

وقال : القرطبي والأمانة تشمل اعدادا كثيرة لكن امهاتها الوديعة واللقطة والرهن والعارية ثم انها كما تراعى في حق العباد كذلك تراعى في حقوق المولى تعالى وتقدس.

وقوله : (وعف بطنه) بفتح العين المهملة وتشديد الفاء أى أدخل في بطنه ما يحل له من الاطعمة أو صان بطنه عما لا يحل له من المطعومات أصلا كالخمر والميتة والخنزير أو تبعا ككونه ملك الغير أو مأخود منه على سبيل القهر والغصب والتعفف والعفاف الكف عن الحرام وقيل هو الصبر والنزاهة عن الشئ .

وقوله : (وفرجه) أى : كف فرجه عن مجامعة مالا يحل له .

وقوله : (وعمل ما استطاع من خير) كعتق الرقاب وحفر الابار واجراء المياة (١) لمنفعة الناس ونحو ذلك من الاعمال المقربة الى الله تعالى .

وقوله : (غير انه شك في الله) معناه ان لا يعتقد وحدانية تعالى أو اعتقدها ولم يعتقد بعثه له بعد الموت وشك فيما وعد الله تعالى به المؤمنين وتوعد به الكفار.

وقوله : (ورسوله) المراد منه محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) فانه الفرد الاكمل في الرسل وهو سيد المرسلين تفضلا من رب العالمين والشك فيه ان لا يعتقد رسالته كاليهود والنصارى ولو امنوا بالله تعالى .

وقوله : (انها) أى : حالة الشك في الله ورسوله تحبط ما كان معها من

١- ورد عباره (بناء المساجد والرباطات لمنفعه الناس بعد كلمه المياة في النسخه هـ .

الأعمال أى تسقط ما عمل من الخصال الرضية فتكون الطاعات عند وجود الشـــك ساقطة الاعتبار غير ملحوظة بعين القبول فان أساس الدين شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ومهما خلى عنها انّى يثبت له بناء الطاعات .

وقوله : (فما ترى في رجل ركب المعاصى) أى : ارتكبها واقترفها قال في القاموس ركب الذنوب اقترفه كارتكبه انتهى .

ويقال ركب فلان فلانا اذا تبعه وجاء على أثره.وههنا اذا كان الرجل متتبعا للمعاصى كان راكبا لها والله أعلـم .

والمعاصى مشتقة من العصيان (١) وهو خلاف الطاعة فكلما خالف ما أمره ربـه أواتى ما نهاه عنه الله تعالى كان ذلك معصية .

وقوله : (وسفك الدماء) عطف خاص على عام لأنه داخل في المعاصى ، والمراد انه اراق دماء لا تحل له اراقتها ، اما بطعن أو قتل أو نحو ذلك من البغـــى .

وأما اذا قطع يد السارق وفعل ما اذن الله تعالى به من القصاص ونحو ذلـك فقد ابتغى بذلك مرضاة الله تعالى .

وقوله : (واستحل الفروج والأموال) أى : عاملها معاملة المستحل لها من انتهاكة في الزنا وعدم المبالات بالنساء التى لا تحل له وبطشه باموال الناس ولا يبالى بها

١- جاء في نسخة (هـ) (والمعاصى جمع معصيه من العصيان) .

امن الحلال أم من الحرام وليس المراد الا ستحلال حقيقة فان استحلال الحرام كفر كعكسه فافهم.

وقوله : (غير انه شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا) أى : صادقا من قلبة غير شاك في الشهادتين ظاهرا وباطنا .

وقوله : (أرجو) أى : أرجو في حقه دخول الجنة (١) .

وقوله : (واخاف عليه)أى : بسبب معاصية وارتكابه المحرمات ان يعذبه الله تعالى قبل دخول الجنة .

واتى معاذ (رضى الله عنه) بكلام موجز مجمل (٢) لئلا يتكل الناس عليه فانه لو قال ان الله يعذبه على ما صنع كان ذلك خلاف ما دلت عليه الاية (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ولو قال ان الله تعالى يدخله الجنة فهذا وان كان موافقا لما أخرجه الشيخان عنه مرفوعا : (ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار) (٣) لكان خلاف مقصود الشارع (صلى الله تعالى عليه وسلم) فانه كان استاذن في اخبار الناس بهذه البشارة العظمى فأجاب (صلى الله تعالى عليه وسلم) عليه بقوله اذا يتكلوا

١- ورد في نسخه (هـ) قال معاذ أرجو أى في حق ذلك الرجل دخول الجنة.
٢- ورد في نسخه (هـ) بعد مجمل:فقره تختلف بين تقديم وتأخير في العبارات .
٣- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١ / ٢٤٠ ، ٢٤٢ .

فالا تكال غير مطلوب من الامة ولذلك لم يخبر بها معاذ الا عند موته خشيه من وقوعه في اثم كتمان العلم .

وقوله : (الفتى) أى : الشاب السائل عن معاذ .

وقوله : (ان كانت) أى : حالة الشك احبطت ما عمل معها من عمل اى من الطاعات ما تضر هذه أى الشهادة مع الاخلاص ما عمل معها فاعل.تضر اى المعاصى لا تضر الشهادة كما أن الطاعات لا تؤثر عند عدمها كذلك المعاصى لا تؤثر عند وجودها .

وقوله : (افقه بالسنة من هذا) مدح من معاذ لذلك فيما فهمه من طئ القصد فى عبارته المجملة وهى أرجو وأخاف عليه نعم ربما يتوهم من لا فطنه له ان هذا الحديث مؤيد لمذهب المرجية .

فقد ذكرنا الجواب عنه وعن ما جاء موافقا لمعنى هذا الحديث في حديث جابر فان شئت فارجع اليه والله أعلم .

الحديث :الحادى والعشرون

حماد عن أبي حنيفة عن ابن مالك الأشجعي (١) عن ربعي بن حراش (٢) عن حذيفة (٣) قال : يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب ولا يبقى الا شيخ كبيرا وعجوز فانية يقولون قد كان قوم يقولون (لا اله الا الله) وهم ما يقولون (لا اله الا الله) قال : فقال صلة بن زفر فما يغني عنهم يا عبد الله (لا اله الا الله) وهم لا يصومون ولا يصلون ولا يحجون ولا يتصدقون قال : ينجون بها من النار ثم قال الثانية يمد بها صوته يا صلة ينجون بها من النار) (٤) هذا الحديث اخرجه ابن ماجه (٥) من حديث ابي معاوية عن أبي مالك بهذا الاسناد غيران حذيفة قال :(قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة)

حماد هذا هو أبو اسماعيل بن الامام الاعظم (٦) .

١- هو سعد بن طارق ،ابو مالك الاشجعي الكوفي ، ثقة ، من الرابعه مات في حدود الاربعين : تقريب التهذيب : ١/ ٢٨٧ .

٢- ربعي بن حراش،ابو مريم العبسي ،الكوفي ثقه عابد مخضرم ، من الثانية مات سنة مائة وقيل غير ذلك ، تقريب التهذيب : ١/ ٢٤٣.

٣- حذيفة بن اليمان ، هو وابوه صحابيان ، مات في أول خلافة على سنة ست وثلاثين ، تقريب التهذيب : ١/ ١٥٦.

٤- ورد في نسخة (هـ) وما رواه الامام موقوفا كما تراه عن أبي مالك الاشجعي .

٥-٦ سنن ابن ماجه ، حديث رقم (٤٠٤٩) ٢/ ١٣٤٤ ، باب ذهاب القران والعلم ، عن حذيفة بن اليمان .

أبي حنيفة كان (رحم الله تعالى) على مذهب أبية وهو في طبقة أبي يوسف ومحمد وزفر وحسن بن زياد وكان من الصلاح والخير على قدم عظيم .

قال : الفضل بن دكين تقدم حماد بن النعمان الى شريك بن عبد الله في شهادة فقال : له شريك والله انك لعفيف النظر والفرج خيار مسلم ، ولما توفي أبوة كانت عنده ودايع كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك وأربابها غائبون وفيهم ايتام فحملها حمار الى القاضي فقال : له القاضي ما نقبلها منك ولا تخرجها من يديك فانك اهل لها وموضعها فقال : حماد للقاضي زنها واقبضها حتى تبرى ذمة ابى حنيقة ثم افعل ما بدا لك ففعل القاضي ذلك وبقى في وزنها اياما فلما كمل وزنها استتر حماد اياما فلم يظهر حتى دفعها لغيره وتفقه عليه ابنه اسماعيل ، وكان اسماعيل قاضيا بالبصرة وعزل عنها بالقاضي يحى بن اكثم وكانت وفاة حماد في ذى القعدة سنة ست وسبعين ومائة وانما ذكر حماد هنا بناء على ان له احاديث ذوات العدد عن ابيه فالحقتها في الابواب المناسبة لها .

واما ابو مالك الأشجعى واسمه سعد بن طارق الكوفي وثقة احمد وابن معين وقال أبو حاتم صالح الحديث يكتب حديثه قال الذهبى ولأبيه صحبه قال :الحافظ مات في حدود الأربعين ومائة .

وربعى بن حراش بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وتشديد التحتية وحراش بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء المهملة والشين المعجمة

بن جحش بن عمر بن عبد الله العبسي الكوفي العابد الورع يقال لم يكذب في الاسلام كذبة وهو من جلة التابعين وكبارهم ونقل ابن الجوزى عن الحرث الغنوى قال آلى ربعى بن حراش ان لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار قال : الحارث فلقد اخبرتنى غاسلة انه لم يزل مبتسما على سريرة ونحن نغسله حتى فرغنا منه ويقول قدمت على رب كريم ولهذا قيل انه تكلم بعد موتة (١) .

وحذيفة بن اليمان العبسى من كبار الصحابة كان أبوه قد أصاب دما فهرب الى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه اليمان لكونه حالف اليمانيين والا فاسم والده حسل بكسر الحاء المهملة وسكون السين المهملة وقيل حسيل بالتصغير اراد حذيفة ووالده شهود بدر فصدهما المشركون وشهدا احدا ومات بها شهيدا وحذيفة هو الذى أسر اليه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) بما كان حتى تقوم الساعة واستعمله عمر (رضى الله عنه) على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة على (رضى الله تعالى عنه) باربعين يوما وذلك في سنة ست وثلاثين .

وقوله (٢) يدرس الاسلام مشتق من درس الرسم دروسا عفا ويدرس الاسلام على

---

١ - ورد في نسخة (هـ) العبارة التالية بعد موتة فقد سردت مناقبه في روض الناظرين في أخبار الصالحين ..

٢- في النسخة (هـ) قال اى حذيفة على موجب ما رواه الامام عن أبي مالك والا فبحسب رواية أبي معاوية قال قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يدرس الاسلام . . . .) .

بناء الفاعل أي يطمس فيكون لازما أو على بناء المفعول فيكون متعديا فيكون من قيل درسته الريح وقوله كما يدرس وشي الثوب أي نقشه ويكون من كل لون وشي الثوب كرعى وشيا وشيته حسنته نمنمه ونقشه وحسنه ومراده ان الثوب اذا بلى فلا يزال نقشه ينطمس مرة بعد مرة كذلك الاسلام لا يزال تنطمس شرايعة مره بعد اخرى .

ووقع عند ابن ماجه يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسرى على كتاب الله تعالى في ليلة واحدة فلا يبقى في الارض منه اية (١) .

وقد اخرج الطبراني في الكبير باسناد حسن عن عبد الله بن عمر وقال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ان الايمان ليخلق في جوف احدكم كما يخلق الثوب فاسلوا الله يجدد الايمان في قلوبكم) (٢) .

وأخرج الحاكم واحمد والطبراني في الكبير عن أبي امامة مرفوعا : (قال لينقض عرى الاسلام عروة عروة كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاة) (٣) ورجال احمد ثقات .

١- سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ٢ / ١٣٤٤ الحديث رقم (٤٠٤٩) عن حذيفة بن اليمان ، باب ذهاب القران والعلم .
٢- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١ / ٥٢ ، باب تجديد الايمان .
٣- انظر الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد : ١ / ١١٧ ، حديث رقم (١٠٥) باب الوقت الذى يضمحل فيه الايمان .

وأخرج أبو يعلى عن علقمة بن عبد الله المزني قال : ثني رجل قال : كنت في مجلس فيه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمدينة فقال : لرجل من القوم يا فلان كيف سمعت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ينعت الاسلام فقال : سمعت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول ان الاسلام بدا جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سدسا ثم بازلا فقال : عمر فما بعد البزول الا النقصان) (١) وفي اسناده راو لم يسم وبقية رجال ثقات.

وفي معناه ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعا : (بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء) (٢) فاخرجه الترمذي عن ابن مسعود واحمد والطبراني في الاوسط عن عبد الله بن عمر وفي اسناده ابن لهيعه والبزار عن عمرو بن عوف وفي طريقة ليث بن أبي سليم وهو مدلس والطبراني عن سهل بن مهر باسناد رجاله ثقات . وكذلك أخرج في الاوسط (عن جابر بن عبد الله باسناد فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف ، وقد وثق واخرجه فيه عن ابن عباس باسناد فيه ليث بن سليم .

١- انظر الفتح الرباني لترتيب مسند الامام : ١/١١٥ ، ١١٦ ، حديث رقم (١٠٣) باب الوقت الذي يضمحل فيه الايمان ، ومعنى فما بعد البزول الا النقصان أي أن الاسلام استكمل قوته وسيأخذ في النقصان .

٢- انظر فتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد عن أبي هريرة : ١/١١٥ حديث رقم (١٠١) باب الوقت الذي يضمحل في الايمان ، وفي لفظه ان الدين بدأ غريبا ......) وفي رواية أخرى لاحمد بدا الاسلام .....) .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعا : (ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تارز الحية الى حجرها) (١) .

وأخرج الرامهرمزي في الامثال عن أبي هريرة مرفوعا : (يوشك ان ينطوي الاسلام في كل بلد الى المدينة كما تنطوي الحية الى حجرها) وقد فسر النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) الغرباء بالذين يصلحون عند فساد الناس(٢)

وفي حديث آخر بأناس صالحين في اناس سوء كثير يعصيهم اكثر من يطيعهم .

فحاصله ان هذه كلها مقدمات الانطماس والاندراس واخره حتى لا يقال في الارض الله كما جاء في الاحاديث الصحيحة .

وقوله : (لا يبقى الا شيخ كبير) أي : في السن أو عجوز فانية أي امراء ذاهبة القوى من طول عمرها ، والمراد من ذلك انه ربما وجد في آخر الزمان من له عمر طويل قد ادرك بعض اهل الاسلام المتصفين بقول (لا اله الا الله) مع انهم ما كانوا يعملون شيئا من شرائع الاسلام كالصلاة والزكاة .

١-٢ ٠انظر شرح السنه للامام البغوي تحقيق الشاويش وشعيب الارنا وءط : ١/ ١١٩ ٠
وانظر الفتح الرباني الحديث رقم (١٠٠) : ١/ ١١٥ باب الوقت الذي يضمحل فيه الايمان ، والحديث عن عبدالرحمن بن سنه (رضي الله عنه) أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول ....
بدأ الاسلام غريبا ثم يعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يارسول الله ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون اذا أفسد الناس ، والذي نفسي بيده لينحازن الايمان الى المدينة كما يحوز السيل والذي نفسي بيده ليأرزن الاسلام الى ما بين المسجدين كما تأرز الحية الى حجرها .

وفي رواية ابن ماجه ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الغانسية يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة (لا اله الا الله) (١) فصاروا اولئك على تلك الحالة يخبر عن شأنهم كما يخبر عن الغرباء وهذا غاية انمحاء اثار الاسلام وانطماس انوار الايمان .

وقوله :(وهم ما يقولون لا اله الا الله يعني ان ذلك الشيخ الكبير او العجوز الغانية ومن كان في عصرهما غير مسلمين بحيث يستغربوا الكلمة وقائليها نعوذ بالله تعالى من الفتن .

ووقع عند ابن ماجه فنحن نقولها (٣) فهذا يبين ان الشيخ الكبير ومن كان في عصرة متصفون بالايمان .

الحاصل من كلمة التوحيد وهذا الاقرب ويمكن ان تكون لفظة ما الواقعة في حديث الباب(٢) في قوله وهم يقولون لا اله الا الله وقعت غلطا من الناسخ والله أعلم

وقوله : فقال صلة بن زفر بكسر الصاد المهملة وتخفيف اللام وزفر بضم الزاي وفتح الفاء يكنى بابي العلا العنسي الكوفي احد اعيان التابعين كان حذيفة يقول قلب صلة بن زفر من ذهب .

١-٣ سنن ابن ماجه بحديث رقم(٤٠٤٩ ، ٢/ ١٣٤٤ ، باب ذهاب القران والعلم.

٢- في النسخة (هـ) العبارة التالية (لفظه ما الواقعه في رواية الامام .

وأخرج أبو نعيم عن أبي عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال بلغنا ان النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال يكون في امتى رجل يقال له صلة يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا وهو زوج معاذة العدوية وقتل رحمه الله شهيدا في اول إمرة الحجاج العراقى .

وقوله يا عبد الله ليس هو اسم لحذيفة وانما هو من قبيل خطاب العرب للرجل الذى لا يعرفون اسمه يا عبد الله او يا اخا العرب .

وانما دعاه بعبد اللـــه لأن فيه تشريفا له وتعظيما وتنويها (لا تدعنى الا بيا عبدها فانه من اشرف اسمائى) (١)

وخطاب العبدية خطاب عظيم ، ومنه قوله تعالى (ان عبادى ليس لـــك عليهم سلطان) (٢) الآية .

وقوله : وهم لا يصومون . . . . .الخ وعند ابن ماجه وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعـــرض عنه حذيفة ثم اقبل عليه في الثالثة ، قال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا ومقصود صلة في تكرار ما ذكره .

استبعاد تأثير كلمة الشهادة عند عدم وجود شرائع الاســلام .

١- وردت العبارة التاليـة في نسخه (هـ) تشريفا وتنويها بشانه

٢- سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

وقوله : ينجون بها أى بكلمة الشهادة المجردة عن النار بعد تعذيبهم بـــها يؤل (١) امرهم الى الخروج منها .

ويؤيد ذلك ما وقع عند مسلم من حديث انس بن مالك في احاديث الشفاعة فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال (لا اله الا الله) قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذلك اليك ولكن عزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال (لا اله الا اللـــه) (٢) .

وقوله (٣) ثم قال الثانية أى قال مرة أخرى حال كونه يمد بها صوته أى يرفـــع صوته اعلاما له بجلالة قدر هذه الكلمة وتنويها بشأنها. ومن هنا قيل يجوز للعالم ان يرفع صوته بالعلم اذا دعت الحاجة اليه كبعد أو كثرة جمع وكما اذا كان في موعظة. كما ثبت ذلك في حديث جابر كان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته اخرجه مسلم (٤) .

وعند احمد من حديث النعمان بزيادة حتى لوان رجلا بالسوق لسمعه وكذلـك اذا رأى منكرا كما ثبت رفع صوته (صلى الله عليه وسلم) بويل للاعقاب من النـــار وكذلك اذا كان المخاطب مترددا في حقيقة ما يلقى اليه فيرفع صوته دفعا لرده وتنشيطا للمخاطب ليصغى الى الخطاب بكليته حتى لا يبقى له في ذلك شك أصلا وذلك كما وقع في حديث حذيفة فافهم والله أعلـــم .

١- في نسخة (هـ) يؤول

٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٣/٢ / ٦٤ ، أبواب الشفاعة .

٣- في النسخة (هـ) (قال أى حذيفة في المره الثانيه يمد بها أى بالمرة الثانية صوته . .)

٤- انظر رياض الصالحين ، النووى ص ٩٢ ، باب في النهى عن البدع ومحدثات الامور والحديث عن جابر (رضى الله عنه) .

الحديث : الثاني والعشرون

أبو حنيفة والمسعود (١) عن يزيد (٢) قال : كنت أرى رأي الخوارج فسألت بعض أصحاب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فأخبرني ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : بخلاف ما كنت أقول فانقذني الله تعالى بك هذا الذى شارك الامام الاعظم رحم الله تعالى في روايتة عن يزيد هو مسعود بن مالك الأسدى الكوفى .

قال : الحافظ فيه مقبول وقد تابعهما أيضا أبو عاصم محمد بن أيوب عند مسلم (٣) عن يزيد ابن صهيب ويزيد هو ابن صهيب بضم الصاد المهملة وفتح الهاء الفقير بتقديم الفاء على القاف وانما لقب به لأنه كان يشكو فقار ظهره لا انه ضد الغنى .

وقوله : رأى الخوارج أى اعتقادهم بان أهل الكبائر كفار مخلدون في النار لا تقبل شفاعة شفيع في حقهم لقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (٤) .

١- مسعود بن مالك الاسدى الكوفى ، مقبول من السادسة ، تقريب التهذيب ٢٤٣/٢ .، جاء في تنسيق النظام والمسعر وفي شرحه المسعودى وفى جامع المسانيد المسعودى ، وفى النسخة (هـ) والمسعود ، انظر جامع المسانيد ١٧٠/١ .

٢- يزيد بن صهيب الكوفي ، ابو عثمان ، المعروف بالفقير ، قيل له ذلك لأنه كان يشكو فقار ظهره ، ثقه من الرابعة ، تقريب التهذيب : ٣٦٦/٢ .

٣- انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٣ / ٥٠ ، باب خروج عصاه المؤمنين من النار وفي السند حدثنا حجاج ابن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا ابو عاصم يعني محمد بن أيوب قال حدثني يزيد الفقير (قال كنت قد شغفني رأى من رأى الخوارج ....)

٤- سورة المدثر ، الآية : ٤٨ .

وقوله عز وجل (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (١) وكل من الآيتين انما ورد في شأن الكفار المشركين فان قبل الآية الأولى وكنا نكذب بيوم الدين ولا شك ان من لم يؤمن بالاخرة كافر ، ووقع في الآية الثانية ما للظالمين وقد فسر الظلم بقوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) .

وليس في كل من الآيتين دليل على ان المؤمن يخلد في النار بارتكابه الكبائر كما زعمت الخوارج (٢) .

وقوله : بعض أصحاب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلة يريد جابر كما سيأتي في شرح الحديث الاتي والله أعلم .

وقوله : بخلاف ما كنت أقول وهو خروج الموحد من النار وعدم خروجه منها ودخوله في الجنة كما سيأتي .

وقوله : فانقذني الله بك لعله غلط من الناسخ والصواب فانقذني الله تعالى به أى بذلك المروى عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) أو بذلك الصحابي الذى روى والله أعلم .

١- سورة غافر ، الآية : ١٨ .

٢- ورد في نسخة (هـ) بعد كلمة الخوارج وعند مسلم (قال يزيد كنت قد شغفني رأى الخوارج ......) ثم ورد عبارات غير موجودة في النسخة (س) الى عبارة فسألت بعض اصحاب النبي ....) .

الحديث : الثالث والعشرون

أبو حنيفة عن يزيد بن صهيب عن جابر بن عبد الله عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال يخرج الله تعالى من النار من اهل الايمان بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال يزيد فقلت ان الله تعالى يقول وما هم بخارجين منها قال : جابر ما قبلها ان الذين كفروا انما هي في الكفار .

وفي رواية يخرج قوم من أهل الايمان بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : يزيد قلت ان الله تعالى يقول وماهم بخارجين منها فقال : جابر اقرا ما قبلها ان الذين كفروا ذلك الكفار .

وفي رواية عن يزيد قال : سألت جابرا عن الشفاعة فقال : يعذب الله تعالى قوما من أهل الايمان بذنوبهم ثم يخرجهم بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقلت : فأين قول الله عز وجل فذكر الحديث (١) .

قد مضى فيما سلف يزيد بن صهيب الفقير .

واما جابر فهو ابن عبد الله بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن السلمي

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٣/ ٥٠ ، باب خروج عصاه المؤمنين من النار ، باب (قال يزيد فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم ....) وساق حديث بمعنى قريب من هذا الحديث .

يكنى بابي عبد الله وأبي عبد الرحمن وأبي محمد اقوال وهو احد المكثرين من الصحابة وله ولابيه صحبة ، وفي الصحيح عنه انه كان مع من شهد العقبة .

وروى البخارى في تاريخه باسناد صحيح عن ابي سفيان عن جابر قال كنت أميح أصحابى الماء يوم بدر وعن الزبير ان جابرا حدثهم قال : غزا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) احدى وعشرين غزوة بنفسه شهدت منها تسع عشرة وقد كف بصره في اخره عمره .

ويروى عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) استغفر له ليلة الجمل خمسا وعشرين مرة وكانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ العلم عنه توفي سنة ثلاث وقيل اربع وقيل سبع وقيل ثمان وسبعين وقيل انه عاش اربعا وتسعين سنة .

وقوله : من أهل الايمان أى من الموحدين الذين باشروا المعاصى واستحقوا بسببها دخول النار ولا يتم لهم دخول النار الا بعد شفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) فانه يطول بهم الانتظار للفصل وتدنوا الشمس من جماجم الناس ويكثر العرق فربما غرق بعضهم في عرقة بعد ان يوشح في الارض قامه ويبلغ بعضهم الى فيه فيلجمون وبعضهم اقل وكل ذلك انما يتفاوت بقدر اعمالهم فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ويشتد عليهم حر الشمس فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون ادم فيقولون انت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة

فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم
ويذكر خطيئته اكله من الشجرة وقد نهى عنها ويقول هل أخرجكم من الجنة الا خطيئة
أبيكم وان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني
اخطأت وانا في الفردوس فان يغفر لي اليوم حسبي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى
غيري ولكن ائتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى أهل الأرض فيأتونه فيقولون يا نوح
انت أول الرسل الى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك
فان الله اصطفاك واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا
فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب ويقول اني دعوت بدعوة اغرقت أهل
الأرض ويذكر سؤاله ربه ماليس له به علم ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا
فيأتون فيقولون يا ابراهيم انت نبى الله وخليله من أهل الأرض قم فاشفع لنا الى
ربك فيقول هناكم ويذكر خطيئته التى اصاب فيستحى ربه منها ويقول انى كنت
كذبت ثلاث كذبات ولكن أتوا موسى الذى كلم الله واعطاه التوراه وقربه نجيا
فيأتونه فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وكلامه على الناس اشفع
لنا فيقول لست هناكم ويقول انى قتلت نفسا لم اومر بقتلها ائتوا عيسى روح الله
وكلمته وعبد الله ورسوله فانه كان يبرئ الاكمة والابرص ويحى الموتى باذن الله
فيأتونه فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت
الناس في المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول لست هناكم

اني عبدت من دون الله واتخذت الها من دون الله ان يغفر لي اليوم حسبي ائتوا محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه فيكون نبينا (صلى الله تعالى عليه وسلم) قائما ينتظر امته تعبر الصراط اذا جاء عيسى فقال يامحمد هذه الانبياء قد جاءتك يسألون ان تدعوا الله ان يفرق جمع الأمم الى حيث يشاء لغم ماهم فيه فيأتون فيقولون يا نبي الله أنت الذي فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم وما تأخر وادركت في هذا اليوم أمنا وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيحوش الناس حتى تنتهي الى باب الجنة فهنالك والله أعلم . (١)

يقال من كان يعبد شيئا فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت ويبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر فيأتيهم الله تعالى في غير الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه .

ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فيكون النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ احد الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل

ثم ينجو حتى اذا فرغ الله تعالى من القضاء بين عبادة واراد رحمة من اراد من اهل النار (١) فيشفع النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) والانبياء ويقول آدم يا رباه حرقت بني وكذلك المسلمون يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا.هنا الحديث فتشفع الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون واعظمهم شفاعة نبينا محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيأذن الله تعالى ملائكة فيخرجون الموحدين من النار ويعرفونهم باثار السجود وحرم الله على النار ان تأكل اثر السجود وكل ابن ادم تأكلها النار الا اثار السجود (٢) .

وهذا فضل من الملك المعبود فهذا خلاصة ما استنبطه من الأحاديث الصحيحة على حسب اختلاف رواياتها توضيحا لكيفية خروج المؤمنين من النار ولم التزم فيما ذكرت لفظ حديث أو رواية أصلا وانما لقطت المحتاج اليه في المقام وجمعته ههنا تبيينا للفائدة والله الموفق (٣) .

اذا علمت هذا فاعلم ان لفظة من في قوله أهل الايمان للتبعيض فيحتمل هذا

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٣/ ١٨، ٢٢ ، ابواب اثبات رؤيه الله تعالي وصفة الصراط .

٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/٣ / ٢٢ ، باب الاعضاء التى لا تأكلها النار .

٣- ورد في نسخه (هـ) (والله الموفق.من أهل الايمان يحتمل أن تكون من بيانيه يعنى انما يخرج من النار من كان من أهل الايمان وأما الكفار فلا خروج لهم أصلا ويحتمل أن تكون للتبعيض فيحتمل أمرين الاول ان يكون المراد من ذلك خروج الموحدين) (وورد بعد ذلك اختلاف فى الشرح.

ان يكون المراد من ذلك ان خروج الموحدين من النار لا يكون مرة واحدة بل لا يزالون يخرجون شيئا فشيئا .

ويؤيد ذلك ما رويناه في البخارى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعره من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة خير) (١) .

وأصرح من ذلك ما أخرجه مسلم في حديث أنس فاستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليه الا ان يلهمنيه الله ثم اخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه لك واشفع تشفع فاقول رب امتى امتى فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بره او شعيرة من ايمان فاخرجوه منها فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد ثم اخرله ساجدا فيقال لي يا محمد ارفيع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فيقول امتى امتى فيقال لى انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل ثم ارجع الي ربى في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع وقل يسمع لك تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب إئذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك اليك

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٢/٣ / ٦٢ ، ٦٤ ، باب الشفاعة .

ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لا خرجن من النار من قال لا اله الا الله (١) فهذا الحديث صريح في ان خروج المؤمنين انما يكون قليلا قليلا .

ويحتمل ان يكون المراد بالتبعيض ان بعض الموحدين يخرجون بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وبعضهم يخرجون بشفاعة غيره كما أسلفناه وبينا ذلك كما أخرجه مسلم من حديث ابي سعيد ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال في حديث الشفاعة حتى اذا خلص المؤمنون فوالذى نفسه بيده ما من احد منكم باشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لا خوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبة مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احد ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا .

وكان ابو السعيد الخدرى يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرأوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا

عظيما) فيقول الله عزوجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما) الحديث (١) .

وقوله : (شفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) ، قال ابن دقيق العيد : والشفاعات الاخروية خمس آحدها بشفاعة محمد (صلى الله تعالى وسلم) في اراحة الناس من طول القيام بتعجيل حسابهم وهي شفاعة تختص له (صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا ينكرها المعتزلة .

وثانيها الشفاعة في ادخال قوم الجنة دون حساب وهذه أيضا قد وردت لنبينا (صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا أعلم الاختصاص فيها ، قلت : ودليل هذه الشفاعة ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) مرفوعا في حديث الشفاعة فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح اللهعلي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لاحد قبلي ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول : ياربي أمتي ، فيقال : يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) الحديث (٢) .

١- انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣/٣٠-٣٢ باب اخراج عصاة المؤمنين من النار .

٢- انظر: صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/٣/١٩ باب الشفاعة .

قال وثالثها قوم استوجبوا النار فيشفع في عدم دخولهم لها وهذه أيضا قد تكون غير مختصة قلت ودليل هذه الشفاعة ما أخرجه مسلم من حديث حذيفة ونبيكم قائم حتى الصراط يقول رب سلم سلم (١) .

قال ورابعها قوم دخلوا النار فيشفع في خروجهم منها وهذه قد ثبت فيها عدم الاختصاص.

وخامسها الشفاعة بعد دخول الجنة في زيادة الدرجات لأهلها انتهى (٢)

قلت ودليل هذه ما أخرجه مسلم عن أنس مرفوعا (٣) .

انا اول شفيع في الجنة ووجه الدلالة منه انه جعل الجنة ظرفا لشفاعته واشار النووي في الروضة ان هذه الشفاعة من خصائصه (صلى الله تعالى عليه وسلم) مع انه لم يذكر مستندها وعد القاضي عياض تخفيف العذاب عن ابي طالب شفاعة (٤) .

سادسة وزاد بعضهم شفاعة .

سابعة وهي لأهل المدينة كما أخرجه مسلم عن سعد مرفوعا : (لا يثبت على لاوائها احد الاكنت له شهيدا وشفيعا) وله شاهد من حديث ابي هريرة مرفوعا :

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ / ٧٢- ٧٣ باب رؤيه الله سبحانه وتعالى .

٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ / ٣٥- ٣٦ باب اثبات الشفاعة .

٣- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ / ٧٢-٧٣ باب رؤيه الله سبحانه وتعالى .

٤- في صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ / ٨٤ باب التخفيف عن أبي طالب بسبب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث (لولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار) .

عند الترمذى (من استطاع ان يموت بالمدينة فليفعل فانى اشفع لمن مات بهـا)

قال الحافظ وهذه في الحقيقة تدخل احد الخمس السابقة ولوعد مثل ذلك .

لعد حديث عبد الملك بن عباد مرفوعا : (اول من اشفع لأهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف) أخرجه البزار والطبرانى -

وأخرج الطبرانى من حديث ابن عمر رفعه (اول من اشفع له أهل بيتي ثـم الاقرب فالاقرب ثم سائر العرب ثم الاعاجم) .

وذكر القزوينى في العروة الوثقى (شفاعته لجماعة من الصلحاء في التجاوز عن تقصيرهـم) ولم يذكر مستندها .

قال ويظهرلي انها تندرج في الخامسة وزاد القرطبى انه أول شافع في دخول امته الجنة قبل الناس وهذه افردها النقاش بالذكر وهي واردة وزاد النقـاش شفاعته لأهل الكبائر من امته وليست واردة لانها تدخل في الثالثة والرابعـة وظهرت لي بالتتبع شفاعة اخرى وهى الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته ان يدخل الجنة ومستندها ما اخرجه الطبرانى عن ابن عباس قال السابق يدخـل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه واصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) .

وارجح الاقوال في أصحاب الأعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .
وشفاعة اخرى وهي شفاعته (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيمن قال لا اله

الا الله ولم يعمل خيرا قط ، وقد ذكرنا دليله فيما أخرجه مسلم عن أنس يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك أو قال ليس ذلك اليك . . .) (١) وهذا ليس بقادح قبول الشفاعة ، لأن النفي يتعلق بمباشرة الاخراج بمعنى انه لا يتولى اخراجهم كما تولى اخراج الاولين والا فنفس الشفاعة منه قد صدرت وقبولها قد وقع وترتب عليه اثرها فالوارد على الخمسة التي ذكرها ابن دقيق العيد اربعة وما عداها لا يرد) (٢) .

وقوله : قال يزيد فقلت أي في معرض الاعتراض على ما ذكره ان الله تعالى يقول (وما هم بخارجين منها) .

قال ابن بطال انكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من ادخل النار من المذنبين وتسكوا بقوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وغير ذلك من الايات .

قلت قد أخرج مسلم عن يزيد قال خرجنا في عصابه نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا بالمدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس الى ساريه عن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : فاذا هو قد ذكر الجهنميين

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٠٢ // ٦٤ باب الشفاعة .
٢- ورد في نسخة (هـ) بدل كلمة لا يرد عبارة ليس بوارد .

قال : فقلت له يا صاحب رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ما هذا الذى تحدثون والله تعالى يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما أرادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذى تقولون قال أتقرأ القران ؟! قلت : نعم قال : أسمعت بمقام محمد الذى يبعثه الله ؟ قلت : نعم قال : فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج من النار بعدان يكونوا فيها ثم نعت الصراط ومرور الناس عليه قال : فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد (١) .

قلت وقد ظهر لى من كتاب الله تعالى ما يرفع اشكالاتهم الفاسدة ودعاويهم الكاسدة وذلك قوله تعالى (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) (٢) وهذا بعد قوله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا)(٣) وهذا صريح في خروج المتقين عن الشرك من النار والله أعلم .

وقوله قال جابر اقرا ما قبلها ،ان الذين كفروا يعنى بذلك الآية التى في سورة المائدة (ان الذين كفروا لوان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون ان يخرجوا من النار

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٣٠٢ / ٥٠ - ٥١ باب المقام المحمود
٢- سورة مريم ، الآية : ٧٢ .
٣- سورة مريم ،الآية : ٧١.

وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) (١) فلما كانت الآية المذكورة في سياق الـكفار .

قال جابر انما هي أى الآية المذكورة في الكفار (٢) .

وأخرج البخارى في الأدب المفرد وابن مردوية والبيهقي في الشعب عن طلـق بن ابن حبيب قال كنت من اشد الناس تكذيبنا بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل اية اقدر عليها يذكر الله تعالى فيها خلود اهل النار قال : يا طلق اتراك أقرا لكتاب الله تعالى واعلم بسنه رسول الله (صلى الله تعالى عليـه وسلم) منى ان الذى قرأت هم اهلها هم المشركون) الحديث (٣) .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة ان نافع بن الأزرق قال لابن عباس تزعم ان قومـــا يخرجون من النار وقد قال الله تعالى(وما هم بخارجين منها) فقال : ابن عبـاس ويحك اقرا ما فوقها هذه للكفار .

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة انه قال : له رجل فان الله تعالى يقول يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) قال : ويلك اولئك أهلها (٤) .

وأخرج ابن المنذر والبيهقي في الشعب عن اشعث انه قال : للحسن البصرى

١- سورة المائدة ، الآية : ٣٦ .
٢- انظر صحيح ابن حبان : ٩٥٥ / ٢٨٣ . (وورد في النسخة (هـ) بعد كلمة الكفار اختلاف يصعب مقابلته .
٣- في الادب المفرد طلق بن غنام الكوفى وليس ابن حبيب ، وله حديثان ليست في هذا الباب .
٤- ورد في نسخة (هـ) بعد كلمة أهلها وهى رواية الامام في هذا الحديث بالسند السابق كما ورد بعد ذلك زيادة في شرح النسخة (هـ) .

أرايت الشفاعة حق قال :نعم قال أرايت قول الله تعالى وماهم بخارجين منهـــا فقال ألا للنار اهل لا يخرجون منها كما قال الله تعالى .

وحاصله ان الخوارج اصل الطائفة المشهورة من المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة وينكرون خروج المذنبين من الموحدين من النار ويرون الكبائر محبطة للايمان موجبه للخلود في النار وكان الصحابة والسلف(١) الصالح ينكرون رأيهم الخبيث ويبالغون في رفع اوهامهم الباطلة وحججهم العاطلة ويتحدثون بما سمعوا من النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) (٢) .

وقوله في الرواية الثالثة من الحديث يعذب الله تعالى قوما من أهل الايمان بذنوبهم قد ذكرت فيما سبق انهم عند مرورهم على الصراط يتساقط المذنبون في النار مع انها بفضل الله تعالى لم تكن في حاله ورود الموحدين في النار الا خامده فافهم والله أعلم . (٣) .

١- ورد في نسخة (هـ) وكان الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح ....)

٢- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/ ٣٥٧ كتاب الرقاق ، باب صفه الجنة والنار .

٣- لم ترد الفقره من عند وقوله في الرواية الثالثه .....الى الاخير في النسخة (هـ) .

الحديث: الرابع والعشرون

أبو حنيفة عن حماد عن أبرهيم(١) عن الأسود (٢) عن ربعي بن حراش عن حذيفة ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال يخرج الله تعالى قوما من الموحدين من النار بعدما امتحشوا وصاروا فحما فيدخلهم الله تعالى الجنة فيستغيثون الى الله تعالى مما تسميهم اهل الجنة الجهنميين فيذهب الله تعالى عنهم ذلك) هذا الحديث .

أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور من حديث شعبه عن حماد عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا : (واحيانا لا يرفعه ليخرجن قوم من النار منتنين قد محشتهم النار فيدخلون الجنة برحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين فيسمون الجهنميون) (٣) .

١- ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود النخعي ، ابو عمران الكوفي ، الفقيه ثقه الا انه يرسل كثيرا ، من الخامسة ، مات سنه ست وتسعين وهو ابن خمسين أو نحوها ، تقريب التهذيب : ١/٤٦ .

٢- الاسود بن يزيد قيس النخعي ، ابو عمرو أو ابو عبد الرحمن ، مخضرم ثقه مكثر فقيه من الثانيه ، مات سنة أربع أو خمس وسبعين ، تقريب التهذيب : ١/٧٧ .

٣- لم أعثر على كتاب البعث والنشور للبيهقي ، ولكن وجدت حديثا في صحيح الجامع الصغير وزياداته الفتح الكبير ، ٢/ ٩٤٦ (ليخرجن قوم من امتى من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين .

ومن حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن حماد بن أبي سليمان عن ربعي بلفظ (ليدخلن الجنة ناس من امتى بعد ما محشتهم النار برحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين يقال لهم الجهنميون) قال : فذكر لى انهم استغفروا الله عز وجل من ذلك الاسم فاعفاهم والحديث له شواهد كثيرة منها ما أخرجه مسلم عن جابر مرفوعا (ان قوما يخرجون من النار يحترقون فيها الا دارات وجوههم حتى يدخلون الجنة) (١) .

ومنها ما أخرجه البخارى وابو داود والترمذى عن عمران بن حصين مرفوعا : (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين) (٢) .

وفي رواية (يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع)الحديث (٣) .

وسيأتي حديث أبي سعيد في المتن فتبين بهذه الروايات ان قوله في حديث حذيفة الذى ساقه الامام رحمه الله تعالى يخرج (٤)الله تعالى قوما أى بشفاعة نبينا (صلى الله تعالى عليه وسلم) وشفاعة غيره لقوله وشفاعة الشافعين .

وقوله بعد ما امتحشوا (٥)أى احترقوا والمحش احراق الجلد وظهور العظم .

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٣٠٢ / ٥٠ خروج عصاه المؤمنين من النار وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١٠/ ٣٧٩ باب الشفاعة .

٢- أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار : ٣٧٢/١١ .

٣- البخارى ،كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار : ٣٦٠/١١ .

٤- في النسخة (هـ) قال : يخرج على بناء الفاعل من باب الافعال أى بأمر الله قوما من الموحدين من النار بشفاعة نبينا ....

٥- ورد في النسخة (هـ) بعد امتحشوا بالبناء للمفعول أى احترقوا والمحش بحاء مهملة بعد الميم في آخره شين معجمة احتراق الجلد ......

وقوله وصاروا فحما وفي حديث جابر حمحا والفحم والحمة معانيها متقاربه والمراد كمال السواد الحاصل من الاحتراق .

وقوله فيدخلهم الله تعالى الجنة وذلك بعد ان يلقوا في نهر الحياة حتى يذهب السواد عنهم كما سيأتي في الحديث الاتي .

وقوله تسميهم اهل الجنة الخ ليس تنقيصا لهم بل للاستذكار بنعمة الله تعالى ليزدادوا بذلك شكرا كذا قال بعض شراح البخارى لكن سوألهم اذهاب ذلك الاسم عنهم يخدش في ذلك . (١)

وقوله فيذهب الله تعالى عنهم أى ذلك الاسم ويسمون عتقاء الله كما سيأتي من حديث ابى سعيد فافهم والله أعلم .

ووقع في الخاطر ان بسوالهم في زوال اسم الجهنميين عنهم بناء على ان ذلك لا يخلو من مظاهر اسمه القاهر وما شابهة من الاسماء والجنة انما هي من مظاهر اسمه الرحيم والكريم ونحو ذلك فيقتضى ذلك عدم بقاء شيء من القهر فلذلك سألوا زوال ذلك الاسم فاجيبوا اليه وسموا بعتقاء اللــه لانه من مظاهر اسمه الجواد والمنعم وهي توافق مقاصد الجنة واللــه أعلـــم .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/٣٦١ .

الحديث : الخامس والعشرون

أبو حنيفة عن عطية (١) عن أبي سعيد عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال المقام المحمود الشفاعة يعذب الله تعالى قوما من أهل الايمان بذنوبهم ثم يخرج بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيؤتى بهم نهرا يقال له الحيوان فيغتسلون فيه ثم يدخلون الجنة فيسمون في الجنة الجهنميين ثم يطلبون الى الله تعالى فيذهب عنهم ذلك الاسم)

وفي رواية قال (يخرج الله تعالى قوما من النار من أهل الايمان والقبلة بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وذلك هو المقام المحمود ، فيؤتى بهم نهرا يقال له الحيوان فيلقون فيه فينبتون به كما ينبت التغارير (وهي القثاء الصغار ووجه الشبه سرعة الانتماء ، قال الكرماني ووجه الشبه الطراوة والتجدد وقيل التغارير رؤس الطراثيث ووجه الشبه البياض جمع طرثوث نبت يؤكل) (٢) ثم يخرجون منه ويدخلون الجنة فيسمون فيها الجهنميين ثم يطلبون الى الله تعالى ان يذهب عنهم ذلك الاسم فيذهب عنهم وزاد في اخره فيسمون عتقاء الله) .

١- عطية بن سعد بن جنادة ، العوفي الجدلي الكوفي ، ابو الحسن ، صدوق يخطيء كثيرا ، كان شيعيا مدلسا ، من الثالثة ، مات سنة احدى عشرة ، تقريب التهذيب : ٢/ ٢٤ .

٢- الفقرة التي بين القوسين ليست من الحديث وانما هي شرح لألفاظ الحديث.

وروى أبو حنيفة هذا الحديث عن ابي رُوبة شداد بن عبد الرحمن (١) عن ابي سعيد .

١

حديث ابي سعيد في تفسير المقام المحمود بالشفاعة أخرجه ابن مردوية بلفظ الرواية الثانية الى قوله وذلك هو المقام المحمود وقد أخرج الترمذى وابن خزيمة وابن مردوية عنه حديث طويلا في الشفاعة وفي اخره فهو المقام المحمود الذى قال الله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا . (٢)

قال الحافظ ابن حجر والجمهور على ان المراد به الشفاعة فنقل فيه الاجماع (٣)

قال القرطبي (٤) قال التأويل المقام المحمود هو الذى يقومه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ليريحهم من كرب الموقف ثم أخرج عدة أحاديث في بعضها التصريح بذلك وفي بعضها مطلق الشفاعة فمنها حديث سلمان قال : فيشفعه الله في امته فهو المقام المحمود (٥) .

قلت وأخرج حديثه ابن أبي شيبة ومنها حديث ابن عباس المقام المحمود الشفاعة .

ومن طريق يزيد بن داود الأودى عن أبيه عن أبي هريرة فى قوله تعالى عسى

١- شداد بن عبد الرحمن ابو رُوبه ، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين في الكنى وقال ابو رُوبة القشيرى ، يروى عن أبي سعيد الخدرى وعنه جامع بن مطر ، تنسيق النظام : ص ٥٨ .

٢- سنن الترمذى : ١/ كتاب الصلاة ، باب ما يقول الرجل اذا أذن المؤذن من الدعاء : ١/ ٤١١ .

٣- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/ ٣٥٧ كتاب الرقاق ، باب صفة الجنه والنار .

٤- جاء في فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/ ٣٥٧ ، وقال الطبرى بدل القرطبى

٥- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/ ٣٥٧ ، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار .

ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال : سئل عنها النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال هي الشفاعة (١) .

قلت وقد أخرج حديثه الترمذى وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردوية والبيهقى في الدلائل .

وقد أخرج البخارى وسعيد بن منصور وابن جرير وابن مردوية عن ابن عمران الناس يصيرون يوم القيامة كل امة تتبع نبيّها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود

وأخرج ابن مردوية عن سعد بن أبي وقاص قال سئل النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة .

وأخرج ابن أبي شيبة والنسائى والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وأبو نعيم في الحليه وابن مردوية وغيرهم عن حذيفة قال : تجمع الناس في صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذ البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تتكلم نفس الا باذنه ينادى يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت) فهذا المقام المحمود (٢) .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/ ٣٥٧ كتاب الرقاق باب صفه الجنة والنار .

٢- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١٠/ ٣٧٧ باب الشفاعة ، وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/ ٣٦٨ كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ، قال ابن منده في كتاب الايمان هذا الحديث مجمع على صحة اسناده وثقة رواته .

وفسره ابن مسعود بذلك فيما أخرجه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني

(١) وابن مردوية .

واخرج ابن جرير عن قتادة ذكرلنا ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم)اول

شافع وكان اهل العلم يرون انه المقام المحمود (٢) .

وقد ذكرنا في حديث يزيد بن صهيب من لفظ جابر فانه مقام محمد المحمود

الذى يخرج الله به من يخرج من النار) (٣) .

وقد فسر المقام المحمود بأن يكسى حلة:ذلك فيما أخرجه احمد وابن جريـــر

وابن حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردوية عن كعب بن مالك (٤) (ان

رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (٥)قال يبعث الناس يوم القيامة فاكون

انا وامتى على تل ويكسونى ربى حله خضراء ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله ان

اقول فذلك المقام المحمود) (٦) .

وأخرج احمد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن مسعود (٧)

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٥٨/١١ كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار .
٢- نفس المصدر السابق .
٣- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٣٠٢ / ٥١ باب المقام المحمود .
٤- في نسخة (هـ) عن كعب بن مالك مرفوظ قال يبعث الناس .....) .
٥- انظرصحيح مسلم بشرح النووى : ٣٠٢ / ٥١ باب المقام المحمود .
٦- صحيح بن حبان : ١٣٧/٨ .
٧- في نسخة (هـ) عن ابن مسعود مرفوظ (انى لا قوم ....) .

عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال انى لا قوم المقام المحمود قيل وما المقام المحمود قال اذا جيء بكم حفاة عراة غرلا فيقول اول من يكسى ابراهيم فيقول اكسو خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فالبسها فاقوم عن يمينه مقاما لا يقومه احد فيغبطني الا ولون والا خرون) (١) .

واخرج ابن مردوية من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) سئل عن المقام المحمود قال يحشر الله الناس يوم القيامة عراة غرلا كهيئتهم يوم ولدوا هالهم الفزع الاكبر وكظمهم الكرب العظيم وبلغ الرشح افواههم وبلغ بهم الجهد الشدة فاكون اول مدعو واول معطى ثم يدعى ابراهيم قد كسى ثوبين ابيضين من ثياب الجنة ثم يؤمر فيجلس في قبل الكرسى ثم اقوم عن يمين فما في الخلائف قائم غيرى فاتكلم فيسمعون واشهد ويصدقون) وهذا تفسير ثان للمقام المحمود .

وقد جاء تفسير ثالث أيضا فيما أخرجه ابن مردوية عن ابن عمر ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قرأ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يجلسه على السرير) (٢) .

١- انظر مسند الامام احمد : ١/٣٩٨ عن عبد الله بن مسعود والدرامى ، ٢/٣٢٥ ، كتاب الرقاق ، باب في شأن الساعة .

٢- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/٣٥٨ ، كتاب الرقاق ، صفة الجنة والنار .

وكذلك أخرجه الديلمي عنه بلفظ يجلسني معه على السرير .

وأخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال : يجلسه معه على عرشه وقال الليث ان تفسير المقام المحمود بالشفاعة أولى على ان الثاني ليس بمرفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر .

وقال : ابن عطيه هو كذلك اذا حمل على ما يليق به وبالغ الواحدى في رد هذا القول ، واما النقاش فنقل عن ابي داود صاحب السنن انه قال : من أنكر هذا فهو متهم (١) .

وقال : الماوردى في تفسيره اختلف في المقام المحمود على ثلاثة اقوال فذكر القولين الشفاعة والاجلاس .

والثالث اعطاء لواء الحمد يوم القيامة قال القرطبي وهذا لا يغاير القول الاول واثبت غيره .

رابعا وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن هلال احد صغار التابعين أنه بلغه ان المقام المحمود ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه بمقامه ذلك اهل الجمع . (٢)

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٥٨/١١ كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار .

٢- نفس المصدر السابق .

قال : الحافظ خامسا وهو ما اقتضاه حديث حذيفة وهو ثناؤه على ربه (١) .

قلت وقد قدمته في الصفحة التي قبل هذه وانما ارى ان ذلك الثناء من جملة مـــا يفتح عليه يوم القيامة في حاله السجود وبعده عند قيامه للشفاعة فهو رحمه اللـــه يفسر بالشفاعة والله أعلم .

وحكى القرطبي سادسا وهو ما اقتضاه حديث ابن مسعود عند احمد والنسائي والحاكم وقال يشفع نبيكم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكـــم يشفع في اكثر ما يشفع فيه الحديث لم يصرح برفعه وقد ضعفه البخاري .

وقال المشهور قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) انا اول شافع وعلى تقدير ثبوته فليس في شيء من طرقه التصريح بانه المقام المحمود مع انه لا يغايره حديـــث الشفاعة (٢) .

فان الشفاعة الاولى التي هي للاراحة ليست لغير نبينا (صلى الله تعالـــى عليه وسلم) بالسنة والاجماع .

وهذه شفاعة اخرى للمذنبين فلا بأس تقدم بعض الانبياء على البعض وعلى كل حال فتنتــج شفاعته (صلى الله تعالى عليه وسلم) اكثر من نتيجة شفاعة غيره من الانبياء عليهم السلام .

١- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ١١/ ٢٥٨ - كتاب الرقاق صفة الجنة والنار .

٢- نفس المصدر السابق .

فبهذا الاعتبار لا شك ان مقام شفاعته تلك مقام محمود وجوز المحب الطبري سابقا وهوما ذكرته من انه يلبس يوم القيامة حله خضرا (١) وقد جعلته تفسيرا ثانيا ويمكن رد الاقوال كلها الى الشفاعة العامة فان اعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه تبارك وتعالى وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه وقيامه أقرب من جبريل كل ذلك صفات للمقام المحمود الذى يشفع فيه ليقضي بين الخلق .

واختلف في فاعل الحمد في قوله : (مقاما محمودا) فالاكثر على أن المراد به أهل الموقف فقيل النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) بمعنى انه يحمد عاقبته ذلك المقام بتهجده في الليل وقيل أهل الموقف وهو الارجح لما ثبت لفظ حديث ابن عمر فيما أخرجه البخارى (٢) فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم

ويجوز أن يحمل على ما هو أعم من ذلك أى مقاما محمودا يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات .

واستحسن هذا أبو حيان وأيده بأنه نكره فدل على أنه ليس المراد مقاما مخصوص (٣) .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١ / ٣٥٨ كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار .

٢- نفس المصدر السابق .

٣- نفس المصدر السابق : ١١ / ٣٥٩ .

وقوله : (ثم يخرج بشفاعته محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى : المعذبين من أهل التوحيد (١) .

وقوله : (فيؤتى بهم نهرا فيقال له الحيوان وقع في بعض روايات البخارى من حديث أبي هريرة فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة (٢) .

ومن حديث ابي سعيد فيلقون في نهر بافواه الجنة يقال له ماء الحياة والافواه جمع فوه على غير القياس والمراد بها اوائل الجنة ووقع عند مسلم على نهر يقال له الحيوان او الحياة وفي اخرى فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة والحيوان بفتح التحتية بعد الحاء المهملة هكذا رويناه وفي تسمية ذلك النهر به اشارة الى انهم لا يحصل لهم الفناء بعد ذلك (٣) .

وقوله : (فيغتسلون فيه) أى : ليزول ذلك السوء .

الحاصل من بقائهم في النار واحتراقهم فيها وكذلك السواد الحاصل منها

وقوله : في الرواية الثانية (٤) فينبتون به أى ماء النهر كما ينبت الثغارير بمثلثة وعين مهملة ورائين مهملتين بينهما تحتية قال ابن الاعرابى هي قثاء صغار جمع

١- الفقرات من واختلف في فاعل الحمد . . . . . الى المعذبين من أهل التوحيد لم ترد في النسخة (هـ) .

٢- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١ / ٣٨٧ ، كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم .

٣- نفس المصدر السابق .

٤- في النسخة (هـ) وردت فقرات مختلفة عن الفقره من (ليزول ذلك . . . . الى في الرواية الثانية .

شعرور وقيل هو نبت في اصول الثمام كالقطن ينبت في الرمل وينبسط عليه ولا يطول ووقع تشبيههم بالطراثيث في حديث حذيفة وهي بالمهملة ثم المثلثة هو الثمام بضم المثلثة وتخفيف الميم وقيل الثغرور الاقط والرطب واغرب القابسي فقال هو الصدف الذى يخرج من البحر فيها الجوهر وكأنه اخذه من قوله في الرواية الاخرى كأنهم اللؤلؤ ولا حجة فيه لان الفاظ التشبية تختلف والمقصود الوصف بالبياض(١) والدقه والاول هو الأرجح .

وانما شبهوا بالقثاء الصغير لطراوته وتجدده وسرعة حدوثه كما قاله ابن سعيد الأعرابى وهذا التشبيه بصفتهم بعد ان نبتوا .

واما في اول خروجهم من النار (٢) فقد مرأنهم يكونون كالفحم ووقع في حديث يزيد الفقير عند مسلم عن جابر فيخرجون كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس البيض(٣) والمراد بعيدان السماسم ما ينبت فيه السمسم فانه اذا جمع ورميت العيدان تصير سوداء دقاقا .

وقوله : ثم يخرجون منه أى من ذلك النهر أى بعد ان يذهب ذلك السوء عنهم .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١ / ٣٦٠ كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار .

٢- نفس المصدر السابق .

٣- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٢ / ٣٢ ٥١-٥٢ باب المقام المحمود .

وقوله : ويدخلون الجنة وقع في حديث جابر فيكتب في رقابهم عتقاء الله فيسمون فيها الجهنميين .

أخرجه ابن حبان (١) والبيهقي واصله في مسلم وللنسائي من رواية عمرو بن ابي عمرو عن أنس فيقول لهم أهل الجنة هؤلاء الجهنميون فيقول الله هؤلاء عتقاء الله) (٢)

فتبين من هذه الروايات ان الله تعالى لما عرف بعلمه الازلي ان أهل الجنة ربما عيروهم وأن هؤلاء ربما استنكفوا من تلك التسمية جعل في رقابهم من اثار المنة ومظاهر النعمة صحيفة هؤلاء عتقاء الله ثم مع ذلك لما لم يتنبه كل واحد من المعيّر وهؤلاء الفئة طلبوا الى الله تعالى زوال ذلك الاسم عنهم فاجابهم ربهم الى ذلك واظهر تسميتهم بعتقاء الله تعالى والله أعلم .

وقوله وروى هذا الحديث أبو حنيفة عن ابي رُؤبة شداد بن عبد الرحمن لم أر من ترجم والمراد بذلك ان رُؤبة شارك عطية بن سعد العوفي في رواية الحديث المذكور عن أبي سعيد وعطيه تابعي شهير ضعفه الذهبي. قال ابن حاتم يكتب حديثه ضعيف وقال سالم المرادى كان عطية يتشيع وقال ابن معين صالح وقال احمد ضعيف الحديث

١- الاحسان بترتيب صحيح بن حبان : ٩/ ٢٦١ حديث رقم ٧٣٨٩ باب ذكر الاخبار بأن من ادخل الجنة بعد أن عذب في النار بذنوبه وسمى الجهنميون .

٢- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث رقم (١١٥) ص ٤٦ بلفظ قريب من هذا .

وكان هشيم يتكلم في عطية .

وقال احمد بلغنى ان عطية كان يأتى الكلبى فيأخذ عنه التفسير وكان يكنيه بابي سعيد فيقول قال ابو سعيد فيتوهم المتوهم انـه ابو سعيد الخدرى .

وقال النسائى وجماعة ضعيف والله أعلم . (١)

١- الفقرة الاخيره التي تبدأ (وقوله وروى هذا الحديث ابو حنيفة عن أبي رُؤبة . . . . الى آخر الشرح والله أعلم - وردت في النسخة (هـ) في مطلع شرح الحديث باختلاف بسيط .

الحديث : السادس والعشرون

حماد عن أبي حنيفة عن عطية العوفي قال : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) يقرأ «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» قال : يخرج الله تبارك وتعالى قوما من النار من أهل الايمان والقبلة بشفاعة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) المقام المحمود فيؤتى بهم نهرا يقال له الحيوان فيلقون فيه فينبتون كما ينبت الثعارير ثم يخرجون فيدخلون الجنة فيسمون الجهنميين ثم يطلبون الى الله تعالى ان يذهب عنهم ذلك الاسم فيذهب عنهم)

هذا الحديث لفظه قريب من الرواية الثانية من الحديث المتقدم .

وقوله : تعالى عسى ان يبعثك اجمع المفسرون على ان لفظه عسى من الله تعالى .

واجبه ذلك ان لفظه عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطيه ما اطمعه فيه ثم بعد ذلك قد وردت احاديث كثيره بلغت حد التواتر تقتضي اثبات الشفاعة له (صلى الله تعالى عليه وسلم) (١) .

وأخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس قال : من كذّب بالشفاعة فلا

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٥٧/١١ .

نصيب له فيها (١) .

وأخرج البيهقي في البعث من طريق يوسف بن مهران عن ابن عباس خطب فقال انه سيكون في هذه الامة قوم يكذبون بالرحم ويكذبون الدجال ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار (٢) .

ومن طريق ابي هلال عن قتادة قال : قال يخرج قوم من النار ولا تكذب بها كما يكذب أهل حرورا يعني الخوارج (٣) .

وقد مضى البحث فيمن ينكرها في الاحاديث السابقة فلا حاجة الى اعادته .

وقوله : والقبلة أي قبلة امة محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد بذلك ان كل من كان مؤمنا مقيما للصلاة فذلك لا يحرم الشفاعة وهذا انما هو بناء على ان الايمان المخرج من النار لا يتحقق بغير الصلاة هذا اذا كان المراد من القبلة التوجه اليها ، واما اذا اريد اعتقادها فلا يلزم من هذا التقرير شيء ويؤيد هذا ما جاء في خروج من قال لا اله الا الله بغير عمل قدموه كما اسلفناه .

وقوله : فذلك المقام الخ ظاهره يقتضي ان قيامة (صلى الله تعالى عليه وسلم) في هذه الشفاعة المخصوصة مقام محمود لكن حيث تقرر ان المقام المحمود هو الذى

١- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٣٥٧/١١ .
٢- نفس المصدر السابق .
٣- نفس المصدر السابق .
٤- نفس المصدر السابق .

تحمده الخلائق كلها سواء كان من امته او ممن سواها من الملل السابقة وجب حمل المقام المحمود على سائر أنواع الشفاعات فكلها مقام محمود وقد استوفينا الكلام على المقام المحمود في الحديث السابق (١) .

وقوله : يقال له الحيوان قد ذكرنا فيما سبق انه قد جاءت روايات مختلفة في اسم هذا النهر وانه قد سمي بالحيا مقصورا وبالحياة وبالحيوان وكلها اشارات الى ان ماسيأتيه بعد خروجه من النار من الحياة الأبديه والمعيشة الرغدية ومنه قوله تعالى (وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) (٢) رزقنا الله تعالى من انواع الكرامات الاخروية مالا تمر بالخيال ولا تخطر على بال فضلا منه وكرما امين . (٣)

١- الفقرة التي تبدا من (وقوله فذلك المقام الخ ....الى في الحديث السابق) لم ترد في النسخة (هـ) وانما وردت فقرة بمعناها .
٢- سورة العنكبوت ، الآية ؛ ٦٤ .
٣- العبارة التي تبدأ من رزقنا الله تعالى ......الى وكرما آمين) لم ترد في النسخة (هـ)ووردت فقرات أخرى مر معناها في الاحاديث السابقة .

الحديث : السابع والعشرون

حماد عن أبي حنيفة عن عبد الملك(١) عن ابن عباس عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال يدخل قوم من أهل الايمان يوم القيامة النار بذنوبهم فيقول لهم المشركون ما اغنى عنكم ايمانكم ونحن وانتم في دار واحدة نعذب فيغضب الله عز وجل لهم فيأمر ان لا يبقى في النار أحد يقول لا إله إلاّ الله فيخرجون وقد احترقوا حتى صاروا كالحممة السوداء إلاّ وجوههم فإنّه لا تزرق أعينهم ولا تسودُّ وجوههم فيؤتى بهم نهرا على باب الجنة فيغتسلون فيه فيُذْهب كل فتنة واذى ثم يدخلون الجنة فيقول لهم الملك طبتم فادخلوها خالدين فيسمون الجهنميين في الجنة قال ثم يدعون فيذهب عنهم ذلك الاسم، فلا يدعون به أُبدا فاذا خرجوا قال الكفار ياليتنا كنا مسلمين فذلك قول الله تعالى عز وجل«ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٢)».

عبد الملك الذى روى عنه الامام رحمه الله هو أبو عمر وقيل أُبو عمرو عبد الملك

١- عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الكوفي ثقة فقيه ، تغير حفظه وربما دلس من الثالثة مات سنه ست وثلاثين وله مائة وثلاث سنين ، تقريب التهذيب: ٥٢١/١.

٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/٣/٢٦، ٣٧ باب اثبات الشفاعة واخراج الموحدين ، وردت أحاديث تضمنت ألفاظ ومعاني من هذا الحديث.

بن عمير بن سويد اللخمي الكوفي ويقال له الفرسي بفتح الفاء والراء ثم مهملة عُرف بذلك لفرس كان يقال له : القبطي بكسر القاف وسكون الموحدة وكان سابقا وربما قيل لعبد الملك القبطي تسمية باسم فرسه فيمن لا علم له ربما ظن أنه من قبط وأنه من قريش وليس كذلك بل هو الفرسي بالفاء لا القرشي وهو القبطي لأنه من قبط فافهم .

رأى عليا (رضي الله تعالى عنه وروى عن جابر بن سمرة وجندب البجلي وكان من أوعية العلم ولي قضاء الكوفة بعد الشعبي لكنه طال عمره وساء حفظه .

قال العلائي : كان مشتهرا بالتدليس ذكره غير واحد ، قال أبو حاتم : ليس بحافظ تغير حفظه ، وقال أحمد : ضعيف يغلط ، وقال ابن معين : يخلط ، وقال ابن حراش : كان شعبة لا يرضاه ووثقه العجلي ، وقال النسائي وغيره : ليس به بأس ، وقدم أحمد بن حنبل عاصم بن أبي النجود عليه ، وكان عبد الملك قد جاوز المائة بثلاث سنين ومات في آخر سنة ست وثلاثين ومائة .

وحديث ابن عباس هذا أخرجه سعيد بن منصور وهناد بن السرى (١) في الزهد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور بلفظ : (مايزال الله تعالى يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم حتى يقول : من كان مسلما فليدخل

١ـ هناد بن السرى بن مصعب التميمي ، أبو السرى ، الكوفي ثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وأربعين وله احدى وتسعون سنة تقريب التهذيب : ٢ / ٣٢١ .

فذلك قوله : (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) (١) .

وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن ابن عباس وأنس أنهما تذاكرا هذه الآية ربما يود الذين كفروا . . الخ .

فقالا : هذا حديث يجمع الله تعالى أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فيغضب الله تعالى لهم فيخرجهم بفضل رحمته (٢) .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عنه في هذه الآية قال : ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٣) قال موحدين ولهذا الحديث شواهد منها حديث جابر عند الطبراني في الاوسط وابن مردوية بسند صحيح ومنها حديث أبي موسى الاشعرى (٤) عند ابن أبي عاصم في السنة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٣٧٩/١٠ ، باب الشفاعة بألفاظ قريبة .
٢- انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٥٤٦/٢ ، وفيه كانا يتأولان .
٣- انظر المصدر السابق .
٤- في النسخة (هـ) حديث أبي موسى عند ابن أبي . . . . . .

ومنها حديث أبي سعيد عند اسحاق بن راهويه وابن حبان والطبراني وابن مردويه .

ومنها حديث أنس عند الطبراني في الاوسط (١) ومنها حديث ابن مسعود قال : يا قوم نبيكم رابع أربعة يشفع ولا يبقى في النار الا من شاء الله من المشركين فذلك قوله : (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أخرجه ابن مردويه .

ومنها حديث علي عند ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة ، ومنها حديث أبي أمامة عند الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه بلفظ أنه قال نزلت في الخوارج حين رأوا تجاوز الله عن المسلمين وعن الائمة والجماعة قالوا ياليتنا كنا مسلمين (٢) .

وقوله في حديث المتن : (يدخل قوم من أهل الايمان) وقع في حديث أنس : (أن ناسا من أهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم) وفي حديث أبي موسى : (اذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة) .

وقوله : (بذنوبهم) الباء للسببية أى بسبب معاصيهم الصغيرة والكبيرة (٣) .

وقوله : (ما أغنى عنكم ايمانكم) وقع في حديث جابر فيقولون مانرى ماكنتم فيه من تصديقكم نفعكم) .

١- انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٢/٥٤٦ .

٢- جاء في نسخة (هـ) بعد كلمة مسلمين . . . وسنذكر ان شاء الله تعالى ما يكون من اختلاف الالفاظ في هذه الشواهد عند ألفاظ متن حديث الباب .

٣- في النسخة (هـ) ورد بسبب ذنوبهم أى معاصيهم الصغائر والكبائر .

وفي حديث أبي موسى : (فما أغنى عنكم الاسـلام وقد صرتم معنا في النار(١) .

وفي حديث أبي سعيد قال لهم المشركون ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار) .

وفي حديث أنس فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار) (٢) .

وفي حديث علي : (فاذا أراد الله تعالى أن يخرجهم منهـا قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الاديان والاوثان لمن في النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه وملائكته ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء) (٣) .

وقوله : (في دار واحدة نعذب) أما في الدار الواحدة فلا إشكال ، وأما أنهم يعذبون فلا وذلك لما وقع في حديث علي أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : (إن أصحاب الكبائر من موحدي الامم كلها الذين ماتوا علـى كبائرهم غير نادمين من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران حرم الله تعالى أجسادهم عن الخلود من أجل التوحيد وصورهم على النار من أجل السجود فمنهم من تأخذه النار الى قدميه ، ومنهم من تأخذه النار الى

١- انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١/ ٥٤٠-٦ .
٢- نفس المصدر السابق .
٣- نفس المصدر السابق ، وكتاب التخويف من النار والتعريف بدار البوار ، لابن رجب الحنبلي ، دار الامان للطباعة والنشر والتوزيع - اسلام أباد - الطبعة الثانية / ١٨٩ .

فخذيه ، ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار الى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم ، ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج منها ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا . منذ يوم خلقت الى أن تفنى فاذا أراد الله تعالى أن يخرجهم منها . . .الحديث(١) بلفظ ما قدمناه ولم يذكر جواب الموحدين على أهل النار الا في حديث أبي موسى قالوا : (كانت لنا ذنوب فأخذنا بها) (٢) .

وقوله : (فيغضب الله عز وجل لهم) أى غيرة عليهم وفي حديث علي فيغضب الله تعالى لهم غضبا لم يغضبه لشيء فيما مضى .

وقوله : (فيأمر أن لا يبقى . . .) الخ وقع في حديث أبي سعيد : (فاذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون (٣) .

وقوله : (يقول لا اله الا الله) وقع في حديث أبي موسى (فأمر بكل من كان في النار من أهل القبلة وأخرجوا) .

وقوله : (فيخرجون) أى الى عين بين الجنة والصراط كما في حديث علي (رضي الله عنه) .

١- انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٥٤٦/٢ . وكتاب التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، لابن رجب الحنبلي .
٢- انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٥٤٦/٢ .
٣- نفس المصدر السابق .

وقوله : (الا وجوههم) وذلك لأن الله تعالى حرم على النار أن تأكل أثـــر السجود ولا تعرفهم الملائكة الذين يتولون الاخراج الا بذلك .

فكل ابن آدم تأكله النار الا أثر السجود قال ابن المنير : الذين يعرف صفة هؤلاء هذا الاثر مما ورد في قوله تعالى : (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (١) .

لأن وجوههم لا تؤثر فيها النار فتبقى صفتها باقية وهل المراد بآثار السجود نفس العضو الذى يسجد او المراد به وما قاربه كالوجه كله مثلا ؟

والاظهر الثاني لصراحة الحديث بقوله : (الا وجوههم) قال القاضي عياض: فيه دليل على أن المؤمن مخالف لعذاب الكافرين انها لا تأتي على جميع أعضائهم اما اكراما لموضع السجود أو لعظم مكانهم من الخضوع لله تعالى ولكرامة صورة ابن آدم التي فضل بها على سائر الخلق فالاولى منصوص والثاني محتمل لكن الصـــورة غير مختصة بالمؤمنين لانها عمت الكفار أيضا .

قال النووى : وظاهر الحديث أن النار لا تأكل جميع اعضاء السجود السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان وبهذا جزم بعض العلماء (٢) .

١- سورة الفتح جزء من الآية : ٢٩ .
٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٢/٣/٢٢ باب الاعضاء التي لا تأكلها النار ، وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/٣٨٦، باب الرقاق باب صفة الجنة والنار .

قال عياض : وذكر الصورة ودارات الوجوه يدل على أن المراد بأثر السجود الوجه خاصة خلافا لمن قال : تشتمل الاعضاء السبعة لما مرّ من قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ومنهم من تأخذه النار الى فخذيه .

قال النووي وما أنكره هو المختار ، وأما قوله : (الا دارات وجوههم) فانما هو اخبار عن قوم مخصوصين من جملة الخارجين من النار فيكون الحديث خاصا بهم وغيره عاما فيحمل على عمومه الا ما خص منه (١).

وقد استنبط ابن أبي حمزة من هذا أن من كان مسلما لا يصلي لا يخرج اذ لا علامة له لكن يحمل على أنه يخرج في القبضة التي ذكرناها في أول احاديث الشفاعة قال الحافظ : وهل المراد بمن يسلم من الاحتراق من كان يسجد أو أعم من أن يكون بالفعل أو بالقوة ؟ الثاني أظهر ليدخل فيه من أسلم مثلا وأخلص فبغته الموت قبل أن يسجد ، قال : ووجدت بخط أبي (رحمه الله) ولم أسمعه منه من نظمه ما يوافق مختار النووي . وهو قوله :

يارب أعضاء السجود عتقتهـــا   من عبدك الجاني وأنت الواقـــي
والعتق يسرى بالغنا ياذا الغنا   فامنن على الفاني بعتق الباقـــي

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/٣/٢٢ ، باب الأعضاء التي لا تأكلها النار .

وقوله : فـانه لا يزرق (١) أعينهم قال في القاموس والزرقة بالضم لون يقال زرقت عنه كفرح انتهى فمادة زرق حينئذ مفتوحة العين في المضارع مكسورة العين في الماضي كعلم يعلم ، فقوله لا تزرق بفتح الفوقية وسكون الزاى وفتح الراء وتخفيف القاف .

واشكلت عبارة الشيخ على القارئ في هذا المقام فانه قال بتشديد الراء على صيغة المجهول او بتشديد القاف والدال (٢) على صيغة المعروف انتهى. ووجـــه الاشكال انه على الوجه الاول يكون من باب التزريق ولم يات ذلك في كلام العـــرب وعلى الوجه الثاني يكون من باب الافعيلال كأحمر يحمر احمرارا وكذلك لم يرد فـــي كلام العرب والله أعلم .

والزرقه أبغض الالوان الى العرب لانها لون اعدائهم الروم .

فالمراد ان لا يكون لون أعينهم مبغوضا مستكرها فان ذلك انما يتأتى اذا باشرت النار الوجه وهالهم فزع فمتى (٣) لم يكن كل منها كرامة للمؤمن فأنـى يكون ذلـــك ولذلك قال ولا تسود وجوههم .

وقوله : كل فتنه وأذى المراد به ذهاب السواد الحاصل من الاحتراق المغير لالوانهم وفي حديث أنس فيلقيهم في نهر الحياة فيبرأون من حريقهم كما يبرأ القمر من خسوفه .

١- في النسخة (هـ) بفتح الفوقيه وسكون الزاى وفتح الراء وتخفيف القاف .
٢- في النسخة (هـ) لم ترد كلمة الدال .
٣- في النسخة (هـ)(فمهما) بدل كلمة فمتى .

وقوله : فيقول لهم الملك أى خازن ذلك الباب الذين يدخلون منه لان اللـــه تعالى يقول قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم .

اما ان يكون هذا القول من كل الخزنة لمن يدعى من تلك الابواب كلها أو لمن تفتح له أبواب الجنة الثمانية فيدخل من أيها شاء أو ان كل خازن يقولها لـمـن يدخل من بابه فصدقت(١) مقاله الخزنـــة كلهم للداخلين في الجنة كلهم والله أعلم.

وقوله : طبتم صيغة ماض من طاب يطيب أى من دنس المعاصى وطهرتم مـــن الخطايا بمعنى ان ما نالكم من العذاب في النار كان سببا لطهارتكم من المعاصى فالان لا يعود اليكم من دنسها شيء بل قد استقر الطيب والطهارة فى أجسادكم فاذا كان كذلك فادخلوها أى الجنة خالدين فالملائكة عليهم السلام بشروا بأمرين كل منهما محتاج وذلك أحدها زوال شؤم العصيان الذى كان سببا لسوادهـــم واحتراقهم بالنار .

وثانيها البشارة بالخلود في النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول وهذا تقريرا لهيمنة الله تعالى حال تحرير هذه الأحرف وهو أحسن مما قرره البيضاوى والرازى فتأمل .

وقوله ثم يدعون بالبناء للفاعل أى يسألون ويتضرعون .

ووقع في حديث ابي سعيد فيقولون ربنا أذهب عنا هذا الاسم وفي حديـــث

١- وردت كلمة حينئذ بعد فصدقت في النسخة (هـ) .

على ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن فيمكثون في الجنة ما شاء الله ان يمكثوا ثم يسألون الله تعالى أن يمحو ذلك الاسم عليهم فيبعث الله تعالى ملكا فيمحوه فهذا المحو هو المراد من قوله فيذهب عنهم ذلك الاسم .

وفي حديث أبي سعيد بعد سؤالهم ذهاب الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم .

وقوله فلا يدعون بالبناء المفعول أى فلا يسمون به أى بذلك الاسم .

وقوله فاذا اخرجوا معناه اذا تقرر خروجهم وايسوا (١) الكفار من عود المسلمين اليهم تمنوا فقالوا ياليتنا كنا مسلمين .

وقوله فذلك أى تمنيهم ذلك مصداق قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا لـــو كانوا مسلمين) (٢) وقد ورد عن ابن عباس وابن مسعود فيما أخرجه عنهما ابن أبي حاتم تفسيرا اخر للآية وذلك أنهما قالا ود المشركون يوم بدر حين ضربت أعناقهم فعرضوا على النار أنهم كانوا مؤمنين بمحمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) (٣) فافهم والله أعلـــــم .

١- في نسخة (هـ) وأيس الكفار من عود هم اليها قال الكفار ياليتنا) .
٢- سورة الحجر ، الآية : ٢ .
٣- انظر تفسير القران العظيم لابن كثير : ٢/٥٤٥ تفسير سورة الحجر .

الحديث : الثامن والعشرون

أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم عن علقمة (١) عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنهم) قال : جاء رجل الى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : يارسول الله هل يبقى أحد من الموحدين في النار ؟ قال : نعم رجل في قعر جهنم ينادى بالحنان المنان حتى يسمع صوته جبريل عليه السلام فيعجب من ذلك الصوت فقال : العجب العجب ، ثم لم يصبر حتى يصير بين يدى عرش الرحمن ساجدا فيقول الله تبارك وتعالى : ارفع رأسك يا جبريل فيرفع رأسه فيقول ما رأيت من العجائب والله أعلم. بما رآه فيقول يارب سمعت صوتا من قعر جهنم ينادى بالحنان المنان فتعجبت من ذلك الصوت ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا جبريل اذهب الى مالك قل له أخرج الذى ينادى بالحنان المنان فيذهب جبريل عليه السلام الى باب من أبواب جهنم فيضربه فيخرج اليه مالك فيقول جبريل عليه السلام ان الله تبارك وتعالى يقول أخرج العبد الذى ينادى بالحنان المنان فيدخل فيطلبه فلا يوجد وأن مالكا أعرف بأهل النار من الام بأولادها فيخرج فيقول لجبريل : ان جهنم زفرت زفرة لا أعرف الحجارة من الحديد ولا الحديد من الرجال فيرجع جبريل (عليه السلام) حتى يصير بين

١- علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي ، ثقة ثبت ، فقيه عابد من الثانية مات بعد الستين وقيل بعد السبعين ، تقريب التهذيب : ٢ / ٣١ .

بيدّى عرش الرحمن ساجدا فيقول الله تبارك وتعالى : ارفع رأسك يا جبريل لم لم تجىء بعبدى فيقول : يارب ان مالكا يقول : ان جهنم قد زفرت زفرة لا أعرف الحجر من الحديد ولا الحديد من الرجال .

فيقول الله عزوجل : قل لمالك ان عبدى في قعر كذا وكذا في سر كذا وكذا وفي زاوية كذا وكذا فيدخل جبريل فيخبره بذلك فيدخل مالك فيجده مطروحا منكوبا مشدودا ناصيته الى قدميه ويداه الى عنقه واجتمعت عليه الحيات والعقارب فيجذبه جذبة حتى تسقط عنه الحيات والعقارب ثم يجذبه جذبة أخرى حتى تتقطع منه السلاسل والاغلال ثم يخرجه من النار فيصيره في ماء الحياة ويدفعه الى جبريل فيأخذ بناصيته ويمده مدا فما مرّ به جبريل على ملأ من الملائكة الا وهم يقولون : اف لهذا العبد حتى يصير بين يدى عرش الرحمن ساجدا .

فيقول الله تبارك وتعالى : ارفع رأسك يا جبريل .

ويقول الله تبارك وتعالى : عبدى ألم أخلقك بخلق حسن ؟ ألم أرسل اليك رسولا ؟ ألم يقرأ عليك كتابي ؟ ألم يأمرك وينهك ؟ حتى يقرّ العبد .

فيقول الله تعالى : فلم فعلت كذا وكذا ؟

فيقول العبد : يارب ظلمت نفسي حتى بقيت في النار كذا وكذا خريفا لم أقطع رجائي منك ، يارب دعوتك بالحنان المنان وأخرجتني بفضلك فارحمني برحمتك .

فيقول الله تبارك وتعالى : اشهدوا ياملائكتي بأني رحمته) .

هذا الحديث بهذه الالفاظ أو ما قاربها لم أجده فيما كان عندى من المسانيد الا أني وجدت أحاديث أخر في آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة ولم تكن فيها شفاعة جبريل ولا قصة ذهابه الى مالك ولا وصية مالك ولا معاتبته الرب تعالى وتقدس بهذا العتاب ومن أجود ما جاء في ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة في حديث طويل(ويبقى رجل بين يدى الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبلا بوجهه قبل النار فيقول : يارب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاوها ؟

فيقول : هل عسيت ان أفعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ؟

فيقول: لاوعزتك فيعطي الله عزوجل ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله تعالى وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ماشاء الله أن يسكت ثم قال : يارب قدمني عند باب الجنة ؟

فيقول الله تعالى له : ليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غيرالذى كنت سألت ؟

فيقول : يارب لا أكون أشقى خلقك . فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك أن تسأل غيره ؟

فيقول : لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ماشاء الله فيقول : يارب أدخلني الجنة ؟

فيقول الله عزوجل : ويحك يابن آدم ماأغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت ؟

فيقول : يارب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عزوجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة .

فيقول : تمنى فيتمنى حتى اذا انقطع أمنيته قال الله تعالى : زد من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني ،

قال الله تعالى : لك ذلك ومثله) .

ولما حدث أبو هريرة بهذا الحديث ، قال أبو سعيد أنه سمع رسول اللـــه (صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول : لك ذلك وعشرة أمثاله (١) .

وقد جاءت أحاديث كثيرة بمقاصد مختلفة في آخر من يدخل الجنة ولم يكن في شيء منها مايقارب لفظ مارواه الامام (رحمه الله تعالى) وسنورد شيئا منها فـي

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٣/ ٢٣/ ٢٥ باب آخر أهل الجنة دخولا الجنة .

آخر شرح هـذا الحديث ان شاء الله تعالى .

اذا علمت هذا فلنشرح الآن من ألفاظ حديث عبد الله بن مسعود ما يمكن شرحه .

وقوله : (هل يبقى أحد من الموحدين في النار) أراد به بقاء يمتاز به على من خرج قبله يعني أنه هل يمكث أحد في النار مكثا كثيرا ممن قال : لا اله الا الله وذلك لما سيذكره النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) في الجواب من غفران الله تعالى لذلك العبد أو أن السائل سأل عن البقاء الابدى كبقاء المشركين فأجابه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) بجواب بنيء عن بقاء دون بقاء .

وقوله : (ينادى بالحنان المنان) أى يقول ياحنان يا منان لان ذلك حقيقة النداء وهما بتشديد النون فيهما صغية مبالغةوالحنان كثير الرحمة على عبادة جزيل العطف عليهم دائم اللطف بهم والمنان المعطى من المن (١) العطا لا من المنة وكثيرا مايرد المن بمعنى الاحسان ممن لا يطلب الجزاء عليه وجوز الشيخ على القارى (٢) ان يكون بمعنى الامتنان فانه تعالى يمتن على عبادة بالنعمة كقوله تعالى (بل الله يمن عليكم) (٣)الآية .

وعن على كرم الله وجهه الحنان من يقبل على من اعرض عنه والمنان من يبـدأ

١- في نسخة (هـ) جاءت كلمة بعد المن (وهو) .
٢- انظر شرح مسند أبي حنيفة للشيخ على القارى : ص ٢٠ .
٣- سورة الحجرات ، الآية : ١٧ .

بالنوال قبل السؤال وقد عدا من الاسم الاعظم والله أعلـم (١) .

وقوله : (العجب العجب) كرر للمبالغة وهو بالرفع خبر مبتدأ محذوف أى هـذا العجب العجب الذى منه يتعجب او بالنصب على انه مفعول بفعل محذوف أعجبوا العجب ووجه التعجب غاية ما يعلمه جبريل من رحمة الله تعالى وشفقته على الموحدين وان ذلك مانع من بقاء مثل ذلك في النار الى ذلك الآن.وان ذلك الرجل باشتغاله بالحنان المنان واستغاثته بهما .

لا شك في تبريه من الشرك المخلد في النار وكيف لا يعجب من بقاء مثله هنالك وربه كريم ورحمته سبقت غضبه وفضله عظيم لا يختص به شخص دون شخص .

وقوله : (حتى يصير اى ساجدا بين يدى عرش الرحمن) أى تحته فيكون مقابلا له لموافقته في سمته واضيف العرش الى الرحمن اشعارا بان رحمته توجب قبول الشفاعة.

وقوله : (والله اعلم) منه جملة حالية يعنى يسأله ربه تبارك وتعالى قال كونه تعالى اكثر علما منه بما جاء لا جله وما تعجب منه وسؤاله ذلك إستيناس له حتى لا يعتريه دهش حين الخطاب وهذا كسؤال الله تعالى عن موسى عليه السلام بقـولـه (وما تلك بيمينك يا موسى) (٢) ولما علم موسى عليه السلام ان المراد من ذلك السوال انما هو الاستيناس وتسكين النفس لئلا يعتريها دهش في حال المناجاة

١- انظر شرح مسند أبي حنيفة للشيخ على القارى : ص ٢١ .

٢- سورة طه ،الآية : ١٧ .

ما وسعه الا انه يكثر في الجواب استلذاذاً للخطاب والا فربه تبارك وتعالى اعـــلم منه بما اشتملت عليه عصاه من المناقب (١) .

وقوله : (فيضربه) أى يدق الباب وهذا فيه اشعار بان ابواب النار مغلقة وذلك لا مرين .

الاول : ان لا يخرج من لهيبها ولا يتجاوز من حرها الى من لا يستحقها .

والثاني : انه يشتد الضرام مع غلق الباب فيشتد به العذاب على من كان فيـــها اعاذنا الله تعالى منها في جميع الحالات تفضيلا منه امين .

وفيه اشارة الى ان مالكا مقره انما يكون من داخل الباب اما لاشتغاله بمن فيها

ما وسعه الا انه يكثر في الجواب استلذاذاً للخطاب والا فربه تبارك وتعالى اعلم منه بما اشتملت عليه عصاه من المناقب (١) .

وقوله : (فيضربه) أى يدق الباب وهذا فيه اشعار بان ابواب النار مغلقة وذلك لامرين .

الاول : ان لا يخرج من لهيبها ولا يتجاوز من حرها الى من لا يستحقها .

والثاني : انه يشتد الضرام مع غلق الباب فيشتد به العذاب على من كان فيها اعاذنا الله تعالى منها في جميع الحالات تفضيلا منه امين .

وفيه اشارة الى ان مالكا مقره انما يكون من داخل الباب اما لاشتغاله بمن فيها او ان ذلك من شأن الحجاب ويؤيده ما جاء من قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (اتى باب الجنة واستفتح فيقول الخازن من انت) الحديث .

وهكذا في حديث المعراج ان جبريل قال لخازن السموات افتح قال من هذا قال جبريل الحديث .

فلو كان الحاجب من خارج لما كانت هناك حاجة الى السؤال والله أعلم .

وقوله : (فيدخل) أي مالك فيطلبه أى يتصفحه من طبقات النار وينظره في مظناتها .

وقوله : (وان مالكا جملة حالية معناه ان مالكا مع كمال تطلبه له وكمال معرفته

١- جاء شرح لجزء من الحديث بعد كلمة مناقب في النسخة (هـ) لم يذكره المصنف في النسخة (س) ويبدأ فيقول جبريل يا رب سمعت صوت . . . . . فيذهب جبريل الى باب من أبواب جهنم .

باهل النار ومقر كل منهم لا يمكنه تحصيل ذلك ولا الاطلاع عليه بسبب ما اعتذر به من شدة ضرام النار بالحيثية المذكورة .

وقوله ولا الحديد من الرجال بناء على ان الاصنام المتخذة من الحديد على صورة الرجال قد حمرتهم النار كما حمرت الرجال فلا يقدر على تمييز الجمادات من الحيوانات لتشابه صورهما .

وقوله : (فيرجع جبريل عليه السلام) فيه اشارة الى ان الرسول اذا سمع من المرسل اليه ما يعذره به فيما جاء لاجله كان له الرجوع الى المرسل واخباره له بما اعتذر به المرسل اليه من غير ان يكثر عليه في تحصيل ما بعث له .

وقوله : (لم لم تجيء بعبدي)أي ما كان من شأنك ان ترجع صفر اليدين عنه مع كمال شفاعتك فيه وشدة شفقتك عليه .

وقوله : (في قعر كذا وكذا) فيه اشارة الى ان فيها قعورا متعددة وقد جاء في بعض قعورها ما أخرجه البزار والطبراني عن ابي موسى قال :قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لو ان حجرا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفا قبل ان يبلغ قعرها فيفهم(١) من حديث الباب ان سطوح ارضها متفاوته بعضها اسفل من بعض .

١- أخرجه مسلم عن أبي هريرة بلفظ قريب ، انظر مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه المقدسي في ذكر جهنم أعاذنا الله منها ، ص ٤٣٣ .

وقوله : (في سر كذا وكذا) المراد منه المواضع الخفية التى لا يدرى بانـــهـا مواضع وكثيرا ما يتخذ ها بعض من اعتنى في بناء داره مثل ذلك وفي رواية كذا وكذا من زوايا جهنم فيدخل جبريل أى يرجع جبريل الى مالك حتى يدخل في فناء جهنم ويدق عليه الباب فيخرج اليه مالك فيخبره جبريل بذلك أى لما قال الله تبارك وتعالى من الحدودات .

وقوله : فيدخل مالكا أى بعدها ياتيه جبريل ويخبره بما قاله الله تعالى .

وقوله : (مشدودا) أى بالسلاسل والاغلال نسال من الله تعالى العافية .

وقوله : (واجتمعت عليه الحيات والعقارب) وقد جاء في صفة حيات جهـنـم وعقاربها ما اخرجه احمد والطبرانى عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى (١) قال:قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ان في النار حيات كامثال اعناق البخت لتلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وان في النار عقارب كامثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها اربعين سنة) (٢).

وقوله : فيصيره من التصيير والمراد انه يلقيه في ماء الحياة ليزول عنه اثر ما كان فيه وفيه اشارة الى ان مالكا يتولى هذا الامر وهذا بخلاف ما كان يفهم من الاحاديث

١- عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى صحابى ، ابو الحارث سكن مصر وهو آخر من مات فيها من الصحابة ، سنه خمس او ست أو سبع أو ثمان وثمانين والثاني أصح ، تقريب التهذيب : ٤٠٧/١ .

٢- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٣٩٠/١٠ ، كتاب صفة الجنة والنار باب بُعد قعرها .

السابقة وان فيها انهر الذى يلقون فيها ويزول السواد عنهم بسببها انما هي نهر بافواه الجنة او باب الجنة) (١) .

وقوله : ويمده مدا المفهوم من ظاهره انه يسحب ويجر بناصيته قويا وهذا مع مخالفته لما تقتضيه شفقة جبريل عليه السلام اما ان يكون مأمورا بذلك او ان هذا شان العصاة نسأل الله العافية (٢) .

وقوله : اف كلمة نكرة واستقذار وفيها اربعون لغات(٣) أُفّ بالضم وبتثلث الفاء والنون ويخفف فيها اف كطف اف مشددة الفاء افىٔ بغير امالة وبالامالة المحضة وبالامالة بين بين وبالالف في الثلثة للتأنيث افي بكسر الفاء أُفّوه افّةٌ بالضم مثلثة الفاء مشددة وبكسر الهمزة اف كِنْ أُفّ مشدده اف بكسرتين مخففة او منونة مخففة ومشددة ويثلث اف بضم الفاء مشددا افا كانًا افىٔ بالامالة افيّ بالكسرة وتفتح الهمزة افٔ كَمَنْ افّ مشددة الفاء مكسورة آاف ممدودة اف آاف منونين ثم قيل انه اسم فعل بمعنى اتضجر وقيل صوت ينبيء عند تضجر وقيل إن اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد نفخت فيه تزيله بقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروة يصل اليهم .

١- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٣/٣٢ ، كتاب الايمان ، باب اخراج عصاة المؤمنين من النار .

٢- في الفقرات السابقة اختلاف بين النسختين تصعب المقارنة .

٣- انظر شرح مسند أبي حنيفة للشيخ علي القارى : ٢٣ .

وقوله بين يدى عرش الرحمن ساجدا) أى :لاجل الشفاعة في رفع رتبه ودرجاته ودخوله في الجنة بعد ذهاب السخط عنه .

وقوله : (بخلق حسن) بفتح الخاء المعجمة ويعني بذلك : الصورة الحسنة فانه قد ورد أن الله تعالى خلق آدم على صورته (١) وتلك لا تقتضي الا الانقياد التام وعدم المخالفة مع الحق ومجانبة عصيانه في كل الاحوال وحسن الصورة نعمة يمتاز بها الآدمي على باقي الحيوانات فصرف النعمة فيما لا يستحق صرفها فيه ظلم وعدوان يتجنبه العاقل الكيس ويحكي أن بعض الخلفاء العباسية خلى بزوجته في ليلة مقمرة فقال : ان لم تكوني أحسن من القمر فأنت كذا فأفتى الكل بالحنث الا يحيى بن أكثم فانه قال لا يحنث فقيل له خالفت شيوخك ؟ فقال : الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى يقول : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) (٢) .

وقد فسر الحسن وأبو العالية التقويم : بالصورة . وكان بعض الصالحين يقول الهنا أعطيتنا في الاول أحسن الاشكال فأعطنا في الآخرة أحسن الخصال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب .

١- جزء من حديث أخرجه البخارى في الادب المفرد ، باب لا تقل قبح الله وجهه ، حديث رقم : (١٧٣) : ٧٨ .
٢- سورة التين ، الآية : ٤ .

وقوله : (ألم أرسل اليك رسولا يخبرك بما ارتضيه منك وما أسخطه (١)عنك) :

وفي هذا ماخذ من قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٢) .

وذلك لاقامة الحجة وقطع العذر ومنه قوله تعالى : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)(٣) .

وذلك لما جاء في الآية الاخرى فيقولوا (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) (٤) .

وفيه تنبيه على أن بعثة الانبياء الى الناس ضرورية لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح .

وفيه دليل آخر على ان ما وجب في الشرع انما وجب بالسمع لا بالعقل .

وقوله : (ألم يقرأ) بالبناء للمفعول أو بالبناء للفاعل ويكون الفاعل هو الرسول .

وقوله : (ألم يأمرك) الفاعل فيه اما الكتاب ، واما الرسول .

وقوله : (حتى يقرّ العبد)أى : يعترف بما قصّر بعد أن يقر بجميع ما خاطبه به ربه .

وقوله : (فلم فعلت كذا وكذا) أى بعد اعترافك بما ذكرت لك ما منعك عن

١- جاء في نسخة (هـ) بدل عبارة (وما أسخطه عنك) عبارة (وما يوجب سخطي عليك) .

٢- سورة الاسراء ،الآية : ١٥

٣- سورة النساء ، الآية : ١٦٥.

٤- سورة طه ، الآية : ١٣٤.

عن الامتثال بما أمرت والتجنب عن ما نهيت .

وقوله : (ظلمت نفسى أضررتها بمعصيتى لك حتى بقيت في النار بسبب ذلك العصيان .

وقوله : (خريفا) أى سنينا والخريف في الأصل زمان بين الشتاء والصيف فالمراد به السنة ههنا باعتبار أنه لا يكون في السنة الا مرة واحدة فاذا انقضى اربعون خريفا مثلا انقضت اربعون سنة ولا يتوهم من ظاهره أنه لم يمكث الا زمان الخريف من كل سنة .

وكان في زمان الشتاء والصيف والربيع خارجا عن النار .

وقوله : لم أقطع رجائي منك أى في رحمتك علي ومغفرتك وتجاوزك عني .

وقوله : دعوتك بالحنان المنان اشارة الى الدليل على ما ادعاه في قوله لم أقطع وأنه ما زال يستعطف ربه في تلك المدة ويذكره باسمين مفادهما الرحمه والمنه .

وقوله : فارحمنى برحمتك تفريع على الجملة السابقة (١).

معناه صدق ظني فيك وارحم التجائى اليك وتجاوز عن ذنوبي ما علمت منها وما لم أعلم فان الذنوب التى يعرضها عليه ربه انما هى الصغائر ، وذلك لما أخرجه مسلم عن أبي ذر مرفوعا : (قال قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) انى لأعلم آخر أهل النار دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم

١- في النسخه (هـ) اختلاف في الشرح تصعب المقارنه .

القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه ،وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغارها ،

فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم

لا يستطيع أن ينكره وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه ،فيقال له ان لك مكان

كل سيئة حسنة فيقول قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فلقد رايت رسول الله

(صلى الله تعالى عليه وسلم) ضحك حتى بدت نواجذه) (١) .

وقوله : اشهدوا يا ملائكتي لعل المراد منهم والله أعلم هم الذين كانوا يتأففون

عند رؤيته فكأن الله تعالى يقول لا تستحقروا المؤمن من بن ادم فانه وان عمل اعمالا

سيئة كثيره لكنه لايسعه الا الاعتراف والابتهال والتمسك بحبل الرجاء دون المناظره

والمكابره أو الافتخار الذى ظهر في قولكم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) (٢) فهي

شهادة في الظاهر لكنه مباهاة في حقيقة الأمر والله أعلم .

وقوله : أني رحمته أى بالتجاوز عن ذنبه وفوزه بالجنة كما يدل عليه لفظ ما آخرجناه

عن البخارى في اول الحديث .

وهذا الرجل يقال أن اسمه هناد وقد ذكر عن الحسن البصرى ان آخر من يخرج

من النار رجل يقال له هناد بعد ما عذب الف عام ينادى يا حنان يا منان)

١- صحيح مسلم بشرح النووى : ٢/٣ / ٤٧ كتاب الايمان باب آخر أهل النار خروجا .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

حكى الحسن وقال ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه ، فقال ويحكم اليس يوم يخرج في الجملة (١)

فيها كذا ذكره الغزالي في منهاج العابدين وذكر الحافظ ابن حجر انه وقع في وصف هذا الرجل الذى يكون اخر من يخرج من النار انه كان نباشا وكان يسيء الظن بعمله فقال لأهلبه اذا مت فحرقوني ثم ازروا نصفيه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به فامر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب فغفر له وفي اخره وكان نباشا) (٢)-فلعله رحمه الله تعالى اطلع على رواية فيها ذكر أنه اخر من يخرج من النار قلت قد وجدته في صحيح ابن حبان كما ذكر قال وجاء من وجه اخر انه كان يسأل الله تعالى ان يجيره من النار ولا يقول ادخلني الجنة أخرجه الحسين المروزي في زيادات الزهد لابن المبارك من حديث عوف الاشجعي رفعه قد علمت اخر اهل الجنة دخولا رجل كان يسأل الله تعالى ان يجيرة من النار ولا يقول ادخلني الجنة فاذا دخل أهل الجنة الجنة واهل النار النار يبقى بين ذلك فيقول يا رب قربني من باب الجنة انظر اليها وأخذ من ريحها فيقربه فيرى شجرة) (٣) .

١- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ١١/ ٣٨٨ باب صفه الجنة والنار.

٢- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٣٨٨/١١ كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٣٧٥/١١ باب الشفاعة، ومسند احمد : ٣٩٨/١ ، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١٩٤/١٠، ١٩٥ باب فيمن خاف من ذنوبه .

٣- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٣٨٨/١١ كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم .

الحديث فهو عند ابن أبي شيبة أيضا لكن اسناده ضعيف(١) .

وقد وقع في غرائب مالك للدارقطني من طريق عبد المالك بن الحكم وهو راوى عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه ان اخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين (٢) .

وزاد في رواية الخطيب سلوه هل بقى أحد من الخلائق في النار فيقول لا وقد حكم الدارقطني ببطلان (٣) الحديث المذكورة فافهم والله أعلـــم .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١١/ ٣٨٨ كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم .
٢- نفس المصدر السابق .
٣- نفس المصدر السابق .

الحديث : التاسع والعشرون

أبو حنيفة عن محمد بن منصور بن أبي سليمان البلخي (١) ومحمد بن عيسى (٢) ويزيد الطوسى (٣) عن القاسم بن أميه الحذاء العدوى (٤) عن نوح بن قيس (٥) عن يزيد الرقاش (٦) عن أنس بن مالك قال : قلنا يا رسول الله لمن تشفع يوم القيامة قال : لأهل الكبائر واهل العظائم وأهل الدماء) .

حديث أنس رضى الله عنه روى من طرق عديدة منها أخرجه أبو داود من طريق سليمان بن حرب نا بسطام بن حريث عن أشعث الحدانى (٧) عن أنس عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال شفاعتي لأهل الكبائر من أمتى)

ومنها ما أخرجه البيهقى في البعث والنشور من طريق محمد بن أبي بكر

١- محمد بن منصور بن أبي سليمان البلخى ، لم أجد ترجمه له ، وهذا الروايه فيها كلام ، تنسيق النظام : ص ٨٣ .

٢- محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع ، صدوق يخطئ ، ويدلس ورمى بالقدر من التاسعة مات سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ وله نحو تسعين سنة ، تقريب التهذيب ١٩٨/٢ .

٣- يزيد الطوس ، لم أجد ترجمة له ، وطامه رجال هذا الاسناد لم تعرف ، تنسيق النظام : ص ٩١ .

٤- القاسم بن امية الحذاء ، بصرى صدوق ، من كبار العاشره ، ضعفه ابن حبان بلا مستند ، تقريب التهذيب : ٢ / ١١٥ .

٥- نوح بن قيس بن رباح الازدى ، ابو روح البصرى ، صدوق ، رمى بالتشيع من الثامنة مات ٨٣ أو ٨٤ ، تقريب التهذيب : ٢ / ٣٠٨ .

٦- يزيد بن أبان الرقاش ، ابو عمرو البصرى ، القاص ، زاهد ضعيف من الخامسة مات قبل العشرين ، تقريب التهذيب : ٢ / ٣٦١ .

المقدمي نا جعفر بن سليمان (١) نا مالك بن دينار سمعت أنس بن مالك (٢) يقول قال النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) (٣) وتلا هذه الآية (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) (٤) .

ومنها ما أخرجه أيضا من حديث محمد بن أبي بكر نا فضاله بن عبد الملك نا زياد النميري عن أنس بن مالك عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال ان شفاعتي أو ان الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي) (٥) .

ومنها ما أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس (٦) بلفظ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه فمالك بن دينار وزياد النميري وثابت وأشعث الحداني

....

٧- أشعث بن عبد الله بن جابر الحدّاني ، الازدي ، ابو عبد الله صدوق من الخامسة تقريب التهذيب : ١/٨٠ .

١- جعفر بن سليمان الضُبَعي ابو سليمان البصري ، صدوق زاهد ، كان يتشيع ، من الثامنة مات سنة ٧٨ ، تقريب التهذيب : ١/ ١٣١ .
٢- في النسخة (هـ) أنس بن مالك مرفوعا مثله وزاد وتلا هذه الآية ......) .
٣- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١٠/٣٧٧ باب الشفاعة .
٤- سورة النساء ، الآية : ٣١ .
٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١٠/ ٣٧٨ باب الشفاعة .
٦- في النسخة (هـ) عن أنس مرفوعا بلفظ شفاعتي الخ وقال ......) .

يتابعون يزيد الرقاشي في رواية الحديث عن أنس ولم أجد (١) لنوح بن قيس متابعا في روايته عن يزيد ونوح بن قيس بن رباح الازدى كان يكنى بابي روح البصرى قال: الذهبي انه صالح الحال ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وقال: أبو داود كان يتشيع بلغني ان يحي ضعفه وقال: النسائي ليس به بأس مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة وتابع نصر بن على الجهضمى (٢) القاسم بن أمية عند البيهقى في البعث.

والحدانى نسبته بالمهملة والذال المعجمة الثقيله بصرى صدوق ضعفه ابن حبان بلا مستند هكذا ذكره الحافظ في التقريب ولم أجد لمشايخ الامام رحمه الله تعالى متابعا وعلى كل حال فالاسناد قد اشتمل على رواية الاكابر عن الاصاغر كما لا يخفى على من لبه اطلاع بمواليد الرجال ووفياتهم .

وقد وردت شواهد كثيرة لحديث أنس منها ما أخرجه الترمذى وابن ماجه والبيهقي في البعث عن جابر مرفوعا : (ان شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتى) وزاد في رواية البيهقى فقيل له ما هذا يا جابر قال نعم يا محمد انه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب واما الذى قد استوت حسناته وسيئاته فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة .

١- جاء في النسخة (هـ) ولم أجد لمشايخ الامام في الحديث متابعا وقد وردت شواهد كثيره........).

٢- نصر بن على بن صهبان الأزدى الجهضمى البصرى ثقة ، من السابعة مات قبل الخمسين ، تقريب التهذيب : ٢٩٩/٢ .

وانما الشفاعة شفاعة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لمن أوبق نفسه وأعلق ظهره (١) .

وفي اخرى له قال جابر من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ومنها ما أخرجه البيهقي في البعث أيضا عن كعب بن عجره (٢) مرفوعا : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) .

ومنها ما أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس مرفوعا ، باللفظ المذكور وفي اسناده موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضاع .

ومنها ما أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر مرفوعا (أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة) وفي اسناده حرب بن شريح وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح (٣) .

ومنها ما أخرجه أيضا عن ام سلمة مرفوعا : (اعملي ولا تتكلي فان شفاعتي للهالكين من أمتي) (٤) وفي اسناده عمر بن محرم وهو ضعيف .

ومنها ما أخرجه في الكبير والأوسط عن عبد الله بن بسر مرفوعا : (هي في أمتي

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٢٧٦/١٠-٢٧٧ ، باب الشفاعة .
٢- كعب بن عجره الانصاري المدني ابو محمد ، صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون ، تقريب التهذيب : ١٣٥/٢ .
٣- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٢٧٦/١٠-٢٧٧ باب منه في الشفاعة .
٤- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٢٧٧/١٠ باب الشفاعة .

المذنبين المثقلين) وفي اسناده عبد الواحد البصرى قال الهيثمى لا أعرفه وبقيه رجاله رجال الصحيح (١) .

ومنها ما أخرجه أيضا عن أبي امامه مرفوعا : (اما شرار أمتى فيدخلهم الله الجنة بشفاعتى واما خيار أمتى فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم) (٢) وفيه جميع بن أيوب ضعيف وبقيه رجاله رجال الصحيح .

ومنها ما أخرجه أيضا في الاوسط عن أنس مرفوعا : (انى اشهد الله واشهد من سمع ان شفاعتى لمن يموت ولا يشرك بالله عز وجل شيئا) (٣) وفيه على بن مرة بن حثيث قال الهيثمى ولم اعرفه وبقية رجاله ثقات .

ومنها ما أخرجه احمد والطبرانى عن معاذ وابي موسى قالا ادع الله يا رسول الله ان يجعلنا في شفاعتك فقال أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئا في شفاعتى) (٤) ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن ابي النجود (٥) وقد وثق وفيه ضعف.

ومنها ما أخرجه الترمذى عن عوف بن مالك (٦) مرفوعا : (وهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا اذا علمت هذا فاعلم أن قوله لن تشفع يوم القيامة)أى من

---

١ ـ ٢ انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١٠ / ٣٧٧ باب منه في الشفاعة .
٣ـ٤ انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١٠ / ٣٧٧ باب الشفاعة .
٥- عاصم بن بهدله ابن أبي النجود ، الاسدى الكوفى ، ابو بكر المقرى* ، صدوق له أوهام ، حديثه في الصحيحين مقرون ، من السادسه ، مات سنة ٢٨ ، تقريب التهذيب : ١ / ٣٨٣ .
٦ـ عوف بن مالك الأشجعى ، ابو حماد ، صحابى مشهور ، مات سنة ثلاث وسبعين تقريب التهذيب : ٢ / ٩٠ .

يكون أسعد الناس بها يوم القيامة ومنه قول أبي هريرة فيما أخرجه البخارى ، من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله يوم القيامة .

والمراد بهذه الشفاعة المسئول عنها هنا بعض أنواع الشفاعة وهي التى يقول فيها (صلى الله تعالى عليه وسلم) أمتى أمتى فيقال أخرج من النار من في قلبه وزن كذا من الايمان واما الشفاعة العظمى في اراحة الناس من الموقف فهى تعم الامم كلها .

والمراد من سوال أنس ان الابرار يختصون بشفاعتك ام المتدنسين بالمعاصى فأجابه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) بأنها لأهل الكبائر(١) والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف أى أشفع لأهل الكبائر في شأن التجاوز عنهم والكبائر جمع كبيرة وهو ما على فسرها ابن عباس (رضى الله عنه) كل شئ عصى الله تعالى فيه كما أخرجه ابن جرير .

وفسرها أيضا بكل ما وعد الله تعالى عليها النار أخرجه ابن أبي حاتم ووافقه على ذلك سعيد بن جبير فيما أخرجه ابن جرير عنه .

وأخرج ابن جرير والبيهقي في الشعب عن ابن عباس بلفظ : (الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب (٢) .

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٣٧٨/١٠ ، باب الشفاعة .

٢- انظر فتح البارى بشرح البخارى : ٣٣٧/١٠ ، كتاب الادب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر .

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال : الكبائر كل موجبة أوجب الله لأهلها النار وكل عمل يقام به الحد فهو من الكبائر وأخرج البيهقي في الشعب عنه : (كل ذنب أصرّ عليه العبد كبيرة وليس بكبير ما تاب عنه العبد .

وأخرج عن الاوزاعي قال : كان يقال الكبائر أن يعمل الرجل الذنب فيحتقره

وأخرج عبد بن حميد والبزار والطبراني عن ابن مسعود أنه سئل عن الكبائر فقال : افتتحوا سورة النساء فكل شيء نهى الله حتى تأتوا ثلاثين آية فهو كبير(١) . ثم قرأ مصدقا ذلك (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) .

وأخرج البخارى عن أبي هريرة مرفوعا : (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الشرك وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

(٢) وزاد ابن عمر فيما أخرجه علي بن الجعد في الجعديات والالحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا ورفع ذلك الى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم)

(٣) وزاد عمير الليثي فيما رواه عن النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) وعقوق الوالدين) أخرجه أبو داود والنسائي وأخرج البخارى ومسلم عن أنس قال :

١- في النسخة (هـ) فهو كبير .
٢- متفق عليه الحديث رقم (٢٧٦٦) عند البخارى ، وعند مسلم في كتاب الايمان رقم الحديث (٩٠)
٣- مسند ابن الجعد للحافظ علي بن الجعد : ٢/١١٥٠ حديث رقم (٣٤٢٦) عن ابن عمر ، كتاب الايمان ، باب أكبر الكبائر .

قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) الا أنبئكم باكبر الكبائر قول الزور)

. (١)

وأخرج ابن ابي حاتم عن ابن عمر وانه سئل عن الخمر فقال سألت عنها رسول

الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) فقال هي اكبر الكبائر .

وأخرج البخارى عن عبد الله بن عمر و بن العاص ذكر الكبائر مرفوعا : (فقال

واليمين الغموس) (٢)

وفي حديث ابن مسعود مرفوعا : وعند الشيخين ان قتل الولد خشية ان يطعمه

ومزاناه حليلة الجار من الكبائر) (٣) .

وفي حديث ابن عمر مرفوعا : (عندهما ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل

والديه قالوا وكيف يلعن الرجل والديه قال يسبّ ابا الرجل فيسب أباه ويسب

امه) (٤)

وفي حديث أبي هريرة مرفوعا : عند أبي داود (من اكبر الكبائر استطالة المرء

في عرض رجل مسلم بغير حق) (٥) .

١- صحيح مسلم بشرح النووى : ٢ / ٨٢ ، كتاب الايمان ، باب أكبر الكبائر .

٢- فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٢ / ٢٢٢ ، كتاب استتابه المرتدين وقتالهم الحديث رقم (٢) .

٣- متفق عليه البخارى ، كتاب الديات ، باب من يقتل مؤمنا متعمدا ، الحديث رقم (٦٨٦١) ومسلم في الصحيح ، كتاب الايمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب رقم الحديث في الكتاب (٩١) .

٤- انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١/٢/ ٨٣ عن عبد الله بن عمر و بن العاص باب اكبر الكبائر .

٥- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١٠ / ٣٣٧ كتاب الادب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر .

وفي حديث ابن عباس مرفوعا : عند الترمذى والحاكم (من جمع بين الصلاتين من غير عذر فقد اتى بابا من ابواب الكبائر)

وفي حديث ابن عباس مرفوعا : أيضا عند الطبراني في الأوسط بسند حسن ان اليأس من روح الله والأمن من مكر الله) (١) من الكبائر .

وفي حديث على مرفوعا : عند ابن المنذر ان القنوط من رحمة الله كبيرة .

وفي حديث أبي أمامة مرفوعا : عند ابن جرير بسند حسن ان الغلول كبيرة أيضا .

وفي حديث ابن عباس مرفوعا : الضرار في الوصية من الكبائر أخرجه ابن أبي حاتم وأخرج أيضا عن على موقوفا ان التغرب بعد الهجرة وفراق الجماعة ونكث الصفقة من الكبائر .

وفي حديث بريدة مرفوعا : عند ابن المنذر بسند ضعيف ان منع الماء ومنع الفحل من الكبائر) (٢) .

وفي حديث ابن مسعود عند ابن حميد موقوفا ان من اكبر الذنب عند الله ان يقول لصاحبه اتق الله فيقول عليك نفسك وأنت تأمرني) .

وفي حديث ابن عباس موقوفا عند ابن جرير وابن المنذر ان منع الزكاة المفروضه

١- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ١١٦/٧٤ ، كتاب التفسير سورة النجم .
٢- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٣٧/١٠ كتاب الادب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر .

وكتمان الشهادة وترك الصلاة متعمدا ونقض العهد وقطيعه الرحم من الكبائر .

وفي حديث ابن سيرين أنه سأل عبيدة عن الكبائر فعد منها البهتان أخرجه ابن جرير وعند ابن ابي حاتم عن المغيرة قال : كان يقال شتم ابي بكر وعمر (رضى الله عنهما) من الكبائر وعنده أيضا عن عائشة قالت: ماأخذ على النساء من الكبائر يعني قول الله تعالى : (لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين) (١) الآية فالزائد على ما ذكرت سابقا في الآية انما يقول ثلاث السرقة والزنا وعدم العصيان في المعروف.

وعنده أيضا عن ابي قتادة العدوى قال : قرئ علينا كتاب عمر من الكبائر جمع بين الصلاتين يعني بغير عذر والفرار من الزحف والنهبة فزادت النهبة على ما ذكر سابقا وقد وردت اللعنة من النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) في امور كثيرة فلنذكر منها مالم نذكرة سابقا بناء على ان كل امر وردت فيه اللعنة فهو كبير

فمنها ما أخرجه احمد باسناد رجاله رجال الصحيح (لعن الله من ذبح لغير الله ولعن من غيّر تخوم الأرض ولعن الله من كمه أعمى عن السبيل) (٢) .

ومنها ما أخرجه احمد وابو داود والترمذى عن ابن عمرو مرفوعا : (لعنة الله على الراشي والمرتشي) وفي حديث ثوبان عند احمد (والرايش الذى يمشى

١- سورة الممتحنة، الآية : ١٢ .

٢- مسند الامام احمد : ٢١٧/١ عن ابن عباس .

بينهما) (١) .

ومنها ما أخرجه ابو داود والحاكم عن ابن عمر مرفوعا : (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول اليه وآكل ثمنها) (٢) قال المنذرى ورواته ثقات .

ومنها ما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا : (لعن الله الربا واكلـــه ومؤكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة) (٣) .

ومنها ما أخرجه احمد وابو داود باسناد صحيح عن ابي هريرة مرفوعا : (لعن الله الرجل يلبس لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل) (٤) .

ومنها ما أخرجه احمد عن عائشة مرفوعا : (لعن الله القاشرة والمقشورة وهي التي تجعل وجهها ووجه غيرها بالحمرة ليصفو لونها كانها تقشر على الجلد .

ومنها ما أخرجه أيضا عن معاوية مرفوعا : باسناد فيه جابر الجعفى (لعــن الله الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر) .

ومنها ما أخرجه اصحاب السنن عن على مرفوعا : (لعن الله المحلل والمحلل له)

ومنها ما أخرجه البيهقى عن عائشة مرفوعا : (لعن الله المختفى والمختفية

١- مسند الامام احمد ٢/١٦٤ ، والترمذى في كتاب الاحكام الباب التاسع .
٢- مسند الامام احمد : ٣١٦/١ عن ابن عباس .
٣- مسند الامام احمد : ٨٣/١ عن على رضى الله عنه) بلفظ قريب ، والنسائى عن ابن عمر : ١٤٥/٨/٤ كتاب الزينه ، الواصلة والمستوصلة .
٤- مسند الامام احمد : ٣٢٥/٢ ، عن ابي هريرة .

يعني النباش .

ومنها ماأخرجه الطبراني عن ابن عمر مرفوعا : (لعن الله المسوفات التي يدعوها زوجها الى فراشه فتقول سوف حتى تغلبه عيناه)

ومنها ما أخرجه أبو يعلى عن ابي هريرة مرفوعا : (لعن الله المغسلة التي اذا أراد زوجها ان يأتيها قالت انا حائض) .

ومنها ما أخرجه البخاري عن ابي هريرة مرفوعا : (اذا باتت المراة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح) (١) .

ومنها ما أخرجه ابو داود عن ابي سعيد مرفوعا : (لعن الله النائحة والمستمعه (٢) .

ومنها ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود مرفوعا : في حديث طويل والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)

ومنها ما أخرجه ابو داود والنسائي والترمذي عن ابن عباس مرفوعا : (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) .

ومنها ما أخرجه الطبراني عن ابن عمر مرفوعا : لعن الله من سب أصحابي) وفي اسناده عبد الله بن سيف قال الذهبي حديثه منكر .

١- أخرجه مسلم في كتاب النكاح : ٥، ١٠٦٠/٧ ، باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها ، والبخاري في كتاب بدء الخلق الباب السابع : ٣١٤/٦ .

٢- مسند الامام احمد : ٦٥/٣ عن ابي سعيد الخدري .

ومنها ما أخرجه ابو داود والترمذى عن حذيفة مرفوط : (لعن الله من قعد في وسط الحلقة) .

ومنها ما أخرجه ابن ماجه عن ابي موسى مرفوط : (لعن الله من فرق بين والده وولدها وبين الأخ وأخيه) .

ومنها ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر مرفوط : (لعن الله من مثل بالحيوان)

وقد أخرج الشيخان لعنه على من أحدث في المدينة اواوى محدثا او توفى غير مواليها اوانتمى الى غير ابيه فهذه تسعة وثمانون كبيرة ويزاد ترك السنة وذلك لما أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة وفسر ترك السنة بالخروج عن الجماعة .

أخرجه الحاكم في حديث ابن عمر مرفوط : عند ابن مردوية اكبر الكبائر سوء الظن بالله .

وأخرج أبو داود والترمذى عن أنس مرفوط نظرت في الذنوب فلم اراعظم من سورة القران أوتيها فنسيها .

وكذلك ما أخرجه الحاكم وأحمد عن أبي هريرة مرفوط من أتى عرافا أو كاهنا فصدقة بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) (١) .

وفي حديث ابن عباس مرفوط : عند الشيخين انهما يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى ، وفي رواية انه لكبير كان احدهما لا يستتر من البول وكان الاخر يمشى

١- مسند بن الجعد : ٢ / ٠ ٧٧ ، حديث رقم (٢٠١٨) كتاب الايمان - باب الكبائر .

بالنميمة) (١) .

وفي حديث ابن عباس عند أحمد مرفوط : ملعون من وقع على بهيمة ملعون من عمل بعمل قوم لوط) (٢) .

وفي حديث زيد بن خالد عند مسلم مرفوعا من اوى ضالة فهو ضال) .

وفي حديث عمر عند البخارى من حمل علينا السلاح فليس منا) .

وفي حديث ابى هريرة عند الشيخين مرفوط : (من كذب على متعمدا فليتبوا مقعدة من النار) (٣) .

وفي حديث معاوية عند ابي داود والترمذى مرفوط : (من أحب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعدة من النار)

وفي حديث أبي هريرة عند أحمد والحاكم مرفوط : (من احتكر حكرة يريد ان يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة اللـه ورسوله) .

وفي حديث ابن عمر عند البخارى مرفوط : (من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين) .

وفي حديث أبي ذر عند ابن ماجه مرفوط : (من ادعى ما ليس له فليس منـا وليتبوا مقعدة من النار) .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١/٢٥٣-٢٥٤ ،كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بول .
٢- مسند الامام احمد : ١/٢١٧ ،عن ابن عباس .
٣- سبق تخريجه في باب العلم .

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم مرفوعا : (من اراد اهل المدينة بسوء اذابه الله كما يذوب الملح في الماء) .

وفي حديث جابر عند الحاكم مرفوعا : (من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله .

وفي حديث ابن مسعود مرفوعا : (من أسبل ازاره في صلاتة خيلاء فليس من الله في حل ولا حرام) وهذا أخص مما أخرجه البخارى عن ابن عمر مرفوعا : (لا ينظر الله يوم القيامة الى من يجر ثوبه خيلاء) .

وفي حديث ابن عباس مرفوعا : عند الطبرانى (من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الانك ومن أرى عينيه في المنام مالم يركلف ان يعقد شعيره)

وفي حديث ابي هريرة عند مسلم مرفوعا : من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقوا عينه .

وفي حديث على عند ابن عساكر مرفوعا : (من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض) .

وفي حديث جرير عند البيهقى في الشعب والطبرانى مرفوعا : (من اقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة) .

وفي حديث معاذ بن أنس عند احمد والترمذى مرفوعا : (من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم) .

وفي حديث ابي الجعد عند أصحاب السنن مرفوعا :(من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه) .

وفي حديث ابن عمرو بن العاصى عند البخارى مرفوعا : (آية المنافق اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر) (١) .

وفي حديث ابن عمر مرفوعا : عند الترمذى (من تعلم العلم لغير الله فليتبوأ مقعدة من النار) .

وفي حديث بريدة عن أبي داود مرفوعا : (من حلف بالأمانة فليس منا)

وفي حديث أبي هريرة عنده مرفوعا : (من خبّب زوجة امرئ او مملوكه فليس منا) .

وفي حديث ابن عمرو عند احمد والطبراني مرفوعا : (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) .

وفي حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعا من رمانا بالليل فليس منا) .

وفي حديث هشام بن عامر عند الطبراني مرفوعا : (من رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله) .

وفي حديث ابن عباس عند مسلم مرفوعا : (من سمّع سمّع الله به ومن رآيا رآيا الله به)(٢) .

١- أخرجه البخارى : ١/٧٤، ٧٥،كتاب الايمان ،باب ظلم دون ظلم .
٢- أخرجه البخارى : ١/٢٨٢، كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة .

وفي حديث عند الشيخين مرفوعا من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ .

وفي حديث عقبة بن عامر عند مسلم مرفوعا : (من علم الرمي ثم تركه فليس منا)

وفي حديث ابن مسعود مرفوعا عند الطبراني : (من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار) .

وفي حديث ابن عباس عند الترمذى مرفوعا(من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) .

وفي حديث أبي هريرة عند الشيخين مرفوعا : (من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد يوم القيامة حدا الا أن يكون كما قال) (١) .

وفي حديث عبدالله بن حبشي مرفوعا عند أبي داود : (من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار) .

وفي حديث سمرة مرفوعا عند أبي داود : (من كتم على غال فهو مثله) .

وفي حديث أنس عند الشيخين : (من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة) (٢) .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١٥٦/١٢ ، كتاب الحدود ، باب قذف العبد .

٢- مسند بن الجعد : ٦٤٠/١ حديث رقم (١٥١٥) عن أنس ، في كتاب اللباس .

وفي حديث ابن عمر مرفوعا عند أبي داود : (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله تعالى يوم القيامة ثوبا مثله) (١) .

وفي حديث أبي موسى عند الحاكم مرفوعا : (من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) .

وفي حديث زيد بن أرقم عند أحمد والترمذى مرفوعا : (من لم يأخذ من شاربه فليس منا) .

وفي حديث واثلة عند الطبراني مرفوعا : (من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيامة) .

وفي حديث ابن عمرو بن العاص وعائشة وأبي هريرة عند الشيخين مرفوعا : (ويل للاعقاب من النار) ، فهذه تسعة وأربعون فان جمعت الى المعدودات السابقة كان الكل مائة وثمانية وثلاثين كبيرة ، وهذا ما استحضرته وتطلبته في حال رقم الاحرف والا فقد ألف الشيخ ابن حجر الهيثمي المكي في الكبائر كتابا أسماه الزواجر ولعلها تنيف على خمس من المئين والله أعلم .

وما كان كتابه موجودا عندى حال تحرير هذه الاسطر والا فكان يكفيني نقل فهرسته وهذا كله بناء على ما فسرها ابن عباس (رضي الله عنه) من أن الكبيرة كل ما وعد الله تعالى عليها النار كما نقلنا عنه في أول البحث ولا يعارضه ما

١- مسند بن الجعد : ٨٢٣/٢ ، حديث رقم (٢٢٣٤) عن ابن عمر ، في كتاب اللباس .

أخرجه اسماعيل القاضي والطبرى بسند صحيح عن ابن عباس ان كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة لأن المراد منه نهى مقرون بالوعيد وذلك لتتوافق الروايتان ولا يتم ذلك الا بحمل المطلق على المقيد (١) .

قال النووى : (واختلفوا في ضبط الكبيرة اختلافا كثيرا ثم نقل عن ابن عباس ما نقلنا عنه .

وقال الماوردى : (الكبيرة ما وجبت فيه الحدود وتوجه اليها الوعيد)وقد ضبط كثير من الشافعية الكبائر بضوابط أخرى منها :

- قول امام الحرمين كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها .
- وقول الحليمي : كل محرم منهي عنه لمعنى في نفسه .
- وقال الرافعي : هي ما أوجبت الحد .
- وقيل : ما تلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة .

هذا أكثر ما يوجد للاصحاب وهم الى ترجيح الاول أميل لكن الثاني أوفق لما ذكروه عند تفصيل الكبائر (٢) .

وهذا يشعر بأنه لا يوجد عن أحد من الشافعية الجمع بين التعريفين وليس كذلك .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٢٧/١٠ .
٢- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٢٧/١٠ ، باب عقوق الوالدين من الكبائر من كتاب الادب .

وقد قال الماوردى في الحاوى : (هي ماتوجب الحد أو توجه اليه الوعيد)

وأوفى كلامه للتنويع لا للشك وأما انحصار الكبيرة على ما وجب فيها الحد فيخرج

عقوق الوالدين واليمين الغموس عن كونه كبيرة (١) والامر بخلاف ذلك .

قال ابن عبدالسلام : (لم أقف على ضابطة الكبيرة يعني يسلم من الاعتراض

قال : والاولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه اشعارا دون الكبائر

المنصوص عليها .

قال الحافظ : وهو ضابط جيد (٢) .

وقال ابن الصلاح : لها امارات منها ايجاب الحدود ومنها الايعاد عليها

بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة ،منها وصف فاعلها بالفسق ، ومنها

اللعن .

وقد أخرج اسماعيل القاضي باسناد فيه ابن لهيعة عن أبي سعيد مرفوعا

: (الكبائر كل ذنب دخل صاحبه النار) (٣) .

وبسند صحيح عن الحسن البصرى قال : (كل ذنب نسبه الله تعالى الى النار

فهو كبيرة) .

ومن أحسن التعاريف قول القرطبي في المفهم : (كل ذنب أطلق عليه بنص

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٣٧/١٠ ، باب عقوق الوالدين من الكبائر من كتاب الادب .

٢- نفس المصدر السابق . ٣- نفس المصدر السابق .

كتاب أو سنة أو اجماع أنه كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة العقاب أو علق عليه الحد أو شدد النكير عليه فهو كبيرة (١) .

فلعل ابن حجر الهيثمي (رحمه الله) تتبع ذلك فوجد ما هو كما ذكر القرطبي فجمعه في الزواجر قد أشار الحافظ ابن الحجر العسقلاني أنه قد شرع في تحرير الكبائر على النمط المذكور سواء كان من كتاب الله تعالى أو من السنة الصحيحة أو الحسنة وما أدري هل كمل له ذلك أم لا .

قال الحليمي في المنهاج : (ما من ذنب الا وفيه صغيرة وقد تنقلب الصغيرة كبيرة بقرينة يضم اليها وتنقلب الكبيرة فاحشة كذلك الا الكفر بالله فانه أفحش الكبائر وليس من نوعه صغيرة ومع ذلك فهو ينقسم الى : فاحش وأفحش).

ثم ذكر الحليمي أمثلة لما قال منها : قتل النفس بغير حق (٢) كبيرة فان قتل أصلا أو فرعا أو ذا رحم أو بالحرم أو بالشهر الحرام فهو فاحشة ، وكذلك الزنا كبيرة فان كان بحليلة الجار أو بذات رحم أو في شهر رمضان أو بالبلد الحرام فهو فاحشة وهكذا شرب الخمر كبيرة فاذا كان في رمضان نهارا أو في الحرم أو جهر به فهو فاحشة وأما انقلاب الصغيرة كبيرة فكالمفاخذة مع الاجنبية صغيرة فان وقعت مع موطوءة (٣) أو من يحرم التزوج بها فكبيرة .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١٠/ ٢٢٧ كتاب الادب ، باب عقوق الوالدين .

٢- لم ترد عبارة (بغير حق) في نسخة (هـ) .

٣- في نسخة (هـ) مع أم موطوءة وهو أصح معنى .

وسرقة ما دون النصاب صغيرة فان كان المسروق منه لا يملك غيره وافضى به عدمه الى الضعف فهو كبيرة .

قال الحافظ وهو منهج حسن لا بأس به باعتباره ومداره على شدة المفسدة وخفتها والله أعلم انتهى (١) .

قال الواحدى مالم ينص الشارع على كونها كبيرة فالحكمة في اخفائها ان يمتنع العبد من الوقوع فيه خشيه ان تكون كبيرة كاخفاء ليلة القدر وساعة الجمعة والاسم الاعظم والله أعلم . (٢)

وقال الطيبى الصغيرة والكبيرة امران نسبيان ولا بد من أمر يضافان اليه وهو احد ثلاثة اشياء الطاعة أو المعصية او الثواب فاما الطاعة فكل ما يكفره الصلاة مثلا فهو من الصغائر وكل ما يكفره الاسلام او الهجرة فهو من الكبائر واما المعصية فكل معصية يستحق فاعلها بسببها وعيدا او عقابا أزيد من الوعيد او العقاب المستحق بسببه معصية اخرى فهي كبيرة واما الثواب ففاعل المعصية ان كان من المقربين فالصغيرة بالنسبة اليه كبيرة كما وقعت المعاتبة في حق بعض الانبياء على أمور لم تعد من غيرهم معصية الله انتهى (٣) .

ويشكل على قوله أزيد من الوعيد الخ ان لا يكون مطلق قتل النفس كبيرة فان الوعيد الشديد انما ورد في حق من قتل ولده ، فالحق ما اشار اليه القرطبى وابن الصلاح والله أعلم . (٤)

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١٠/٣٢٧ .

٢- نفس المصدر السابق .   ٣- نفس المصدر السابق .

٤- نفس المصدر السابق .

وهذا مذهب الجمهور بان الذنوب منها كبائر ومنها صغائر وشذت طائفة منهم الاستاذ ابواسحاق الاسفرائيين فقالوا ليس في الذنوب صغيرة بل كل ما نهى الله تعالى عنه كبيرة واستدلوا مما نقلناه اولا عن ابن عباس حكاه القاض عياض عن المحققين ونسبه ابن بطال الى الأشعرية أبو بكر الطيب واصحابه فقالوا المعاصي كلها كبائر وانما يقال لبعضها صغيرة بالنسبة الى ما هو اكبر منها كما يقال القبلة المحرمة صغيرة باضافتها الى الزنا وكلها كبائر قالوا ولا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب اخر بل كل ذلك كبير ومرتكبه في المشيئة غير الكفر لقوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) واعترض عليهم بقوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) (١) وقوله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) (٢) الآية .

فهذه الايات مفادها ان بعض المعاصي تكفر باجتناب بعضها وان هناك كبائر وصغائر فاجابوا عن ذلك ان المراد من كبائر ما تنهون عنه الشرك .

وقال الفراء من قرأ كبائر فالمراد بها كبير وكبير الاثم هو الشرك وقد يأتي لفظ الجمع ويراد به الواحد كقوله تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) (٣) ولم يرسل غير نوح (٤).

١- سورة النساء جزء من اية : ٣١ .
٢- سورة النجم جزء من اية : ٣٢.
٣- سورة الشعراء ، الآية : ١٠٥ .
٤- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٢٢٦/١٠ ، كتاب الادب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر .

قال امام الحرمين في الارشاد المرضى عندنا ان كل ذنب يعصى الله تعالى به كبيرة فرب شيء يعد صغيرة بالاضافة الى الافراد ولو كان في حق الملك لكان كبيرة والرب تعالى اعظم من عصى فكل ذنب بالاضافة الى مخالفته عظيم ولكن وان عظمت فهي متفاوته في مراتبها[1] فيفهم من كلامه ان الذنوب باعتبار كونها مخالفة البارى تعالى وتقدس كبائر وباعتبارها فيما بينها كبائر وصغائر فالخلاف معنوى مؤيد لما ذهب اليه الاشاعرة والله أعلـــم .

قال النووى قد تظاهرت الادلة من الكتاب والسنة على الفرق بين الصغائر والكبائر .

وقال الغزالي انكار الفرق بينهما لا يليق بالفقه (٢) ويجاب عن ما استدلـــوه (٣) لأنه يراد الواحد من لفظ الجمع ان ذلك خلاف الحقيقة وهى مقدمه على المجاز ولان الله تعالى قد استثنى اللمم من الكبائر والفواحش ولو كان اللمم من الكبائر لما جاز الاستثناء فالصحيح مذهب الجمهور لما دلت عليه الادلة من الكتاب والسنة فافهم والله أعلـــم .

واما استدلالهم بما قاله ابن عباس فقد مرّ جوابنا بحمل المطلق على المقيد من

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٢٦/١٠ ،كتاب الادب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر .

٢- نفس المصدر السابق .

٣- في نسخة (هـ) استدلوا به .

كلامه في شرح هذا الحديث (١) .

وقوله واهل العظائم أى انما اشفع لأهل الكبائر واهل العظائم عطف تفسيرى فان العظائم جمع عظيم والمراد منها الذنوب التى يعظم شأنها في الوزر ويجل امرها في العصيان وتكون موجبة للحدود او التهديد بالنيران وهى الكبائر كما قدمنا.

وقوله واهل الدماء تخصيص بعد تعميم والمراد بهم من قتلوا النفوس جرحوها أو سالوا دماءها بغير حق واجب في الشرع فهولاء مرتكبين مأثمة كبيرة استحقوالها شفاعة المصطفى (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي تخصيص اهل الدماء تنبيه وتحذير عن ارتكاب هذا الامر العظيم .

وقد جاء فيما أخرجه البخارى عن ابن عمر (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) لن يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دما حراما) (٢) .

ولهذا قال ابن عمر ان من ورطات الامور التى لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حق) (٣)

وقد ثبت عن ابن عمر انه قال : (لمن قتل عمدا بغير حق تزود من الماء البارد

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ٣٢٦/١٠ .
٢- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١٥٨/١٢ كتاب الديات الباب الاول
٣- نفس المصدر السابق .

فانك لا تدخل الجنه) (١) .

وفي حديث عبد الله بن عمر وعند الترمذى (زوال الدنيا كلها عند الله اهون من قتل رجل مسلم)

قال الترمذى حديث حسن فلما كان هذا الذنب بهذه الحيثيه احتاج النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يخصه بعد التعميم والله أعلـــم .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١٢/١٥٨ .

الحديث الثلاثون

حماد عن أبي حنيفة عن اسماعيل بن أبي خالد (١) وبيان بن بشر(٢) عن قيس بن أبي حازم(٣) قال: سمعت جرير بن عبد الله يقول قال: رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فانظروا ان لا تغلبوا في صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال: حماد يعني الغدوة والعشى) .

تابع الامام رحمه الله تعالى في روايته هذا الحديث مروان بن معاوية ويحى بن سعيد وجرير بن حازم بن زيد الأزدى وخالد وهاشم وابو شهاب عبد ربه بن نافع عند البخارى وعبد الله بن نمير ووكيع وابو اسامة عند مسلم وشعبة وعبد الله بن عثمان وعبد الله بن ادريس عند النسائي ويعلى بن عبيد وابو معاوية عند ابن ماجه وغيرهم وتابعه في روايته عن بيان بن بشر زائدة بن قدامة (٤) عند البخارى .

١- اسماعيل بن أبي خالد الأحمسي ، مولاهم البجلي ، ثقة ثبت من الرابعة مات سنة ست واربعين ، تقريب التهذيب : ١/ ٦٨ .

٢- بيان بن بشر الاحمسي ، ابو بشر الكوفي ثقه ثبت من الخامسة ، تقريب التهذيب ١/ ١١١ .

٣- قيس بن أبي حازم البجلي ، ابو عبد الله الكوفي ، ثقه ، من الثانية مخضرم ويقال له رؤيه ، مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاوز المائه وتغير ، وهو الذى يقال انه اجتمع له أن يروى عن العشره ، تقريب التهذيب : ٢/ ١٢٧ .

٤- زائده بن قدامه الثقفي ، ابو الصلت الكوفي ، ثقه ثبت ، صاحب سنة . من السابعة مات سنة ٦٠ وقيل بعدها ، تقريب التهذيب: ١/ ٢٥٦ .

واسماعيل هو ابن أبي خالد واسم أبي خالد سعد وقيل كثير وقيل هرمز البجلي الاحمس مولاهم من تابعي الكوفة وأحد الائمه الاعلام الاثبات كان يسمى الميزان وهو أعلم الناس بحديث الشعبي وكان ثقة ثبتا مات سنة خمس او ست وأربعين ومائة.

بيان بشر هو ابو بشر الاحمس من احمس بجليه الكوفي المعلم ثقه ثبت.

وقيس بن أبي حازم هو ابو عبد الله الأحمس البجلي أدرك الجاهلية واسلم وجاء الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ليبايعه فوجده قد توفي ويعد في تابعي الكوفي روى عن العشرة الا عبد الرحمن بن عوف وروى عن بلال وابن مسعود وعمار بن ياسر وجرير وكثير من الصحابة وليس في التابعين من يروى عن تسعة من العشرة الا هو وشهد النهروان مع على بن ابي طالب (رضى الله عنه)

قال ابن عيينة ما كان بالكوفه أروى عن أصحاب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) من قيس بن ابي حازم وطال عمرة حتى جاوز المائة بسنين كثيرة ومات سنة ثمان وتسعين أو سبع واختلفوا في اسم أبيه أبي حازم فقيل حصين بن عوف وقيل عبد عوف بن الحارث وقيل عوف بن الحارث من بني اسلم بن احمر بن الغوث بن انمار.

قال الذهبي حديث قيس محتج به في كل دواوين الاسلام.

وجرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصير بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حزن بن على البجلي الصحابي الشهير يكنى بابا (١) عمرو وقيل ابو عبد الله واختلف في وقت اسلامة ففي الطبراني في الاوسط عن جرير قال لما بعث النبي

١- في النسخة (هـ) بأبي بدل (بابا) وهو الصحيح لغة.

(صلى الله تعالى عليه وسلم) اتيته فقال ما جاء بك قلت جئت لا سلم فالقى الى كساءه وقال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وفي اسناده حصين بن عمر الاحمس وهو ضعيف . (1)

وجزم ابن عبد البر عنه بانه اسلم قبل وفات النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) بأربعين يوما وهو غلط ففى الصحيحين عنه ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : له استنصت الناس في حجة الوداع .

وقد أخرج الطبرانى عنه انه قال قال لنا رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) ان اخاكم النجاشى قد مات الحديث)

وكان جرير جميلا وكان عمر (رضى الله عنه) يقول فيه يوسف هذه الامة وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة فكان لهم اثر عظيم في فتح القادسية وقد ارسله النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) الى ذى الخلصة وكانت طاغية دوس فهدمها ورجع منصورا وشكى الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) انه لا يثبت على الخيل فضرب النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) في صدره وقال : اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا وروى البغوى عن ابراهيم بن اسماعيل وكان طول جرير ستة اذرع .

وروى الطبرانى من حديث على مرفوعا جرير منا اهل البيت وقوله انكم سترون الخ وقع عند البخارى عن جرير قال : كنا عند النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم)

١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٣٧٢ ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في جرير ، وفي السند جماعة لم تعرف .

اذا نظر الى القمر ليلة البدر) .

وفي رواية له كنا جلوسا ليلة مع النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فنظر الى القمر ليلة اربع عشرة فقال انكم سترون ربكم) وعند مسلم انكم ستعرضون على ربكم فترونه) (١) .

وقوله : (كما ترون هذا القمر) اراد به تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح (٢) وزوال الشك ورفع المشقة والا ختلاف والتشبيه انما هو لتعيين الرؤية لا لتشبيه المرئى سبحانه وتعالى ولذلك .

قال ابن الاثير : قد يتخيل بعض الناس ان الكاف كاف التشبيه للمرئى وهو غلط وانما هو كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائى ومعناه انها رؤية مزاح عنها الشك مثل رؤيتكم القمر .

وقال الشيخ ابو محمد بن أبي حمزه والتمثيل وقع في تحقيق الرؤية لا في الكيفية لان القمر متحيز والله سبحانه وتعالى منزه عن التحيز .

وقال بعضهم الحكم في التمثيل بالقمر انه يتيسر للرائى بغير تكلف ولا تحديق يضر بالبصر بخلاف الشمس .

وقوله ليلة البدر لعله اراد به والله أعلم ،، انكم ترون ربكم رؤية كاملة لا يحجبكم

١- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٤١٩/١٣ كتاب التوحيد ، باب وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظره ، حديث رقم (٧٤٣٥) .
٢- انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢٠٢ /١٨

منه شيء .

وقوله : لا تضامون بتشديد الميم مع فتح اوله بحذف احد التأئين كان في الأصل تتضامون من باب التفاعل والمفاعلة كما اشار اليه في مجمع الانوار ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض وتزدحمون وقت النظر اليه ويروى أيضا بالتخفيف في الميم مع ضم اوله من الضيم اى لا ينالكم ضيم وظلم في رؤيته فيراه بعض دون بعض .

ويروى أيضا بالهاء بدل الميم مع ضم اوله لا تضاهون اى يشتبه عليكم ولا ترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضا بل كل واحد يقول انه راى الله تعالى يقينا وقد جاء في بعض روايات البخارى من هذا الحديث انكم سترون ربكم عيانا) (١) .

ويروى أيضا لا تضارون بضم اوله والضاد المعجمة وتشديد الراء بصيغة المفاعلة من الضر وأصله تضارون بكسر الراء وفتحها أى لا تضرون أحدا ولا يضركم أحد بمنازعة ولا مجادلة ولا مضايقة .

ويروى أيضا بتخفيف الراء من الضير وهو لغة في الضر أى : لا تخالف بعض بعضا فيكذبه وينازعه بذلك يقال ضاره يضيره .

وقوله : (فانظروا أن لا تغلبوا) في رواية البخارى : (فان استطعتم أن لا تغلبوا وهو بالبناء للمفعول ، وفيه اشارة الى قطع أسباب الغلبة للاستطاعة (٢) .

١- انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ١٣/٤١٩ ، كتاب التوحيد ، باب وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة . حديث (٧٤٣٥)

٢- انظر فتح البارى : ٢/٣٣ ، كتاب المواقيت ، باب فضل صلاة العصر .

أو المنافية للراجح عند ذوى العقول كما يشير اليه قوله : (فانظروا) وذلك كالنوم والشغل والمراد المواظبة التامة والاستعداد الكامل لادائها كل يوم بدون تقصير.

وقوله (١) : (في صلاة) أى في محافظة صلاة وأدائها على الشروط المرعية والامور المرضية من دون اخلال في خضوعها وخشوعها حتى تتم (٢) النتيجة المستفادة من المحافظة عليها وحذف المضاف لتكثر التقادير فان اعتبار كل تقدير ينبغي ملاحظته واجب .

وقوله : (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) فسره حماد (٣) بالغدوة يعني بها صلاة الفجر فانها قبل طلوع الشمس ، والعشي وأراد بها صلاة العصر فانها قبل غروبها وقد وقع عند مسلم يعني : العصر والفجر ، ولابن مردويه من وجه آخر عن اسماعيل قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر وهكذا أخرجه الطبراني وابن عباس تفسيرا من جرير ، وفسره قتادة أيضا بذلك عند عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأما ابن عباس ففسر ذلك بالصلاة المكتوبة بمعنى أن كل صلاة مكتوبة ينبغي ملاحظتها رواه عنه عبد الرزاق وعبد بن حميد والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم .

١- في نسخة (هـ) بدون تقصير في محافظة صلاة وأدائها .
٢- في نسخة (هـ) حتى تحصل النتيجة .
٣- جاء اختلاف في الشرح في نسخة (هـ) ، تقديم وتأخير في العبارات .

واني لا رى تفسير راوى الحديث يقدم على تفسير غيره لانه أعلم بما رواه وأخبر بشأنه والله أعلم .

قال العلماء : ومناسبة ذكر هاتين الصلاتين عند ذكر الرؤية أن الصلاة أفضل الطاعات وقد ثبت لهاتين الصلاتين على غيرهما من الفضل ما جاء فيما رويناه في موطأ مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون (١) .

قال المناوى : وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح وأن العمل يرفع آخر النهار فهما أفضل الصلوات فناسبه أن يجازى المحافظ عليهما بأفضل العطايا وهو النظر الى الله تعالى .

قال التوريشتي: وفيه تنبيه على أن أهل تلك الفضيلة هم الذين لا يغلبون على صلاتي الصبح والعصر ،وانما حصر هاتين الصلاتين بالحث دون سائرها لما في الصبح من ركون النفس الى الاستراحة وتثبطها عن القيام عما هي فيه من اللذة الكبرى ولما في العصر من الشغل بالمعاملات فانه وقت قيام الاسواق في البلدان فاذا لم تلحقه فترة في هذين الوقتين مع شدة الداعية وقيام المانع فبالحرى أن لا يلحقه في

١- فتح البارى بشرح صحيح البارى : ٦/٢٣٨، ٢٣٩ ،كتاب بدء الخلق ،باب ذكر الملائكة .

غيرهما من الاوقات انتهى (١) .

قلت وهذا يؤيد ما ذهب اليه ابن عباس في تفسير الآية بالصلاة المكتوبة كما نقلنا عنه قريبا والله أعلم .

في الحديث نص صريح على أن المؤمن يرى الله تعالى يوم القيامة ، وقد جاءت في ذلك آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) يعني ناعمة (٢)(الى ربها ناظرة) (٣) .

ووردت فيه أحاديث كثيرة أيضا منها حديث جرير الذى ساقه الامام .

ومنها ما أخرجه عبد بن حميد والترمذى والطبراني وغيرهم وصححه الحاكم من طريق ثوير ابن أبي قاضية (٤) عن ابن عمر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ان أدنى أهل الجنة منزلا لمن ينظر في ملكه ألف سنه وان أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه ربه عزوجل كل يوم مرتين قال : ثم تلي وجوه ناضرة بالبياض والصفا الى ربها ناظرة قال : تنظر كل يوم في وجه الله تعالى ، وفي لفظ عبد ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله عزوجل من ينظر الى وجهه غدوة وعشية (٥) وثوير من أهل الرفض ضعيف.

١- انظر فتح البارى : ٢ / ٣٣ ، ٣٥ فيهما المعاني التي أشارت اليه هذه الفقرة .
٢- لم ترد عبارة (يعني ناعمة) في النسخة (هـ) .
٣- سورة القيامة الآيات ٢٢ ، ٢٣ .
٤- ورد في سند أحمد وغيره (ثوير بن أبي فاختة) .
٥- سنن الترمذى : ٤ / ٩٣ ، كتاب الجنة باب ما جاء في رؤية الرب حديث (٢٦٧٧) لم يرفعه .

ومنها ما أخرجه الشيخان عن ابي هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله قال : هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال : فانكم ترونه كذلك) (١) .

ووقعت عند النسائي والدارقطني وصححه وابي نعيم زيارة قال : فانكم سترون ربكم عز وجل حتى ان أحدكم ليحاضر ربه محاضرة فيقول عبدي هل تعرف ذنب كذا وكذا فيقول الم تغفرلي فيقول بمغفرتي صرت الى هذا .

ومنها ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابي سعيد قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال : تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كانت صحوا فقلنا لا قال : فانكم لا تضارون في روية ربكم عز وجل يومئذ الا كما تضارون في رؤيتهما) (٢) .

ومنها ما أخرجه ابو داود عن ابي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال : نعم قلت وما اية ذلك في خلقة قال : يا ابا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال : فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله أجل واعظم) (٣) .

١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٢ /٣٢-٣٣ ، كتاب المواقيت ، باب فضل صلاة العصر وفضل صلاة الفجر ، وصحيح مسلم بشرح النووي : ٢/٣/١٧ كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله سبحانه وتعالى ، والدارمي : ٢/٣٢٦ كتاب الرقاق ، باب النظر الى الله تعالى .

٢- صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/٣/٢٢-٢٤ كتاب الايمان باب رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

٣- ابو داود : ٧/١١٩ كتاب السنة ، باب الرؤية ، حديث رقم(٤٥٦٣) عن أبي رزين العقيلي .

ومنها ما أخرجه الترمذى ومسلم عن صهيب ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال : اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة الم تنجنا من النار قال : فيكشف الحجاب فما اعطو شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى) (١) وزاد في رواية ثم تلى هذه الأية (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) (٢) .

ومنها ما أخرجه ابن مردوية عن أنس مرفوعا : في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) الآية قال : فينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة .

ومنها ما أخرجه احمد وعبد بن حميد عن ابي موسى الاشعرى مرفوعا : في حديث طويل ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من انتم؟ فيقولون نحن المسلمون فيقول ما تنظرون قالوا ننتظر ربنا عز وجل فيقول وهل تعرفونه ان رأيتموه فيقولون نعم فيقول كيف تعرفونه ولم تروه فيقولون نعرفه لانه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكا ثم يقول لنا ابشروا يا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا قد جعلت له مكانه يهوديا أو نصرانيا) (٣) .

وفي رواية له عند ابن عساكر قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تبارك

١- صحيح مسلم بشرح النووى : ٢ ، ١٧/٣ كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم .

٢- سورة يونس جزء من الآية : ٢٦ .

٣- مسند الامام احمد ٤ ، ٤٠٧/٤-٤٠٨ عن أبي موسى الاشعرى .

وتعالى فيخرون له سجدا) الحديث

ومنها ما أخرجه الدارقطني عن بريدة مرفوعا : (ما منكم من احد الا وسيخلوا الله تعالى به كما يخلوا بالقمر ليلة البدر) .

ومنها اما أخرجه الدارقطني عن جابر مرفوعا : (يتجلى لنا الرب تبارك وتعالى ينظرون الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا اليوم عبادة)

ومنها ما أخرجه أيضا وابن النجار عن جابر مرفوعا : (ان الله تعالى ليتجلى للناس عامة ويتجلى لابي بكر خاصة) .

ومنها ما أخرجه أيضا الخطيب في تاريخه عن أنس ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) أقرأه (١) هذه الآية (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال والله ما نسخها منذ أنزلها يرون ربهم تبارك وتعالى فيطعمون ويسقون ويطيبون ويحلون ويرفع الحجاب بينه وبينهم فينظرون اليه وينظر اليهم عز وجل فذلك قوله تعالى ، (لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) (٢) .

ومنها ما أخرجه أيضا عن أنس مرفوعا : (اذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فاخذ لهم عهدا بالنظر اليه في كل جمعة ويراه المؤمنون يوم الفطر ويوم النحر).

١- في النسخة (هـ) قرأ هذه الآية .
٢- سورة مريم جزء من الآية : ٦٢ .

ومنها ما أخرجه أيضا عن أنس في حديث طويل في فضل يوم الجمعة مرفوعا : فيقول يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري فاذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاء ونوره هبوا له سجدا فيناديهم عز وجل بصوته ارفعوا رؤسكم فانما كانت العبادة في الدنيا وانتم اليوم في دار الجزاء سئلوني ما شئتم) الحديث .

ومنها ما أخرجه عبد الله بن احمد في زوائد المسند والحاكم عن بقية بن عامر في حديث طويل فتخرجون في مصارعكم فتنظرون اليه وينظر اليكم قلت يا رسول الله وكيف نحن من الأرض وهو شخص واحد ينظر الينا وننظر اليه فقال أنبئك بمثل ذلك من الآء الله الشمس والقمر اية منه صغرى ترونهما ويريانكم ساعة واحدة وترياتهما لا تضارون في رؤيتهما ولعمر الهك فلهو اقدر على ان يراك وترونه) (١) .

ومنها ما أخرجه ابن ابي شيبة والنسائي عن عمار بن ياسر انه سمع النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) يدعو وقال ولذة النظر الى وجهك) .

ومنها ما أخرجه البيهقي عن زيد بن ثابت انه علمه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ما يقول حين يصبح وفيه اسئلك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك) .

ومنها ما أخرجه ابن ماجه والبزار وابن ابي حاتم وابن مردويه عن جابر مرفوعا : بينا أهل الجنة في نعيم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تبارك وتعالى

١- مسند الامام احمد : ١٢/٤ ،عن عاصم بن لقيط من حديث طويل .

قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول تعالى (سلام قولا من رب رحيم) فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقي نوره وبركته عليهم في ديارهم) (١)

فهذه ثمانيه عشرة حديثا وفي الباب اكثر من ذلك فانما لم اكتبها الا اختصارا للكلام ومع ذلك قد طال المقال ردا لمن انكر الرؤية وجحدها .

وقالوا في قوله تعالى الى ربها ناظرة تنتظر الثواب كما أخرجه عبد بن حميد بسند صحيح عن مجاهد وقد تمسك به المعتزله وتمسكوا أيضا في حديث جبريل في سؤاله عن الاحسان ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .

وقالوا فيه اشارة الى انتفاء الرؤية وقالوا شرط المرئى أن يكون فيه جهة والله تعالى منزه عن الجهات وان الرؤية توجب كون المرئى محدثا وحالا في مكان وتعلقوا بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) (٢) وبقوله تعالى لموسى (لن تراني) (٣) فهذه ست حجج او جبتهم الخلاف ولنرفع المشكل عن كل واحد منها مستعينا بالله تعالى انه ولي التوفيق .

فاعلم ان تأويلهم للآية منتظره للثواب غير مسلم فان لفظه ناظرة بالظاء المعجمة المشاله كما قاله البيهقي يحتمل في كلام العرب اربعة اشياء أحدها نظر التفكر

١- سنن ابن ماجه : ١/٦٦ حديث رقم (١٨٤) في المقدمة وجاء تعليقا عليه قال السيوطي في مصباح الزجاجة والذى رأيته أنا في كتاب العقيلي ما نصه عبد الله بن عبيد الله ابو عاصم العباداني ، منكر الحديث ، وكان الفضل يرى القدر ، كاد ان يغلب على حديثه الوهم .

٢- سورة الانعام جزء من الآية : ١٠٣ .

٣- سورة الاعراف جزء من الآية : ١٤٣ .

والاعتبار كقوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) (١) .

وثانيها نظر الانتظار كقوله تعالى : (ما ينظرون الا صيحة واحدة) (٢) .

وثالثها نظر التعطف والرحمة كقوله تعالى : (لا ينظر الله اليهم) (٣).

ورابعها نظر الرؤية كقوله تعالى : (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) (٤) والثلاثة الاولى غير وارده اما الاول فلأن الاخرة ليست دار الاستدلال .

واما الثاني فلأن الانتظار انما هو مشوش ومكدر والآية خرجت مخرج الامتنان والبشاره واهل الجنة لا ينتظرون شيئا لأنهم مهما خطر لهم أتو به.

واما الثالث فلا يجوز لان المخلوق لا يتعطف على خالقه تبارك وتعالى فلم يبق الا نظر الرؤية وانضم الى ذلك ان النظر اذ ذكر مع الوجه انصرف الى نظر العينين اللتين في الوجه ولانه هو الذى يتعدى (بالى) كقوله تعالى (ينظرون اليك) .

وأخرج ابو العباس السراج في تاريخه عن الحسن بن عبد العزيز المروى وهو من شيوخ البخارى سمعت عمرو بن أبي سلمة سمعت عن مالك بن أنس وقيل له يا أبا عبد الله قوله تعالى : (الى ربها ناظرة) يقول الى ثوابه فقال كذبوا فاين هم عن قوله تعالى : (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فاندفع ما فسروا به

١- سورة الغاشية ،الآية : ١٧ .
٢- سورة يس : جزء من الآية : ٤٩ .
٣- سورة آل عمران ، جزء من الآية : ٧٧ .
٤- سورة محمد ، جزء من الآية : ٢٠ .

النظر والأصل عدم التقدير وانه معطوف.الآية في حق المؤمنين لمفهوم الآية الاخرى في حق الكافرين .

واما تمسكهم بحديث جبريل فغير صحيح فان النفي فيه انما وقع على رؤيته تعالى في الدنيا لأن العبادة خاصة بها فلو قال قائل ان فيه اشارة الى جواز الرؤية في الأخرة فما بعد .

واما قولهم ان من شرط المرئ أن يكون في جهة الخ فغير مسلم لأ نهم ينزلون الله تعالى منزل المبصرات الواقعة في الدنيا وهو تعالى وتقدس ليس كمثله شيء وصفات الخالق لا تقاس على صفات المخلوقين فيجب الايمان باصل الرؤية ونفوض الأمر في كيفيتها الى الله فلا تظهر لنا الا ذلك اليوم ان شاء الله تعالى وهذا هو الجواب عن قولهم ان كون المرئى محدثا وحالا فكل ذلك انما هو قياسات عقلية والقياس في مثل هذا لايجدي لأنه شتان بين المقيس والمقيس عليه فافهم .

واما قوله تعالى لا تدركه الابصار فانما المراد منها الابصار الدنيويه ولا كلام في الأبصار الاخروية ومكن ان يقال ان نفى الادراك لا يستلزم نفى الرؤية لامكان رؤية الشيء من غير احاطه بحقيقتة والاحسن من ذلك ان يقال ان الآية انما افادت سلب العموم اى لا تدرك كل الابصار بل انما تدركه بعضها وهذا عين ما نعتقده ونفوز(١)به ان شاء الله تعالى فان الكفار لا يرونه أصلا وهذا بخلاف ما يستفاد من

١- في نسخة (هـ) (ونقول به) بدل (ونفوز به) .

قوله وهو يدرك الابصار أى كلها فانها اثبات للعموم .

واما تمسكهم بقوله تعالى لن ترانى فكذلك يحمل على الدنيا كما جاء في ما

أخرجه الطبرانى عن أبي امامة مرفوعا : (انكم لن تروا ربكم عز وجل حتى تموتوا)(١)

(١)
فاند فعت اشكالاتهم وتقرران الايمان بالرؤية واجب لما نصت عليه الآية والاحاديث

الكثيرة التى لا تقصر عن درجة التواتر والمعنى ان يحصل النظر بان ينكشف انكشافا

تاما بالبصر منزها عن المقابلة والجهة والهيئة فهى أمر زائد على صفة العلم الا

يرى (٢) ان الله تعالى يرانا بالاتفاق مع انا لسنا في جهة منه ولا في مكان ولا مسافة

بيننا وبينه .

والحاصل انا رؤيتناله ان شاء الله تعالى تكون على وجه خارق للعادة من

غير اعتبار المقابلة لهذه الحالة البصرية ولكن هذا اخر كلامنا في هذه الباب والله

الهادى الى سواء الصراط .

١- انظر تفسير القران العظيم لابن كثير : ٤٨٦/٤ في تفسيره للاية (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (قال دلت الاحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار .

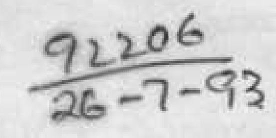
٢- في نسخة (هـ)(الا ترى)بدل (الا يرى) .

UNIVERSITY OF SINDH
PAKISTAN

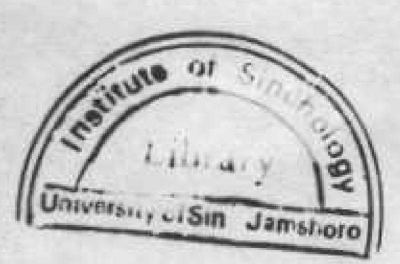
AL-MAWAHIB AL-LATIFAH
ALA MUSNAD AL-IMAM ABI HANIFAH

CRITICAL STUDY

Ph.D THESIS







BY

MAHMOUD SALAMEH AL-AYESH

UNDER THE SUPERVISION
OF
DR. AHMED IQBAL

*Department of Comparative Religion
& ISLAMIC CULTURE
UNIVERSITY OF SINDH*

VOL I

1992